بلاد ما بين النهرين

الحضارتان البابلية والأشورية

تأليف

ل.د يلايورت

ترجمة

محرم كمال

مراجعة

د. عبد المنعم أبو بكر

الكتاب: بلاد ما بين النهرين.. الحضارتان البابلية والأشورية

الكاتب: ل.د يلايورت

ترجمة: محرم كمال

مراجعة: د. عبد المنعم أبو بكر

الطبعة: ٢٠٢٢

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

يلايورت ، ل.د

بلاد ما بين النهرين.. الحضارتان البابلية والأشورية / ل.د يلايورت,

ترجمة: محرم كمال، مراجعة: د. عبد المنعم أبو بكر

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٤٢٨ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٩ – ٣٩١ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٥٧٧٦ / ٢٠٢١

بلاد ما بين النهرين

الحضارتان البابلية والأشورية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

إن المصادر التي نستمد منها معلوماتنا عن الحضارتين البابلية والآشورية – اللتين ازدهرتا في سهول دجلة والفرات، قبل العصر المسيحي– تكاد تكون مقصورة على النقوش والآثار الخاصة بهاتين الحضارتين. ويرجع الفضل إلى بوتا **Botta**، قنصل فرنسا بالموصل، في البدء بعمل حفائر منظمة بغية الكشف عن آثار إمبراطورية آشور القديمة، فهو الذي كشف في عام ١٨٤٢م في جهة خورساباد **Khorsabad** عن مدينة دور شاروكين **Dour- Sharrookin** التي شادها سرجون **Sargon** في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى استأنف الإنجليزي لايارد **Layard** طائفة من الأعمال التي كان بوتا قد تركها فكشف عن أطلال نينوي القديمة وفيها المكتبة الهامة للملك آشور بانيبال، **Assurbanipal** (القرن السابع).

وليس يدخل ضمن نطاق بحثنا سرد جميع الأبحاث التي أجريت بعد هذا البدء السعيد والتي اشترك فيها علماء آثار فرنسيون وإنجليز وألمان وأمريكيون[١] بيد أننا لا نستطيع أن ننسى –فيما يتعلق ببابل– ذلك العمل الذي قام به أرنست دي سارزك **Ernest de Sarzec** فقد عين هذا الرجل وكيلًا لقنصلية فرنسا بالبصرة وتسلم أعمال وظيفته في يناير من عام ١٨٧٧م ولم يكد يمضي شهران على تعيينه حتى بدأ ينقب في أكوام الرمال التي يطلق عليها "تلو" واستمر في حفائره الناجحة حتى وافاه الأجل فحمل عنه العبء الكولونيل كروس **Cros** وكان من نتيجة هذه الحفائر أن خرجت عشرات الآلاف من النصوص، وأن برز تاريخ لاجاش **Lagash** –تلك المدينة الهامة– خلال الألف الثالثة كلها. وعلينا أن نذكر كذلك البعثة العلمية التي أوفدتها وزارة

(1) XLIX.

المعارف العمومية إلى بلاد فارس من عام ١٨٩٧م حتى عام ١٩١٢م تحت الإدارة الحازمة لمسيو جاك دي مورجان، فقد كشف عن أطلال سوس **Suse** وهي عاصمة بلاد مجاورة كانت في كثير من الأحيان عدوة لبلاد بابل، كما كشف عن طائفة من قطع فنية ونقوش مما يلقي ضوءًا كبيرًا على الحضارة البابلية. ويكفي أن نذكر لوح النصر الخاص بـ"نارام سن" **Naram- Sin** (القرن ٢٨) وقانون حمورابي **Hammuorabi** (القرن ٢١) وهو أهم نص خاص بالقوانين القديمة كشف عنه حتى اليوم.

وإنه لمن الصعب أن نجد معلومات جديرة بالاعتبار عن موضوعنا فيما أورده كتاب الإغريق والرومان، إذ أن المصادر التي استقى منها هؤلاء الكتاب لم تعد في الأغلب الأعم روايات السياح وأقاصيصهم، ونحن إذا أردنا أن نحققها بأسانيد آشورية أو بابلية، فإننا لا نلبث أن نجد أغلاطًا وأخطاء كثيرة: فقد شهد هيرودوت مثلا بأن أرض بلاد بابل "فائقة الخصب في إنماء الحبوب فهي تغل مائتين عادة في مقابل كل حبة وفي الأراضي بالغة الجودة تغل ثلاثمائة" فالمؤرخ الإغريقي قد زار بنفسه البلاد فشهادته إذن صادقة، بيد أنه مما لاشك فيه، أنهم قد أروه حقلًا من حقول التجارب حيث أمكن الحصول على غلة تفوق المتوسط بكثير، فمنذ مدة قريبة ورد ذكر نوع من الحنطة زرع في أرض جيدة بجهة مرنياك **Merignac** (جيروند)، فعاد بغلة مقدارها ٢٢٥٠ للحبة الواحدة[١] ولكن لا ينبغي لنا أن نستنتج من ذلك أن مثل هذه النتيجة يمكن الحصول عليها في الأحوال العادية للزراعة. وفي سهول الفرات السفلى، فإن محصول الغلال الذي يبلغ من ٣٠ إلى ٤٠ ضعف البذور، لم يتغير إلا قليلًا عما كان عليه في الزمن القديم، اللهم ألا في الألف الثالثة، حيث زاد المحصول عن ذلك طبقا لبعض الوثائق الحسابية في إقليم لاجاش على مسافة غير بعيدة من الخليج الفارسي[٢].

وحل رموز الكتابات البابلية والآشورية –وهي التي يطلق عليها المسمارية (أو الاسفينية)، لأن كل علامة منها تشبه المسمار (الاسفين)– يرجع إلى أبعد من كشوف

(1) G. MEUZE: Les plantes Cerenles. Le Ple. p.182.
(2) LII p. XLVI.

بوتا، فلقد كانت المحاولات الأولى تجرى على مجموعة من إحدى وأربعين علامة مشتقة من الكتابة البابلية، كانت تكون العلامات المقطعية في النقوش الفارسية الأكمينية (الكيانية)[1].

وبعد بيترو ديلا فالي **Pietro dellavalle** الذي نقل في عام ١٦٢١ خمس علامات من أطلال برسيبوليس **Persepolis**، وتبين معني الكتابة، أتى شاردان **Chardin** (١٦٧٣)، وكمفر **Kaempfer** (١٧١٢)، وكورني دي برين **Corneille de Bruyn** (١٧١٨) ببيانات أكثر أهمية. وحوالي ١٧٦٥ تمكن نيبور **Niebuhr** من إيجاد نطق بعض كتابات كاملة، ولاحظ أنها تتكون من مجموعات كل مجموعة فيها ثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة، إذا نقشت في سطر واحد، فإن ابسطها يكون دائمًا جهة اليمين وأصبعها جهة اليسار. وفي عام ١٧٩٨ توصل تايشن **Tyschen** إلى معرفة أن كلمات نصوص النوع الأول يفصل بعضها عن بعض علامة على شكل المسمار المائل. وفي عام ١٨٠٢ قدر مونتر **Munter** أن لغة هذه الكتابة الأولى، لابد أنها تقارب لغة الزند التي تفصل كذلك بين الكلمات. وقد حاول أن يحل رموز هذه اللغة، ولكنه لم يوفق إلا في ثلاث علامات للحركة، وثلاث علامات صامتة. وفي نفس العام اعتمد جروتفند **Grotefend** على بعض الاعتبارات الأثرية. في محاولته حل معميات هذه الكتابة الأولى، وقد وجد أن الكلمة –التي اعتقد تايشن ومونتر أنها تتضمن اللقب الملكي– توجد كثيرًا مكررة مرتين عند مستهل النص. وفي المرة الثانية تنتهي بنهاية رأي فيها علامة الجمع مما يعطي مجموعها معني "ملك الملوك". ولاشك في أن الكلمة السابقة تتضمن الاسم نفسه للملك بحيث تكون الصيغة فلان "ملك الملوك". والمجموعة التي تعني ملكًا، ترد أحيانًا ككلمة ثالثة بعد هذه المجموعة وفي هذه الحالة لابد أن يكون لدينا اسم الأب بسبقه لفظ معناه "الابن" أي تكون الصيغة "فلان" ملك الملوك، ابن "فلان" "الملك". وفي مكان آخر يوجد بالمقارنة "فلان" "ملك الملوك ابن فلان"، دون أن يكون هذا الأخير ملكًا. ولما كان الأمر يتعلق بنقوش "برسبوليس"،

(1) LXII.

فإن هذه الصيغة الثانية لابد وأنها تذكر اسم مؤسس الأسرة الأكمينية فإذا كان الأمر يتعلق بكورش **Cyrus** الذي كان كل من أبيه وابنه يحمل نفس الاسم فإن فلان، وفلان يكونان شخصًا واحدًا ويكون فلان هو دارا **Darius** وحينئذ فإن الترجمة يجب أن تكون:

اكسر كسس ملك الملوك ابن دارا الملك...

دارا ملك الملوك ابن هستاسب...

ولكي يحل جروتفند رموز ثلاثة الأسماء الأعلام هذه، استعان بالنطق القديم وأمكنة أن يحقق بصفة نهائية حركتين ويعين الحرف الصامت في عشر علامات مقطعية. ولقد أكمل عمله أحد عشر عالمًا من بينهم لاسن **Lassen** وبرنوف **Burnouf** وهنكس **Hincks** وراولنسون **Rawlinson** ولم يعرف أوبير **Oppert** المقطع "لا– **la**" ألا في عام ١٨٥١ أما العلامة الرمزية التي يختفي وراءها اسم "أورمزد" الإله الوطني فقد ظلت مستعصية على الحل حتى عام ١٨٧٤.

أما ثانية كتابات برسبوليس فقد كانت مثار صعوبات كثيرة ، ولكن الرأي اتجه بحق إلى أن ثلاث الأقاصيص لابد وأنها تروى نفس الشيء بثلاث لغات مختلفة ولقد لوحظ أولا وجود علامة خاصة تسبق أسماء الأعلام ثم بذلت محاولات لترتيب العلامات تبعا لعدد واتجاه عناصرها. وكانت أول محاولة جدية للترجمة هي التي قام بها عام ١٨٤٤ الدنمركي وسترجارد **Westergaard** وقد كشف هنكس عن مقاطع بعض العناصر (١٨٤٦) ودرس سولسي **Saulcy** (١٨٥٠) الصيغ النحوية. وفي عام ١٨٥٣ نشر نورس **Norris** نقوش بهستون **Behistoun** التي جمعها ورلنسون وقد روجع فيها الحل الذي اقترحه وسترجارد.

ولقد كان من نتائج الحفائر التي قامت بها البعثة في بلاد العجم أن كثر عدد النصوص المكتوبة بهذه اللغة الانزية التي كان يتحدث بها سكان عيلام غير الساميين.

أما الكتابة الثالثة فالفضل في معرفة الكلمات الأولى منها يعود أيضًا إلى جروتفند

فقد تمكن أن يفصل مجموعات العلامات التي تقابل أسماء كورش وهستاسب ودارا واكزركسس. ولما كان قد لاحظ مشابهة هذه الكتابة لكتابة الآجر الذي عثر عليه في أطلال بابل. فقد وفق إلى تعيين المجموعة التي تتضمن اسم نبوخذ نصر. وهكذا كانت الأحوال على وجه التقريب فيما يتعلق بمحاولة حل رموز هذه اللغة عندما أعلن بوتا عن كشوفه. أما عن النوع الثالث من كتابة برسبوليس، فقد أمكن فقط الوصول إلى معرفة عشرين من أسماء الأعلام المعروفة من النوعين الآخرين. ولقد حاول لوفنشترن **Lowenstern** أن يصل إلى حلها فوجد لبعض العلامات أشكالًا أخرى تكتب بها ووضع أساسًا لما أطلق عليه "توافق الأصوات" أي وجود علامات مختلفة تؤدي صوتًا واحدًا. وقد تمكن لونجبرييه **Longperier** من حل رموز بروتوكول سرجون على الآثار التي كشف عنها بوتا ورتبها إلى ٦٤٢ علامة مختلفة فوجد كما وجد لوفنشترن علامات ذات صوت واحد ومير كتابه خورزاباد عن كتابتي برسيوليس وبابل وأكد أخيرًا أن اللغة سامية. وفصل سولسي **Saulcy** جملًا صغيرة في نصوص برسبوليس تطابق جملًا في النص الفارسي وعين ١٢٠ حرفًا ووجد نطقها. وكشف هنكس في دبلن عن أساس الحروف المقطعية بمعنى أن بعض العلامات تساوي مقاطع وليس حروفًا فقط. ثم اهتم سولسي أخيرًا بنصوص خورزاباد واقتنع بأن النص نفسه قد كرر عدة مرات وعمل مقارنات وبفضل استخدامه لقراءاته السابقة للعلامات أمكنه الوصول إلى ترجمة ٩٦ سطرًا.

واقترح رولنسون –الذي كان قد نشر إذ ذاك ترجمة لمسلة نمرود دون تعليق– ترجمة فيها اختلاف بسيط. وفي عام ١٨٥١ قرأ رولنسون وترجم نص بهستون الذي ينتسب إلى النوع الثالث من الكتابة فبين قيمة ٢٤٦ حرفًا وكشف عن مبدأ "تعدد الأصوات" أو وجود علامات لكل منها عدة قيم وعدة أصوات. وفي السنة التالية تحقق هنكس من أن بعض العلامات تكون مقاطع مركبة وكلما تعمق البحث في حل رموزها، ازداد أمرها تعقيدًا وعند ذلك رأت الجمعية الآسيوية بلندن أن تقترح على عدة علماء أن يحل كل منهم على طريقته الخاصة ومبادئه رموز نص تزيد سطوره على الثمانمائة

وأرسل رولنسون وهنكس وفوكس تالبوت وأوبير مخطوطاتهم ففتحت في ٢٥ مايو سنة ١٨٥٧ وكانت النتيجة مرضية تمامًا. وقد طبعت التراجم الأربع لهذا النص الخاص بملك آشور تجلات فلاسر الأول Teglath- phalssar على أربعة أعمدة لكي يتأكد الجميع من أنه قد عثر على مفتاح الكتابة الثالثة للنصوص الأكمينية وهي كتابة الآشوريين والبابليين.

أما الأدب البابلي والآشوري فهو متنوع جدًا فآلاف النصوص، سواء أكانت أصلية أم نسخًا قديمة، المحفوظة الآن في متاحف أوروبا وأمريكا تتراوح بين عصر يرجع إلى ما قبل عام ٣٠٠٠ق.م ويصل حتى القرن الأول ومن هذا الأدب نقوش تاريخية: حوليات وتقاويم وتكريس مبان وكتابات نذور وقوائم تاريخية. وكذلك نصوص دينية: أناشيد وصلوات ومزامير توبة. ثم نصوص سحرية: رقى وتعاويذ. ثم طوالع طبقا للأرصاد الفلكية أو لحركات الإنسان والحيوان والأحشاء والزيت الذي يصب في الماء. كما يوجد من بينه الشعر: ملاحم وأساطير وقصص... هذا إلى نصوص قانونية: لوائح وأحكام قضائية. ثم عقود من جميع الأنواع، من بيع وشراء وسلفة وشركات تجارية وزواج وطلاق وتبن. وكذلك أمور حسابية لمحفوظات المعابد والتصور والعائلات. ثم مراسلات سواء منها الرسمية أو الخاصة. ومجموعات لدراسة الخط والنحو واللغة. وقوائم جغرافية وجداول حسابية وفلكية وشئون طبية.

وليس الفن وعلم الآثار بأقل تمثيلًا، فهناك تماثيل كبيرة وصغيرة من الحجر أو المعدن ونقوش بارزة ومجسمة وألواح نصر وأشكال صغيرة من المعدن أو الآجر وأوان محفورة وأختام تحليها المناظر الدينية وفخار ملون... كل أولئك يشهد في مختلف العصور بتقدم كامل أو بالعودة إلى نظريات أكثر بداية وقدمًا هذا إلى أن الحفائر قد كشفت عن طرق البناء وتخيط ونظام المدن... وبعض البيانات الواردة في نص قديم يمكن في بعض الأحيان تطبيقها اليوم مباشرة على أطلال الأثر الذي ذكر وصفه.

ومع ذلك فإن الآلاف من الوثائق مختلفة الأنواع ستؤلف حتما سلسلة متصلة الحلقات على مدار الزمن. ثم أن أعمال الحفائر قد كشفت عن مجموعات تكون في كل

منها وحدة لعصر ومكان معينين على صورة خاصة بيد أنه لا يمكن في الوقت الحاضر تعيين مقابل لها لعصر آخر أو مكان آخر. وهكذا وصلت إلينا حسابات المعابد وبخاصة من الألف الثالثة، ومحفوظات عائلات من عصر الأسرة الأولى البابلية وأخرى من عصر الملوك الأكمينيين ولم يتكشف لنا الفن الآشوري إلا من القرن التاسع حتى القرن السابع على حين أن تاريخ آشور يرجع إلى ما هو أبعد من عام ٢٤٠٠ق.م

وأول ما تتجه إليه العناية في دراسة حضارة من الحضارات كائنة ما كانت هذه الحضارة يجب أن تنصرف أولًا إلى تبويب الوثائق وتقسيمها بحسب العصور، فالانقلابات الكبيرة الاجتماعية أو السياسية لا تمضي دون أن تغير من الأخلاق والعادات تغييرًا يتفاوت مقداره ودون أن تترك أثرًا في الفن والأدب. ويجب علينا منذ الآن أن نحدد الإطار التاريخي الذي نمت وترعرعت فيه النظم البابلية والآشورية.

وهذا الإطار ذو وجهين إن نحن نظرنا إلى العلاقة الزمنية التي تربط الحوادث ببعضها البعض أو تلك العلاقة التي تربط هذه الحوادث بالزمن الخاص.

ولقد فرض نظام طبيعي على جميع الشعوب هو نظام اليوم الذي يتعاقب فيه الليل والنهار. فمهما تكن نقطة الابتداء المقررة –غروب الشمس أو شروقها– وقت الظهيرة أو منتصف الليل– فهو العنصر الأزلي لكل تاريخ.

أما التقسيم الثاني فينتج عن تجدد الفصول فبعد عدد معين من الأيام تحدث في الطبيعة الظواهر نفسها طبقا لعملية نظامية وهذا يتأتى عن انحراف سمت الشمس بالنسبة إلى خط الاستواء الأرضي وينتج عن هذا: السنة الشمسية التي لم تحدد مدتها إلا مؤخرًا ولا تضم عددًا مضبوطًا متساويًا من الأيام.

وعلى ذلك فإن الشعوب القديمة اضطرت إلى أن تلجأ إلى تقسيم ثالث للزمن واعتمدت في ذلك على مدار القمر الذي يضم كل من وجوهه الأربعة عددًا صغيرًا من الأيام ولكنها كذلك لا تطابق هي الأخرى عددًا صحيحًا.

ولقد اتبع البابليون والآشوريون طريقة تجريبية ثبت (بضم الثاء وتشديد وكسر

الباء) بها بدء الشهر الذي أصبح ٢٩ أو ٣٠ أو ٣١ يومًا حسب بدء ظهور الهلال في السماء. ولما كان من المستحيل الوصول إلى مقياس عام بين الشهر القمري ودوران الشمس فقد احتسبت السنة العادية أثنى عشر شهرًا واستعيد التوازن عن طريق إدخال شهر ثالث عشر من وقت لأخر.

وفي أقدم الوثائق المسماة بما قبل السرجونية –لأنها تسبق اعتلاء سرجون ملك أجاده (القرن ٢٩)– بينت سنوات كل حكم برقم بسيط على لوحات الحساب أما عادة إعطاء كل سنة اسمًا تبعًا لحادث معين يستحق التخليد في السنة السابقة، فقد بدأ العمل بها منذ عصر "أجادة" واستمر حتى عهد الملوك الكاسيين الذين استعملوا طريقة الحساب لسني الحكم التي عمل بها في بابل فيما بعد حتى انهيار الإمبراطورية. أما في آشور فقد كانت أسماء الملك وكبار الموظفين تطلق متتابعة على السنين. وترجع هذه العادة إلى عهد ممعن في القدم... إلى القرن الرابع والعشرين على الأقل وهو عصر ثبت إتباعها فيه كما يظهر على لوحات خاصة بمستعمرة لعبدة آشور في كابادوكيا.

الجزء الأول

الحضارة البابلية

الكتاب الأول

الحقائق التاريخية

الفصل الأول

البلاد ومواردها

إذا نحن استثنينا منطقة اريدو **Eridou** (أبو شهرين) **Abou- Shahrein** وهي المدينة التي تقع في أقصى الجنوب بجزيرة في الخليج الفارسي يفصلها عن وادي الفرات صخرة من الحجر الرملي، فإن إقليم بابل الذي عرفه الكتاب الأقدمون (اليونانيون والرومان) ينطبق تمامًا على ذلك السهل الذي كونه نهرًا دجلة والفرات عند وصولهما إلى البحر –كوناه من تراكم الرواسب التي أتت موادها من جبال أرمينيا التي تنبع منها (حيث يوجد منبعًا هذين النهرين) وحدود هذا الإقليم الطبيعية هي: في الغرب الصحراء العربية التي يسكنها بدو يقومون بالغارات على السكان المستقرين، وفي الشمال السهل الأعلى لبلاد ما بين النهرين حيث يوجد الآشوريون، يفصل بين هذا الإقليم وبينهم خط يبدأ من حت **Hit** على الفرات ويبلغ دجلة على مسافة قليلة شمال ملتقى الأدهم **IAdhem**، وفي الشرق التحصينات الأخيرة من التلال التي تكون الحد الحالي لبلاد الفرس وفيها قبائل من أصول مختلفة. استقرت في جميع الوديان، ومن هنا يأتي الحجر والمعادن وخشب البناء، وفي الجنوب الخليج الفارسي ومستنقعات لا تكاد تمتد الملاحة خارجها –وهذا السهل في بدء العصور التاريخية لم يهبط كثيرًا إلى ما تحت القناة الحالية المسماة "شط– الحي": وإقليم لاجاش **Lagash** وهي المدينة التي توجد أطلالها (تلو) على مسافة الساعة وربع الساعة إلى غرب هذه القناة وتبعد مائتي كيلو متر عن الخليج كانت تدخل ضمن المنطقة البحرية.

ونظام النهرين ليس واحدًا ، فدجلة بشطآنه المرتفعة الصلبة ذو مجرى سريع ويبدأ فيضانه في أوائل مارس ويبلغ أشده في الأيام الأولى من شهر مايو وينتهي حوالي

منتصف يونيه وتوجد على شواطئه المستنقعات. أما الفرات فمياهه أقل مرتين ويبدأ فيضانه متأخرًا نحو خمسة عشر يومًا ولا ينتهي قبل شهر سبتمبر. ولما كانت ضفافه أقل ارتفاعًا فإنه ينتشر بسهولة في السهل ويضفى عليه فيضانًا مباركًا نافعًا مليئًا بالخيرات. ولقد فضل السكان الأول ضفافه ليؤسسوا عليها مدنهم. ومجرى الفرات الحالي لا يصل إلى أطلال معظم هذه المدن القديمة ومع أن بابل (حلة **Hille**) وأور (مغير **Mougheir**) يقعان على مقربة من مجراه فإن المدن الأخرى تقع على مسافة ما إلى الغرب في السهل. لكن ما ورد في النصوص القديمة يثبت تحول النهر بسبب رخاوة الأرض وتداعى الشواطئ أثناء الفيضان والعلامة التي تدل في الخط على الفرات معناها "نهر سيبار **Sippar**" وإذن فان سيبار (أبو حبة) كانت تقع على شواطئه وإحدى سنى "سمسوايلونا **Samsoo- illouna**" وهو ملك من الأسرة الأولى البابلية– تحيى ذكرى بناء حائط سور كيش **Kish** (الأحيمر) "على شاطئ الفرات" وتقع أطلال كيش على قناة تدعى "شط النيل" التي تمر كذلك بـ"نفر **Niffer**" وهي أطلال نبور. ولقد كانت إحدى فروع الفرات في عهد دارا الثاني تدعى "نهر سيبار ونبور". ولقد كانت شوروباك (فارا) **Shourouppak (Fara)** كذلك "على شاطئ الفرات" طبقا لما ورد بأسطورة جلجامش **Gilgamesh**. أما لارسا (**Larsa**) (سنكره) (**Senkereh**)، فإن المعلومات نفسها تعطيها الرسائل المتبادلة بين حمورابي وسينيدينام **Sinodonnam** حاكم هذه المدينة. ولقد كانت فروع النهر كثيرة وكانت أوما **Oumma** (جوها **Djoha**) تقع على الفرع الذي يمر على مقربة من لاجاش ومنذ العصور التاريخية الأولى –عندما كانت المدينتان في كفاح مستمر– حفر انتمينا (**Entemena**) أمير هذه المدينة الأخيرة قناة تصل بين النهرين وكان دجلة –الذي تحول مجراه تبعا لذلك نحو الشرق– يتبع في ذلك العصر تقريبًا المجرة الحالي لشط الإمارة **Shatt- el- Amara**.

ولقد كان الإنسان الذي استقر في هذه الجهات منذ أصبحت صالحة للسكنى صاحب حضارة عالية. فلكي يتقي الفيضان شيد مدنًا على منحدرات صناعية وبنى بيوتًا ومعابد من اللبن واقتنى قطعانًا كبيرة من الماشية الكبيرة والصغيرة وعرف كيف

يروى زراعته ويحفر القنوات ويصنع آلات الري وكان يشكل النحاس والفضة ويصنع الأسلحة من المعادن.. ومع أن ما كان ينحته كان لا يزال بدائيًا غير متقن الصنع فإن كتابته تشهد بتقدم كبير: فلم تعد كتابة تصويرية وإنما وجدت إلى جانب العلامات المشتقة من الصور علامات صوتية بحتة. ولقد وجدت في الطبقات شديدة العمق آثار صناعة العصر الحجري الحديث ممثلة في قطع من الطران المشطوف المجلوب من المناطق الجبلية.

وعندما زار العالم الطبيعي أوليفييه **Olivier** بلاد ما بين النهرين في مستهل القرن التاسع عشر وجد الشعير والغلال والحنطة تنمو برية في قطعة أرض غير صالحة للزراعة تقع إلى الشمال الغربي من "عنة" **Anah** على الضفة اليمنى للفرات. وهذه المنطقة هي الموطن الأصلي لهذه النباتات الثلاثة منذ أقدم الأزمنة وقد انتشرت منها وامتدت إلى بلاد بابل. والشعير بوصفه الأساس الذي يقوم عليه غذاء الإنسان والحيوان هو في جميع عصور التاريخ أكثر النباتات انتشارًا وهو العملة السارية التي يقدرها الجميع والتي ظل إقراضها حتى نهاية الإمبراطورية البابلية الحديثة أغلى من إقراض الفضة.

وكان الدخن (الذرة البيضاء) يزرع كذلك على أنهم فيما يبدو كانوا يجهلون الجاودار والشوفان. أما السمسم فإنهم كانوا يهتمون بأمره لحاجتهم إلى زيته الجيد وإلى شراب كانوا يستخرجونه منه. أما الأثل فكانوا يقدرونه من أجل صمغه الحلو وكذا الكروم لعنبها وزبيبها ونبيذها. ولقد ورد ذكر شجر التين والرمان في النصوص السابقة على عصر سرجون، واعتبر جوديا **Goudea** ثمرها خليقًا بأن يقدم إلى الآلهة[1]. أما أشجار النخيل فهي من أهم مصادر الثروة في البلاد وهي على حد قول استرابون: "تكفي لسد جميع حاجات السكان فمنها يتخذون نوعًا من الخبز، ويستخرجون نبيذًا وخلًا وعسلًا وفطائر ومئات أنواع النسيج ويستخدم الحدادون نواها وقودا كما أن هذا النوى نفسه كان يستعمل بعد أن يسحق وينقع لغذاء الأبقار والثيران والخراف لتسمينها" وكانوا يزرعون في الحدائق البصل والخيار وكثيرًا من النباتات الأخرى التي لم

(1) LXXVI, p.123.

تعرف أنواعها بعد على وجه التحقيق. وقد ذكر على لوحة صغيرة من عصر أجاده Agade (حوالي القرن ٢٨) زراعات بصل مساحتها ربع ونصف بل و"جان"(١) كامل (٣٥ آر) (حوالي ٨/٧ فدان) (أو ٣٥٠٠م٢ تقريبًا) أما أعواد القصب الضخمة فقد كانت تستخدم في إقامة الملاجئ والسياجات وعمل الأقلام والرماد اللازم للغسيل(٢).

أما الحيوان الذي ثبت وجوده من النصوص القديمة أو الصور المنقوشة، منه المستأنس وهو الحمار والبقرة والثور والكبش والماعز والخنزير والكلب والدواجن، ومنه غير المستأنس وهو الأسد والبقر الوحشي والتيتل والأيل والفهد والعنز البري والوعل والصقر والثعبان والعقرب وأنواع عديدة من الأسماك وذوات القشور.

ويوجد نوعان من الحيوان من فصيلة الحمار يمكن تمييزهما تمامًا منذ أقدم العصور، ربما كانا الحصان والبغل.

ويبدو أن السكان القدامى كانت لديهم فكرة عن تربية النحل ووجود النحل في الوادي الأسفل للفرات، إذ أنهم كانوا يجمعون العسل ويتخذونه غذاء. ولقد كان حيوان بلاد بابل ونباتها ينمو ويترعرع على أرض من الرواسب كونها دجلة والفرات من متخلفاتهما. وكانا يزيدانها خصبًا في كل عام بيفضانهما المبارك المملوء بالخيرات. وكان على الإنسان أن يتخذ مسكنه فوق مستوى الفيضان ولهذا صنع مرتفعات صناعية كان يقيم فوقها كوخًا من القصب أو بيتًا من الطمي. ولقد أمدته الأرض الطميية بالمادة اللازمة لصناعة اللبن وكان يحرقه أو يكتفي بتجفيفه في الشمس كما كان يصنع منه أيضًا كل الأواني الفخارية اللازمة للاستعمال في الحياة المنزلية من صحاف وأوان للشرب وقدور وجرار..كما شكل منه اللوحات الصغيرة التي كان يستخدمها في تخليد ذكر الأحداث العامة أو تسجيل المعلومات الخاصة مستعملًا في تسجيلها قلما من القصب، كما كان يتخذ من الأصداف والعظم أدوات الزينة، ولكنه لم يجد في إقليمه

---

(1)XIX, t. II no 3070 والعلاقة بين المقاييس القديمة ونظام المقاييس المعروف مبين في الفصل الثالث.

(2) II, t, VII, p.107 et suis.

حجرًا أو معدنًا، فقوائم أبواب القصر وكتل الديوريت أو المرمر التي كانت تنحت منها تماثيل الآلهة والملوك والأحجار الكريمة التي كانت تصنع منها الأختام المنقوشة وخشب الأرز الذي كانوا يقدرونه ويبحثون عنه لتزيين الهياكل، والذهب والفضة والحديد والنحاس الذي كانوا يصنعون منه الأدوات المختلفة.. كل هذا كان يستورده أهل بابل من الخارج.

وقد دفعتهم هذه الحاجة إلى أن يوثقوا صلاتهم بغيرهم من الأقوام، فإلى الجنوب تمتد المستنقعات إلى شاطئ البحر، فلم تصب الملاحة أي تقدم مطلقًا، وإلى الجنوب الغربي توجد الصحراء الجرداء التي تخيلها الناس مليئة بالشياطين المرعبة، وفي الشمال الغربي ينفسح طريق طبيعي: فعندما يسير المرء مصعدًا في مجرى الفرات فإنه يبلغ –فيما وراء ملتقى خابور **Habour**– جبالًا يكثر فيها الديوريت.. وبعد مسافة في غرب انحناءة النهر في جبال طوروس توجد مناجم الفضة التي كان يدور العمل في استغلالها منذ أقدم العصور. وفي أمانوس **Amanus** ولبنان توجد غابات الأرز وغيرها من الأشجار التي تستخدم كاطواف تحمل عليها كتل الأحجار، ثم تستعمل هي نفسها في البناء وكانت قوافل بابل تهبط على طول ساحل البحر الأبيض إلى دلتا النيل كأنما تمهد الطريق للآشوريين ولنبوخذ نصر. وفي آسيا الصغرى خلال الألف الثالثة استعملت الكتابة المسمارية على لوحات الطين، استخدمها ساميون من عبدة آشور، وكان يبدو في فنهم حينذاك بعض الصفات المعينة التي تميز آثار الحيثيين والآشوريين. وقد تسربت من هذه الطريق نفسها في اتجاه عكسي تأثيرات أجنبية دخلت بلاد بابل: ففي نحو نهاية الألف الثالثة تمكن العموريون –بعد أن تسربوا ببطء– من أن يستولوا على السلطة ويحققوا وحدة الإمبراطورية. وبعد ذلك يأتي الحيثيون ويحطمون قوتهم ولكنهم لا يتمكنون من إبادة أعمالهم.

أما في الشمال ففي نهاية الألف الثالثة أقامت بابل حاميات في المدن التي أخذ يزداد فيها سلطان آشور فأخضعتها فترة من الزمن. وفي الشرق تقع وراء نهر دجلة منطقة جبلية غنية بما فيها من أحجار ومعادن، كانت تسكنها أقوام كان الكفاح ضدها

مستمرًا وأن اختلفت نتائجه.. فقد تمكن واحد ممن يحملون اسم سرجون، وآخر ممن يحملون اسم نرام سن وثالث ممن يحملون اسم دونجي أن يفرضوا عليهم سلطانهم ويخضعوهم تحت نير حكمهم ولكن ذلك كان له رد فعل فقد سيطر اوان **Awan**، وجوتيوم **Goutioum** على جنوب السهل وأسس العيلاميون مملكة في لارسا واستقرت أسرة كاسية **Kassite** أكثر من خمسة قرون في بابل ثم خرج أخيرًا من هذه المناطق كورش **Cyrus** الانزني الذي كان مقدورًا له أن يحطم الإمبراطورية البابلية الجديدة.

الفصل الثاني

السكان والأسرات

كان يقطن هذا السهل جنسان مختلفان: ففي الجنوب سكان غير ساميين، وفي الشمال ساميون. فمن كان أول الوافدين؟ وهل كان عليهم أن يتخلوا عن جزء من أرضهم؟ وليس لهذا من ذكر في التواتر، وكل ما يشير إليه هذا التواتر لا يعدو أن مدينة من الشمال، أو مدينة من الجنوب، أو مدينة أجنبية في بعض الأحيان، –قد غزت مجموعة المدن وأصبحت تمارس سلطة غير ثابتة سرعان ما تزول وتفنى– وتشهد وثيقة تعد من أقدم الوثائق بتدخل أحد ملوك كيش –وهي مدينة تقع في الجزء الشمالي– بين أهالي أوما **Oumma** وأهالي لاجاش وهما من مدن المجموعة الجنوبية.

وكان يسمى غير الساميين بالسوميريين نسبة إلى سومير وهو الاسم الذي أطلقه جيرانهم الساميون على إقليمهم وفي كثير من الأحيان في الوثائق القديمة يطلق أيضًا على هذه المنطقة المسماة كنجي **Kengi** باللغة السوميرية اسم بسيط وهو "كلم" **Kalam** "القطر" تمييزًا لها عن كوركور **Kourkour** "الأقطار" وهو تعبير يطلق بصفة عامة على كل العالم الآهل بالسكان ولكن على الأخص على كل ما يخرج عن نطاق سومير من عالم خارجي. وقد أطلق انشاكو شانا الأول **Enshakoushana** على نفسه "سيد سومير وملك القطر" وبعد ذلك بما لا يقل عن قرنين من الزمان اتخذ لوجالزا جيسي من أوروك **Lougalzaggisi dourouk** (القرن ٢٩) لنفسه لقب "ملك القطر" بعد أن جمع تحت سلطانه جميع مدن المنطقة ونصبته الآلهة –على حد قوله– نائبًا لها في هياكل سومير وقد امتد سلطانه فشمل نبور –وهي العاصمة الدينية والمدينة التي تقع في أقصى الشمال– وأور **Our** وأروك **Ourouk** ولارسا **Larsa** وكانت لاجاش تكون جزءًا من هذا الإقليم وقد طلب جوديا **Guudea** أحد أمرائها من الآلهة

أن تصبح "سومير على رأس الأقطار" وحصل من إله مدينته على تأكيد بأن يسيل الزيت في سومير بغزارة عند إرساء أسس معبده وفي عصر أقدم من ذلك ورد في معاهدة السلام التي فرضها اياناتوم **Enantoum** من لاجاش على أهالي أوما ذكر آلهة كش **Kesh** بين آلهة سومير التي تتقبل قسم المقهورين وتدخل مدينتا شوروباك واريدو **Shourouppak& Erldou** في هذه المنطقة كذلك.

أما الساميون فكانت لهم مون بابل **Babylone**، سيبار **Sippar**، كيش **Kish**، اوبيس **Opis**، اكشاك **Akshak** كوتا **Koute**، أكد **Akkad** أو اجاده **Agade** وهذه المدينة الأخيرة التي أسسها أو قام بتجديدها سرجون في القرن التاسع والعشرين أطلق اسمها على كل الإقليم الشمالي وسمى السكان بالأكاديين وأصبح سرجون الأكدي "ملكًا للقطر" عندما أتم إخضاع البلاد بعد أن قبر لوجازا جيسي، ولكن يبدو أن ملوك أور هم أول من اتخذ في القرن الرابع عشر لقب "ملوك سومير وأكد" وقد ظل هذا اللقب باقيًا حتى في نقوش كورش **Cyrus** بعد سقوط الإمبراطورية البابلية الجديدة. وقد جمع الملوك العموريون الذين أسسوا أسرة بابل الأولى تحت سلطان واحد وبصفة نهائية المنطقتين وأصبح الجنس السوميري مضمحلًا متلاشيًا إلى حد كبير خلال كفاحه ضد عيلام: ودمرت النار لاجاش وأوما وشوروباك وكيسورا واداب،– فلم تقم لها قائمة واختفت اللغة السوميرية ولم تعد باقية إلا في الطقوس الدينية وأطلق اسم أكد على القطرين وأصبحت الوحدة الجغرافية تتجاوب مع الوحدة السياسية. وعندما أخذت تتكون بعد ذلك بقليل سلطة مستقلة في منطقة الجنوب لم تدع لنفسها الصفة السومیریة وإنما قالت عن نفسها أنها قامت في "قطر البحر".

ولا يوجد تاريخ ثابت عن المدة التي تسبق الأسرة البابلية الأولى وأقدم تاريخ مضبوط أثبتته الأرصاد الفلكية هو تاريخ حكم اميزادوجا[١] **Ammizadouga** وهو

---

(١) كان الأب كوجلر **Kugler** قد حدد عام ٢٢٢٥ لبدء الأسرة الأولى البابلية وذلك كنتيجة لسلسلة من الأرصاد الخاصة بخسوف كوكب الزهرة في عصر الملك اميزادوجا **Ammizadouga** وخاصة ذلك الخسوف الذي حدث في السنة السادسة من حكمه والذي

الملك الذي يسبق آخر ملوك العموريين وأهم المصادر التي تعين على تحديد التاريخ النسبي هي أولًا: نقوش ونصوص الملوك الأقدمين أنفسهم التي عثر عليها في أطلال المدن القديمة فهي تورد أسماء وتسلسل أنساب الأمراء الذين حكموا مدنًا أخرى. ونستطيع أن نستنتج منها ترتيب مدد الحكم وتوافقًا زمنيًا في نشاط المراكز المختلفة. يضاف إلى ذلك التواريخ المأخوذة من الألواح الصغيرة الخاصة بالحسابات والقوائم التاريخية التي حررها الكتبة الأقدمون. وطريقة تعريف كل سنة بحدث من الأحداث لها فضلها في تزويدنا بمعلومات قيمة ولكنها لا تخلو من مضايقات للمعاصرين ،لأنهم اضطروا إلى الالتجاء إلى مجموعة اصطلاحات وأسماء خاصة بالسنوات ولما كان لكل مدينة تقويمها الخاص بها عندما لا تكون خاضعة لسيطرة مدينة أخرى فإن هذه القوائم

يعد من بين التواريخ التي يعتبرها معروفة وهو من أجل ذلك يرجع هذا الخسوف إلى عام ١٩٧٢- ١٩٧١ق.م. إلا أنه عاد فغير رأيه في كتاب "من موسي إلى بولس **Von Moses bis Paulus p.497** صفحة ٤٩٧" إذ أدخل في حسابه بعض الاعتبارات المتعلقة بأوقات جني المحصولات طبقا لما ورد في ألواح ترجع إلى نفس العصر وعلى هذا الأساس حدد عام ١٧٩٦- ٩٥ بدلًا من عام ١٩٧٢- ٧١. ولقد ترتب على ذلك أن حذف من عصر الأسرة الأول ومن كل ما سبقتها من أحداث مقدار ١٧٦ سنة. ومعني هذا أن تبدأ الأسرة الأولى عام ٢٠٤٩ق.م. وهو تاريخ شديد القرب من عام ١٠٥٧ الذي يحدده "فيدنر **Weldner**" لبدء نفس الأسرة طبقا لاعتبارات أخرى. أما الفلكي "فوذرينجام **Fotheringam**" الذي أورد ذكره "لانجدون **Langdon**" وفي كتابه (**Oxford Editions of Cuneiform texts, t. II, 1923, p.111**) فإنه لا يقبل الرأي الأول للأب كوجلر عن تاريخ ١٩٧٢- ٧١ ويعان استحالته من الوجهة الفلكية كما يرفض أيضًا قبول التصحيح المقترح وفي اعتقاده أن السنة الوحيدة التي يمكن أن تتطابق مع الوقائع الواردة في الوثيقة المسمارية للعام السادس من حكم الملك "اميزادوجا **Ammizadouga**" هي ١٩١٦- ١٥ ومن ثم فإن بدء الأسرة يقع في عام ٢١٩٦. وإذا كان الأمر كذلك فيجب حذف ٥٦ سنة من تاريخ هذه الأسرة وما سبقها من أحداث. ولكن قبل التعجل بتعديل التاريخ المعمول به في فرنسا يحسن الانتظار حتى يتم الاتفاق بين الفلكيين أو إلى حين ظهور كشوف جديدة في عالم الآثار الآشورية.

كان يجب أن تعمل وتحفظ بعناية. وقد ذكر في ألواح صغيرة عثر عليها في نبور كتبت في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد نظام تعاقب أقدم الأسرات وهي إذا أضفناها إلى غيرها من النصوص تمدنا بحلقة تكاد تكون متصلة منذ عصر سابق على أقدم الكتابات والنصوص العتيقة. ولما كانت تواريخ الأسرة الأولى البابلية قد حددت في التقويم العالمي فقد أصبحت سنة ٢٢٢٥ هي تلك السنة التي أسس فيها سوموابوم **Soumouaboum** الأسرة الأولى. وتوجد لوحة صغيرة بمتحف اللوفر ذكر فيها تاريخ أسرة حكمت في لارسا ٢٦٢ سنة وانقرضت في السنة التاسعة والعشرين من عصر حمورابي أي عام ٢٠٩٥ وعلى ذلك يكون بدء هذه السلسلة من الملوك يرجع إلى عام ٢٣٥٧ بالضبط وهذا يسمح بتحديد تواريخ الحوادث الخاصة بأسرة معاصرة استقرت في ايسين **Isin** خلال ٢٢٥ سنة تقريبًا اللهم إلا إذا كان هناك شك في السنة الأخيرة فقد بدأت بين سنتي ٢٣٥٧ و٢٣٥٢ تذكر ألواح نبور مباشرة أسرة أور الثالثة وتخصص لها ١١٧ سنة على أنه يوجد خطأ في الملك الرابع فقد حسب لحكمه سبع سنوات على حين تثبت الوثائق المعاصرة أنه حكم سنتين بالإضافة إلى ما سبق. أما الأمر فيما يتعلق بملك آخر يدعى دونجي **Doungi** فعلى العكس من ذلك، إذ بينما حدد لحكمه ٥٨ سنة يبدو في الوقت نفسه أن قائمة تاريخ من عصره (ناقصة للأسف) لا تفسح المجال لمثل هذا العدد الكبير من السنين. ومهما يكن من شيء ومع التحفظ الشديد فيما يتعلق بالخمس والعشرين سنة لحكم ايبي سين **Ibi- Sin** الملك الأخير فإنه تظل لدينا حدود تقريبية لهذه الأسرة أي حوالي ٢٤٧٤– ٢٣٥٨. وقبل ملوك أور نجد أن حكمًا أجنبيًا لـ"جوتيوم" **Goutioum** اعترض بين أسرتين من أوروك كان أمد كل منهما قصيرًا. فإذا نظرنا إلى أبعد من ذلك عرضت لنا في الحال أسرة أجاده التي حكم ملوكها الاثنا عشر مدة ١٩٧ سنة (حوالي ٢٨٤٥– ٢٦٤٩) وقد أقام سرجون مؤسس هذه الأسرة مملكته على أنقاض قوة لوجا لزاجيسي من أوروك ملك سومير خلال ربع قرن من الزمان وقد تغلب هذا بدوره على أورو كاجينا **Ourou**

Kagina من لاجاش[١][٢] وابتداء من هذا الملك توجد وثائق معاصرة تسمح بالذهاب

---

(١) وهناك قائمة جديدة للملوك منذ بدء البشرية حتى أسرة "ايسن Isin تضمها مجموعات متحف الأشموليان ولقد نشر هذه القائمة حديثًا لانجدون في كتاب Oxford Langdon Epitions of Cuimeiform Texts T.11 1923.

والنص الذي تكون من تجميعات لبعض اللوحات المهمشة والتي كانت معروفة فيما سبق لم يحدد تمامًا مكان الأسرة الثالثة في كيش والأسرة الثانية في أوروك بالنسبة إلى الأسرة في حمازي والأسرة الثانية في أرو من ناحية والأسرة في ماري والأسرة في اكشاك من ناحية أخرى (قارن الجدول على صفحة ٦٥) ولقد تمكن (انجناد Ungnad) معتمدًا على بعض الاعتبارات الخاصة بترتيب أجزاء هذا النص، من أن يقتنع بإمكان إضافة الأسرة الثالثة في كيش بعد الأسرة في حمازي، هذا مع أن الوثيقة الجديدة تضعها على العكس بعد الأسرة في ماري وتحدد الأسرة الثانية في أوروك بعد الأسرة في حمازي.

وهكذا فإن هذه الوثيقة قد حددت تمامًا تتابع الأسرات كما ذكرت أسماء معظم الملوك ومدة حكم كل منهم بل وعصر كل أسرة، إلا أننا لازلنا نجهل القاعدة التي اتبعت في تكوين الأسرات فمثلا لم يرد ذكر بعض الأمراء ممن كان لهم شأن كبير مثل "مسيليم". وهناك النصوص التي تتحدث عن الأسرة الأولى في "أور" والتي كشف عنها حديثًا فإنها لا ترجع في تاريخها إلى العصور السحيقة بل من المرجح أنها كتبت حوالي عصر الملك "أورنينا" وفي الواقع، فإن النصوص المعاصرة هي فقط التي كانت تسمح بإضافة أسماء بعض الأمراء في قوائم التاريخ الذين اعتبروا من بين أفراد الأسرات الأسطورية في حين أنهم عاشوا في عالم الحقيقية.

ولقد أبلغني "فيدنر Weidner بقرب ظهور مؤلف عن قائمة جديدة للأسرات محفوظة في متحف برلين وهو يعتقد أن هذه القائمة سيكون فيها الحل الجزئي لهذه المسألة.

(٢) في أطلال مدينة كيش (حيث قام "جنوياك H. de Genouillac" الفرنسي ببعض أعمال الحفر في موسم شتاء ١٩١١– ١٩١٢ مبعوثًا من وزارة المعارف العمومية الفرنسية) عثر "لانجدون" مدير الحفائر الذي أرسلته كل من جامعتي اكسفورد وشيكاغو في مارس سنة ١٩٢٤ على عدة آلاف من الألواح التي ترجع إلى عصر بدء الأسرات محفوظة بعناية في قدور. ومن المعروف أن بعض هذه اللوحات يرجع إلى عصور أقدم من عصور كل النصوص التي نشرت حتى الآن ويظهر أنها ستمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ سومو وأكد قبل الآلف الثالثة. أما "دي جنوياك" فهو يعد حاليًا مؤلفه عن الألواح التي كشف عنها.

إلى أبعد من هذا حتى نصل إلى أور– نينا Our- Nina وأقدم أثر منقوش يتضمن راقعة مؤكدة هو رأس دبوس حلي برسوم الحيوانات مقدم للإله نينجرسو Ningirsou حامي المدينة والكتابة التي عليه معناها أن ميسيليم Mesilim ملك كش مشيد معبد نينحرسو قد أقام "هذا" من أجل نينجرسو عندما كان لوجال– شاج– انجور Lougal- Shag- engour ايشاكو[1] مدينة لاجاش.

وفي هذا العصر العتيق يكون أحد ملوك المنطقة الأكدية قد قام بعمل من أعمال السيادة على مدينة من الجنوب وبني فيها معبدًا وفي نيبور يوجد أثر نذره للإله انليل Enlil ايشاكو من كيش يدعي أوتوج Outoug وعليه كتابة أكثر إمعانًا في القدم.

فإذا أردنا الذهاب إلى أبعد من ذلك فإن الوثائق المكتوبة المعاصرة تعوزنا تقريبًا بحيث نضطر اضطرارًا إلى أن نلجأ إلى روايات الخلف المتداولة. فالسوميريون والأكديون (ربما وفد الأولون من الجبال الواقعة إلى شرق دجلة والآخرون من سوريا) نسوا فيما يبدو المناطق التي وفدوا منها في الأصل واعتقدوا أنهم من أصل هذه البلاد نشأوا في وادي الفرات أصلا. فالعصر الأسطوري يشمل أولا ٦٢ مجموعة من السنين (٢٢٣٢٠٠ سنة) لم يكن فيها– طبقا لما رواه بيروس Berose– رؤساء[2].

---

(١) لا يعرف ما يقابل هذا اللقب في اللغات الحديثة لأنه كان لقبًا مدنيًا ودينيًا في الوقت نفسه يجمع صاحبه بين السلطتين الدينية والمدنية وربما كانت له من الاختصاصات ما كان للخليفة في الإسلام (المترجم).

(٢) أهدتنا وثيقتان من الوثائق المحفوظة في متحف الأشموليان نشرتا حديثًا باسم كل ملك ومدة حكمه ومدينته من الملوك السابقين على الطوفان، فالوثيقة (W.B 62, XI, 1923) تشير إلى عشرة ملوك حكموا في ست مدن خلال مدة قدرها ٤٥٦٠٠٠ سنة– والوثيقة W.B, 144 (Oxford Editions of Cuneiform texts 11, 1024) تذكر ثمانية ملوك فقط حكموا في مدن كان من المعروف أنها المدن الوحيدة التي أسست قبل الطوفان وهي: أريدو، بادتيبرا، لاراك، سيبار، شوروباك. ولم تذكر هذه الوثيقة اسم الملك الذي حدث في عصره الطوفان. ولا



شكل (٢) كتلة نذر لمسيليم (اللوفر، تللو)

ثم تعاقب بعد ذلك عشرة ملوك خلال عصر بلغ مداه ٤٣٢٠٠٠ سنة هم الورس ملك بابل والحكيم الباروس (أو ادباروس أو ادابا بطل إحدى الأساطير) واميلون صاحب بانتيبسليا (سيبار؟) الذي هناك تقارب[1] بين اسمه وبين الكلمة السامية اميلو (بمعني رجل) ثم امينون العامل الماهر (أومانو[2]) ثم ميجالاروس وداوونوس الراعي أو "داوس" في أبدين وربما كان الاسم مشتقًا من لفظة بدائية هي راوس التي تقابل اللفظة الأكدية ري عو (راعي[3]) ثم افينورانكوس وهو انميدورانكي

يتعدى المجموع الإجمالي لسني حكم هؤلاء الملوك أكثر من ٢٤١٢٠٠ سنة. وهناك قائمة أخرى لم تنشر بعد إشارة إليها "غيدنر **Wefdner**" في مجموعة ألواح أشور.

ولقد خلت مدينة بابل محل أريدو وكانت على رأس القائمة في الروايات التي أخذ عنها "بيروس **Beose**" ويبدو أن الوثيقة التي استخدمها تعرضت للإصلاحات والتهذيبات في عصر حمورابي.

وأن الدراسات التي قام بها المحدثون للأسماء الملكية لا يستحق معظمها سوى الإهمال. فلا ينبغي مثلا اعتبار **Xisoutbros** كنطق محرف للاسم البابلي **Atra- hasis** بل أنه خطأ في الكتابة والقراءة. وهذا الاسم **Xisoutbros** يمثل النطق **Zi Sorudda** وهو الصيغة الذي اشتق منها الاسم السوميري **Ziousouddou**.

(1) X, 1893, p.243

(٢) نفسه. **P.244**.

(3) LV. p.130.

بالسوميرية ومعني اسمه "سيد القرارات في جميع أنحاء السماء والأرض" وهو الذي كشف الإلهان شمش واداد عنه الحجاب وأنبأه بالغيب. ثم امبسينوس ملك لاراك ثم أوبارتس من لاراك وهو في السوميرية أوبارتوتو وأخيرًا ابنه كسيسيوثروس الملقب في السوميرية بـ"زي– أوسودو"، وفي البابلية "اوتا– نا– بشتيم". أما اسمه اليوناني فهو مكون من تداخل عنصرين من اسمه البدائي اترا– هاسس. وقد حكم اكسيسوثروس مدى ٦٤٨٠٠ سنة. وقد قرر الآلهة في عصره أن يهلكوا البشرية وأن يغرقوها بالطوفان. والقوائم الملكية التي سلف أن أشرنا إليها تعدد تسلسل بقية الأسرات التي تعاقبت في سومير وأكد منذ الطوفان حتى ملوك ايسين **Isin**.

وقد كانت عشر مدن كل في دورها عاصمة لإمبراطورية صغيرة أو متسعة الأرجاء وقد ذكرت أسماء ١٢٣ ملكًا قبل أسماء ملوك ايسين وقد فرض الأجانب حكمهم أربع مرات، اوان **Awan** وهامازي **Hamazi** من مدن عيلام وماري (**Mari**) (**Ouerdi**) وهي مدينة واقعة عند الفرات الأوسط ثم جوتيوم **Goutioum**.

وقد تتابع على حكم كيش وهي مدينة في الشمال ثلاثة وعشرون أميرًا في فترة خيالية تقع في مدى أكثر من ١٨٠٠٠ سنة. وقد رفع نسر أحدهم وهو ايتانا البطل الإلهي لإحدى الأساطير– إلى السماء.

وقد كانت عاصمة الأسرة التالية في أوروك **Ourouk** في سومير وقد مجدت الأجيال التالية –كاله– الملك الثالث اوجالماردا **Lougal- marda** وخليفته دوموزي **Doumouzi** (تموز **Tammouz**) إله الإنبات وعشيق الآلهة عشتار **Ishtar** وقد تولى الحكم من بعدهم جلجامش **Gilgamesh** الذي يمثل العظمة السوميرية وهو بطل ملحمة رائعة خلد ذكره فيها عدة أمراء من أجل المنشآت التي أقامها في المدينة. وبعد عدة أسر أخرى[1] نصل إلى العصر التاريخي الذي لدينا عنه وثائق مكتوبة

---

(١) بدلًا من "١٨ ألف سنة" تقرأ: "٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف" وهو الرقم الكامل.

ومعاصرة.

والواقع أنه لا يمكننا أن نصل إلى ما قبل مسيليم ملك كيش يأكد ذلك الأمير الذي مد سلطانه على سومير فقد كان يتدخل –عند وجود خلاف بين مدينتين متنافستين– بوصفه ملكًا ويعيد بينهما السلام. وقد ذكر انتيمينا **Entemena** من لاجاش أنه اضطر إلى ممارسة السلطة المخولة له بوصفه ملكًا في خلاف دب بين بلده لاجاش وبين أوما فرسم بينهما الحدود وأقام عندها لوحة تذكارًا لمعاهدة السلم بينهما ولم يكن تدخله هذا –تبعا للعقائد الدينية في ذلك العصر– إلا بناء على أمر آلهة كيش بقصد تسجيل نص المعاهدة التي وضع تفصيلاتها الآلهة بعد أن أمر انليل الإله الأكبر لسومير آلهة لاجاش وأوما بأن يسود السلام بين البلدين وأن تثبت الحدود المشتركة بينهما.

وكان أورنينا مؤسسًا لأسرة محلية في لاجاش، ويظهر أن هذا الأمير لم يكن ذا ميول حربية وتشير كل النصوص الخاصة به إلى أعماله السلمية: فهو يرمم الأسوار ويشيد أو يعيد بناه المعابد والعمائر العامة الأخرى ويكرس التماثيل للآلهة ويشق القنوات وقد كرس إحداها[1] لـ"انليل" إله سومير الأكبر. وقد شيد في حي جرسو **Girsou** مخزنًا للغلال عثر على جزأه الأسفل. وقد أمر أن يمثل فوق ألواح منحوتة وهو يحمل سلة بها أدوات محوطًا بأفراد عائلته وحاشيته. وأمر بقطع الأخشاب من الجبال البعيدة وإحضارها عن طريق الماء لاستعمالها أبوابًا وسقوفًا للمنشآت. وكان حكمه عصر يسر وتقدم لمدينة لاجاش.

---

(1) XIII, 1921, p.241 et suiv XXIV b, t. I.



شكل (٣) اورنيتا وعائلته (متحف اللوفر– تللو)

وقد خلفه ابنه اكورجال **Akourgal** ولكن يظهر أن ايانتوم **Eanatoum** أخذ مكانه ووجد نفسه مضطرًا إلى إصلاح حي جرسو وإعادة بناء حي نينا وكذا سور المدينة المقدسة. ويظهر أن ذلك كان نتيجة للأضرار التي لحقت بمدينة لاجاش في عصر أكورجال. ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأمير تخلي عن لقب ملك واسترد لقب ايشاكو.

وقد أزال اوش **Oush** ايشاكو أوما –بناء على أمر آلهة المسمى شارا– لوحة مسيليم دون استفزاز أهل لاجاش، وفسخ المعاهدة التي سبق إبرامها بحضور جميع آلهة سومير وغزا جويدين **Gouedin** وهي أراضي نينجرسو **Ningirsou** المقدسة. فأمر إله لاجاش، نائبه بأن يدافع عن نفسه وانحاز انليل إله سومير الأكبر إلى جانب ايانتوم ومع ذلك فإن اللجاشيين لم يدخلوا الحرب فورًا لأنه يظهر أن الهجوم كان غير وقطعان الماشية والأسلاب إلى أوما فأعد ايانتوم العدة بعناية بقصد الانتقام متوقع وكان عبارة عن غارة خاطفة نهبت فيها القرى وحرقت واقتيد العبيد من هذه المهانة وتوجه إلى معبد نينجرسو واستلقى ووجهه إلى الأرض فظهر له الإله في الحلم ووعده بالنصر ومعونة إله

الشمس ولما علم الأوميون بمقدمه بادروا إلى الخروج لمقابلته قبل أن يقترب بقصد حماية حقوقهم كي تكون الموقعة على أراضي لاجاش. وقد كانت المعركة عنيفة والمذبحة مروعة... ولكي ندرك أهميتها نذكر أن عدد القتلى الذين تركوا في ساحة الوغى بلغ ٣٦٠٠ كما يقدر ذلك البلاغ الرسمي. وقد تراجع الأوميون ووصل اللاجاشيون تحت أسوار مدينتهم وحاولوا الهجوم ونجحوا في اجتياز الأسوار فبدأت المذبحة من جديد وساد الدمار والخراب فاستسلمت أوما استسلامًا واستحالت جثث جندها طعامًا للطيور الكاسرة على حين جمعت جثث جنود لاجاش واحتفل بدفنها في عشرين موضعًا في السهل احتفالًا جنزيًا. وقد شق ايانتوم في حدود المقاطعتين قناة هي خط الحدود بينها، وهي في نفس الوقت حاجز ضد أي هجوم جديد كما أعيدت إقامة لوحة مسيليم على الضفة وأقيم بالقرب منها نصب تذكاري لمعاهدة السلام الجديدة وفرض على أوما أن تدفع جزية من الغلال طلبت لاجاش تقديمها فورًا. وقد ثبتت المعاهدة بالقسم ووضعت تحت حماية الآلهة وأقام اللجاشيون مقاصير للصلاة تمجيدًا للمعبودات التي عاونتهم كما أقاموا نصب النصر المعروف تحت اسم "شاهد ولم تكن هذه المعركة ضد اوما أول حلة لا يانتوم فقد هزم عيلام من قبل وكذلك اوروا واسر الايشاكو الذي كان على رأسها وعرضه على بوابة لاجاش لسخرية الرعاع. وقد استولى على أوروك في حملة رابعة ثم سقطت عقب ذلك اور **Our** وكي بابار **Ki-babbar** وامتد سلطانه عقب ذلك على سومير جميعا ثم هجم خارج حدود البلاد على اوروواز **Ourouaz** ومشيمة **Mishime** واروا **Aroua** ونهب محتوياتها وحرقها.

وقد أقلق نجاح ملك لاجاش بال زوزو **Zouzou** ملك اكشاك فتوجه للهجوم عليه في أراضي الإله نينجرسو، ولكنه رد على أعقابه وطورد جيشه حتى أسوار عاصمته وأبيد. وهكذا سقط في يد اللجاشيين قطاع كبير من الإقليم الشمالي ونادت الآلهة اينانا **Innana** بواسطة كهنة هيكلها بايانتوم ملكًا على كيش.

---

(١) راجع شكل ٨.

وقد انتهزت فترة السلام التي أعقبت ذلك لشق قناة تغذي حوضًا وقد بلغ الازدهار حدا دفع إلى القول بأنه "في هذا العهد كان نينجرسو يحب ايانتوم" ولكن يظهر أن السنوات الأخيرة من حكم هذا الأمير طرأت عليها كآبة بسبب حرب جديدة ضد عيلام وفقد ايانتوم على التوالي لقب ملك كيش ثم لقب ملك لاجاش وعاد مجرد ايشاكوا وقد وصل به الأمر عندما اهدى للآلهة نينا جرنا أن ناشدها "ألا يأخذه ملك كيش".

ومات دون أن يترك نسلًا فخلفه آخوه اناناتوم الأول **Enanatoum I** وجددت أوما الصراع، وقامت بهجوم عنيف وحدثت معركة غير حاسمة على أرض لاجاش وخلال حكم انتمينا **Entemena** حاولت أوما مرة أخرى أن تخلع النير ولكن "الايشاكو" الخاص بها طورد إلى المدينة وقتل بالسلاح وولى العرش مكانه أجنبي.

ومنذ عهد اناناتوم الأول كان الكهنة يبسطون نفوذهم إلى حد كبير ونقش اورهالوب **Ur- Halub** اسمه إلى جانب اسم الملك، كما أن دودو **Doudou** نفسه كرس للإله –الذي كان هو كاهنه الأكبر قائمًا لدبوس كانت نقوشه البارزة تزينها صورته وشعار المدينة، مما يذكر بما سبق أن نحته اورنينا **Our- Nina** وحين قدم ستمائة من العلاميين كي يجتاحوا إقليم لاجاش في حكم ايناناتوم الثاني نرى أن لوينا **Louenna** كاهن ننمار **Ninmar** الذي قام بصدهم لم يخبر الأمير مباشرة بنجاحه بل نراه يوجه رسالة إلى انيتارزي **Enetarzi** كاهن ننجرسو. وقد استولى انيتارزي هذا على العرش وخلفه الكاهن انليتارزي **Eniltarzi** كما أن ابن هذا الأخير واسمه لوجالاندا **Lougalanda** كان هو نفسه ايشاكو مدى بضع سنوات وقد أساء هؤلاء المغتصبون استغلال مراكزهم وأخذوا على عاتقهم تعديل القوانين والعادات بما يتفق ومصالحهم الخاصة. وقد تبع هذا رد فعل فخلع لوجالاندا وحل محله أوروكاجينا **Ouroukagina** الذي استعاد لقب ملك بعد عام أو اثنين على أكثر تقدير. وقد أصلح هذا الأمير المساوئ وتشهد نقوشه بذلك كما أن لوحات الحسابات تؤكد صحة النصوص الرسمية وتكشف مجموعة هذه الوثائق عن الحياة الحقيقية لمدينة سوميرية في بدء الألف

الثالثة[١].

وقصة إصلاحات هذا الأمير -وهي مكتوبة في أسلوب أدبي رائع- تصف أولا حالة السكان السيئة "منذ أقدم العصور- منذ البداية"... تصف الجور الذي كانوا فرائس له وكذا الظلم الذي كانوا يقاسونه. ثم يسرد الأمير إصلاحاته ويفاخر في النهاية بأنه "وطد دعائم الحرية" في المملكة[٢]. وكان كبار الموظفين قد بلغوا من الفساد مداه محتذين حذو الايشاكو ولقد اتبع كبار رجال الدين عادة إشراك الأمير وأصحاب المناصب الكبيرة في اقتسام إيرادات المعابد من شعير وملابس وفاكهة حتى يضمنوا لأنفسهم الأمن حين يرصون الجور على الشعب: "كان الكهنة يقتلعون الأشجار من حدائق أم الفقير ويستولون على فاكهتها" "ولم يعد الكهنة يدخلون حدائق أم الفقير ولم يعودوا يقتلعون أشجارها أو يسلبون فاكهتها" "كانت ثيران الإله تستخدم في ري الأراضي الممنوحة للايشاكو وكان الكهنة يوزعون الشعير على رجال الايشاكو ويحضرون -كجزية- الملابس والقماش والطيور والماعز" "أما فيما يختص بالجزية التي كان يحضرها الكهنة إلى القصر فقد سحب المشرف عليها من وظيفته إلى بيت الايشاكو وإلى حقله أعاد وضع الإله ننجرسو سيدهم كما أعاد إلى بيت زوجة الايشاكو وإلى حقل الزوجة وضع الآلهة باوو **Baou** سيدتهم وكذا أعاد إلى بيت الأولاد وحقولهم وضع الإله دونشاجانا **Dounshegane** سيدهم" وقد فصل الموظفون الزائدون عن الحاجة أما الآخرون الذين لم تشب تصرفاتهم الرسمية شائبة فقد استبقوا في وظائفهم فذكر منهم الناظر انيجال **Eniggal** "كاتب بيت الزوجة (زوجة الايشاكو) منذ السنة الثانية لحكم لوجالاندا الذي صار "كاتب الآلهة باوو" واستمر يستمتع بثقة الأمير. بل ويشهد عدد كبير من لوحات الحسابات على نشاطه في إدارة مشروعات الدولة الكبرى. ولقد حدد "اوروكاجينا" دخل رجال الدين: فمن كان يتناول عن عمل الدفن سبعة أوان من المشروبات المتخمرة و٤٢٠ رغيفًا و١٢ (قا) من الحبوب ورداء

(1) Cf, LI.
(2) LXXVI, p.74.

وجديًا وسريرًا... أصبح لا يحق له أن يتناول سوى ثلاثة أوان من المشروب وثمانين رغيفًا وجديًا وسريرًا... ومن كان يخصص له ٦٠ (قا) من الحبوب خفض نصيبه إلى النصف. وقد كان العرافون موظفين مأجورين في المعابد ولكنهم اعتادوا أن يتناولوا أجورًا مقابل أداء خدماتهم إلا أنهم أكرهوا على العودة إلى سابق العهد وإعطاء استشاراتهم بالمجان. وقد حظر على الأغنياء إساءة استعمال السلطة.

وعندما أراد أوروكا جينا أن يضع في القانون نصًا يلزم الجميع بدفع ثمن ما يريدون امتلاكه من منقول أو عقار ويمنعهم من الحصول عليها بالقوة اختار حالة مملوسة للحمار أو البيت "إذا ولد جحش جيد لأحد رعايا الملك وقال له رئيسه: "أريد شراءه" وكان يعتزم حقا شراءه فإن عليه أن يقول له "ادفع نقدًا" وفي حالة ما إذا كان لا يريد الشراء فعلا فإن الرئيس لا يجوز له أن يأخذ الحمار"... وعلى هذا استطاع كل شخص أن يستمتع بالحرية حسب مركزه.

وقد مثل أوروكاجينا نفسه في النقوش كذلك كملك بناء: فهو يخلد ذكرى إعادة تشييد عدة معابد وخاصة انبنو **Eninnou** حيث هيكل ننجرسو. وتبين بعض البطاقات، على هيئة الزيتون المثقوب، مدى العناية التي بذلت خلال حكم هذا الأمير بقصد إخفاء الأشياء الثمينة، الخاصة بالمعابد والآلهة وكبار الموظفين في برج من أبراج السور وربما كان ذلك في الوقت الذي أراد فيه الأوميون رفع النير عن أنفسهم فاجتاحوا المدينة تحت قيادة "الايشاكو" الخاص بهم لوجال زاجيسي **Lougalzaggisi** ممزقين المعاهدة التي أملاها عليها انتمينا وأعملوا في البلاد حرقًا وسفك دماء فتحطمت ملكية لاجاش وكتب أحد الكتاب بعد فترة قصيرة مرثية عن خراب المدينة هي إحدى روائع صفحات الأدب السوميري.

وتبين القوائم الملكية التي وضعت في القرن الحادي والعشرين أن لوجالزاجيسي هو الملك الوحيد في الأسرة السادسة عشرة وأنه تولى الحكم حوالي خمسة وعشرين عامًا (حوالي ٢٨٧٠- ٢٨٤٦) وقد ذكرت قبله الأسرة الرابعة لـ"كيش" -وليس اوروكاجينا الذي يظهر أن سلطته لم تمتد إلى أبعد من مدينته نفسها.

وبعد انتصاره على لاجاش استولى ايشاكو أوما على عدة مدن من سومير ونادي بنفسه ملكًا على البلاد وكاهنًا لـ"أنو" **Onou** في أوروك وقد تنازل عن لقبه القديم "ايشاكو أوما" ولكنه احتفظ بلقب كاهن نيسابا **Nisaba** وسقطت نبور في يده وأصبح الايشاكو الأكبر لانليل الذي كرس له بعض أوان من الحجر وتمثالًا. "أخضع انليل البلاد لسلطانه وقد فتح البلاد جميعا من الشرق إلى الغرب" وحارب حتى الخليج الفارسي وأغار نحو الشمال الشرقي حتى شواطئ سوريا. وقد اهتم من ناحية أخرى بمشروعات المنافع العامة ومنها مثلا مشروع ري لأراضي لارسا. والتمس من الآلهة "أن تمنحه في كرم جندًا مثل عشب الحقل في كثرته" وإلا تغير حظه السعيد. وأن تبقى عليه راعيًا لشعبه إلى الأبد ويظهر أن سلطانه لم يمتد إلى أكد حيث كان يتزايد نفوذ سامي منافس سيوحد الإقليمين تحت صولجان واحد.

ثم أسس سارجون أسرة أجداده وهو الذي تمثله أسطورة فيما بعد أنه أتى به إلى العالم سرًا ووضع في سلة من القصب مدهونة بالقار على الفرات وانتشله أكي **Akki** متولي شئون الري وهو الذي رباه كأنما هو ابن له. وتقول رواية أخرى أنه كان في أول الأمر بستانيًا ثم ساكب مشروبات أور– زابابا **Oir- Zababa**– ملك من ملوك الأسرة الرابعة في كيش. وقد سجل انهيار لوجال زاجيسي نقش على قاعدة نصب مشيد في معبد انليل في نبور. وقد استولي سارجون على اوروك، وأغلب الظن أن ذلك قد تم له عن طريق المفاجأة وهدم حوائطها المحصنة ثم نازل بعد ذلك قوات أوروك وانتصر عليهم. وفي معركة ثانية أسر "لوجال زاجيسي" نفسه واقتاده مكبلًا بالأغلال أمام انليل إله سومير الأكبر ليفوز منه بالموافقة على خلع الملك القديم والحصول على لقب الايشاكو الأكبر وبذلك أصبح سيدًا على المنطقة الشمالية من سومير. وقد سحق في حملة أخرى قوات أور وهدم أسوار هذه المدينة ثم سقطت أراضي لاجاش كلها في يده ولما وصل إلى شاطئ الخليج الفارسي غسل أسلحته في مياه البحر وفقا لتقليد ديني استمر معمولًا به حتى آخر أيام الإمبراطورية البابلية. وفي طريق العودة أكمل فتح سومير بالاستيلاء على أوما وهدم أسوارها.

وقد ورد في النص نفسه كيف أن سارجون أصبح بفضل رعاية انليل سيدًا بغير منافس من البحر الأعلى (البحر الأبيض المتوسط) حتى البحر الأدنى (الخليج الفارسي). وتقدم نقوش أحد التماثيل بعض التفاصيل عن الحالة السياسية في شمال غرب سومير وأكد إذ تذكر ثلاث ممالك: الأولى– ماري **Mari** على الفرات الأوسط التي امتد سلطانها فيما مضى حتى الخليج الفارسي وتحالفت أثناء حكم اياناتوم مع كيش ضد ملك لاجاش، والثانية يارموتي **Iarmouti** الواقعة غرب انحناءة الفرات. أما الثالثة فهي ابلا **Ibla** على منحدرات طوروس. وقد امتد سلطان سارجون خلال هذه الأراضي حتى "غابة الأرز" وهي لبنان أو ما وراء لبنان ثم إلى جبال الفضة (طوروس) وقد كان هذا هدف فتوحاته.

وقد كانت بلاده –وهي أرض كثيرة الأمطار– لا تزود سكانها بأخشاب البناء ولا بالأحجار أو المعادن. وكان عليهم منذ البدء أن يعملوا على استحضار ما يلزمهم منها من الخارج.. أما من الجبال الواقعة شرقي دجلة التي تقطنها شعوب معادية أو من ناحية طوروس ولبنان متبعين في ذلك الطريق الطبيعي للفرات ومنذ السنة الثالثة من حكمه – حين التمست منه مستعمرة تجار ساميين في جانيش (**Gul-tepe**)– (**Ganish**) في كابادوكيا **Cappadoce** كان يضطهدهم نور داجان **Nur- Daggen** ملك بورساهاندا **Boursahanda**– سار نحو هذه المدينة حيث أرسل من هناك إلى أكد[1] نوعين من أشجار التين والكروم والورد والنباتات الأخرى.

وقد بني سرجون –أو هو أعاد بناء– أجاده أو أكد وهو الموقع الذي لم يمكن تحديده وجعل منها عاصمة لإمبراطوريته. وكان بلاطه فخمًا: وهو يصف أحيانًا في تفصيل عدد الأمراء الموجودين في حضرته كما يذكر أحيانًا أخرى أن **٥٤٠٠** رجل كانوا يأكلون أمامه كل يوم.

وتذكر نقوش أثر آخر في ايكو **Ekour** موقعتين انتصر فيهما على عيلام

---

(1) XXXI. b lasc. 6.

وبارهسي **Barahse** وقد مثل بالنحت المهزومون والأسلاب وقبائل المدن التي أخضعت. وقد انتصر كذلك على كازللو **Kazallou** الواقعة عند سفح جبال عيلام. ووصلت حملة أخرى إلى سيريهوم **Shirihoum** على شاطئ الخليج الفارسي. ووفقا لروايات العهد البابلي الجديد يقال أن سرجون حمل جيوشه بحرًا حتى يذهب لفتح دلمون **Dilmoun**.

وقد حدثت في أخريات أيامه فتنة عامة وحين حوصر في اجادة استطاع أن يهزم أعداءه وقدم غنيمة ضخمة للآلهة عشتار. وقد عاونت سوبارتو **Soubartou** –وهي الإقليم الواقع إلى شمال أكد– الثوار فهزمت كذلك.

وهنا تذكر بابل للمرة الأولى في التاريخ ، إذ أنها شاركت هي الأخرى في الثورة فكان جزاؤها أن نهبت وخربت ومع ذلك فإن السلام لم يستقر. ومات سارجون ولم يأخذ ابنه سوي "شر" كيش **Shar- Kish shatim** ملك المجموعة التي كانت ترتبط بعبادة أنوا **Anou** والتي هي في أكد تقابل لووجال كلما **Lougal Kalama** في سومير.

وكان على أوروموش **Ouroumoush** أن يحارب في كل جبهة فقام بمعارك ضد جيوش أور وأوما وذبح **٨٠٤٠** رجلًا وأسر ملك أورو "ايشاكو" ها وكذلك **٥٤٦٠** محاربًا. وتابع طريق النصر حتى البحر مجتاحًا في ذلك الحقول ومحطمًا المدن ومستوليًا على الرهائن. واستولي عند عودته على كازاللو وأشاع الرعب في عيلام. وكونت "أوما" مرة أخرى اتحادًا مع دير **Der** ولكنه قضى عليه وقتل **٨٩٠٠** محارب وأخذ **٣٥٠٠** أسير. وقد أسهمت هالاب **Hallab** ولاجاش في هذا الصراع وقد كان ايشاكوهما ووزراؤهما من بين الأسرى. وقد أخضع عيلام وهزم ابالجاماش **Abalgamash** ملك بارهسي **Barahse** وقامت معركة كبيرة على نهر كابنيتوم **Kabnitoum** بين اوان **Awan** واستطاع أوروموش أن يعلن ما أعلنه أبوه من قبل من أنه أخضع لانليل البحر الأعلى والبحر الأدنى وكل المناطق الجبلية ومع ذلك، فإنه اتخذ لقب "شركيش" ولم يطلق على نفسه لقب "ملك اجاده". ولقد أقام مباني النصر التذكارية في معبد انبور

Nippour ووضع تمثاله الشخصي المصنوع من الرصاص في مواجهة تمثال الإله، وكرس جانبًا من الأسلاب له كما خصص أوقافًا للقرابين.

ثم ضر مانيشتوسو **Manishtousou** انشان وسيريهوم وعبر الخليج الفارسي ليهاجم اثنين وثلاثين ملكًا صغيرًا على الشاطئ العيلامي بقصد ضمان استغلال مناجم الفضة والمحاجر. وقد حصل فيما يجاور اجاده على مساحات واسعة من الأرض وأمر أن تنقش وثيقة الملكية على مسلة من الدبوريت وقد اعترفت سوسه بسلطانه، فكرس ايشاكوها تمثالًا تمجيدًا له.

ولقد مد نرام سين **Naram-sin** نفوذه (حوالي ٢٧٦٨– ٢٧١٢) من الخليج الفارسي حتى آسيا الصغرى. ويحمل عدد من الآثار الدليل على مجده، وتقدم الفنون الجميلة في عهده. وقد عثر في بيرحسين على الامبارسو **Ambar-sou** على مدى أربع سات ونصف إلى الشمال شرق ديار بكر على لوحة أقامها هناك. وقد مثل أحد مهرة النحاتين على لوحة أخرى حملها أحد العيلاميين الغزاة إلى سوسة... الكفاح ضد ملوك سدوري **Sudouri** ولولوبو **Louloubou**(١).

وقد أله خلال حياته وتذكر النقوش على بعض القطع الأسطوانية التي تخص كبار الموظفين اسمه كأنما هو "إله اجاده". ويرجع تاريخ كثير من لوحات الحسابات إلى عهده وإلى عهد حفيده شركاليشري **Sharkalisharri** (ما بين ٢٧١١، ٢٦٨٨).

---

(١) شكل ٤.



شكل (٤) لوحة نرام سين (متحف اللوفر– وفد فارس).

وثارت أوروك وأصبح لزامًا أن يصاد غزوها. وقد وصل العيلاميون إلى اوما ولكنهم ردوا على أعقابهم وكانت الحرب في الشمال الشرقي ضد جوتيوم **Goutioum** وفي الشمال الغربي ضد بسر **Basar** ويخلد اسم أحد الأعوام ذكرى اسر ملك كوتا **Kouta** ووضع أساسيات معابد في بابل كما يسجل آخر استمرار بناء الايكور **Ekour** في نيبور الذي كان قد بدأ في عهد الملك السابق: وقد عثر بين الخرائب على عوارض أبواب عليها كتابات وكذا على أختام للطوب. وعند موت شركا ليشري سادت الفوضى:



شكل (٥) تمثال جوديا (متحف اللوفر– تللو)

"من كان ملكًا؟ ومن لم يكن ملكًا؟"! لقد حكم أربعة ملوك خلال ثلاث سنوات! و"دودو" الذي بقى من عصره إناء من المرمر وابنه جيميل دوركيب **Gimill Dour-Kib** (حوالي ٢٦٤٦– ٢٦٤٩) تنتهي بها قائمة أمراء أجاده.

وقد استردت السلطان أسرة من أوروك بها خمسة ملوك مدى ٢٦ سنة (حوالي ٢٦٤٨– ٢٦٢٣) ولكن شرادم جوتيوم الذين استطاع شركا ليشري منذ أقل من قرن أن يعيدهم نزلوا إلى السهل من الجبال الشرقية وأخضعوا سومير وأكد (حوالي

٢٦٢٢– ٢٤٩٨) وقد أمر أحد ملوك هذا العصر وهو لاسيراب **Lasirab** أن تنقش كتابة أكديه على دبوس قتال نذري وهو يتوسل فيها إلى انينا وسين مع آلهة بلاده. وبعد مائة وخمسة وعشرين عامًا عندما نودي باوتو هيجال **Outou-hehal** ملكًا على أوروك والأقاليم الأربعة وضع نفسه تحت رعاية انليل واينانا آلهة أوروك وجلجامش الملك القديم الأسطوري. وقد جمع قوى اوروك وكولاب **Koullab** ضد الأجنبي. وخسر ترقان **Tiriqan** ملك جوتيوم لمعركة وهرب إلى قلعته دوبروم **Doubroum** ولما هجره رجاله أسر مع زوجه وأطفاله. ووطدت دعائم الاستقلال من جديد. ولقد حفظت لنا بعض الأسماء من ذلك العهد الذي مازال غامضًا وهي أسماء ايشاكوهات لاجاش ومن بينهم جوديا **Goudea** الذي امتد نفوذه بعيدًا إلى ما وراء مدينته. ويوجد بمتحف اللوفر أحد عشر تمثالًا له وكذلك تمثالان صغيران وبعض قطع من لوحة وقطعتان أسطوانيتان من الآجر تخلدان ذكرى إعادة بناء المعبد الكبير في لاجاش وكذا بعض قوالب الآجر والمسامير الطينية واللوحات والأواني ورؤوس الدبابيس وأسد نذري وبصمات أختام. وقد أعاد بناء الانيننو **Eninnou** في صورة فخمة: وتصف النقوش على الاسطوانات في إسهاب الاستعدادات التي عملت من أجل هذا المشروع وتنفيذه وحفلات تدشيته. وقد وضع تمثاله الخاص الذي يمثله في صورة متواضعة مليئة بالاحترام أما المعبود في كل معبد قام بترميمه وقد أقام في فناء الانيننو سبع لوحات عثر على أجزاء من اثنتين منها. ولدينا كذلك رأس دبوس من رخام طوروس محلاة برؤوس سباع ومغطاة بطبقة من الذهب وكذا إناء مزخرف بالتنانين من نفس طراز نظيرها الذي سنراه شعارًا لمردوك **Mardouk** إله بابل والذي سيظل يمثل في النقوش والرسومات حتى في الامبراطورية الجديدة وكذا أسد مكرس للآلهة جاتو دوج **Gatoum doug**(١). وحين انتهى من ترميم المعابد عنى بتثبيت المنشآت الدينية القديمة وزيادة أغلب التقدمات الخاصة بالطقوس ونقوشه تشير إشارة طفيفة إلى الأحداث الحربية وهي حرب ضد انشان وربما إله جوديا خلال حياته ولكن ليس هناك

---

(١) قارن الأشكال ٥ و١٨ و١٩.

من شك في أنه كان يعبد بعد موته بوقت قصير. وقد أقيمت أوقاف منتظمة لتقديم القرابين لتمثاله: وتوجد لوحات حسابية تؤيد ذلك. وقد خلفه ابنه أور ننجرسو -Our Ningirsou الذي سرعان ما خلعه أور انجور Our- Engour ملك أور من مركزه كايشاكو مع بقائه كاهنًا لأنو وانكي حتى حكم دونجي.

وحوالي ٢٤٧٤ بدأ في أور عهد الأسرة الثالثة التي أسسها أور– انجور وكانت أور قد خربت وحرق قصرها وهدمت أسوارها فأعاد الملك الجديد بناء مدينته ومعبد ننار Nannar وأصبح سيد أوروك وعين ابنه هناك كاهنًا أكبر لاينانا Innana واستولي على لاجاش وخلع ايشاكوها وأحل مكانه اورابا Our Abba وشق قناة هناك. فلما أصبح ملكًا على سومير وأكد أعاد بناء كثير من المعابد: معبد إله الشمس في لارسا ومعبدي انليل ونينليل Ninlil في نبور، وشق القنوات وأصلح القوانين "وجعل العدالة تسود". ولعل الخاتم الأسطواني لهاشهامر Hashhamer ايشاكو اشكون سين Ishkoon-sin ومولى ملك أور– وهو من أشهر نماذج الحفر على الأحجار الرقيقة لذلك العصر– هو الدليل الوحيد على كونه من أكد. وهناك من عصره تاريخ يخلد ذكرى حملة "من أدنى الأرض إلى أعلى الأرض".

وقد خلف دونجي Doungi بن أور– انجور Our- Engour أباه حوالي ٢٤٥٦ وتنقسم مدة حكمه الطويل البالغة ثمانية وخمسين عامًا إلى فترتين... ويظهر أن الملك خلال الفترة الأولى اهتم فقط بالشئون السلمية فقد كانت كل سنة تشهد حادثًا دينيًا أو أعمالًا خاصة بالمنافع العامة من إقامة معابد ومؤسسات مقدسة ووضع المعبودات في الهياكل التي أعيد ترميمها وتعيين كبار الكهنة وفقا لما يشير به المنجمون وترميم العمارات.

ومع ذلك فلم يكن ليهمل أية فرصة لبسط سلطانه وتوسيعه. وحين حلت السنة الثالثة والثلاثون نراه يبدأ سلسلة من الحملات على البلاد الواقعة في الأقاليم الجبلية إلى شرق سومير وأكد. وقد عثر على آثار من حكمه في أماكن كثيرة مثل نيفر Niffer ومغير Mougheir وتللو Tello بل أن قوالب من الطوب عثر عليها في سوسة تدل

على أن نفوذه امتد فعلا إلى هذه المدينة كما أن لوحات من تللو تنتسب إلى مجموعة "زاد السفر" تبين أن السلطة المركزية كانت تهتم مباشرة بتفاصيل إدارة أبعد المدن وأنها كانت قد نظمت إدارة لحملة البريد (العدائين) هيئت لها مرابط ومحطات بغية توصيل التعليمات وضمان تنفيذها. وجاهد الملك من جهة أخرى في سبيل توثيق عرى الاتحاد بين مواليه عن طريق فرض ضرائب هي في الوقت نفسه روابط دينية. وحوالي العام الثامن والأربعين أعاد تنظيم الحديقة القريبة من معبد انليل الإله الأكبر لسومير. ولقد كانت تجمع هناك مدى ثلاثين عامًا حتى الأيام الأخيرة للأسرة المستحقات الإقطاعية المفروضة على المدن وحكامها إلى جانب التقدمات الاختيارية. وكان الحكام –حتى حين كانوا يحتفظون بلقب ايشاكوا –ليسوا في أغلب الأحيان سوى موظفين يعينهم الملك وكان على أوما **Oumma** وبابل **Babylone** ومرد (ولة السادون قرب أفج **Wannet es-sadoun pres Afadj**) وأدب (بسمايا) **Adab (Bismaya)** وأور **Our** وشوروباك **Shourouppak** وكازاللو **Kazallou** (بين مرد واجاده **entre Mared& Agade**)... كان عليها جميعا أن تقدم قرابين معينة كل منها شهرًا في السنة. وكان ايشاكو جرسو **Girsou** يدفع وحده حصة أربعة شهور كل عام. أما الحصة الثانية عشرة فهي التي يقدمها ايشاكو "عيد دونجي". وأما المدن الأخرى مثل نبور في سومير وكيش في أكد وهارشي **Harshi** في شرق دجلة وماري **Mari** وابلا **Ibla** على الفرات من ناحية الغرب فكانت تقدم أنصبة واستحقاقات وضرائب من وقت لأخر. وقد اتسعت الأعمال الكتابية في الدواوين اتساعًا ضخمًا وكانت قد تقدمت تقدمًا كبيرًا في المدن في عصر لوجالاندا وأوروكاجينا. فلم يعد هناك عمل يجري في المخازن العمومية دون كتابة لوحة يعهد بها إلى عمال المحفوظات الذين يسجلونها في قوائم الحسابات الخاصة بسنة أو عدة سنوات. ولم تهمل أية فرصة من شأنها زيادة النفوذ الملكي. ففي العام الخامس والعشرين أصبحت الأميرة نياليمداشو **Nialimmidashou** ابنة الملك سيدة على مارهاشي **Marhashi** في الإقليم الجبلي. وفي العام التاسع والثلاثين تزوج ايشاكو أنشان إحدى الأميرات الملكيات... ولكن

الصلات الطيبة لم تستمر طويلًا إذ أن إقليمه اجتيح بعد سنوات أربع.

وقد أمر دونجي –كما فعل نرام سين من قبله– أن تقدم له فروض التمجيد الإلهي فبنيت له المعابد وقدمت التقدمات لتمثاله عند ظهور الهلال الجديد وعند اكتمال القمر بل أن أحد الشهور في بعض التقاويم المحلية كان يسمى "شهر عيد دونجي" وألفت الأناشيد الدينية في تمجيده. كما أنه هو ذلك "الإله الملك" الذي استعمل اسمه كجزء من أسماء رعاياه مثل: دونجي ايلي (أي دونجي إلهي) ودونجي باني (دونجي الخالق) ودونجي أبي (دونجي والدي).

وقد خلفه ابنه بورسين **Boursin** وحكم تسع سنوات (٢٣٩٨– ٢٣٩٠) وكان عليه أن يتابع الحرب ضد الشعوب فيما وراء دجلة. وقد استخدم تخريب أوربيللو **Ourbilloum** في العام الأول وشاشارو **Shasharou** وهوهونوري **Houhounouri** في العام الخامس والعام السادس كمعالم في التقويم. أما التواريخ الأخرى فتتصل بالدين. وقد أعاد ترميم جزء من معبد انليل في اريدو **Eridou** كما أقام تمثالًا في أور **Our** ونفذ مشروعات كثيرة في معبد إله القمر. وأما في نيبور فقد شيد مبنى لتقدمات العسل والزبد والنبيذ لانليل "الإله الذي يمنح الحياة لأرضه" "إله الشمس لبلاده، وقد تقبل التقدمات –كما كان يفعل أبوه– في المعابد المكرسة له وظل في عداد مجمع الآلهة. وقد عاد ظهوره في القرن السابع في موكب إله أور. وتظهر هنا أشور للمرة الأولى في تاريخ سومير وأكد: فان زاريكو **Zarikou**– شكاناك **Shakkanak** آشور– رفع تكريسًا لأجل حياة مولاه "بورسين– ملك أور القوي– ملك الأقاليم الأربعة".

وقد كانت عارضة باب في أحد المعابد المقامة تمجيدًا للملك الذي يحكم في أور نفسها، تحمل تكريسًا من لوجال ماجوري **Lugal magouri** ايشاكو أور تمجيدًا لجيميل سين **Gimil-sin** "إلهه" بن بورسين وخليفته وتبعا للنصوص المعاصرة نجد أن هذا الأمير حكم مثل أبيه تسع سنوات (حوالي ٢٣٨٩– ٢٣٨١) وقد خرب سيمانوم **Simanoum** في الشرق وكان عليه أن يشيد حائطًا من دجلة إلى الفرات قرب سيبار **Sippar**، لحماية إقليمه ضد غارات العموريين. وفي السنة السادسة خربت

أرض زابشالي **Zabshali** وقد رمم أيضًا المعابد وزينها. وقد استمر العمل بنظام المركزية في عهده حتى أن كبير وزرائه "أراد ننار **Arad Nannar**" استطاع أن يطلق على نفسه لقب ايشاكو ست مدائن وحاكم خمس أخرى وكذا أرضين أخر وذلك في نقش على عوارض أبواب معبد أقامه في جيرسو تمجيدًا للملك، إذ ثبته في وظيفته التي كان أبوه – ومن قبله جده– يشغلانها.

وآخر ملك في هذه الأسرة هو ايبي سين **Ibi-sin** بن جيميل سين **Gimil-sin** (حوالي ٢٣٨٠– ٢٣٥٨) وتشير الوثائق المعروفة كلها إلى السنتين الأوليين أو السنوات الثلاث الأولى من حكمه فقد اكتسح ايشان وزوج إحدى بناته من ايشاكو هذا البلد ولم يستطع الاحتفاظ بسلطانه تحت ضغط ايشمي ايرا **Ishbi-ira** سيد عموري ماري على الفرات الأوسط وضغط عيلامي "كتورناهونتي" التواقين إلى رفع النير عنهم والإقامة في السهل فأسر واقتيد إلى ماري ثم ظهرت مملكتان جديدتان على أنقاض إمبراطورية أور، إحداهما في ايسين والأخرى في لارسا. فقد أنشأ ايشبي ايرا (حوالي ٢٣٥٧– ٢٣٢٦) في ايسين أسرة عمورية أتخذ أمراؤها لأنفسهم لقب ملوك سومير وأكد وأضفوا على أنفسهم الصفات الإلهية. وقد اعتبر ثالث ملوك هذه الأسرة سيبار ضمن المدن الخاضعة لصولجانه وبسط ابنه ايشمي داجان **Ishmi dagan** (حوالي ٢٢٩٤– ٢٢٧٥) نفوذه على نيبور وأور واريدو واوروك. وخلفه أخوه ليبيت عشتر **Lipit-ishtar** (حوالي ٢٢٧٤– ٢٢٦٤) وحل محله أور اينورتا **Our-inourta** (حوالي ٢٢٦٣– ٢٢٣٦) الذي لقب بنفس ألقاب أسلافه وفقا لما هو مدون على قوالب طوب البناء مع أنه حدث أثناء حكمه أن جونجونوم **Goungounoum** خامس ملوك لارسا (٢٢٦٤– ٢٢٣٨) دعم نفوذه واستولى على أور وانتهى به الأمر إلى أن اتخذ لنفسه لقب ملك سومير وأكد. وقد ثبت أيناناتوم بن "ايشمي داجان" كبيرًا لكهنة نانار في أور فأقام ايناناتوم –اعترافًا بذلك– معبدًا لببار **Babbar** إله لارسا ليرعى حياة جونجونوم "ملك أور" وكان الاستيلاء على أور سابقًا للسنة التاسعة من حكمه (٢٢٥٦) لأن الملك قد أمر في هذه السنة بوضع شارات في

معبد نانار كما أنه وضع في السنة التالية تمثالًا نحاسيًا هناك. ومع أن أهم الحوادث التي خلدت ذكراها تتعلق بنواح مدنية ودينية إلا أنه سجلت له حملتان حربيتان: اكتساح باشيمة **Basjima** في السنة الثانية وأنشان في السنة الرابعة.

وقد خلف أبي-ساره **Abi-sari** (٢٢٣٧- ٢٢٢٧) جونجونوم وقد قام كذلك بشق القنوات وتزيين معابد الآلهة: فقد تلقى نانار ٤٠ من أور تمثالين أحدهما من الفضة والآخر من العقيق واللازورد. وفي السنة التاسعة حارب قوات ايسين أثناء حكم الملك بورسين (حوالي ٢٢٣٥- ٢٢١٥) الذي اتخذ لنفسه ألقاب أسلافه وادعى السيادة على نيبور وأور وأريدو وأوروك وايسين. ويبين خاتم أسطواني يحمل اسمه في النص الوارد به خصائص فن النحت على الأحجار الرقيقة في عهد الأسرة الأول البابلية. ومع ذلك فإن سومو ايلوم **Soumou-iloum** (٢٢٢٦- ٢١٩٨) خليفة ابيشاره كان قد احتفظ بلقب ملك أور كما كان يملك لاجاش، حيث أهدى كلب نذري من حجر الصابون (ستياتيت) تمجيدًا له إلى الآلهة نين ايسين **Nin-isin**[١] وقد حارب كازاللو (السنة الثالثة والسنة الحادية والعشرون) وكاايدا **Ka-ida** (السنة الثامنة) وكيش (السنة العاشرة) وشق القنوات وأهدى إلى شمش تمثالًا من الفضة[٢].

تعتبر السنة التالية للسنة التي ولى فيها سومو‌ايلوم الحكم من أهم العهود في تاريخ الشرق:

ففي عام ٢٢٢٥ نادي سومو أبوم **Soumou- aboum** العموري بنفسه ملكًا على بابل. وقضت الأسرة التي أنشأها على أسر ايسين ولارسا وبسطت نفوذها على سومير وأكد وحققت نهائيًا وحدة البلدين تحت صولجان واحد تلك الوحدة التي طالما حاولت أهم المدن الوصول إليها منذ أكثر من ألفي سنة. وقد أبيد الجنس السوميري جزئيًا وامتص الجزء الباقي في الأجناس الأخرى ولم يحتفظ باسم سومير نفسها إلا في

(١) راجع شكل ٢٠.

(2) cf LXXVI.

المراسيم على حين شمل اسم أكد كل الإقليم. ولم تعد بابل المدينة السياسية فحسب بل العاصمة الدينية للإمبراطورية كذلك.

وقد هاجم ايلوشوما **Iloushouma** الآشوري سوموابوم (٢٢٢٥– ٢٢١٢) ومع أن هذه المعركة معروفة في التاريخ البابلي، إلا أنه يظهر أنها لم تكن حاسمة بدليل أن الملك لم يخلد ذكرى خاتمتها وقد بادر بتحصين مدينته فأحاطها بسور من اللبن ثم عمل على التوسع ففي السنة الثالثة بني حائط كيبالبارو **Kibalbarrou** في ضاحية العاصمة. وفي السنة التاسعة ضم دلبات **Dilbat** (التي تبعد ٢٧ كيلو مترًا) وهي مركز إقليم خصب يضمن تموين العاصمة. وقد اعترفت سيبار بسيادته عليها لأن اسم الملك البابلي وارد في نص القسم. ولكنها ظلت تتمتع إلى حد ما بالاستقلال: فلها ملوكها ولها تقويمها ولها تقاليدها القضائية. وقد قاومت كيش مدى ثماني سنوات فاضطر سوموابوم إلى التحالف مع ملك لارسا لكي يخضعها. وفي السنة العاشرة ثبت سيادته عليها بإهداء تاج إلى الإله انوم **Anoum**، ثم وجه جهوده نحو الشرق وهاجم كازاللو التي كان قد حاربها سومو ايلوم (عام ٢٢٢٤) واكتسحها (٢٢١٤) ثم مات بعد سنتين وخلفه سومولا ايلوم– **Somou la-illoum** (٢٢١١– ٢١٧٦) فاستعادت كيش قسطًا من الاستقلال.

ويشير نص لاشدوني اريم **Ashdouni-eirm** خصم سوموابوم إلى حرب استغرقت ثماني سنوات ضد "الأقاليم الأربعة" وأنه لم يبق لدى ملك كيش في العام الثامن سوى ثلاثمائة محارب ولكنه استرد السيادة –كما يذكر– في خلال أربعين يومًا بعد أن حارب على مسيرة يوم –وهي مسافة تعادل ما بين كيش وبابل– وذلك بفضل معونة آلهته زابابا **Zababa** وعشتار **Ishtar**.

وفي عهد ماناما **Manama** (٢٢١٢) كان يؤدي اليمين باسم هذا الأمير وليس باسم سوموابوم. وتحمل بعض اللوحات تواريخ بابل المعهودة على حين لوحات أخرى التواريخ المحلية. وبعد ماناما أتى سومو ديتانا **Soumou- ditana** وياويوم **Iawioum** الذي أخذ المدينة في عهده واكتسحها سومولا ايلوم **Soumou- la- iloom** (٢٢٠٠)

وشق سومولا ايلوم قناة شاماش هيجاللو Shamash- hegallou في عامه الأول وبني حائط بابل العظيم (٢٢٠٨) وأقام معبد اداد Adad (٢٢٠٥) وحفر في العام السابق لتخريب كيش قناة أخرى أطلق عليها اسمه وفي عام ٢١٩٥ ثار يازير الال Iazir-el الكازاللوي وانطلق نحو بابل واستدرج كيش نحو النزاع وقد استولى على المدينة الأخيرة في العام التالي فقوضت أسوارها، كما دكت حوائط كازاللو (٢١٩٣) وهزم جيشها وتمكن يازير إلى أن ينجو بجلده ولم يكن في الاستطاعة القبض عليه وقتله حتى عام ٢١٨٨ وتخلد السنوات الثانية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون من الحكم ذكرى الأحداث الدينية من تزيين عرش مردوك Mardouk بالذهب والفضة ومن تماثيل لزاربانيتون Zarpanitoum وعشتار Ishtar. ونانا Nana. وجعل ملك بابل من نفسه سيدًا على كوثا Koutha (٢١٨٥) ورمم حوائطها ووضع في نفس العام أقدامه في سومير واستولى على دورزاكار Dourzakar أحد حصون نيبور. ومات بعد حكم استمر مدى ستة وثلاثين عامًا تاركًا لابنه زبيوم Zabioum (٢١٧٥– ٢١٦٢) ملكًا يضم كل إقليم أكد تحرس حدوده الجنوبية أربع قلاع وكذا إقليم دورزاكار في سومير.

ولم يسع زبيوم على ما يظهر في توسيع دولته ولسنا نعرف سوى حملة حربية واحدة قام بها وجهت ضد كازاللو التي كانت قد رممت فحطم أسوارها من جديد (٢١٦٥) وقد اهتم بإعادة بناء المعابد وأقام تمثالًا برونزيًا لنفسه في اي ببار E-babbar في سيبار (٢١٦٤) وشق قناة وحصن كارشماش Karshamash. وقد رمم ابيل سن Abil sin (٢١٦١– ٢١٤٤) حوائط بابل وشيد المعابد وحفر القنوات وقدم عرشًا ثمينًا إلى شماش.

وقد استعاد سن آدينام Sin-idinnam ملك لارسا (٢١٨١– ٢١٧٦) بن وخليفة نوراداد Nour-adad (٢١٩٧– ٢١٨٢) من زامبيا Zambia الملك الثاني عشر لايسين لقب ملك سومير وأكد واستغل السنوات الست التي حكم خلالها في تشييد التحصينات وفي تأمين وسائل الري ببلاده.

أما أخلافه سن اريبام Sin eribam (٢١٧٦– ٢١٧٤) وسن ايقيشام Sin-iqisham (٢١٧٣– ٢١٦٩) وتسيللي اداد Tsilli adad (٢١٦٨) فيمرون عبر صفحات التاريخ دون أن يتركوا أثرًا ما وأغلب الظن أن تسيللي اداد خلع... خلعه موتى ابال Mouti-abal ملك كازاللو الذي هاجم بعد ذلك ادا (والد) ايموتبال Emouti-abal كودور مابوج Koudour Maboug بن سمتي شلهاك Simiti shilhak وقد مزق جيش كازاللو وقنع كودور مابوج بأن يضيف إلى لقبه ك"ادا ايموتبال" لقب "ادا الغرب" وأمر بالاعتراف بابنه وارادسن Warad sin ملكًا على لارسا (٢١٦٧) في أيام زابيوم ملك بابل.

ثم تبدأ حرب أجناس تستمر أكثر من سبعين عامًا وكان الصراع من أجل سهل سومير الغني الذي جهد العيلاميون في تملكه. وبعد خمسة وثلاثين عامًا يرى ريمسين Rim sin الملك العيلامي الثاني "للارسا" وقد حطم ايسين وقضى على استقلالها (٢١٣٢) ولكن يقوم في طريقه ملك بابل. وفي ٢٠٩٥ يهزمه حمورابي Hammourabi ثم يسقط في يده في العام التالي.

وفي عام ٢١٣١ أشهر سن موبالليت Sinmouballit (٢١٤٣– ٢١٢٤) خليفة ابيل سن Abil sin حربًا ضد جيش أورو لارسا وكانت ايسين قد فقدت ملكها وأن ظلت تحتفظ بقسط من الاستقلال غير وطيد بين متنافسين لم يكن أحدهما أقوى من الآخر بحيث يستطيع الاحتفاظ بها. وقد تفاخر ملك بابل بعد ذلك بسنوات ثلاث (٢١٢٨) بأنه استولى على المدينة. وفي العالم التالي استطاع ريمسين Rim sin "في يوم واحد" أن يستولى على دونتوم Dounnoum "المدينة الرئيسية في ايسين" ربما عن طريق عنصر المفاجأة وأسر محاربيها وأن استنفذ المواطنين. وسرعان (٢١٢٦) ما انضمت ايسين إلى دولة لارسا. ومات سن موبالليت عام ٢١٢٤ وقد قدر لابنه حمورابي (٢١٢٣– ٢٠٨١) أكثر ملوك بابل تألقًا والمؤسس الحقيقي لوحدة الإمبراطورية... قدر له لا أن يتابع سياسة أسلافه فحسب بل أن يجمع القوانين والقواعد القائمة على العرف ويعيد تنظيم إدارة العدل ويركز السلطة. ولقد سار أبعد

عما سار إليه دونجي ملك أور، إذ استطاع عن طريق ثورة دينية أن يقلل من عدد الآلهة عن طريق إرغام المعبودات المتنافسة على التكتل بل وأن يخلع انليل نيبور الذي استطاع أن يتمتع بالسيادة. منذ أزمان لا يستطاع تحديدها إرضاء لمردوك إله بابل. وقد استولى بعد خمس سنوات من ولايته للعرش (٢١١٨) على أوروك وايسين ولكنه لم يقض على أسرة لارسا إلا في عام ٢٠٩٥ حين أشهر الحرب ضد جيوش عيلام وهرب ريمسين **Rim-sin** إلى أرض ايموتبال التي كان قد جاء منها أبوه كودور بابوج ثم أخذ في العالم التالي أسيرًا. ولكن الحرب لم تكن قد انتهت فإن قوي اشنوناك **Assnounnak** اتحدت مع قوى ايموتبال وكان لابد من حملة حربية جديدة (٢٠٩٣) لإيقاع الهزيمة بهم. وبعد عشرين عامًا (٢٠٧٢). خلال حكم سامسو ايلونا **Samsouilouna** ظهر شخص ادعى أنه ريسين وآثار ايداماراز **Idamaraz** وايموتبال **Emoutbal** وأوروك وايسين، ولكنه لم يستطع تأسيس سلطة مستديمة. وقد اهتم حمورابي بمجرد وصوله للحكم بـ"إقرار العدالة" وعمل طوال عهده على جمع "قرارات الإنصاف" وأمر بنقشها على الحجر. والقانون الموحد الذي عثر عليه في سوسة ليس سوى واحد من هذه المجموعات التي نشرت بعد السنة الأربعين من حكمه. وبها أعلى الملك قواعد العرف المجددة والقوانين السومرية القديمة لتطبيقها على المجتمع الجديد الذي امتزج فيه العموريون بأهالي سومير وأكد الأقدمين. وقد سرد في مستهل "القانون الموحد" عدد معين من المدن الخاضعة لبابل التي امتد نفوذها من لاجاش واريدو بالقرب من الخليج الفارسي حتى آشور ونينوي وهما مدينتان من مدن آشور.



شكل (٦) الملك حمورابي أمام الإله شاباس

وكان الجنس السوميري قد كاد يزول ويتلاشى في الجنس السامي الذي كان عنصره الأكدي قد اكتسب دمًا جديدًا باستيطان العموريين. وكانت النقوش تكتب بالسوميرية رغم أن هذه اللغة أصبحت لغة ميتة لا تفهم بدون ترجمة إلا بصعوبة. ومع ذلك فقد بقيت مستعملة كلغة مقدسة في الشئون الدينية كما استر القضاء يستعمل النصوص التي كانت التقاليد قد وضعتها. وقد تفنن الكتبة في أن يضعوا بين السطور تراجم وقوائم علامات وكلمات ورسومًا تعبر عن الأشياء التي يقصدون ذكرها وجملا نسخت

بعد ذلك وتطورت حتى نهاية الإمبراطورية البابلية الجديدة، بل حتى في عهد السلوقيين **Selencides**.

وقد عرف حمورابي كيف يستغل هذا الانحطاط في سومير لدعم نفوذه فنبتت في ذهنه فكرة تعديل هذا التراث القديم في وضع جديد يتفق والظروف السياسية الجديدة وهكذا فإن مردوك إله بابل الذي كان فيما سلف إلها من الدرجة الثانية –وهو ابن انكي **Enki** إله اريدو– تبوأ مركز الصدارة عن جدارة وجعل مجمع الآلهة العظام يمنحه النفوذ السامي الذي كان للإله الأعظم أنو **Anou** وهكذا حلت بابل العاصمة السياسية محل نيبور وأصبحت –بغير منافس– العاصمة الدينية التي يلتمسها الآشوريون في تقاليدهم الدينية.

وقد جد حمورابي في تنمية التجارة مع الغرب أي مع أقاليم البحر الأبيض المتوسط التي كانت تقصد منذ البداية ليجلب منها الحجر والمعادن وأنواع الأخشاب العطرية التي لا وجود لها إطلاقًا في السهول المنخفضة لدجلة والفرات والتي استوطنها هؤلاء الساميون الغربيون الذين يعتبر هو وعشيرته من سلالتهم. وكذلك شق القنوات داخل مملكته بقصد تيسير التبادل وزيادة الأراضي الزراعية. وتدل الرسائل التي تبادلها مع حكام المدن أنه ركز في يده الشئون الإدارية وأنه عنى مباشرة بإدارة الشئون القضائية وبمشروعات المنافع العامة وكذلك بتنمية أملاكه الخاصة وصيانة قطعانه العديدة.

وقد أثبتت الحفائر أنه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل تلك القواعد التي صمدت واتبعت حتى نهاية عهد الإمبراطورية البابلية الجديدة رغم الثورات وعهود الاحتلال الأجنبي. ويغطي مدنية عهد حمورابي القصر وتل عمران بن علي والمركز. وكان يوجد في المنطقة الواقعة إلى شمال المركز حي خاص بنيت بيوته باللبن المقام على أساس من الآجر وهي الطريقة التي اتبعت دائمًا بعد ذلك في البناء. وقد كان جزء من هذا الحي تحت مستوي الماء الحالي والجزء الآخر فوقه. وتدل ضيقة كثيفة من الرماد أن هذا الحي دمره حريق ربما شب وقت الغزو الحبشي. وكان معبد عشتار في أجادة محاصرًا بالبيوت من كل جانب وكانت الطرق الكبيرة الموازية جميعا للطريق

المقدس تتقاطع متعامدة مع طرق أخرى، في حين أن بيوت المدن السومیرية القديمة كانت مجمعة دون ترتيب كما أنه لم يكن للطرق اتجاه ثابت.

وقد اضطر حمورابي بعد تدمير ايسين وأسر ريم سين وحربه ضد أشنوناك وايموتبال (٢٠٩٣) إلى أن يتجه نحو الغرب ويهاجم ماري (٢٠٩٠) ويهدم أسوارها. وبعد سنتين حارب في الشمال قوات توروكو **Touroukkou** وكاكمو **Kakmou** وسوبارتو **Soubartou** وانتصر أخيرًا عام ٢٠٨٦ على جميع البلاد المعادية في سوبارتو.

وقد تابع سامسو ايلونا **Samaou-ilouna** (٢٠٨٠– ٢٠٤٣) التقاليد القويمة التي كان أبوه قد استنها فراقب – مثله– الموظفين بنشاط واهتم بالمشروعات العامة الكبيرة. وفي العام الثامن من عهده أظهر الكاسيون **Kassites** على الحدود الشرقية عداهم. والكاسيون شعب من المحتمل جدًا أن يكون من عنصر آري كان على ما يظهر ينتسب إلى الميتانيين **Mitanniens** الذين استقروا في شمال ميزوبوتاميا **Mesopotamie** فهزموا وردوا على أعقابهم، ولكنهم ما لبثوا أن تسبوا إلى داخل البلاد كفعلة وعمال وأقاموا بعد ثلاثة قرون –أي حوالي ١٧٦١– أسرة في بابل لم تندمج مع العنصر الأصلي. وفي الجنوب كونت رواسب النهرين منطقة مستنقعات غطى جزء منها بالقصي وزرع الجزء الآخر الأهلون ومنهم السومیري ومنهم الأكدي كما يستدل على ذلك من أسماء ملوكهم. ويغلب على الظن أنهم لجأوا جميعا إلى هذه المنطقة وقت تسرب العموريين. وقد سميت هذه الجهة "أرض البحر" وحكمها ايلوما ايلوم **Elouma-iloum** وتحدى ملك بابل. وقد واجه حملتين لم تنجحا بل يظهر بالعكس أن ملك أرض البحر أصبح منذ السنة الثلاثين من حكم سامسو ايلونا سيد نيبور حيث عثر على لوحة تحمل اسمه كما أن ملك بابل اضطر إلى إصلاح خط الحصون الذي كان سومولا ايلوم **Soumou la-iloum** قد أقامه على حدود أكد. وقد رد سامسو ايلونا في عام ٣٦ هجمة قامت بها عصابات عمورية محاولة الاستيطان في بابل ومع ذلك فإن الاتصال بالأقاليم الغربية كان ميسرًا في أغلب الأحايين: فقد استحضر قبل ذلك بعشرة أعوام كتلة حجرية ضخمة من جبل عامورو الكبير.

وقد ورد في مصدر لاحق لهذا العهد أن ابيشو Abeshou (٢٠٤٢– ٢٠١٥) ابن وخليفة سامسو ايلونا جدد الحرب ضد ايلوما ايلوم وحول مجرى مياه دجلة، حتى يستطيع الوصول إلى عدوه ولكنه لم يستطع القبض عليه وشيد بالقرب من دجلة حصن دور ابيشو Daor Abeshou وبني مدينة لوكايا Loukaia على قناة اراهتو Arahtou في ضواحي بابل. وجمل عاصمته بمعابد جديدة: كرس أحدها إلى انليل نيبور وربما كان ذلك بقصد تدعيم إدعاء الملك بشأن حقوقه على العاصمة الدينية القديمة التي سقطت في أيدي رجال "أرض البحر" وأقام معبدًا ثانيًا تمجيدًا لنانار على نمط معبد أور الكبير. وقد وضعت على الأقل خمسة تماثيل للملك في هياكل الآلهة كما جدد تمثال ايشاكو لاجاش القديم "انتمينا" الذي كان له كذلك هيكل في بابل. وهما يجدر بالذكر أن؟ إله نفسه كما فعل أسلافه من قبل منذ الاستيلاء على نيبور... ألم تنتقل السيادة العظمى من انليل إلى ماردوك؟ أو لم يرث ملك بابل كل المزايا التي يتمتع بها فيما مضى كبير ايشاكو انليل؟ لقد ظل النظام السياسي والاجتماعي الذي وضعه حمورابي قائمًا. ورغم ضياع جزء كبير من سومير والقلق القائم من جراء تهديد أرض البحر المستمر أمكن الإبقاء على العلاقات الطيبة مع عيلام وسوريا وظل التبادل التجاري مزدهرًا معهما.

وأخذ اميديتانا Ammiditana (٢٠١٤– ١٩٧٨) في تنفيذ مشروعات عظمى متصلة بالمنافع العامة: قناة اميديتانا وقلاع وأسوار وقصور في ضواحي بابل على ضفاف الاراهتو. وحارب أرض البحر واسترد نيبور وايسين التي حطم أسوارها (عام ٣٦) وبعد عامين اعتلى اميزا دوجا Ammizadouga (١٩٧٧– ١٩٥٧) العرش وفي السنة التاسعة وقع في نزاع مع جيرانه وفي السنة العاشرة بني قلعة "دور أميزادوجا" على ضفاف الفرات. وفي السنة الخامسة عشرة شق قناة. وهناك إشارات في أخريات عهده وفي عهد سامسوديتانا Samaou- ditana (١٩٥٦– ١٩٢٦) تشير إلى صراع حربي. واختفت الأسرة تحت ضغط الغربيين وطبقا لما جاء بملونات بابل الجديدة نجد أن الحيثيين الذين كانوا يقطنون آسيا الصغرى وكانت لهم منذ عدة قرون علاقات

بسومير وأكد ينزلون من جبالهم ويتبعون مجرى الفرات ويكتسحون بابل حيث عثر على أحد نقوشهم. وحمل ماردوك وزوجته زربانيتوم أسرى إلى بلاد هانا **Hana**[١]، حيث ازدهرت مملكة عمورية تأثرت تقاليدهما تأثرًا كبيرًا بالمدينة البابلية.

ولقد باشر ملوك أرض البحر سلطة غير مستقرة ولا ثابتة على إقليم أكد مدى قرن ونصف من الزمان (١٩٢٥– ١٧٦٢ تقريبًا) وحين أحس الكاسيون **Kassites** بأنفسهم على درجة من القوة استولوا على السلطة وسمي جانداش **Gandash** (حوالي ١٧٦١– ١٧٤٦) مؤسس الأسرة الثالثة نفسه ملك بابل وملك الأقاليم الأربعة وملك سومير وأكد. ورمم معبد مردوك الذي لم يكن الإله هوجودا به. وحكم ابنه أجوم الأول **Agoum 1** مدى ٢٢ عامًا (حوالي ١٧٤٥– ١٧٢٤) وخلفه ابنه كاشتلياش الأول **Kashtiliesh 1** (١٧٢٣– ١٧٠٢) وغزا ابن آخر له هو أوامبورياش **Ouambouriash** أرض البحر، التي كان آخر ملوكها أيا جميل **Ea-gamil** قد قاد حملة ضد عيلام. وكان من الضروري فيما بعد أن يغزي هذا الإقليم وقد قام بذلك أجوم وهو ابن أصغر من أولاد كاشتلياش الأول بينما كان أخوه الأكبر اوشي **Oushshi** يتربع على عرش بابل وكان خلفاء هذا الأخير أخوه الثاني ابيراتاش **Abirattash** وتاشيجورروماش **Tashshigouroumash** بن ابيراتاش وأجوم كاكيرمه **Agoumkakrime** بن تاشيجورروماش وكان من حظ أجوم الحسن أنه استعاد تماثيل مردوك وزربانيتوم وأعادها ثانية في احتفال إلى الـ"ايزاجيل **Esagil**" المرمم والمزين. وكان الذهب وكانت الأحجار الكريمة وأندر الأخشاب تتنافس في تزيين الهياكل وفي صنع التماثيل والشارات. وأعيد تنظيم الكهانة ودعمت العبادة وأعفيت ممتلكات الآلهة من كل الضرائب. ومد أجوم نفوذه شرقًا على بادان **Padan** وألمان **Alman** وجوتيوم واشنوناك.

وخلال قرن ونصف لا نعلم شيئًا عن تاريخ بابل خلا أن ثمانية من الملوك خلف

---

(١) العاصمة ترقا **Tirqa** تل إشارة **Ishera** بين دير الزور والصالحية.

الواحد منهم الآخر على العرش وأن من بينهم كوريجالزو الأول ومليشيباك الأول **Melishipak 1**.

وإن نحن حاولنا أن نلتقط خيط الأحداث مرة أخرى فإننا نعثر على المستندات المعاصرة بعيدًا عن خرائب بابل فلقد سلطت عليها الأضواء صدفة الكشف في مصر، في تل العمارنة، عن موقع مدينة أخت آتون التي أنشأها امنوفيس الرابع والذي نقل إليها المحفوظات الدبلوماسية الخاصة بأبيه وبه. ولقد استخرجت من هناك مراسلات هذين الملكين مع أمراء سوريا وملوك الحيثيين وميتاني وآشور وبابل. وقد كتبت على لوحات طينية في حروف مسمارية بالبابلية أو بلهجة قريبة منها جدًا. ولقد كان تأثير سومير وأكد على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى وقد استقر وتطور منذ حملات سرجون الأجادي منذ أربعة عشر قرنًا خلت.

ومن بين كتب تل العمارنة نجد أحد عشر كتابًا تخص الشئون البابلية مباشرة. ونحن نعرف منها أن العلاقات كانت قائمة بين البلدين منذ حكم تحتمس الثالث في مصر وكان كارانداش الأول **Karaindash 1** الملك السادس عشر من الأسرة الكاسية (حوالي ١٤٢٥) يتراسل مع امنوفيس الثالث. وكان خلفه الثاني كادشمان الليل الأول **Kadashman Ellil 1** على خير علاقة مع البلاط المصري وقد دخلت إحدى أخواته إلى حريم فرعون. وقد كان ذلك حين حاولت كنعان (جنوب سوريا) وعمور (شمال سوريا) الخاضعة لمصر أن ترفعا النير، وذلك بتحريض شوبيللوليوما **Shoubbiloulioum**a ملك الحيثيين، وكان قد عبر الفرات واكتسح شمال ميتاني ثم نزل فيما بعد إلى عمور وأخذ منها أسلابًا ضخمة، وعند ولاية أمنوفيس الرابع للعرش أرسل تحياته إلى فرعون ولكن حين قدم عزيزو الأمير السوري ولاءه إلى مصر احتل عمور واستطاع عن طريق معاهدة أن يثبت الاعتراف بسلطانه عليها.

وكان موقف بابل من هذه الانقلابات السياسية موقف غير المكترث إذ كان كل ما يهمها سلامة الطرق التي يسلكها تجارها. وحين أصبح رعاياها ضحايا للسرقات والقتل في كنعان ألقى ملك بابل المسئولية على ملك مصر: "كنعان أرضك.. ملوكها مواليك"

بل وأكثر من ذلك: حين حاولت كنعان أن ترفع النير رفض كوريجالزو الثاني أن يساعدها في ثورتها ولكن مصر كانت من الناحية الأخرى تشجع آشور ضد بابل وشكا بورنابورياش الثاني **Bournabouriash** (حوالي ١٣٧٥) من أن أمنوفيس الرابع استقبل سفارة من الآشوريين كان يدعي أنهم رعاياه هو. وقد ذكر نفس الملك فرعون أن أبويهما كانا يتبادلان الهدايا المتعددة وهو نفسه كان قد تلقى ٢ "مينة"[1] من الذهب وكتب "أرسل لي ذهبًا كثيرًا... بقدر ما كان يرسله أبوك" ووعد أن يرد بدلًا منه كل ما يطلبه العاهل المصري من منتجات بلاده. والواقع أنه في نفس اليوم الذي اعترض فيه ضد قطاع الطرق في كنعان نراه يؤيد دعواه بهدية هامة هي: ثلاث مينات من اللازورد وخمسة خيول مقطورة وخمس عربات.

وكان كارا انداش الأول **Kara- indash 1** (حوالي ١٤٢٥) قد عقد اتفاقية مع اشوررم نيشيشو **Ashour- rim- nisheshou**، الأشوري بشأن حدودهما المشتركة. وقام بورنابورياش وأشور أو باليت باتفاق مثل ذلك. وتزوج بورنابورياش فيما بعد من موبلليت شرووا **Mouballit- Sheroua** ابنة أشور أو باليت. وقد ذبح ابن بورنابورياش حفيد آشور أوباليت... ذبحه حزب الكاسيين وربما كان ذلك بسبب علاقاته بأشور ووضع مكانه المدعو نازيبوجاش **Nazibougash**.

وغزا ملك أشور بلاد بابل ووضع حفيدًا آخر له هو كوريجالزو الثالث على عرشها (١٣٥٧- ١٣٣٥) وقاد كوريجالزو حملة موفقة ضد عيلام ووجه جيوشه المنتصرة نحو سوسة وهناك استولي -كرمز للنصر- على لوحة من العقيق كان قد كرسها من قبل ذلك أحد الايشاكوات إلى الآلهة ني **Ninni** من أجل بقاء دونجي ملك أور ونقلها معه وقدمها إلى ننليل نيبور. وكان هورباتيلا **Hourpatila** ملك عيلام قد أرسل إليه تحدياً قائلاً! لندخل في معركة... أنت وأنا!" وحالف الحظ البابلي إذ استطاع أن يقبض بيده

---

(١) الوزنة= ٦٠ مينة والمينة= ٦٠ شاقل ووزن المينة الذهبية يتراوح بين ٤٠٠ و٨٠٠جم- (المترجم).

على خصمه ويأسره. وقد استطاع كوريجالزو بعد موت جده أشور أو بالليت أن يهاجم أشور ولكنه هزم عند سوجاجي **Sougagi** على الزلزلات **Zalzallat** ... هزمه "الليل نيرارى" **Ellil Nirari** الذي اضطره إلى أن يوافق على تعديل في الحدود. وهزم ابنه نازي ماروتاش **Nazi Msrouttash** (حوالي ١٣٣٤– ١٣٠٩) عند كار عشتار **Kar- isbtar** واضطر إلى أن يتنازل عن إقليم واقع إلى شرق دجلة. وقد خلف كادشان تورجو **Kadashman- tourgou** (حوالي ١٣٠٨–١٢٩٢)– كما فعل أبوه من قبل– نقوشاً عديدة في نيبور. وعند وفاته كتب الملك الحيثي حاتوسيل **Hattousil** يقول أنه سينقض التحالف مع بابل ما لم يعلن كادشان الليل الصغير ملكاً (١٢٩١–١٢٨٦) فاعترض كبير الوزراء "اتى مردوك بالاتو" **Itti- msrdouk- balâtou** قائلاً: "إن نغمة خطابك ليست نغمة خطاب حليف بل سيد" وظلت العلائق بين البندين مقطوعة حتى بلغ الأمير سن الرشد. وكان الحيثيوان إذ ذاك قد فقدوا كنعان التي استردها سيتي الأول من مورسيل **Moursil** بن شوبيلوليوها وإن كانوا قد ظلوا يحتفظون بعمور التي كان على رمسيس الثاني أن يأخذها في معركة قادش، وكانت نتيجة المعركة حلفاً دفاعياً هجومياً بين الحيثيين ومصر.

وقد نقش النص البابلي على لوحة من الغضة عثر على نسخة منه بين أطلال حاتي مصحوبة بالنسخة الأصلية للخطاب الذي يطلعنا على معلومات خاصة بعلاقات حاتوسيل بكادشمان الليل، وبينما كانت عمور تحت نفوذ الحيثيين نرى أن بعض التجار البابليين الذين يتقدمون في قوافلهم نحو عمور وأوجاريت **Ougarit** وهي مدينة فينيتية ينكل بهم. فطلب كادشمان الليل من حاتوسيل أن ينفذ العقوبة في المعتدين. وقد اتهم أمير عموري كذلك بإثارة الفتنة في بابل ندعا جاتوسيل مراسله أن يحقق الأمر بنفسه. وكان على المتهم أن يثبت براءته عن طريق قسم يؤديه أمام الآلهة بحضرة السفير البابلي. وقد حرص حاتوسيل على أن نظل علاقاته ودية والح على ملك بابل أن يهاجم العدو المشترك الذي لم يذكر اسمه لسوء الحظ، وقد دفعت شهرة بابل في العلوم الأمراء الأجانب إلى استدعاء الأطباء والسحرة الذين يطردون الأرواح الشريرة

والكتاب إلى بلاطهم. وقد طلب موتاللو Moutallou شقيق حاتوسيل وسلفه خدمات طبيب وساحر ولكنهما لم يرجعا إلى بلدهما والتمس "كادشمان الليل" عودتهما وكان الرد أن الساحر قد مات وأن الأوامر ستصدر للطبيب بالعودة.

وقد خلف كادشمان الليل الثاني ابنه كودور الليل Koudour Ellil (حوالي ١٢٨٥- ١٢٧٧) ثم حفيده شاجاراكتي شورياش Shagarakti Shouriash (حوالي ١٢٧٦-١٢٦٤) وابن حفيده الأكبر كاشتلياش الثالث (حوالي ١٢٦٣-١٢٥٦) وقد هزم الأخير- هزمه ملك أشور توكولتي اينورنا الأول Toukoulti Inourta 1 الذي أسره وأحضره مكبلاً بالأغلال إلى حضرة الآله أشور. وقد دكت حوائط بابل وقتل الدافعون وعنها بالسيف وحملت كنوز الايزاجيل Esagu وغنائم المدينة إلى أشور. وحتى موردوك نفسه حمل أسيراً. ومات ملك أشور خلال الثورة. فانتهزت بابل الفرصة محاولة الإفادة منها باستعادة قسط من استقلالها وتبع ملكان الواحد منهما الآخر هناك خلال ثلاث سنوات هما الليل نادين شوم Ellil- nadin-ahoum وكادشمان ماربي الثاني Kadashman Harbe II وهاجم الأول "كيدين هوتروتاش Kidlp-houtroutash" ملك عيلام الذي كان قد انتهز فرصة نجاح الأشوريين فاكتسح دير Der ونيبور واضطره إلى التراجع وراء حدوده. واستطاع أداد شوم أوتنسور Adad Shoum outsoqr (حوالي ١٢٤٦- ١٢١٧) الذي خلف أداد شوم أدين Adad-ahoum- iddin (حوالي ١٢٥٢-١٢٤٧) استرداد تمثال مردوك من ملك أشور وربما كذلك ختم شاجاراكتي شورياش الذي سيجده فيما بعد سناخريب Sennachérib ضمن كنوز بابل. وحين تمكن الأشوريون الذين ثاروا ضد ملكهم الذي ذهب إلى بابل من طرد أشور شوم ليشير Ashour-shoum- lishir الوصى على المملكة والتمسوا تسليم ملكهم رفض ذلك أداد عموم أوتسور، بل إنه هاجم الملك الجديد وهزمه وذبحه في معركة ثم طارد العدو إلى أسوار أشور وحاصر المدينة ولكنه فشل في اخضاعها.

وانتقل عرش بابل من الأب إلى الابن عن طريق ميليشيباك الثاني Méli-shipak

II (حوالي ١٢١٦-١٢٠٢) ثم مردوك أبال ادين الأول **Mardouk- apal-iddin I** (حوالي ١٢٠١-١١٨٩) ثم زابابا شوم أدين **Zababa-shoum-iddin** وقد هوجم الأخير... هاجمه أشور دان الأول **Ishour- dân I** الأشوري الذي استولى على زابان **Zaban** وابريا **Irrla** وآكارسالّلو **Akaraallou** وحمل معه غنائم واقرة. وفي نفس العام غزا شوتروك ناهونتي **Shoutrouk-nahounté**. ملك عيلام بلاد بابل وهزم وذبح "زبابا شوم أدين" واستطاع هو وابنه أن يكتسحا سيبار ومائة مدينة وقرية أخرى. وحمل معه إلى بلاده عدداً من الآثار التي عثر عليها في خرائب سوسه: هي لوحات (شواهد) من سرجون ونارام سن ومسنة مانيشتوسو **Manishtousou** وقانون حمورابي و"الكودورات" **Koudourrous** الكاسية... الخ وحكم الليل نادين أهي **Ellil- nadin-schi** الملك السادس والثلاثون وآخر ملوك الأسرة الكاسية مدى ثلاث سنوات (١١٨٧-١١٨٥).

وقد شغلت الأسرة الكاسية عرش بابل مدى ٥٧٦ عاماً وأدخلوا استعمال الحصان ولم يكن كثير الانتشار في السهل من قبل. وقد غيروا طريقة حساب السنين ومنذ عصرهم نجد أن كل سنة لم تعد تسمى بصيغة معقدة تنتسب بها إلى حادث معاصر معين بل ترتب بالنسبة ليحكم كل ملك وهي عادة ظل معمولاً بها حتى سقوط الامبراطورية البابلية. ولم تعد السلطة الملكية قوية قوة تكفي لتأمين حماية الممتلكات الخاصة فالتمس عون الدين وهكذا أصبح الناس لا يكتفون بحجج الملكية بل أقيمت أحجار عليها رموز دينية على الأملاك الكبيرة التي كان الملك يمنحها للأمراء والرعايا الذين يرغب في مكافأتهم عن خدماتهم. كما سجل على هذه الأحجار تاريخ الملكية وكذا اللعنات على من يغير أو يحرك الأثر المنقوش عليه.

ومن المحتمل أن يكون شوتروك ناهوتي- بعد سقوط زبابا شوم أدين- قد أعلن نفسه ملكاً لبابل. ولكن القوائم الملكية تذكر اسم ايلليل نادين أهي الكاسي كما تذكر من بعده الأسرة الرابعة المسماة أسرة باشيه **Pashé** التي ظل ملوكها الأحد عشر على العرش مدى ٢-١ ١٣٢ سنة وقد رفع اينورتا نادين شومي **Inourta-nadin-**

shoumi ثاني ملوك هذه الأسرة النير الضلامي كما اضطر ثالثهم نابوخودوروسر الأول Nabouchodrosor 1 (حوالي ١١٤٠) أن يعاود الصراع. وقد هزمه في بادئ الأمر ملك عيلام في دورابيل سن Dour-apil- sin ولكنه استطاع أن يسترد كل أراضيه بل سار إلى أبعد من هذا فتابع الحرب إلى ما وراء حدوده. وفتح لوللومو Loullonmou في الإقليم الجبلي الواقع شرق بابل وقام بغارة نحو الغرب اتخذ لنفسه على أثرها لقب "فاتح عمور".

وقد حاول أشور ريش ايشي Ashour-rise- ishi ملك أشور القيام بغزوة ولكن نابو خودوروسر وده وحاصر قلعة زانكي Zankl الواقعة على الحدود إلا أنه اضطر إلى الانسحاب وحرق العدو عقاره ثم عاود الهجوم ولكنه هزم واستولى على معسكره وأسر القائد الأعلى وسقطت أربعون عربة من عرباته في أيدي الآشوريين. وقد احتل ايليل نادين ايلي Ellil- nadin-apli. (حوالي ١١٢٠) بن نابو خودورومسور، كل بلاد بابل، لأنه أهدى أرضاً واقعة في منطقة ادينا Edina إلى أرض البحر.

وقد اشتبك تجلاث فالاسار الأول Téglath-phalsar I الأشوري مرتين مع ملك بابل ففي المعركة الأولى– ومن المحتمل أن خصمه في الصراع الأول كان ماردوك نادين أهي (حوالي ١١١٠)– أخذ البابلي معه في الأسر تماثيل أداد Adad– وشالا Shala من معبودات ايكاللاتا Ekallaté التي سيعثر عليها فيما بعد سناخريب في هيكل من هياكل بابل عام ٦٨٩ أما في المعركة الثانية فقد استولى الآشوري على بابل ودور كوريجالزو وسيجار وأوبيس ولكنه لم يستقر بها. وقد أنهى أشوربل كالا Ashour-bâl-kala بن تجلاث فالاسار هذا الصراع الذي استمر مستعراً دون توقف خلال ثلاثة قرون تقريباً بين البلدين وكان على أطيب صلة مع مردوك شابيك زر ماثيم Mardouk-shapik-zér-maim خليفة ماردوك نادين أهي. وتبع ذلك عهد ازدهار في بابل: فأعيد بناء أسوارها ووسع معبد ماردوك.

وقد أسدلت الستار على عهد ماردوك شابيك زرماثيم ثورة قام بها رعاياه وزوج الأرامي أداد أبال أدين Adad-apal-iddin الذي أعتلى العرش ابنته من ملكأك

أشور. وسياد السلام– أو قل التهاون– خلال فترة تزيد على نصف قرن، وقد كانت سومير وأكد خلال هذه الفترة فريسة لسومتيين **Soutéens**. وهم أراميون شبه رجل حطوا على صفة الفرات اليمنى واتخذوها مركزاً للإغارة على المدن ومعابدها وسلب ما بها فخربوا مثلاً هيكل شماماش في سيبار ولم تقم فيه الشعائر الدينية إل في عهد شيماش شيباك **Shimmash shipak** (١٠٥٢–١٠٣٥) الذي جاء من أرض البحر وأسس الأسرة الخامسة ومات بحد السيف بعد حكم دام ثماني عشرة سنة ولم يعبر أياً موكين شومي **Ea-moukin-shoumi** المغتصب سوى بضعة شهور. ولا نرى خلال السنوات الثلاث التي حكم خلالها كاشو نادين أهي **Kashshou-nadin-ahé** سوى الحروب الأهلية والخارجية والمجاعة. أما في سيبار فلم يعد من المستطاع إقامة الشعائر الدينية لشماش كما اختفت المؤسسات وأهمل العمل بالقوانين.

وقد دامت الأسرة التالية، وهي الأسرة السادسة، عشرين عاماً وثلاثة شهور (حوالي ١٠٣١– ١٠٢٢) اعتلى العرش خلالها ثلاثة ملوك وكانت عهد خراب وبؤس وعواصف وفيضانات. وقد كون العيلامي ماربيتي أيال أو تسور **Mâr- biti-apal-outsour** بمفرده الأسرة السابعة وظل على العرش ست سنوات (١٠١١–١٠٠٦).

وأنشأ نابوموكين ايلي **Nabou-moukin-apll** (حوالي ١٠٠٥– ٩٧٠) الأسرة الثامنة ولدينا صورة منه على كودورو، وجمعت خلال حكمه مجموعة من التنبؤات وظلت محتفظاً بها، وقد أخذت القبائل الأرامية فيما وراء الفرات تتحرك وتسبب المتاعب لبابل حتى إن نابو **Nabou** في العام السابع لم يستطع الحضور من بورسيا **Borsippa** إلى بابل لمناسبة احتفالات رأس السنة– كما أن البابليين قد اضطروا أكثر من مرة خلال حكمه بل ولعدة سنوات متتالية إلى العدول عن هذه الحفلات الدينية التي كانت لهم عندهم أهمية كبيرة.

أما شاماش موداماتي (حوالي٩١٠) **Shamash-moudammaq** الخليفة الثالث لنابوموكين أبلي فقد هزمه أداد نيراري الأشوري وفقد فرسانه وعرباته وقتله نبوشوم

أوكين **Nabou-ahoum Oukin** واستولى على السلطة.

وغزا أداد نيراري بلاد بابل واستولى على عدة مدن وعلى غنيمة ضخمة. وبعد فترة عقد الأميران صلحاً وحدداً أراضي مملكتيهما وتبادلا بناتهما عن طريق الزواج.



شكل (٧) لوحة نابو ليلا سين (المتحف البريطاني)

وقد خشى "نابو أبلا أدين **Nabou- apla-Iddin**" بن "نبو لوم أوكين" أن يسد عليه أشور ناتسير أبلا الثاني **Aahour-nâtsir-apla II** أسواق سوريا (التجارية) فتحالف مع أوامبي سومي **Souhi** (٨٧٩) تحت ملتقى نهري مابور **Habour** وأرسل لهم جنداً ولكن أخاه تسابدانو **Tsabdanou** والقائد بل أبلا أدين **Bél-apla-iddin** وثلاثة آلاف رجل وقعوا في قبضة العدو واضطر ملك بابل إلى أن يعقد الصلح مع أشور ولم يكن يسعه منذ ذلك الوقت إلا أن يكرس جهوده لإصلاح خرائب بلاده. وتشير إحدى اللوحات الحجرية إلى الأعمال التي قام بها في معبد شاماش وإلى إعادة العبادة في العام الحادي والثلاثين من حكمه وقد ظهر في الصورة يقوده كاهن ومصحوباً

بالآلهة أيا **Ala** إلى حيث يجلس الآله في هيكله[١].

وأهدى مردوك زاكير شوم **Mardouk-azkir-shoum** بن وخليفة نابو أبلا أدين غلى ماردوك اسطوانة من اللازورد بها صورة محفورة وقد مثل الإله على هذا الـ"كونوكو" **Kounokkou** واقفاً ومعه التنين المقدس[٢].

وفي عام ٨٥٢ طلب وساطة سالمنصر الثالث **Salmansar III** ملك أشور ضد أخيه مردوك بل أوشاتيه **Mardouk-Bél-oushâté** الذي ثار وأعلن نفسه ملكاً مستقلاً على الأقاليم الشرقية فاكتسح سالمنصر الأراضي التي يحتلها "مردوك بل أوشاتيه" ثم قبض عليه في العام التالي وأمر بقتله. وأعلن ملك بابل خضوعه التام كما أن الأشوري أدى فروضه كملك إلى الآلهة في معابدهم في كوثا **Koutha** وبورسيبا وبابل وقدم لهم هدايا ثمينة ثم نزل إلى كلديا واستولى على قلعة **Bagâni** الواقعة على الحدود وتقبل خضوع أديني **Adinl** رئيسها وجاكين **Jakin** ملك أراضي البحر. وقد أمر أن تمثل هذه الموقعة بنقوش على برونز بلاوات **Balawat** يحضر له فيها الكلداليون الجزية: أوان وثيران وساريات "صوارم" للخيام.

ولكن بابل لم تكن لتسطيع السكوت طويلاً على هذا الخضوع فاعتزم شامشي أداد الخامس **Shamshi-adad V** بن سالمنصر القيام بحملة ضد ماردوك بالاتسو اقبي **Mardouk-balatsou-iqbi** الذي شكل اتحاداً من الكلدانيين والأراميين والعيلاميين ومحاربين من نامري **Namri** وقد قامت المعركة الكبرى في دور بابسوكال **Dour-papsoukal** واستولى الأشوريون على غنائم ضخمة ومن المحتمل أن يكون العرش قد ظل شاغر! فترة من الزمن بعد وفاة مردوك بلاتسى اقبي واستوطن بعض الأراميين أراضي بابل وبورسيبا الزراعية ولكن أربا مردوك **Erba-mardouk** من سلالة مردوك زاكير شوم قتلهم بحد السيف وأعاد الحقول والبساتين إلى أصحابها الشرعيين وأصبح

---

(١) شكل ٧.

(٢) شكل ١٣.

ملكاً وإن لم يستطع أن "يأخذ بيد بعل" **Bél** إلا في العام الثاني من حكمه. وهناك ملك آخر هو "باور أهيه أدين **Baou-ahé-iddin**" اقتاده أداد نيراري الثالث **Adad-Dirari III** إلى آشور واستولى على كنوزه. وتم الاستيلاء على البلد كله ونفيت الآلهة وتقبلت آلهة كوتا وبورسيبا وبابل قرابين الملك الأشوري الذي نزل حتى كلديا التي دفع له أمراؤها الجزية.

وإلى هنا ينتهي التاريخ المتوافق من الناحية الزمنية. ونحن لا نعرف شيئاً عن نهاية الأسرة الثامنة كما لا نعرف شيئاً كذلك عن بداية الأسرة التاسعة مدى ستين عاماً تقريباً؛ ولقد كانت السلطة المركزية ضعيفة في بابل وكان شاماش ريش أوتسور **Shamash-résh-outsour** حاكم ماري **Mari** وسومي **Souhi** على الفرات الأوسط يتصرف باسم ملك أشور كما لو كان مليكاً مستقلاً.

وفي عام ٧٤٨ بدأ عهد الملك نابو ناسار (نابو ناتسر) **Nabonasser (Nabou-natsir)** (٧٤٨– ٧٣٤) وهو تاريخ يعتبر نقطة البدء لقانون بطلميوس. وفي العام الثالث من عهده (٧٤٥) أعلن القائد الأشوري بولو **Poulou**– مثير إحدى الفتن العسكرية– نفسه ملكاً على أشور تحت اسم تجلاث فالأسار الثالث **Téglath-phalasar** وافتتح آخر فترة للتوسع، تلك الفترة التي ضمنت السلطان على بابل خلال مدة تربو على قرن من الزمان ولكنها انتهت في عام ٦١٢ بانهيار نينوي وخراب أشور نهائياً. ولم يضيع وقته هباء إذ أنه غزا بابل واضطر نابوناسار– حين ثارت عليه بورسيبا وسيبار– إلى الاعتراف بسيادته وخضعت له أهم المدن ونزل حتى ليبور وأعلن نفسه ملكاً على سومير وأكد.

ثم قتل نابو نادين زر **Nabou nadin Zér** (ابن نوباناسار) بعد أن تولى الحكم مدى عامين.. قتله نابو شوم أوكين **Nabou-shoum-oukin** الذي دام حكمه شهراً واثنى عشر يوماً وانتهت به الأسرة التاسعة.

***

وتضم الأسرة العاشرة أسماء ١٩ ملكاً من أصول مختلفة اعتلوا العرش فيما بين عامي ٧٣٢ و٦١٢ في العهد الذي كانت فيه بابل تكاد تكون كلها خاضعة لآشور. وقد نفى نابو أوكين زر Nabou-oukin-zér (٧٣٢-٧٣٠) نفاه تجلاث فالاسر Téglath phalsar الذي أصبح ملكاً تحت اسم بولو Poulou (٧٢٩-٧٢٧) وتلاه سالمنصر الخامس وأطلق على نفسه اسم أولولاي Ouloulai في بابل (٧٢٧-٧٢٢) وعند موته عين مروداخ بالدان الثاني (٧٢١-٧١٠) Mérodach Baladan II- وهو الملك الكلداني لبيت ياكين Bit-Jakin في أرض البحر الذي ذكر أنه من سلالة اربا مردوك Erba Mardouk أحد ملوك الأسرة الثامنة، عين حاكماً في بابل وادعى الحكم كملك. فتقدم سرجون الثاني الأشوري نحو أكد وقامت الحرب بينه وبين مروداخ بالادان الذي عاونه هومبانيجاش Houmbanigash ملك عيلام تحت أسوار دير Dér ولكنه هزم، وهكذا ظل مروداخ بالادان يحكم دون منازع مدى اثنى عشر عاماً في الوقت الذي كان فيه الملك الأشوري مشغولاً بالحروب في سوريا "أورارتو Ourartou ومع ذلك فلم يكن هذا عهد ازدهار بالنسبة لسكان أكد لأن أرضهم كانت قد قسمت بين الأجناد الكلدانيين والأراميين. ولذا فإنه لما عاد سرجون عام ٧١٠ بعد أن تغلب على المصريين والأورارتيين ليهاجم مروداخ بالادان هرب الأخير إلى الجنوب واصطحب معه أشراف بابل وسيبار ونيبور كرهائن، وعم السرور العاصمة لرحيل الطاغية ونظمت الأعياد تمجيداً للأشوري الذي نودى به "محرراً".

وفي يوم رأس السنة (٧٠٩) "أخذ سرجون بيد بعل Bél" وأصبح الحاكم الشرعي لبابل (٧٠٩-٧٠٥) وتقهقر مروداخ بالادان شيئاً فشيئاً إلى ناحية بيت ياكين تحت ضغط عدوه وهناك أطلق الفيضان أمام مطارديه ولكن الأشوري احتال حتى استطاع أن يجد ممراً فهرب مروداخ بالادان إلى عيلام على حين سحق البوكوديون Pouqoudéens والسرتيون Soutéens الذين كانوا قدموا لمعاونته. واجتيحت بيت ياكين وأنقذت الرهائن البابلية وأعيدت لهم حرياتهم. وأبعد سكان المدينة إلى مكان آخر وحل محلهم سجناء أسرى كان قد قبض عليهم في كوماجين Commagéne

وأصلح سارجون المدن ومعابدها: أور وأوروك وأريدو ولارسا وكيش [1] ووسع بابل وشيد رصيفاً غطاه بالأسفلت فيما بين بوابة عشتار والفرات. وكانت زاوية من هذا الرصيف بها برج دائري عثر عليه في شمال غرب القلعة وكان الحائطان المحيطان بها– وقد بناهما سرجون كذلك– يعاد اصلاحهما من وقت لآخر.

وتذكر رواية يونانية أن سرجون أمر بعرش بابل إلى أحد أبنائه ولما مات ميتة غير طبيعية عام ٧٠٥ كان سنتأخريبد الذي خلفه في أشور في صراع مع أرمينيا ولم يستطع التدخل في الشئون الأكدية. وطبقاً لما جاء بقائمة ملكية نجد أن عبداً استطاع أن يستحوذ على السلطة ويحتفظ بها مدى شهر. وعاد مروداخ بالادان بمساعدة هليوشو **Halloushou** ملك عيلام وحكم بضعة شهور وهزمه سناخريب تحت أسرار كيش ودخل العاصمة في غير عناء ثم اجتاح كلديا جميعاً وأبعد ٢٠٨٠٠٠ من سكانها إلى مكان آخر وعين "بعل ابني **Bél-ibni**" (٧٠٢–٧٠٠) الأمير البابلي الذي ربى في بلاط أشور... واليا– وبعد ثلاث سنوات تحالف مع مروداخ بالادان ودفع الأخير– الذي كان قد عاد إلى المستنقعات في أرض البحر– الكلداني موشزيب ماردوك **Moushézib-Mardouk** إلى أن يقوم بثورة وخلع بعل ابني... خلعه سناخريب ووضع ابنه أشورنادين شومي مكانه (٧٠٠–٦٩٤) وانسحب موشزيب ماردوك إلى المستنقعات وبعد أن حاول مروداخ بالادان المقامة حمل آلهته وقومه بحراً وبحث عن مكان يلجأ إليه في ناجيتي **Nagiti** على شاطئ عيلام وعول ملك أشور على مطاردته عبر البحر فبنى أسطولاً وعبر الخليج الفارسي وهاجم الكلدانيين في المكان الذي لجأوا إليه... فانقض ملك عيلام– الذي اغتصب واعتدى على أرضه– على بابل واجتاح سيبار وأخذ "أشور نادين شومي" أسيراً وأحل محله الكلداني "نرجال شزيب" **Nergal-shézib** (٦٩٤–٦٩٣) واتجه الأخير جنوباً ليسوق مرور الجيش الأشوري عند عودته من ناجيتي وقامت معركة كبيرة أسر فيها لرجال شزيب وحمل إلى أشور. وكان سناخريب يعتزم أن ينتهز فرصة القلاقل في عيلام ليغزو هذه البلاد ولكن منعه من ذلك حلول

(1) I, t, x, p, 83 et sulv.

الشتاء (عام ٦٩٣). واستولى موشزيب مردوك (٦٩٣-٦٨٩) على السلطة في بابل واغتصب كنوز "الايزاجيل" بقصد إرسال هدايا قيمة إلى ملك علام "هومبان ميناتو Houmban-menanou" وعقد حلفاً معه. وانتظر الكلدانيون والأراميون والبابليون والفرس والبوكوريون والجبوليبون... انتظروا الأشوريين في هالولة Haloulé شرق دجلة وأعلن سناخريب أنه انتصر وأن لم يستطيع أن يجني ثمار نجاحه على الفور... وبعد عامين (٦٨٩) عقب موت "هومبان مينانو" ملك عيلام استولى على بابل وأحال حصولها إلى أنقاض وحطم معابدها وقصورها وبيوتها وأبعد أهليها إلى مكان آخر وحصل الإله موردوك أسيراً وحول الإقليم إلى مستنقم ضخم "كي لا يستطيع امرؤ في المستقبل أن يتعرف على تربة هذه المدينة ولا على معابد الآلهة، لقد حطمتها بالماء حتى أحلتها إلى شبه مستنقعات".

وترك ابنه اسارحادون Asarhaddon (٦٨١-٦٦٩)- الذي شغل إلى اقصى حد بحروبه في الغرب- ترك إلى قواده مهمة رد العيلاميين الذي كانوا قد تقدموا حتى وصلوا إلى سيبار وكذا محاربة "نابوزركينيش ليشير" Nabou-Eér-Kénish-lishir بن مروداخ بلادان الذي استولى عل أور، وهرب ذلك الأمير إلى عيلام حيث قتل، ويخضع آخره "ناعيد مردوك Nâ'id-mardouk واعترف به كمولى في أرض البحر، وأعيد بناء بابل وأصلحت المدن. وحدد بناء المعابد كما وطدت دعائم العبادة من جديد.

وفي عام ٦٦٨ اختار اسار حادون ابنة أشور بانيبال Ashourbanipal ليخلفه في أشور ومنح حكم بابل إلى ابن آخر هو "شاماش شوم أوكين" Sharnash-shoum-okin (٦٦٨-٦٤٨) ودخل موردوك من جديد الايزاجيل في شهر أيار (مايو) من عام ٦٦٨ وأمسك بيده شاماش شوم أوكين في احتفالات عيد رأس سنة٦٦٧. واستمر أشور بانيبال بقبض مباشرة على ناصية الأمور في الأقاليم الجنوبية ويعين الحكام الأشوريين هناك. ولم يهمل تقديم الفروض اللازمة نحو كبار الآلهة في كوتا وبورسيبا وبابل. وشغل الوالي أولاً بالأمور السلمية وحين أحس بقوة تسمح له برفع

النير كون عصبة ضد أشور قوامها "هومبانيجاش الثاني" ملك عيلام وكذا العرب والأراميون والكلدانيون وحرم على أخيه أن يقدم القرابين في المدن البابلية... وبعد انتصار رائع في أزاهسامنه **Arahsamnah** (٦٥٠) حاصر أشور بانيبال وبورسيبا وكوتا وسيبار وأعاد فتح كلديا بسرعة. وقاومت بابل حتى أياد من عام ٦٤٨ ثم اضطرت للتسليم بسبب المجاعة والمرض أكثر منه بسبب السلاح فحرقت وأسيلت دماء أهليها ومات "شاماش شوم أوكين" في قصره الذي يحترق وحل مكانه "كاندالالو" **Kandalanou**. وكان لخلفائه سلطان غير ثابت على بعض المدن نذكر منها نيبور رأور وأوروك.

وفي عام ٦٢٥ كان السينيون (السكيتيون) **Seythes** يهددون الإمبراطورية. ونادى نابويو لاسار **Nabopolassar** بنفسه ملكاً وأسس الأسرة الحادية عشرة المعروفة بالأسرة "البابلية الجديدة" ولم يكن سلطانه يمتد في أول الأمر إلا على بابل وبورسيبا ولكنه عرف كيف ينتفع من وراء ضعف أشور السريع لتوسيع بلاده فتحالف مع سياكسنار **Cyaxare** ملك الميديين وزوج بنت هذا الأمير من ابنه نبوخودوروسور وحين دخل الميديون إلى ميزوبوتاميا وحاصروا نينوى ساهم البابليون في الحملة وبعد مقاومة استغرقت ثلاث سنوات أخذت المدينة (٦١٢) واختفت الامبراطورية الأشورية.

وكانت مصر كذلك قد حطمت نير نينوي فمنذ عام (٦٠٨) احتلت فلسطين وسوريا ووصل "نيخاو" حتى الفرات والآن... بعد أن ظلت بابل تحارب أشور مدى قرون بقصد حماية تجارتها... فهل تستطيع ليقاوم تقدم المصريين، وفي ٦٠٤ هزمهم في قرقميش وطاردهم منتصراً. وحين وصل إلى بلوزيوم علم بوفاة أبيه ووجد نفسه مضطراً إلى العودة إلى بابل ليخلفه.

ولقد كان نابو بالاسار بناء عظيماً. وقد تابع نبوخودوروسور الثاني (٦٠٤-٥٦١) اصلاح وتزيين المدن. وإلى عصره ترجع أهم الآثار التي كشف عنها في بابل وهي: سور خارجي للمدينة من اللبن المرسوم. وقصر يمكن أن نتلمس فيه تأثير الفنين الحيثي والأشوري وخاصة بوابة عشتار وهي أهم الأطلال قاطبة. ولقد أعاد بناء الايزاجيل ورصف الطريق

المقدس وأنشأ الحدائق المعلقة وهي إحدى العجائب السبع في العالم القديم.

ولقد اعترف الجانب الأكبر من سوريا بسلطان نبوخودوروسر عام ٦٠٤ وسرعان ما توقفت مملكة يهودا عن دفع الجزية، ورغم تبكيت النبي "أرميا" نراها تثور على مولاها. وأخذت أورشليم عام ٥٩٦ وأبعد جانب من سكانها إلى جهة أخرى وحاولت مصر أن تستعيد نفوذها على سوريا وانضمت إليها يهودا **Juda** وكذا صور وصيدا. وفي ٥٨٧ استقر نبوخودوروسو في ربلة **Ribla** على الأورونت وأرسل من هناك قوة لحصار أورشليم للمرة الثانية وحاول أبريس الفرعون عبثاً أن يذهب لمعاونة حليفة واستسلمت المدينة في العالم التالي وحمل معظم أهليها كأسرى. وأحضر الملك صدقياً **Sédécias** إلى ربلة بعد ما أسر وهو يحاول الهرب وذبح أولاده أمام عينيه ثم حرم من بصره وأثقل بالأغلال واقتيد إلى بابل. أما صور فقد تابعت المقاومة مدة أطول بلغت ١٣ سنة– على حد رواية جوسيفوس– (٥٨٥-٥٧٣).

وقد ساهم نبوخودوروسر في الصراع كحليف للميديين ضد ليديا. وقد حدث كسوف شمسي في الثامن والعشرين من مايو عام ٥٨٥ أثناء معركة ضخمة ضد سياكسار عند البات **Alyatte** على شواطئ هاليس **Halys** واعتبر هذا الحدث (هذه الظاهرة) انذاراً للطرفين واتفق على السلم واشترك الملك البابلي في عقد المعاهد التي تثبت هاليس كحد بين الميديين والليديين.

وفي العام السابع والثلاثين من حكمه (٥٥٨)– طبقاً لقطعة من حولياته– قاد نبوخودوروسر الثاني حملة ضد أمازيس ملك مصر ويظهر أنه انتصر على المصريين واليونان المستأجرين المرتزقة وربما وصل حتى أن تحتمل قبضة فرعون على الشاطئ السوري؟ لقد أرسل نبوخودورسور الدلتا. وقد خلف نقوشاً صخرية في سوريا: في وادي بريسا **Brissa** وعند نهر الكلب.

أما ابنه "افيل مروداخ" (أويل مردوك) (**Evil-Merodach (Awill-Mardouk**) فلم يكن يردعه قانون أو عرف. وفي أقل من ثلاث سنوات من ولايته قتلته العصبة

الكهنوتية وأحلت مكانه نريجليسار (نرجال شعار أو نسور Nérglissar Nergal-shar-outsour (٥٥٩–٥٥٦) وهو "الرايماج rab-mag الذي حضر حصار أورشليم والذي كان قد تزوج من إحدى بنات نبوخودوروسر. ومات نريجليسار دون أن يعيد تعظيم القرى الحربية في بلاده. وقد أصلح معابد بابل وبورسيبا وبنى لنفسه قصراً بالمدينة الأخيرة. وخلع ابنه "لاباشي مردوك Labashi Mardouk الطفل بعد أن استقر فوق العرش تسعة شهور واعتلاه مكانه "نابونيد (نابوناعيد) (nabou-nâ'id) Nabonide" (٥٥٥–٥٣٩) ابن كاهنة سن Sin في هاران Harran [١] الذي كان متأثراً بالتقاليد والذي شغل تماماً بالآثار وإصلاح العبادة حتى سمى "بالملك العكرستاني" (قيم المعبد)– وكونت امبراطوريته من بابل وميزوبوتاميا وجموريا حتى غزة. ولكن قوة أخرى كانت تنشأ في عيلام ففي ٥٥٠ ثار كيروش ملك انزان– وهو مولى "لأستياج Astyage" الميدي– وخلع مولاه وهاجم ليديا حيث كانت شهرة كريسوس Crésus قد جلبت إلى عاصمته سارديس Sardes أكثر اليونانيين ثقافة. وقد استولى بعد موقعة بتريوم Ptérium في كابادوكيا (٥٤٧) على هذه المدينة وانهى دولة ليديا (٥٤٦) ثم اتجه نحو بابل التي كانت تعضد كريسوس بالاتفاق مع مصر.

وكانت العصبة الكهنوتية والشعب قد ابتعدوا جميعاً عن الملك فلم يجرؤ أن يأتي إلى المدينة بينما لم يكن في الاستطاعة الاحتفال بعيد رأس السنة دون حضوره. وفي حماسة الأسرى وبدعوى ضمان سلامة الآلهة، جمع كل تماثيلهم تقريباً في معابد العاصمة. وكانت شئون الدولة وقيادة الجيش في يد ابنه "بالثازار" (بعل شار أو تسور) (Bél-shar-outsour) Balthazar وانحاز "كوبارو (جوبرياس) (Gobryas) Koubarou" البابلي حاكم جوتي Gouti (ما بين الزاب Zâb والديالة Diyala) إلى ملك انزان Anzan وأمده بالمتطوعين. وهزم بالثازار في أوبيس Opis ثم لم شمل جيشه فهزم مرة أخرى. وفي الرابع عشر تموز عام ٥٣٩ فتحت سيبار بواباتها وهرب نابونيد. وفي السادس عشر دخل جويرياس إلى بابل. وفي الثالث من مرهيشفان

(1) I, t, XI, D. 170.

Marheshvan التالي استقبل كيروش هناك استقبال المحرر وكسب شعبيته عن طريق اصلاح شامل للعبادة. ومات نابونيد في منفاه في كومانيا Carmanie.

وحرص ملك انزان على المحافظة على تقاليد الأقوام الذين أخضعهم فظلت السجلات الخاصة في بابل تكتب بنفس العبارات التي كانت تتم بها من قبل. وحين مات قمبيز Cambyse (٥٢٩–٥٢٢) خليفة كيروش حاول مطالبان بالعرش أن يرفعا النير، ولكن دارايوس Darlus الميدي، بن هستاسب Hystaspe– وهو أمير من بيت كيروش– تولى قيادة الجيش وحاصر بابل ودعم سلطانه هناك.

وفي نهاية حكمه وعند بداية حكم اكسزركسيس Xerxés (٤٨٦–٤٦٥) ظهور مغتصبون فجرد امسوزكسيس المدينة ونهبها وحطم الايزاجيل. وفي ٣٣١ بعد هزيمة دارايوس الثالث اختار الاسكندر بابل عاصمة له في آسيا واعتزم إعادة بناء معبد مردوك.

وهناك لوحة من السنة السادسة من حكمه تسجل إيصالاً بدفع عشر مينات (١) من الفضة أجراً لرفع الأنقاض. وقد بنى اليونان لأنفسهم مسرحاً من اللبن به أعمدة حجرية. وقد أثرت تقاليدهم على عادات البابليين الذين كان لهم حق التسمي بأسماء يونانية تبعاً لامتياز ملكي.

وفي ٢٧٠ أصلح انتيوخس سوتر An0tiochus Soter المعابد في بابل وبورسيبا وأوروك.

وفي القرن الثاني كانت الصلوات تقدم إلى انو ومردوك Anou & Mardouk كمعبود واحد تحت اسم "أنا– بعل"Ana- Bél وبدأت الأسر تشيد مساكنها من مواد المدن القديمة: وهكذا أقام "أداد نادين اهي Adad-nadin-ahé" قصراً في موقع لاجاش بناء من طوب جوديا Goudôa وقد ظلت الشعائر الدينية تقام في بابل حتى عام ٢٧ ق.م.

---

(١) انظر هامش ١، ص٥١. المدينة تساوي نحو ٣٠٠ ريال وتحتوي على ٦٠ شاقلاً–(المترجم).

ملخص تاريخي لتاريخ بابل

الخليقة الفوضى ٢٢٣٠٠٠ سنة

عشرة ملوك قبل الطوفان ٤٣٢٠٠٠سنة –٤٥٦٠٠٠ عن W.B.62

الطوفان [١]

الأسرة الأولى في كيش (في أكد) أكثر من ١٨٠٠٠ " ايتانا

الأسرة الأولى في أوروك (في سومير) "٢١٧١" دوموزي

" " " أور (في سومير) ١٧١ "جلجامش

أسرة أون (في عيلام) ٣٥٦ "

الأسرة الثانية في كيش ٣٧٩٢ "

أسرة حامازي (في عيلام) ٧ "

الأسرة الثالثة في كيش – "

---

(١) مدة الأسرات السابقة على الطوفان هي ٤٥٦٠٠٠ سنة طبقاً للوثيقة W.B. 62 و٢٤١٢٠٠ سنة طبقاً للوثيقة W. B. 444 التي تذكر أيضاً الأرقام الآتية:

الأسرة الأولى في كيش: ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف

الأسرة الأولى في أوروك: ٢٣١٠ سنة.

الأسرة الثانية في كيش: ٣١٩٥ "

الأسرة الثانية في أوروك: ٤٢٠ سنة

"في ماري: ١٣٦ "

"الثانية في كيش: ١٠٠"

"الرابعة في كيش: ٤٩١ ". وهو رقم يبدو أن من اواجب تصحيحه: ٣–٢ ٩٧ سنة.

"الخامسة في أوروك: ٧ سنوات

وكما سبق شرحه في الملاحظة الخاصة بصفحتي ٢١و ٢٢ فإن الأسرة الثالثة في كيش والثانية في أوروك يجب وضع كل منهما مكان الأخرى.

الأسرة الثانية في أور ١٠٨ "

أسرة أداد (في سومير) ٩٠ "

أسرة ماري (على الفرات الأوسط) أكثر من ٣٠ "

الأسرة الثانية في أوروك – "

أسرة اكشاك (في أكد) ٩٩ "

الأسرة الرابعة في كيش ١٠٦سنوات أوروكاجينا في لاجاش

"الثالثة في أوروك ٢٥ لوجال زاجيسي

أسرة أجاده (في أكد) حوالي ٢٨٤٥-٢٦٤٩ سرجون ونرام سن

الأسرة الرابعة في أوروك "٢٦٤٨-٢٦٢٣

أسرة جونيوم (شرق دجلة) "٢٦٢٢-٢٤٩٨

الأسرة الخامسة في أوروك "٢٤٩٧-٢٤٧٥ جوديا في لاجاش

الاسرة الثالثة في أور "٢٤٧٤-٢٣٥٨ دونجي

أسرة ايسين "٢٣٥٧-٢١٣٢

أسرة لارسا "٢٣٥٧-٢٠٩٥

الأسرة الأولى في بابل (عمورية) "٢٢٢٥-١٩٢٦ حمورابي

الأسرة الثانية (أرض البحر) في بابل ١٩٢٥-١٧٦١

الأسرة الثالثة (الكاسية) ١٧٦٠-١١٨٥

الأسرة الرابعة ١١٨٤- ١٠٥٣

الأسرة الخامسة ١٠٥٢-١٠٣٢

الأسرة السادسة ١٠٣١-١٠١٢

الأسرة السابعة (عيلام) ١٠١١-١٠٠٦

الأسرة الثامنة ١٠٠٥-٧٦٢

الأسرة التاسعة ٧٦١-٧٣٢

الأسرة العاشرة (الاحتلال الأشوري) ٧٣٢-٦٢٥

الأسرة الحادية عشرة (البابلية الجديدة) ٦٢٥٠-٥٣٩ نبوخودوروسور الثاني

الأسرة الثانية عشرة ٥٣٩-٣٣١

الكتاب الثاني

النظم

الفصل الأول

الدولة والعائلة

أولاً- الدولة

قبل أن يتولى العرش حمورابي المؤسس الحقيقي للوحدة البابلية، كانت سومير وأكد أحياناً متحدتين تحت صولجان واحد وفي أغلب الأحيان دفع إلى انفصالهما تنافس الأمراء في مدن لكل منها ذاتيتها الخاصة بها.

وكانت المدينة تكون في المجتمع- بالإضافة إلى الأراضي التابعة لها سواء أكانت متسعة أم ضيقة- خلية لها حياتها الخاصة ويعتبر تأسيسها عملاً دينياً لا يستطاع القيام به إلا بناء على أوامر الآلهة العظام لأن المدينة هي قبل كل شيء مركز للعبادة. وعلى هذا كان لاسم المدينة أحياناً واسم الآله الذي تنازل فرضى أن يستقر فيها مدلول واحد، فنرى مثلاً نيبور مركزاً لـ"انليل" سيد سومير كلها. كما نرى في جهات أخرى أن الإله المعبود تتضح سيادته بطريقة أخرى. ولقد كان الأمر كذلك بالنسبة لـ "لاجاش" مثلاً التي كان الهها "اينورتا" يسمى دائماً "ننجرسو" سيد جرسو وهو اسم الحي الذي يقع فيه معبده. ومعنى كلمة بابل "بوابة الله" وعندما أنشأ ملوك الأسرة البابلية الأولى مدناً جديدة أعطوها أسماء تشمل اسم الآله، فـ "كارشماش" **Kar-shamash** معناها "قلعة الآله شماش" و"نور اداد" **Nour-Adad** معناها نور الآله اداد" وعلى أية حال، فإن السلطة المركزية توطدت وقل الالتجاء إلى الدين وظهر اتجاه يرمى إلى إحلال اسم الملك نفسه- وهو قد آله في أغلب الأحيان- مكان اسم الآله.. وقد أمر حمورابي بشق "قناة حمورابي" وأقام اميديتانا **Ammiditana** واميزادوجا **Ammizadouga** "حائط اميديتانا" و"حائط اميزادوجا".

وفي عهد الأسرة الثالثة لم يتردد كوريجالزو في تسمية مدينة جديدة باسم "دور

كوريجالزو" Dour Kourigalzou.

كان الآله يعتبر سيد المدينة الحقيقي. ويروى ايناتوم Esntoun في نقوش "لوحة العقبان" أن "الملك" ظهر له في الحلم كما أن انتيمينا أحد خلفائه يسمى ننجرسو "ملكه الذي يحبه" ويتحدث أوروكاجينا Ourou Kagina صراحة عن "رعايا الملك" مشيراً إلى العهد الذي كان يحكم فيه الايشاكوات مدينة لاجاش كما نذر أورنينسون Our-Ninsou إلى ننجرسو صفحة اسمها "ألا فليطل الملك في عمري" وتكثر الإشارات إلى ملكية ننجرسو في نقوش جوديا Goudéa بصفة خاصة إذ أنه عندما انتهى من إعادة تشييد المعبد جاء بنذور إلى الآله ووجه إليه لدعاء التالي: "أي ملكي أي نينجرسو! لقد شيدت معبدك وأني لسعيد أن أدخلك فيه" وقد استهل حمورابي ذوانينه بأن ذكر أن أنو وايلليل خصوا ماردوك بملك أبدي في بابل.

وكان الآله يسكن المدينة مع زوجه وأولاده وخدمه وسدنته كما كان المعبد مسكنه أغنى المساكن. وقد استحضر أورنينا Our-Nina بنفقات طائلة أخشاباً من الجبال لتزيين الهياكل كما عدد جوديا– مبدياً اعترافه بالجميل– أنواع العطور المجلوبة من الغابات وكذا الأحجار والمعادن الثمينة التي جمعها لإعادة بناء "أي نينو" E-ninnou ومبيناً كيفية تشغيلها بمعرفة فنانين أتى بهم من عيلام.

وكان للآلهة أملاك خاصة وصوامع للغلال وإسطبلات وعبيد. وحارب أياناتوم Eanatoum ضد أوما Oumma ليسترد منها "الجريدان" Le Gouédin "الأرض العزيزة" الخاصة ب"نينجرسو".

وفي عهد أوروكاجينا استرد الآلهة ملكية الممتلكات التي كان لوجالاندا Lougalanda قد سمح بأن تمنح لعائلته ولصديقه. ولدينا الدليل على ذلك لا في النقوش فحسب بل كذلك في لوحات المحاسبة الخاصة بهذه الفترة وإننا نستطيع في عهد أور أن نتتبع مدى ثلاثين عاماً عمليات تسليم المواشي التي كانت تتم في فناء معبد الليل الوطني وهي المواشي التي كانت تقدمها المدن وكبار دافعي الضرائب. وبعد ذلك

بمدة طويلة أهدى الملك الكاسي "نازي ماروتاش **Nazimarouttash**" أملاكاً عقارية ضخمة إلى الآله ماردوك الذي أصبح "سيد الحقل".

ولم يكن الآله يدير شخصياً شئون المملكة أو المدينة بل كان يختار وكيلاً: ملكاً أو إيشاكو– كانت تعهد إليه رعاية شئون شعبه وكان انتمينا **Entémena** اللاحاشي الايشاكو الأكبر ل "نينجرسو" كما كان لوجال زاجيسي **Lougalzaggisi** الأوروكي الذي يمتد سلطانه على جميع أنحاء سومير ايشاكو انليل الآله الوطني. وكان الأمير يؤدي في نفس الوقت الأعمال الكهنوتية فهو الكاهن الأكبر لآله البلد أو المدينة. وشاهدنا على ذلك جوديا ولوجال زاجيسي: إذ يقرر ثانيهما أن "الآلهة قد عينته في هياكل سومير ايشاكو على الأقاليم، كما عينته في أوروك كبيراً للكهنة" وكان الأمير بوصفه المشرف على الإدارة المدنية والدينية لا يلبث أن يؤله نفسه وأقدم شاهد على ذلك اسم العلم المسجل على مسلة مانيشوسو **Manishtousou** وهو: "شاروكين ايلي" **sharrou- Kin-ih** ومعناه "سارجون هو إلهي" وقد سمى نارام سن **Narâm-Sin**– هو لا يزال على قيد الحياة– إله أجداده. كما وضع دونجي **Doungi** وأخلاقه قبل أسمائهم المخصص الإلهي وكانت لهم معابدهم وتماثيلهم وكان حمورابي– الذي تسمى أحد معاصريه باسم حمورابي ايلو **Hammourabi-ilou** "حمورابي هو آله"– قد أطلق على نفسه لقب "اله الملوك". أما الكاسيون الذين قد قاموا بتعديلات كثيرة في التقاليد فيما يتصل بكثير من النواحي الأخرى فإنهم لم يستخفوا كذلك بهذه التشريعات الإلهية.

وفي العهد السابق للسرجونية كانت توجد إلى جانب الأمير زوجة لها أملاك واسعة تديرها بنفسها: فكان لها قصرها الخاص كما كانت تشترك في تصريف شئون الدولة. وكان لأولاد الأمين بيتهم وما إلى ذلك من خدم وسقاة وحالكات ونساجات وطاه ونجار وحمار (بفتح الحاء وتشديد وفتح الميم) وموسيقى وزراع ومزينون وغيرهم.

ويظهر أن هم موظف كان ناظر القصر فهو في الوقت نفسه "منظم مشروعات المنافع العامة والشؤون الزراعية وأمين خزانة الملك وناظر السراى ومسجل عقود

الجميع" (١). وتشير اللوحات إلى وجود غيره من ال "نوباندا" (نظار): نوباندا الآله ونوباندا الأولاد. وطبقات مختلفة من الكهنة ووكلاء أعمال وقضاة وأمناء مخازن الغلال وكتاب وملاحظون وغيرهم من الموظفين الذين لم يتضح جلياً نوع الأعمال التي كانت توكل إليهم. وكانت النساء كاهنات أو حائكات أو مخصصة لهن أعمال أخرى. وكان هناك من بين العمال والصناع النجار والعطار والدباغ والسباك والمثال وقاطع الأحجار الكريمة والبناء والحفار والبستاني...

كل هذا يعاود الظهور في عصر أور ولكن بيت الملك الذي كان يمتد سلطانه إلى ما وراء حدود سومير كان يتطلب هيئة للخدمة أهم مما يحتاج إليها ايشاكو مدينة واحدة. وكان النوباندا في هذه الحالة يكرس نفسه فقط لكل ما يعتبر سخرة: "وسواء أكان الأمر يخص الحرب أم هو يتصل بزراعة الحقول أم شن القنوات أم بناء الحوائط والقصور والمعابد، فإنه موجود في كل مكان" (٢). وكان يوجد إلى جانب الملك كبير الوزراء وهو ايشاكو أو حاكم عدة مدن (٣) وكان هناك كذلك وزراء آخرون يعاونهم جند وعمال للبريد (سعاة) يجوبون البلاد حاملين أوامر الملك إلى أبعد مدن الامبراطورية... ويظهر أن جميع موظفي هذا العصر كانوا رجالاً أحراراً أو عبيداً.

وعلينا أن نصل إلى عصر حمورابي، حتى نتبين تقسيماً آخر لطبقات المجتمع دون أن يتسنى لنا تحديد تاريخ هذا التقسيم (٤).

ويميز القانون البابلي في الدولة بين الرجل الحر والموشكينو **Moushkinou** والعبد. والموشكينو– ويلاحظ أن هذه الكلمة والكلمة الفرنسية مسكان **Mesquin** من أصل واحد– نطلق على المواطن من طبقة متواضعة يقع ترتيبه في المجتمع بين

(1) LII, p. XXV, p 34.

(2) LVI, p. 38.

(3) LXXVLL, p. 215.

(٤) تطرق مرثية سابقة لعهد أور بين المواطن البسيط والموظف والرجل الحر ولكن لا يستدل من ذلك أنهم كانوا يكونون ثلاث طبقات مختلفة في المجتمع. **It, XVII, p. 45.**

الطبقتين الأخريين وهو يستطيع أن يتملك عبيداً كما يستطيع أن يطلق زوجة مقابل اعطائها ثلث مينة من الفضة وذلك في الوقت الذي يلزم الرجل الحر في مثل هذه المناسبة بدفع مينة كاملة. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن القوانين الخاصة بالعمليات الجراحية ، وكذلك الحوادث تراعى بدقة مركزه الاجتماعي عندما تقدر الأتعاب والعقوبات على التوالي. فإذا فقأ أحد المعتدين عين موشكينو أو كسر أحد أعضاء جسمه فإنه يحكم له بتعويض قدره مينة فضية فإذا كان المجني عليه رجلاً حراً فإنه يحكم على الجاني بمقتضى قانون "العين بالعين والسن بالسن" أما إذا كان عبداً فإنه يحكم له فقط بنصف قيمته التجارية. وإذا حطم أحد أسنانه أعطى ثلث مينة وإذا ضربه أحد على رأسه فإنه يأخذ تعويضاً قدره عشرة شواقل على حين تقدر مينة واحدة للرجل الحر في مثل هذه الحالة. أما إذا قتل دون عمد أثناء مشاجرة فإن أسرته تعطى ثلث مينة الفضة وليس نصف مينة كما هو الحال بالنسبة لابن الرجل الحر.

وإذا اجهضت ابنته بسلب الضرب يلزم الجاني بدفع خمسة شواقل: وفي حالة وفاتها من جزاء الحادث يدفع نصف مينة. أما إذا كان والدها رجلاً حراً، فإن التعويض يبلغ في الحالة الأولى عشرة شواقل، وأما في الحالة الثانية فيطبق قانون "العين بالعين والسن بالسن". أما إن كانت ابنة عبد فإن التعويض يكون شاقلين أو ثلث مينة على التوالي في الحالتين المشار إليهما.

وفي حالة اجراء عملية جراحية: إذا كان الرجل الحر يدفع عشرة شواقل فإن السيد يدفع عن عبده شاقلين فقط كما حددت الأتعاب التي يدفعها الموشكينو في هذه الحالة بخمسة شواقل.

وعلى ذلك فإنه مما لا شك فيه أن مركز الموشكينو في الهيئة الاجتماعية هو دون مقام الأميلو **Amélou** أي الرجل الحر.

ولكن مما يثير العجب أنه لم ترد في القانون اية اشارة عن الرجل الحر فيما يتصل بالسرقة وهرب العبيد وزواج الفتاة الحرة من أحد العبيد... ذلك في الوقت الذي فرق

فيه القانون ما بين ما يخص المعبد أو القصر من ناحية وبين ما يخص الموشكينو من ناحية أخرى.

وكان العبد ملكاً لسيده: سواء أكان مولوداً في بيته أم مشترى أم كان أسير حرب.

وقد اشترى مانيشتوسو **Manishtousou** خمسة رجال وثلاث نساء بعشرين شاقل للرأس. كما اشترى فتاة بثلاثة عشر شاقلاً ونصف شاقل.

وفي عهد أور قدر ثمن أسرة كاملة بنصف مينة وثمن طفلة بثلاثة شواقل ونصف شاقل وكان من حق العبد أن يعارض في الثمن الذي حدد لبيعه فتحال القضية إلى القضاة كما كان له أن يقسم اليمين فيما يخصه من شئون على الأقل. وقد قررت خادمة أحد الأطباء اتهمت بسرقة رداء المدعو بازي **Bezl** أن هذا الرداء أعطاها إياه أحد عبيد الرجل المذكور ويدعى لوجال دوردوج **Lougaldourdoug** فلما نظرت القضية في معبد ننمار **Ninmar** قرر لوجال دوردوج بل وأقسم أنه لا دخل له في هذه السرقة فحكم على الخادمة بأن تنزل إلى مرتبة الاماء في خدمة بازي.

ويصبح بيع العبد نهائياً إذا حلف المشترى أنه اشتراه فعلاً بحضور شهود، ودفع الثمن المحدد. ويستطيع الأب أو الأم أن يبيعا طفلهما كعبد.. كما أن السيد كان له الحق في عتق عبده (١). ومن أمثلة ذلك في عهد ايلليل **Ellil.-bâni** ملك ايسبن (٢٢٠١–٢١٧٨) أن "بيدور ليبور **Pidour-libour**" وزوجه "نيم أوتومو **Nim-Outoumou**" قد عتقا امرأة بقيت رغم ذلك في خدمتهما، دون أن يكون لولديهما وابنتهما أية حقوق عليها (٢).

وكانت تقام، في مثل هذه الحالة، حفلة يطهر العبد خلالها على جبهته. وكانت توجد علامات مميزة للرق. وكان قانون حمورابي يقضي بقطع يد الجراح، الذي يسم العبد عبداً، وبدون علم السيد بعلامة عدم إمكان بيعه.

---

(1) XIX nos 748, 838, 733, 740, 830, 832. 751, 752.

(2) I, t, XIV.

وفي القرن الثالث– قبل الميلاد– كان اسم الملك (السيد) في أوروك [1] يكتب على يد العبد اليمني، فإذا تغير السيد أضيف اسم السيد الجديد إلى جانب المالك القديم.

ولا يستطيع الرجل أن يبيع المحظية التي رزق منها بنسل ولكن يمكنه فقط أن يرهنها، شأنها في ذلك شأن الزوجة والابن، وكان لا يجوز في عهد الأسرة الأولى أن تزيد مدة عبودية الزوجة أو الابن أكثر من ثلاث سنوات، إلا أن هذا الحظر قد اختفى فيما بعد من القانون: من ذلك أنه حدث في العهد البابلي الجديد أن بقي ابن عشر سنوات متوالية في خدمة كاهنتين، سدادا لدين على أبيه، وقد حدد حمورابي قيمة العبد التجارية بعشرين شاقلاً، وهي قيمة توازي التعريض المقرر من وفاة تنتج عن هياج ثور، أو اساءة معاملة رجل لعبد أعطى له بصفة رهن.

وكانت حياة رجل حر، لا تقدر– في مثل هذه الظروف– بغير ثلاثين شاقلاً. وتبعاً للسن والنوع (ذكر أو أنثى)– والمهارة في العمل وكان بعض العبيد لا يباعون بأكثر من أربعة إلى ستة شواقل، على حين يبلغ البعض الآخر أرقاماً مرتفعة، تتراوح بين ٥١ و٥٧ شاقلاً. أي حوالي ميل [2] فضي تقريباً.

وكانت الفتاة الحرة تستطيع أن تتزوج من عبد، وكان الأولاد يولدون أحراراً تبعاً لحالة أمهم، كما كان نصف متاع الأسرة فقط من حق سيد أبيهم. وإذا كان رجل حر اتخذ إحدى الاماء كمحظية، فإنها وأولادها يتحررون عند وفاته بحكم القانون ولكن الأولاد لا يرثونه إلا إذا كان هناك عقد تبن.

وكان في استطاعة العبد أن يدخر، وأن يشتري حريته نقداً كما كان يستطيع– في حالة عدم وجود الثمن لديه– أن يستدين المبلغ اللازم لهذا الغرض: وكان معبد مردوك في بابل يقبل اعطاءه سلفة تخصم أقساطها من كسبه. وكذلك كان التحرير أو شراء

---

(1) IXXII t, II, nos. 6 & 25.

(٢) الميل هو المينة انظر هامش(١) صفحة ٥١ و ٦٤.

الحرية نهائياً، غير قابل لأية معارضة.

وكان محظوراً على الناس مساعدة عبد على الهروب أو ايواؤه وكان يحكم على المخالف بالإعدام، وكان يمنح من يضبط الآبق (الهارب) ويعيده إلى سيده مكافأة قدرها شاقلان، وفقاً لقانون حمورابي. وينص هذا القانون على ما يأتي: "إذا أوى شخص في بيته عبداً آبقا وضبط هذا العبد تحت سقفه فإن عمله هذا يستوجب الحكم عليه بالإعدام".

وكان هناك قانون سوميري [١]، أقدم من القانون المشار إليه، ينص على عقوبات أخف مما ذكر: "إذا هربت خادمة أو عبد من سيدهما إلى خارج المدينة، فإن صاحب البيت الذي يسمح بإقامة أيهما في بيته، خلال شهر- يدان ويلزم بتقديم رأس برأس (معاملة المثل) فإذا لم يكن له عبد، فإنه يدفع **٢٥** شاقلاً من الفضة".

ثانياً- الجيش

منذ أقدم العصور ومدن الفرات الأدنى في صراع، كي تستطيع الواحدة منها أن تمد نفوذها على الأخرى: ولقد كان الجيش واحداً من أهم نظم المجتمع.

وتبين "لوحة العقبان" [٢]- التي أقامها الملك "ايايا ناتوم" في أراضي لاجاش عقب نصره على رجال أوما- في المناظر المحفورة على وجهها التاريخي، كيف كان تكوين الجيش السوميري في هذا العهد البعيد، والصورة التي كانت عليها معداته.

كان الملك يسير إلى الحرب على رأس جنده وهو يتدثر حول حقويه بقماش من الكاوناكيس **Kaunakés** وكان يغطي كتفه اليسرى قماش أكثر نعومة أو جلد ماعز. وتحمى رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلى منها من الخلف ما يستر العنق. أما تلك التي يرتديها رجال الحرب فهي سوية ملساء وأما التي يرتديها الملك، فقد قلد عليها الفنان شكل الشعر المجمر الكثيف، يثبت في مكانه بواسطة شريط كما مثلت عليها الأذنان

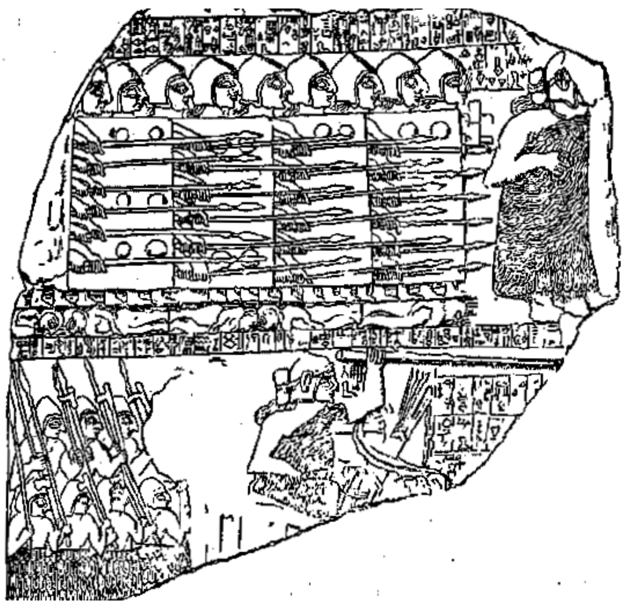
---

(1) I, t, XVII, p. 37.

(2) LXX; pl, 3 et suiv., votr gf, 8.

واضحتين، وسواء أكان يحارب راجلاً أم راكباً عربته، فإن سلاح الأمير كان حربة وأداة مقوسة مكونة من عصى ونضال، ربطت إلى بعضها بواسطة سيور أو حلقات.

وكان المحاربون يكونون سلاحين: سلاح الصدام وهو الذي ينزل رجاله المعركة في انتظام ومعهم الملك راجلاً وهم متقدمون في طوابير كل منها من سبعة من المحاربين، يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو درع مستطيل أما الباقون فمزودون بالحراب، يمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريباً. أما أولئك الذين يهاجمون، لمطاردة العدو خلف الملك وهو راكب على عربته (سلاح المطاردة) فمسلحون بحربة وفأس.



(شكل ٨) قطعة من لوحة العقبان (متحف اللوفر: تللو)

ويحتفل الأمير بعد النصر بذبح ثور. ويتقدم الجند لإعدام الأسرى ووضع جثثهم في كومات على حين يحتفظ الملك لنفسه بحق فقء عين الحاكم المهزوم. وهناك سلاح آخر، مثل على وجه اللوحة التي تحمل بعض المناظر الأسطورية: وهو دبوس القتال

الذي يمكن تتبع استعماله منذ عصر أقدم عن طريق نقش من تللو [١] **Tello**، وكذا عن طريق الدبوس النذري المزين بالسباع والذي نذره ميسليم إلى الآله ننجرسو.

وترينا لوحة النصر ل"تارام سن" [٢] عتاد الملك ومحاربيه في عصر أجاده ويمثل المنظر مطاردة العدو في إقليم جبلي ويرى فيه الأمير متدثراً بملحفة قصيرة، ينزل طرفها حتى ركبته، ويلبس فعلاً في قدميه، وعلى رأسه خوذة يتدلى منها ما يغطى العنق مزينة بقرون ترمز للمعبود ويمسك في يسراه بقوس مزدوج التقويس ويضم ذراعه إلى صدره بلطة سلاحها ضيق جداً وفي يمناه سهم طويل به ريش وينتهي بطرف حاد. ويمثل الفرقة طابوران من المحاربين؛ يحميهما الكشافة الذين يحمل واحد منهم حربة والآخر قوساً أبسط من قوس الملك. وعلى رأس كل طابور قائد ملتح، لفت ملحفته على هيئة النقبة (جونلة) وهي أقصر من ملابس رجاله. وهو يلبس خوذة كما يلبسون. وقد سلح أحد القائدين بحربة وبلطة ذات نصل محدب من ذلك النوع الذي كثيراً ما نشاهده مرسوماً على اسطوانات الأسرة الأولى البابلية رأس أسد، ويحمل الآخر بلطة، أما عامة الجند فيحملون إلى جانب البلطة حربة أو لواء، وأما عتاد العدو فيشبه عتاد رجال اجاده.

وتحمل لوحة من ذلك العهد الدليل على صناعة الخوذات من الجلد، وكانت تستعمل فيه جلود الثيران أو الجداء أو الصرف، كما أن غيرها كان يصنع من البرونز المكفت بالفضة، أما البلطات فكانت من برونز النحاس وكذا رءوس الحراب، وأما في صناعة الجعاب فكان يستعمل الجلد والصوف [٣].

وفي معبد لاجاش حيث بلاط الآله صورة صادقة لبلاط الأمير: نرى جوديا يتقدم بملازم أول وثان يتخذان مركزاً، بلى مباشرة مركز الشخصين الآلهين المنوط بهما العدالة والتقدمات [٤].

(1) LXX, .pl, 1.

(٢) راجع الشكل صفحة ٣٦. **XVIII t, I, u, 144.**

(3) II. 1913

(4) LXXVI, p, 183.

وفي عصر أور كان "النوباندا" **Noubanda** يقودون الجند وكانوا– أكثر من ذلك– مسئولين عن إدارة السخرة في المشروعات العامة. وهناك فئة من الناس ملزمة بالخدمة العسكرية هم "الاوكوش" **Oukoush** الذين كانت لهم قيادتهم الخاصة ورؤساء خاصون بهم.



(شكل ٩) أسلحة سوميرية (متحف اللوفر: حفائر تللو)

وينظم قانون حمورابي الامتيازات ويحدد بعض الواجبات المقررة على نوعين من المواطنين يستدعيان ليساهما في الحملات الملكية: "الربدوم" **Rédoum**– أو قائد العبيد (وهي كلمة سامية تقابل الكلمة السوميرية "أوكوش") و "البايروم **Bairoum**" (السماك). وليس من السهل أن نقدم ترجمة صادقة لهذين الاصطلاحين، لأنه ليس لدينا موظفون يشغلون وظائف مماثلة: فالأول كان مكلفاً بجمع المجندين لوظائف الجيش كما يظهر أن الآخر كان عمله متصلاً بالبوليس. وكان كل منهما حين يستدعى إلى خدمة الملك يلزم بأداء عمله شخصياً ولم يكن في مقدوره أن يتهرب من هذا الالتزام وكان القانون ينص على تعريضه للإعدام أن هو أحل محله أحد المأجورين. والواقع أنه طرأ على الأمر بعض التيسير فالرجل كان يستطيع شراء الاعفاء بدفع ضريبة سنوية تسمى مال الايلكو **ilkou**. والايلكو هو "خدمة الملك" وفي معناها الواسع أملاك الدولة تمنح على صورة معاش مدى الحياة للريدوم والبايروم وهو عبارة عن حديقة أو بيت أو حقل أو... حتى مواش...

ويبين لنا خطابان أحدهما أمر من سامسوايلونا والآخر إعلان (إخطار) بإبلاغ الأمر الأول... يبينان كيف تنفذ منح هذه الممتلكات [1].

فإن رجلاً يدعى "ابني اداد" **Ibni- adad** وهو صاحب امتياز أرض مساحتها ١٨ جان (**gan**) من الأرض (أكثر من ٦ هكتارات) عبارة عن حقول وبساتين في ناحية سيبار ترك أملاكه هذه كي يحصل على امتياز أكثر جدوى، فأمر الملك بمنح الأملاك الأولى إلى رجل آخر هو العيلامي "والي **Wali**" وسجل ذلك على لوحة وأرسلت لوحة "ابني اداد" إلى القصر. وتسلم ماردوك ناتسير **Mardouk Natsir** كبير موظفي سيبار الكتاب الملكي، وفتحه وعرف مضمونه، ثم وضعه في غلافه، وحوله إلى مديري الأملاك مشفوعاً بإخطار ذكر فيه الأوامر الملكية مفصلة.

وأملاك الايلكو لا يستطاع التصرف فيها بالحجز أو البيع: فإن من يشتريها يفقد ماله كما تحطم لوحته ولا يستطيع الحائز عليها أن يقدمها لزوجه أو ابنته، وهذا يسمح لنا أن نعتقد في إمكان نقل حيازتها إلى الابن بشرط أدائه للالتزامات المفروضة، وكان من المحظور كذلك أن تستعمل رهناً لدين.

وحين كان الريدوم والبايروم متغيبين لأسباب مصلحية كان يعهد بإدارة هذه الأملاك إلى ابنيهما... فإذا كان أبناؤهما صغاراً فإلى الزوجة مع منحها ثلث الإيراد مقابل اشرافها على شيء. وكان يجب أكثر من ذلك، أن يحتفظ بالعين في حالة جيدة وأن تزرع فإن تعمد صاحب الامتياز اهمالها أو احتلها آخر مدى ثلاث سنوات، فإن أي ادعاء لإعادة تملكها لا قيمة له ويصبح المنتفع بوضع اليد منتفعاً شرعيا. أما أن هجرت العين لفترة أقصر فلا ينقل حق الامتياز.

وكانت للريدوم امتيازات ذاتية وامتيازات خاصة بأملاكه: فكان مستقلاً تماماً عن نفوذ الحاكم وكان الأخير يتعرض لعقوبة الإعدام أن هو: "استولى على أملاك ريدوم أو سبب لها خسارة أو أعارها بأجر أو سلمها عن طريق المحاكم ليد رجل أكثر نفوذاً، أو

---

(1) XXIV, p. 166.

أخذ منه ما سبق أن منحه الملك اياه".

وإذا قبض على الريدوم والبايروم في الحرب ودفع الفدية عنهما وكيل أعمال فعليهما سداد الدين شخصياً إذا كانت ثروهما المنقولة تسمح بذلك. أما الأملاك الثابتة فلا تمس فإن لم يكن في استطاعتهما دفع المبلغ المفروض فإن معبد مدينتهما يدفع عنهما، فإن لم يكن يملك الموارد الكافية فإن الدين تتكفل به الدولة. وهناك قرار من حمورابي يبين كيف كان هذا النص القانوني يطبق. وكان الأمر يخص رجلاً من لارسا: وأما من ناحية "ايمانينوم **Imanlnoum**" الذي اسره العدو فيعطى عشرة مين من الفضة من معبد سن إلى وكيل أعماله كفدية" (١).

وفي العصر البابلي الجديد كان يضطر بعض دافعي الضرائب إلى دفع جزية حرب، وأن يساهموا مالياً في تكاليف الجنود: فكان على أحدهم أن يدفع سبعين شاقلاً في السنة الخامسة لدارا وأن يدفع آخر أجر رجل مدى عامين أو يتولى تكاليف خيال (بتشديد وفتح الياء). ولابد أن الجيش البابلي في هذا العصر كان منظماً كما كان الجيش الآشوري في آخر أيام الامبراطورية السرجونية.

ثالثاً- العائلة

تأسست الأسرة- بدعائمها القوية في سومير وأكد- منذ أقدم العصور على أساس التزواج من امرأة واحدة. فلم يكن للرجل- كقاعدة أساسية- أكثر من زوجة شرعية واحدة وإن سمح له القانون والتقاليد أن تكون له محظية أو أكثر.

ويستند الزواج في جوهره على وثيقة مكتوبة هي حجة صادرة من طرف واحد ملزمة يحدد الزوج بموجبها- أمام شهود- حقوق وواجبات الزوجة وكذا المبلغ الذي يدفعه في حالة الطلاق والعقوبة التي قد تنزل بالمرأة الخائنة، وعلى وجه العموم يحدد فيها كافة شرائط العقد.

---

(1) XXVII, t, II no 32.

وكان يجب على الرجل قبل تحرير هذا العقد، وتمهيداً له أن يتفق مع أهل الزوجة التي يزمع التزوج منها. وتقضى قوانين "نيسابا وحانى [1] Nisaaba & Hanl"– المعمول بها في جزء من سومير على الأقل قبل قيام الامبراطورية البابلية– أن على من يغتصب فتاة أن يطلب إلى أهلها الزواج بها أما إذا اغتصبها بعد أن يكون أهلها قد رفضوا تزويجها منه فإن تصرفه هذا يعتبر جريمة تستوجب الحكم عليه بالإعدام.

وجرت العادة في عهد حمورابي أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه، وعندما يتم بين العائلتين الاتفاق على الزيجة يشرع في إعداد الخطبة. ومن المظاهر الخارجية لهذا الاحتفال أن ترسل إلى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث كما يقدم الشاب أو والده "تيرهاتو Tirhatou" موضوعة على صحفة إلى والد العروس. وكان هذا التيرهاتو عبارة عن مبلغ من المال ينزل إلى شاقل واحد أحياناً في عهد الاسرة الأولى ويصل أحياناً إلى عشرين شاقلاً بل إلى نصف مين، وقد ذكرت هدايا الخطبة في نص من عهد جوديا Goudéa وهي من آثار عهد كان الزواج يعقد فيه عن طريق شراء المرأة: وبعد أن أعاد الايشاكو بناء معبد الآلهة باوو Baou ضاعفت في المستقبل هدايا الأعراس– تلك الهدايا التي كان يجب تجديدها في كل عيد من أعياد رأس السنة: من أبقار وخراف وحملان وسلال بلح وزبد وجماز نخيل وتين وفطائر ودواجن وأسماك وخشب أثل.

وفي عهد أور أخرج من حظيرة معبد أنليل لمناسبة خطبة أحد أمراء البيت المالك خمس بقرات مسمنة وثلاثون من الخراف وخمسة من الكياش. كما أن هدية أحد النظار كانت عبارة عن خمسة من الخراف وثلاث من النعاج وعنزتين [2].

ولم يكن التبرهانو اجبارياً بصفة قاطعة، فقد كانت هناك أحياناً خطبة بغير تيرهانو. كما أنه لم يكن يعني ارتباطاً نهائياً وكان يترك لوالد الفتاة إذا سحب الشاب وعده بالزواج منها. أما إذا كان الوالد هو الذي عدل عن وعده بتزويج ابنته فإنه يرده كاملاً.

---

(1) XXVIII, t, I no 28.

(2) LVI, nos 331, 370.

ولم تخل التقاليد الخاصة بتقديم التبرهاتو من ايجاد ظروف تؤدى إلى المقاضاة:

فإذا اغتصب رجل فتاة مخطوبة تقيم في بيت أبيها استوجب عمله هذا الحكم عليه بالإعدام. ومن ناحية أخرى فإنها إذا كانت تقيم مع عائلة خطيبها. وكانت لها علاقات غير شريفة بحميها دون أن يكون خطيبها قد عاشرها فإنه يجب عليها أن تسترد حريتها وأن تعود إلى بيت أبيها ومعها- علاوة على مهرها- تعويض قدره نصف مين من الفضة. أما إذا كان خطيبها قد عاشرها فإنه لا يمكنها الادعاء بأنها سليمة النية وعلى ذلك كان يعاقب المذنبان فكانت الخطيبة تلقى في الماء.

ويزود الأب ابنته- وفي حالة وفاته يتولى ذلك أخواتها- ب "شريقتو" **Shériqtou** أو بالنة. ويسلم هذا المتاع إلى الزوج عند بدء اقامتها معه ويبقى ملكاً للزوجة حتى وفاتها وينتقل لأولادها من بعدها أو يرد إلى بيت أبيها إن لم تكن قد رزقت بعقب. وقد يحدث أن يكون كل من الزوجين قد استدان قبل الزواج وفي هذه الحالة يختلف موقف أحدهما القانوني عن موقف آخر: فالرجل غير ملزم البتة بأن يسدد الالتزامات السابقة للزوجة بينما نرى الزوجة مضطرة- لكي تصبح في مأمن من مدايني زوجها- إلى أن تنص في لوحتها على عدم جواز الحجز على ممتلكاتها لمصلحتهم. أما فيما يختص بالديون خلال الزيجة فإن الزوجين مسئولان عنها بالتضامن وكثيراً ما يذكر أسماهما معاً- ولدينا مثل من أيام ملوك أور [١]- عند عقد السلفة. كما أن الزوج لا يستطيع أن يتصرف في الملكية المشاركة دون رضاء زوجته.

وكان معروفاً أن للمرأة المتزوجة أهلية قضائية معينة فهي تستطيع أن تكون شاهدة، ولقد كانت الحال كذلك منذ عهد ما قبل السجونية، إذ نجد امرأة تشهد في بيع بيت [٢] وكان من حقها أن يكون لها أملاك خاصة وأن تتصرف فيها دون موافقة زوجها كما كانت تبيع عبيدها ولم يكن القانون يقف في وجهها إلا في حالة الجارية (الآمة) التي

(1) I, t, XIII.

(2) XXXV, no 31.

منحتها لزوجها كمحظية فأنجبت منه أطفالاً.

وعندما يكون الزوج غائباً- في فترات الخدمة العسكرية مثلاً- وليس له ابن يكون قد بلغ سن الرشد فإن الزوجة تتولى إدارة شئون ثروته وتستولى شخصياً على ثلث إيراده. وقد حدث في مناسبة من هذا النوع إن طالبت زوجة برد عبد كان زوجها قد أعطاه بصفة رهن فحكم لها القضاء بما أرادت بعد أن تبين أن الخدمات التي أديت تعدل تماماً قيمة الدين [1].

ولقد كان حمورابي يمنح المرأة المتزوجة- "متى كانت تحسن رعاية بيتها وليست موضع لوم"- حق الالتجاء إلى القاضي ليمنحها حق استعادة بائنتها وهجر بيت الزوجية والعودة للمعيشة تحت سقف أبيها وذلك أن هي شكت طول غيبة زوجها وإهماله إياها. ولكنها تعرض نفسها في الوقت نفسه- إن لم تكن خالية من اللوم- إلى أن يصدر ضدها حكم يقضى بإلقائها في الماء.

وللزوج على زوجه حقوق معينة فهو يستطيع أن ينزلها إلى مرتبة الرق عند الدائن وظل معمولاً بهذه العادة الممعنة في القدم حتى عهد الامبراطورية الجديدة في أيام نابونيد **Nabonide**. ويحدد قانون حمورابي هذا الرق بفترة أقصاها ثلاث سنوات يجب أن تطلق حرية المرأة بعدها. كما يجوز للزوج أن يبيع زوجته الخائنة عقاباً لها وتحت ظروف خاصة لا نستطيع أن نحددها تماماً.

ويستطيع الزوج- إن لم يأت الزواج بثمرته الطبيعية: الذرية- أن يسلك أحد سبيلين: أما أن يأخذ زوجة من مرتبة ثانوية أو يطلق زوجته فيرد التبرهانو ويدفع قدراً من المال يبلغ مينة أو ثلث مينة مما يتناسب ومركزه الاجتماعي. ومن الحالات الفردية لوثائق الطلاق التي وصلت إلى أيدينا نجد أن هذا القانون قلما طبق لأنه كانت توجد دائماً اتفاقات ومن ذلك ان العرف حدد بعد عهد حمورابي ثمن الطلاق بنصف مينة. ومن حق الزوج الذي اعتزم أخذ زوجة من مرتبة ثانوية أن يدخلها بيت الزوجية ولكن

---

(1) I- t, XII.

لا يجوز له أن يجعلها مساوية لزوجته بل عليه أن يحدد في اللوحة الموقف الحقيقي وذلك من باب الحيطة وتنفيذاً للقانون الذي ينص على بطلان كل زواج لم يحدد الرجل في الوثيقة الخاصة به واجبات المرأة.

وقد حدث أثناء حكم سن موبالليت **Sin-Mouballit** والد حمورابي إن قرر رجل أن على زوجته الثانية أن "تغسل قدمي الزوجة الأولى وتحمل لها مقعدها إلى معبد الإله مردوك" (١) وعلى أية حال، فإن لها في حالة الطلاق كافة الحقوق الشرعية للزوجة.

وسواء أكانت الزوجة والدة أم لم تكن فإنها تستطيع أن تمنح زوجها محظية تختار من بين أمائها (جواريها) أو تشتري وكانت هذه المحظية تحرر متى ولدت له طفلاً. ولكن سيدتها تظل باستمرار محتفظة بحق ردها إلى مرتبة الاماء إن هي حاولت منافستها. بل إن لها حق بيعها إن لم تكن قد أصبحت أماً. ولم يعد يسمح للزوج الذي منحته زوجته محظية رزق منها بذرية أن يدخل امرأة أخرى في بيت الزوجية.

وإذا أصيبت الزوجة بمرض مزمن أو بعاهة يمنعانها من أداء واجباتها فإن ذلك ليس من الأمور التي تبيح للزوج تطليقها وقد يستطيع الرجل في مثل هذه الحالة أن يتزوج شرعياً من امرأة أخرى ولكن يظل للزوجة الأولى حق البقاء في بيته على أن يضمن لها سبل حياة محترمة تبعاً لمركزه الاجتماعي. وإن هي فضلت الانسحاب فإنه يحق لها أن تعود إلى بيت أبيها وأن تأخذ معها بائنتها كاملة غير منقوصة. وقد كان التشريع السوميري القديم يقضى بأن تلقى في الماء الزوجة التي ترفض ممارسة واجبات الزوجة. أما حمورابي فقد فرق بين مختلف الحالات: فإذا لم تكن الزوجة على دراية تامة بشئون بيتها فإنه يطبق عليها هذا القانون حرفياً. وبالعكس إن كانت تستطيع أن تثبت أن زوجها هجرها فإنه يسمح لها بأن ترجع إلى منزل أبويها وأن تأخذ معها بائنتها. أما إن ساءت سيرة المرأة وأصبحت لا تكترث برعاية شئون بيتها وأهملت أمور زوجها فإنه يستطيع في هذه الحالة أن يختار بين أمرين: أما إن يطلقها أمام المحكمة، وفي هذه الحالة

(1) XLIII, No, XIX,.

تطرد دون أن تأخذ أي تعويض، أو يقرر أمام القاضي أنه لا يرغب في تطليقها وعندئذ يستطيع استبقاءها كجارية، ومن حق الزوج في كلتا الحالتين أن يعقد زيجة جديدة.

ويجوز من جهة أخرى للزوج أن يطلق المرأة سواء أكانت زوجة شرعية أم محظية، دون أن تكون قد قارفت اثماً وليس من شك أن هذا تهديد مباشر لمبدأ الزواج من امرأة واحدة. وفي هذه الحالة تنسحب المرأة ومعها بائنتها ويمنحها القاضي حق الانتفاع ببعض ممتلكات زوجها كما يحكم بضم أولادها إليها، وعندما يبلغون سن الرشد تتسلم حصة مساوية لحصة أحد الأولاد وتصبح حرة في أن تتزوج مرة أخرى. وكان هناك قانون سوميري قديم يمنحها نصف مين من الفضة.

وإن زنت المرأة فإنه من الممكن أن يحكم عليها بالإعدام إن هي أمسكت في حالة تلبس. وكان الشريكان في الاثم يوثقان معاً ويلقى بهما في الماء "إلا إذا رأى الزوج أن يبقي المرأة على قيد الحياة ورأى الملك أن يبقى على خادمه" أما في غير حالة التلبس فإن المرأة تستطيع ابراء (تبرئة) نفسها عن طريق القسم. وأما إذا كان الأمر لا يتعدى حدود الشائعات عن سوء سيرها وسلوكها فإنها تمر بامتحان عسير وبتجربة قاسية تاركة للنهر– الإله أمر تبرئتها. وأنه لمن الواضح أن الأمر يمس الزنا أكثر مما يمس تعدد الأزواج فيما يتصل بالعقوبات التي كان قد أصدرها أوروكاجينا من قبل حين قرر: "أن المرأة فيما مضى، كان يمكن أن يكون لها رجلان (دون أن ينالها عقاب) أما المرأة اليوم (ففي هذه الحالة) يلقى بها في...".

وقد يحدث أن يؤخذ الزوج أسيراً، ولا يجوز للمرأة في هذه الحالة أن تكون لها علاقة برجل آخر إذا كانت موارد البيت كافية وهي إن فعلت فإنها تعرض نفسها للمحاكمة ولأن يلقى بها في الماء. أما إذا كان "لا يوجد شيء يؤكل" فإن المرأة تستطيع أن تتزوج من جديد وعليها إذا عاد زوجها الأول بعد ذلك أن تعود إليه، تاركة أولاد الفراش الثاني لأبيهم. أما المرأة المهجورة فغير ملزمة بالعودة إلى بيت الزوجية بل عليها– إن كانت قد تزوجت للمرة الثانية– أن تظل مع زوجها الجديد. وقد تعرض القانون أيضاً لحالة المرأة التي تحرض على قتل زوجها بقصد الزواج من غيره وقدر لها عقوبة الشنق.

ومن حق الرجل أثناء الزواج أن يقدم لزوجته هبة كي يضمن لها بعد وفاته موارد عيش أوفر مما كانت تحصل عليه من بائنتها ومن حصتها المساوية لحصة أحد الأولاد وهو المقرر لها بمقتضى القانون. وليس لها من هذه الهبة المسماة "نودونو" **Noudounnou** أكثر من حق الانتفاع كما أنها لا تستطيع التصرف فيها بالبيع "فهي لأولادها من بعدها" وإذا اختار رجل حر جارية زوجة له أو محظية فإن أمومتها الأولى تحررها. وابنة الرجل الحر التي تتزوج من عبد لا تصبح أمة. وليس في مقدور سيد العبد أن يطالب بثمرة هذه الزيجة من أولاد بل– أكثر من ذلك– ترد بائنتها إليها كامنة عقب وفاة زوجها إن كان أبوها قد أعطاها بائنة. كما أن لها الحق في نصف ملك المشاركة الذي اقتنى خلال الحياة الزوجية لمصلحة ذرية الزوج على حين يصبح النصف الثاني ملكاً لسيد العبد.

هكذا حددت الأحوال الشخصية للأزواج بمقتضى قانون حمورابي، وتسمح لنا وثائق من مصادر مختلفة مكتوبة قبل وبعد اصدار هذه التشريعات هي عبارة عن لوحات زواج وطلاق وعقود هبة... تسمح لنا هذه الوثائق أن نصل إلى تقاليد ترجع إلى عهود سابقة تختلف قدماً، وأن نتعرف على التقاليد المستحدثة التي لم يعمل بها في الواقع وفقاً لنصوص القانون.

هذا وتحدد بعض نصوص قانون حمورابي كذلك مركز الأولاد في العائلة فالولد يولد حراً إذا كانت أمه من طبقة الأحرار، ومحرراً إذا كانت أمه الجارية (الأمة) محظية رجل حر، وعبداً إذا كان أبواه من طبقة العبيد. أما إذا كان أبوه أو أمه يرتزقان من الدعارة فإن الطفل ينشأ عند من يتبناه ولا يمكن استرداده. ويجب أن يجهل الولد نسبه، فإذا عرفه وأراد أن يترك من تولاه طفلاً برعايته، واللحاق بأبيه وأمه، فإن القانون يقضى بأن تقلع عيناه.

شاع التبني، وهدفه الابقاء على العائلة بإعطاء طفل لمن ليس له أولاد ويئس من أن يرزق بنسل– على نطاق واسع في بابل رغم وجود مخرج نادوني لفسخ الزيجات غير المثمرة، وقد تجاوزوا هذا الهدف حتى أنه حدث ملاً أن والد خمسة أطفال– وهي حالة

شاذة على أية حال– تبني طفلاً سادساً وكانوا في الواقع يفرقون في المعاملة من ناحية التبني بين الطفل الذي لا يمت للعائلة بصلة النسب وبين أطفال المحظية، ومن ذلك أن أطفال المحظية لا يتمتعون بحكم مولدهم بكافة حقوق أطفال الزوجة، فهم ليسوا أولاداً شرعيين ويظلون دائماً في مرتبة أدنى من مرتبة هؤلاء حتى إن هم اكتسبوا شرعية بمقتضى عقد حر بصدره الأب أو الزوجان أو حتى الزوجة وحدها في بعض المناسبات. ويتم التبني بموجب كتابة عقد أو وثيقة مصدق عليها من طرف واحد. ويحرر العقد بين المتنبي وبين الذين كانوا قد قاموا بتربية الطفل المتبني. أما إذا كان الأمر خاصاً بأولاد المحظية أو إذا كان المتبني قد اكتسب حقوقاً على الطفل بأن تولى– بموافقة ذويه– الاتفاق عليه أو تعليمه حرفة فإن التبني يتم بوثيقة يحررها طرف واحد. وإذا لم يكن المتبني قد رزق أطفالاً بعد فإنه يراعى عند تحرير اللوحة احتمال حدوث ذلك فينص فيها على أن الطفل المتبني سيعتبر كالأخ الأكبر للأطفال الذين قد يرزقهم. أما إذا كان له أولاد فإنه عندما يحرر الوثيقة الخاصة بشرعية أولاد المحظية يضمنها نصاً يحظر على باقي الأولاد المعارضة في حقوق المتبني المكتسبة. وقد تعرض القانون لحالة الرجل الذي تولى تربية طفل ثم اعتزم طرده بعد أن أصبحت له عائلة فمنح الولد الذي تنكر له المتبني لهذا السبب بثلث نصيب ولد في ثروة الرجل المنقولة ولكنه أنكر عليه أي حق في الثروة الثابتة. وكان الطفل المتبني إذا تنكر للرجل الذي تبناه يوسم على جبهته بعلامة العبودية ويوثق بالأغلال ويباع وتكسر لوحة تبنيه. وإذا كان ابن عامر أو عاهرة فإن لسانه يقطع.

ويستطيع الرجل الذي اعترف بحقه في أن يعطى زوجته أو محظيته كجارية إلى دائنه أن يتصرف على نفس الوجه في أولاده ذكوراً وإناثاً بنفس الظروف، مهما تكن سنهم ومهما تكن حالتهم: أي أنه يستطيع طبقاً لقانون حمورابي أن يعطيهم كرهن لمدة أقصاها ثلاث سنوات وقد تضاعف حق الرجل في هذا الشأن على مر الأيام فيما لو سمحنا لأنفسنا أن نحكم على ذلك من المثل الوحيد المعروف من العهد البابلي الجديد [1]: لقد

(1) I, t, XII.

ظل المدعو ايناتسيل بابي رابي **Ina-tail-Bâbi-rabi** يعمل عبداً مدى عشر سنوات مقابل دين على أبيه قدره ٤٢ شاقلاً من الفضة، وكان عليه أن ينتظر أمداً طويلاً حتى يسترد حريته لو لم يسعفه موت أبيه بتصفية الدين حيث ورثه. كان المذكور خياراً فاضطر إلى الخدمة بصفته رهناً عند الساجيتوم **Sagittoum** اهاتا **Ahata** وقدر أجره حسب القانون بستة "قا" من الشعير يومياً أي "جور" واحداً في الشهر، وحدث أن توفيت السيدة أهاتا بعد أربع سنوات وحل محلها في وظيفتها بنات اينا ايساجيل **Bânat-ing-Esagil** وحول إليها الدين والرهن واستمر "اينا تسيل بابي رابي" يعمل في خدمتها بنفس الأجر مدة ست سنوات. فلما توفي اهوشونو **Ahoushounou** والد الشاب في السنة العاشرة من عبودية ابنة عمل الشاب حسابه وأعطى ٢٠ "جور" من الشعير لسيدته تصفية للدين، والتجأ في عام ٥٥٨ إلى محكمة أوروك مطالباً بتحريره فصفى القضاة الحساب على أساس أن الدين الأصلي وقدره ٤٢ شاقلاً من الفضة قد بلغ بالفوائد البسيطة محسوبة على أساس ٢٠% – وهو السعر القانوني للفائدة– ثلاثة أضعاف قيمته الأصلية في مدى عشر سنوات فبلغ مينين وستة شواقل، وأن الخدمات التي أديت محسوبة على أساس ستة "قا" من الشعير يومياً والعشرين "جور" التي أعطاها تساوى ١٤٠ "جور" من الشعير وهي قيمة مساوية لمينين وستة شواقل، ولما تبينوا ذلك أمروا بكتابة لوحة ختمت بأختامهم تقضى بإلغاء الدين وتحرير الرهن (أي العبد).

وينظم حمورابي عملية تقسيم التركة عند وفاة الأقارب وإعادة الأملاك التي تركها المتوفى الذي لم يرزق أولاداً أو لم يكن في استطاعته تحديد وريث قانوني وكان لرب العائلة في هذا العصر– وفقاً لما ورد في صحوك شخصية– حق التصرف أثناء حياته في جزء من أمواله لمصلحة أجنبي كهبة بصفة نهائية. وكان يكفى في ذلك أن يحرر عقداً رسمياً بنقل الملكية أمام شهود فتصبح إلهبة المعطاة بهذه الطريقة غير قابلة للطعن أمام المحاكم. وقد رفضت جميع المعارضات التي قدمها الأولاد في هذا الأجراء. وكان يوضع دائماً نص في العقد يسقط ما قد يثار من معارضة مستقبلة وكثيراً ما عنى أبوهم بأن يحضرهم بصفة شهود أثناء تحرير العقد. وكان من حق الزوجة أيضاً أن تتقبل "نودونو"

Nondounnou من زوجها طبقاً لما جاء في إحدى اللوحات. ولكن هذا التبرع كان يحرمها من اي نصيب في الميراث. وهكذا كانت الحال بالنسبة لكل ولد- كان والده قد نقل إليه وهو لا يزال على قيد الحياة- ملكية جزء من أمواله. كما كان الأمر كذلك بالنسبة لبناته المتزوجات أو الكاهنات أو النساء العموميات اللواتي كا قد أعطاهن بائنة.

وهكذا فإن الولد الذي كان يرغب في تكوين أسرة مستقلة عن عائلة أبيه يستطيع طبقاً للقوانين السوميرية في نيسابا ومالي أن يحصل على نصيبه على ألا يكون له بعد ذلك أي حق في الميراث.

وعند وفاة رب العائلة كان يوضع جانباً "تيرهانو" للذكور الأطفال ثم تقسم الثروة المكونة من البيت والأرض والمزروعات والعبيد والإناث والحيوانات طبقاً للقواعد التالية: حصة واحدة للأم وذلك ما لم تكن قد منحت "نودونو"، وحصة لكل من الأولاد الذكور وحق الانتفاع من حصة لكل بنت لم تعط "شرقتو" على أن تبقى الرقبة [1] لأخوتها. وحق الانتفاع أيضاً على حصة للبنت التي وهبت للخدمة عند الآله. وملكية ثلث حصة للبنت التي انتظمت في خدمة الآله مردوك في بابل. وكانت تحجز بائنة تقدر حسب ثروة العائلة لمصلحة بنت المحظية التي لم تتزوج بعد. أما فيما يختص بأولاد المحظية الذكور فإنه لا يحق لهم- رغم تحريرهم وعدم إمكان مطالبتهم بأن يكونوا عبيداً- أن يكون لهم نصيب في التركة متى كان الأب لم يعطهم وهو على قيد الحياة لوحة تبن. أما إذا كان الأب قد رأى أن يدخلوا في عداد الورثة ففي هذه الحالة يعطون حصصاً ولكن من حق أولاد الزوجة اختيار أنصبتهم.

وإذا كان رب العائلة تزوج مرتين فإن حقوق أولاد الفراشين (الزوجتين) في تركة

---

(١) الرقبة: لفظة فقهية تعني جميع خصائص حق الملكية التي يحرزها صاحب عين لغيره حق المنفعة أو الاستعمال أو السكنى.

(راجع- خليل شيبوب: المعجم القانوني(١٩٤٩)، ص ٥٢٥)-(المترجم).

الأب متساوية. وعلى أولاد الابن الذي مات قبل والده أن يقتسموا فيما بينهم النصيب الذي سيؤول إلى والدهم وإذا كان ليس للابن أولاد فإن الميراث يؤول إلى إخوته، وفي حالة عدم وجود أخوة إلى عمومته. ولم يكن حق التبرع على وجه يمس أنصبة الأولاد أمراً مشروعاً قبل زمن حمورابي فحسب بل كان يمكن كذلك حرمانهم من الميراث حرماناً كاملاً. وينص أحد قوانين نيسابا وهالي "إذا قال أب أو أم لأحد أولادهم "إنك لم تعد ابنا لنا" فعليه أن يخرج من المدينة" وظلت الحال كذلك في عهد سنمو بالليت **Sin-mouballit** ولكن عند صدور القانون الجديد أصبح الأمر يتطلب الالتجاء إلى القضاء ووجوب اثبات جريمة ارتكبها الولد تكفي خطورتها لحرمانه من حقوقه.

ويطبق نفس النظام الخاص بتركة الزوج على تركة المرأة المتزوجة وهو الابقاء على الثروة في العائلة فهي إذا لم يكن لها أولاد لا تستطيع التصرف في ممتلكاتها التي تؤول عند وفاتها إلى بيت أبيها فيما عدا قيمة النيرهاتو التي دفعها زوجها وقت الخطبة والتي يعيدها إليه حموه أو يخصمها الزوج بنفسه من البائنة وإذا ترملت الأم وكانت قد منحت "نودونو" أو نصيب ولد فإنها تظل في بيت زوجها وتتمتع بممتلكاته ولكنها لا تستطيع بيعها مقابل فضة. وهذه الممتلكات حق لأولادها من بعدها أما إ.ذا كانت على خلاف مع أولادها فإنها تستصدر من القاضي تصريحاً بالانسحاب تاركة ما آل إليها عن زوجها وآخذة معها بائنتها فقط، وبعد وفاتها تقسم تركتها بين أولادها حصصاً متساوية ويحصل كل منهم على نصيبه ما لم يكن قد حصل من قبل على تبرع خاص، وإذا كانت المرأة قد تزوجت مرتين فإن الزوج الثاني يستبعد ثم تقسم التركة بين أولاد الزيجتين (الفراشين) حصصاً متساوية.

وكانت التركة تقسم بالطريق الودي أو عن طريق المحاكم. كما كان من المستحسن أن تحرر لكل من المتقاسمين لوحة يستطيع أن يثبت بها ملكية نصيبه، ولدينا من أمثلة ذلك اللوحات الثلاث المحررة لثلاثة أخوة في السنة الثالثة عشرة من حكم سنمو بالليت.

وإذا كان المتوفى من ذوي المراكز المرموقة فإن الأمر كان يستدعى أن يثبت أن الأملاك التي تركها خالية من كافة الموانع وهو نص ضروري في حالة سبق حصوله من الملك على أملاك لا تنقل ملكيتها إلى العائلة كأملاك ال "ايلكو" التي كانت تخصص لرجال الجيش.

ولقد وجدت في لوحات العصر البابلي الجديد لوحة واحدة خاصة بزواج حدث عن طريق الشراء. ففي السنة الثالثة عشرة من حكم نابو خودونوسور الثاني داجيل ايلي **Dâgil-ili** إلى حا **Hamma** ابنة نرجال ادين **Nergal-iddin** قائلاً "أعطني أختك لاتوباشيني لتصحيح زوجة لي" وتمت الصفقة وسلم داجيل ايلي إلى حما في مقابل أختها مينا ونصف مين من الفضة وعبداً اشتراه بنصف مين، ونص كذلك على أنه إذا اتخذ الزوج زوجة أخرى، فإنه ملزم بدفع نصف مين كثمن للطلاق [1]. ويظهر أن هذا الحادث أثر من التراث الأشوري وليس دليلاً على وجود عادة الزواج عن طريق الشراء عند البابليين لأن المرأة كانت تحصل من أبيها على بائنة حتى في عهود الملوك الأكمينيين وهاك مثلاً من عهد الملك داراً عن زواج، كان الزوجان فيه من دم أجنبي فإنه في السنة الحادية عشرة من عهد الأمير المذكور طلب باتمو أوستو **Patmou-oustou** يد أخته تاهيما أوشاكتوم **Tabima-oushaktoum** من سامان نابىر **Saman-napir** فحصلت الفتاة لبيتها على سرير أكادي وبعض المقاعد ودست من النحاس وعدة أشياء أخرى، وفي عهد نابو خودونوسور الثاني [2] وهبت السيدة سيليم عشتار **Silim-ishtar** جميع أموالها إلى ابنتها شانا شيشو **Shanashishou** وذكرت في العقد كيف أنها كانت قد سبقت فرتبت بمناسبة زواج ابنتها بائنة، وسردت تفاصيلها على الوجه التالي: خمسة مينات من الفضة وعبدان وبعض الإناث وسميت هذه البائنة "نودونو" وهو اسم كان يطلق في عصر حمورابي على الهبة التي يمنحها الزوج إلى زوجته، كما أن ال "شريقتو" أصبح الآن ما يعطيه الزوج كهبة، وهذا التعديل في المعنى بين

---

(1) XXX, D, 167.

(2) CXIV, Dar 301, NBK, 283.

الاصطلاحين المتداولين في اللغة البابلية جدير بأن يسترعى الانتباه. فإن النودونو كان يتضمن أموالاً منقولة وأموالاً ثابتة منها الأراضي والفضة والعبيد والأدوات المختلفة [١] وكثيراً ما كان الحمو يؤجل تسليمه لصهره مما كان يؤدي إلى نزاع قضائي. وقد صدر قانون [٢] في القرن السابع يلزمه بأن يسلم ما وعد به بما يتفق وموارده: "لا يجب أن يقوم نزاع بين (الحمو) وصهره" وكانت خير وسيلة لوضع الأمور في نصابها أن يحدد باقي البائنة بموجب عقد ويحدد رهن لضمان سداده. وهكذا فعل **Aplâ** بن "بعل أعي لدين **Bél- ahé-iddin**" في السنة الحادية عشرة من عهد نبوخذ نصر [٣]: "إن باقي نودونو حما **Hamma** ابنة أبلا زوجة بلاتسو **Balatsou**عبارة عن أربع مينات من الفضة لها أن تتسلمها من أبيها أبلا. وجميع أمواله الكائنة بالمدينة والأرياف مهما يكن مقدارها تعتبر رهناً لـ"حما" ولا يمكن أن يعطى حق التصرف فيها لدائن إلى أن تحصل حما على أربع مينات من الفضة وهي باقي النودونو المستحق لها".

وقد ظل القانون الخاص بإعادة أموال الزوجة– التي توفيت دون أن تنجب– إلى عائلتها... ظل دون تعديل منذ حمورابي وكانت الأرملة التي لم تأت بذرية، تسترد بائنتها وتأخذ معها كل ما خصها به زوجها كتابة وإذا كانت قد تزوجت بغير بائنة ولم يعطها زوجها شيئاً فإنها تلجأ إلى المحكمة ويقدر القاضي ثروة المتوفى ويحدد للمرأة جزءاً من الشركة.

وللمرأة المتزوجة أن تتصرف شخصياً في أموالها سواء اشترك زوجها أو لم يشترك فقد تزوجت "اينا ايساجيل باناتا**Ina- Esagil-banâta**" من "أوباليستو جولا **Oubailistou-goula**" في العام السادس من حكم نابونيد وأعطيت بائنة هي مين من الفضة وبعض الإناث وثلاثة من العبيد، وبعد خمس سنوات أقرضت "ابتي بعل ابنو **Itti-bél-abnou**" وهو عبد من عبيد حميها قرضاً قدره عشرون شاقلاً. وقد كان

---

(1) CIX, Nos 10, 24, 93, 99, 100, 121.

(2) XCV, p.72

(3) CXIV, NBK, 91.

زوجها بنفسه كاتب العقد.

ويظهر أن حوادث الطلاق كانت كثيرة ومرجعها الوحيد مزاج الزوج، وعلى الأقل فإن لوحات الزواج كثيراً ما كانت تتوقعه فتحدد ثمنه. من ذلك مثلاً أن "شماس نادين شوم" **Shamash-nâdin-shoum** رغب في السنة الرابعة من حكم كيروش أن يتزوج من نادا **Nâdâ** ابنة نابو زقيب **Nabou-zagib**. وحين تم الاتفاق على ذلك تعهد بتنفيذ ما يلي مصحوباً بالقسم: "في اليوم الذي يقدم فيه شماش نادين شوم، على تطليق نادا ويتزوج من امرأة أخرى يدفع إلى نوبوزقيب ستة مينات". وتوجد في وثائق أخرى نصوص ترمي في هذه الأحوال إلى تحديد معاش للزوجة والأولاد. ويظهر أن تحرير مثل هذا العقد كان يستلزم حضور شانجو **Shangon** (مدير المعبد) حتى يعتبر صحيحاً.

وعندما لا يكون للزوجة ولد ذكر وإنما ابنة فمن حقها أن تتصرف في ملكية أموالها لمصلحة هذه الفتاة. وهذا ما فعلته السيدة "سيليم عشتار" في العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخودونوسور الثاني فقد احتفظت بحق الانتفاع على أموالها وحددت الموقف في وضوح تام: ومنذئذاك أصبحت لا تستطيع التصرف في الرقبة وتحويلها إلى شخص آخر وعند وفاتها تكون كل أموالها ملكاً لابنتها "جولا قاعيشات **Goula-qa'ishat** ولكن بتحفظ واحد يقضي بأنه ليس من حق هذه الأخيرة التصرف في هذه الأموال دون موافقة زوجها.

ويقتضي كذلك تحرير أو تبني عبد اشتراك الشانجر: ففي السنة التاسعة من حكم كيروش أعلنت السيدة هبتا **Hibtâ** سيدة العبد بازوزو **Bazouzou** أمام شانجو سيبار أنها اعتزمت الاعتراف بهذا العبد ولدا لها بشرط أن يورد لها– وفقاً لنصوص اللوحة– ما يكفل معيشتها وما تتطلبه من طعام ودهون وكساء، وفد حدد مدير المعبد بنفسه كميات المأكولات اليومية والتوابل والأقشمة وباقي الأتاوات التي يكون مجموعها الالتزامات المقررة على المتبني.

ولم يكن القانون يسمح بأن يتزوج الرجل أكثر من امرأة في وقت واحد لأنه لا

يستطيع أن يعدل بينهما فإن تزوج اثنتين– حتى ولو كانتا أختين– فإن أحداهما تكون في مرتبة تقل عن مرتبة الثانية، وقد راعى القانون كذلك احتمال زواج نان لامرأة وقع زوجها الأول أسيراً في يد العدو.

وقد ظل حق الزوجة الأم التي ترغب بعد ترملها في البقاء في بيت زوجها محفوظاً لها في عهد الملوك الأكمينيين كما كانت الحال في عهد الأسرة الأولى– من ذلك أنه حدث في عهد قمبيز أن أقسمت "أوموتابات **Oummou-tabat**" أرملة شاماش أو بالليت **Shamash-ouballlt** أمام بعلى أو بالليت **Bél-ouballit** كاهن سيبار أنها لا تريد أن تتزوج من جديد وإنها ترغب في أن تعيش مع أولادها الثلاثة وتتولى تربيتهم حتى بلوغهم سن الرشد [1]. أما الأرملة التي كانت تفضل أن تنسحب من بيت أولادها وأن تتزوج مرة ثانية فإنها تأخذ معها بائنتها وكل ما أعطاها إياه زوجها كتابة وعند وفاتها تقسم هذه البائنة حصصاً متساوية بين أولادها. وهذه البنود (الشروط) هي نفس النصوص الواردة في المادة ١٧٣ من قانون حمورابي. ويحدد القانون كذلك بدقة مركز البنات ولكننا نجهل ماهية هذه الظروف. وكذلك يحدد تركة الأب الذي تزوج مرتين ورزق أولاداً من الفراشين فقد نص حمورابي في المادة ١٦٧ من القانون على أن الأولاد لا يأخذون أنصبتهم تبعاً لأمهاتهم بل يؤول إلى كل منهم نصيب مسار في الأموال المنقولة لبيت ابيهم. ولكن الحال لم تعد كذلك في القرن السابع فقد أصبح لأولاد الزوجة الأولى الحق في ثلثي ثروة الوالد المنقولة جميعاً على حين أصبح نصيب أولاد الزوجة الثانية قصوراً على الثلث فقط.

والقانون الذي نظم بدقة أحوال البنات اللاتي يتزوجن لم يهمل أحوال البنات اللواتي ظللن بغير زواج: العذارى اللائي كرسن للآلهة أو العاهرات، وقد كانت لهاته النساء في عهد حمورابي حقوق شرعية في أموال آبائهن. ويستطيع الأب أن يمنح ابنته

(1) CXIV, Nbn; 243, 498. Cyr 183: NBK 288., Cyr.339. Camb. 113,273.

بائنة أما بنقل ملكيتها إليها أو بالاكتفاء بإعطائها حق الانتفاع، وهي في الحالة الأولى تستطيع أن تتصرف في هذه الأموال "وفق هواها" دون أن يكون لأخوتها حق محاسبتها على تصرفها، أما في الحالة الثانية فإن الإخوة يتولون عند وفاة الوالد إدارة الأموال الثابتة ويوردون لها الريع من شعير وزيت وصوف بقدر نصيبها، وإذا حدث ما يدعو إلى الشكوى من إدارتهم فإنها تختار مستأجراً ولكنها لا تستطيع أن تتصرف في الملكية لن الرقبة لأخوتها، وإذا لم يقدم الأب بائنة لابنته العذراء التي ترهبت أو لابنته العاهر فإن الواحدة منهما ترث الانتفاع في حصة ولد على حين لا تحصل خادمة العبد (كادشو)**Kadishtou** أو العذراء (زيوماشيتو **Zér-mashitou**) في نفس الموقف على أكثر من حق الانتفاع في ثلث حصة. وقد حصلت كاهنة مردوك في بابل على ثلث حصة ولكنها متمتعة بحق الملكية المطلق على هذه الحصة: ومع ذلك فإنها محرومة من حق الإشراف شخصياً على أراضيها رغم أنه من حقها أن تتصرف في ملكيتها أو أن توصي بها إلى من تشاء.

وكانت الكاهنات والعذارى اللائي كرسن إلى المعبودات يستطعن أن يتزوجن شرعاً ولكن لم يكن في المستطاع لهن دائماً التخلص من نذرهن، وإننا لنراهن كطرف متعاقد في كثير من عقود مدينة سيبار حيث كان قد أنشئ محفل كبير في ظل معبد شماماش. كما أنه كثيراً ما عقدت فيما بينهن اتفاقات: مثال ذلك: حدث في عهد حمورابي [1] أن اشترت الكاهنة "ريباتوم **Ribatoum**" "سار" من أرض مبنية كانت مملوكة للكاهنة أيا انيل رشيتيم **Aia-inill-rishétim** بثمن قدره ثلث مينا من الفضة.

وقد ظهرت العاهرات في سومير منذ أبعد العهود. ونحن نعرف أن تلك التي أنقذت "انكيدو **Eakidou**" الشخصية الأسطورية من حياة الهمجية التي كان يحياها كانت إحدى فتيات الهوى.

ولقد اتخذت عبادة الفاجرة عشتار المكانة الأولى في مدينة أوروك التي كانت

---

(1) LXXI. No, 67.

مكرسة فيما مضى للآلة الأعظم أنو **Anou** وكان يوجد بها ثلاثة أنواع من العاهرات المقدسات: الكزريت **Kizréte** والسانهات **Sanhate** والحريمات **Elarimate**" اللاتي من أجلهن أبقيت عشتار على الرجل وسلمته إلى أيديهن" وكان يقال عنهن:

"لا تتزوج من حريماتو لا يحصى عدد أزواجها

لأنها في مصابك لن تسندك

وستفترى عليك في قضيتك

ليس الاحترام أو الخضوع من خصائصها

إنها ولا شك تقوض البيت– أخرجها منه

تلك المرأة التي تطيل النظر في أثر كل رجل غريب

إن كل بيت تدخله ينهار ولا يفلح من يتزوجها"

ولم يكن يسمح في عهد الأسرة الأولى للعاهرات أو المخنثين من رواد القصر بتنشئة أولادهم بل كان يعهد بهم إلى من يتبناهم فإذا حاول أحدهم البحث عن أبويه الحقيقيين وأراد أن يعيش معهما فإن القاضي يحكم عليه بالموت. وفي الألف الأولى كانت ترى في بابل– حسب ما جاء في كتاب باروخ **Baruoh**[1]– "نساء متمنطقات بحبال جالسات في الطرقات يحرقن نوى الزيتون لآلهتهن وكانت الواحدة منهن عندما يقع عليها الاختيار تنال باللوم جارتها التي لم ينلها التوفيق". ويزعم هيرودوت واسترابون أنه كان على كل امرأة أن تفرط في نفسها مرة إلى رجل غريب عنها... كان الرجال يمرون أمام النساء ويلقون بقطعة من العملة أية كانت قيمتها في حجر المرأة التي يقع الاختيار عليها ولم يكن ليجوز لها أن تمتنع بل كان عليها أن تتبعه...

"ومهما تبد هذه العادة وحشية في نظرنا– وقد أصبحت من مقتضيات العبادة– فإنه كان لها في بادئ الأمر على الأقل هدف اسمى من مجرد ارضاء شهوة جنسية، إنها

---

(1) Baruch, VI, 42-43.

كانت تضحيات حقيقية تقدم بها المرأة إلى الآلهة أولى ثمار جسدها بأن تستسلم إلى رجل غريب قبل أن تعطي نفسها لزوجها. وهذه التضحية شأنها شأن أية تضحية من نوع آخر قد تكون آليمة ومع ذلك فإن الرضى بها كان محترماً... "ولكن"– كما يضيف هيرودوت– "عندما تؤدى المرأة واجبها نحو الآلهة لا يصبح من الميسور اغراؤها بأي مبلغ يعرض عليها" (١).

وتكشف لنا عقود من عهد نبوخودونوسور الثاني (٢) أن ذرية اجيبي **Egibi** أشد أثرياء البابليين كانوا يربحون من دعارة جواريهم وهكذا اشترك نابوأهي ادين **Nabou-ahé-iddin** مع المدعو كالبا **Kalbâ** وسلم إليه خادماته على أن يكون نصيبه من الكسب ثلاثة أرباعه.

ولقد كان هدف المشرع البابلي في جميع العهود حين يضع القواعد الخاصة بالمواريث وتقسيم الأموال حفظ كيان الأسرة، وقد حددت حقوق الفرد على وجه يضمن الابقاء على الرابطة العائلية أطول مدة ممكنة. ومع ذلك لم تكن هناك ألقاب عائلية، إلا أننا نجد حوالي القرن السابع في الوثائق الخاصة اسم أحد الأسلاف ينتسب إليه جميع أفراد ذريته: اجيبي **Egibi** وموراشو **Mourashou**. وكان الواحد من طبقة الأحرار يعرف قبل هذا العصر باسمه واسم ابيه "فلان بن فلان" أما العبيد فكانوا يعرفون باسم واحد فقط "فلان". وكانت هذه الأسماء عند قدماء السوميريين وكذلك عند الأكاديين صيغاً ورعة.. تمجد المعبود أو تضع صاحبها تحت حمايته. ونجد في العهد قبل السرجوني أسماء أورنينا **Our-Nina** أي "خادم الآلهة نينا" وندوبور أمامو **Ninshoubour amamou** أي "الآلهة ننشوبور أهي" وسبيب لاجاش كياج **Sib-lagash-kiag** أي "أن راعي لاجاش مخلص". وفي العنصر السامي من عصر اجادة نستطيع أن نذكر نارام سن "المحبوب من سن" وفي عهد الامبراطورية الجديدة

---

(1) LXVII, b., p, 250.

(2) CXIV NBK, 409, 679.

نبوخودونوسر أي "نابو احم الكودورو" **Koudourrou**. ولدينا من عهد نابونيد [١] دليل على الطريقة التي كانت تتبع أحياناً في تسمية الطفل حيث نجد أنه بناء على شهادة المدعو راموا **Rmbous** التي أمن عليها نادين شوم **Nadin-shoum** أطلقت المرأة الجارية لوبائلات **Louballat** اسم تدانو **Taddanou** على الطفل الذي أتت به إلى العالم" ومع ذلك فقد كان هناك أطفال بلغوا من العمر ثلاثة شهور أو أربعة لم تطلق عليهم أسماء بعد. كما أن بعض الأشخاص في نفس العصر قد غيروا أسماءهم خلال حياتهم. من ذلك أن الملك بعد أن رفع ابنته إلى مرتبة كبيرة كاهنات معبد نانا **Nanna** في أور منحها اسماً جديداً هو: بعل شالتي نانا **Bél-shalti-Nana**.

ولقد فرض الملوك البابليون والاكينيون أسماء جديدة على الأجانب الذين يعينون في خدمتهم. ولقد أدخل السلوقيون استعمال الأسماء اليونانية التي انتشرت في المجتمع الراقي دون أن يؤدى ذلك إلى أن تتوارى الأسماء البابلية كلية على أية حال [٢]، ويظهر أن هذه التغييرات لم تكن بدعة: لأنه حدث خلال الأسرة الأولى أثناء حكم ملوك أور بل في العهد السابق للسرجونية [٣] أن رجالاً بالغين حملوا أسماء مركبة تركيباً مزجياً من اسم الملك الحاكم مما كان يؤدى في حالة قصر مدة حكم الملك إلى إبدال الاسم باسم آخر. بل وأكثر من ذلك نرى خلال حكم لوجالاندا أن موظفاً كبيراً يحمل اسم نينا أما لوجالاندا **Nina-ama-lougalanda** أي "الآلهة نينا هي أم لوجالاندا". وهو اسم كان قد أطلق في السنة السابقة على تمثال للأمير.

---

(1) CXIV, Nbn, 343.

(2) It, IX, p. 152.

(3) XXII, p., 15 et suiv,

الفصل الثاني

التشريع

إن أهم اكتشاف يتصل بالتشريع البابلي هو العثور على "قانون حمورابي".. ويطلق هذا الاسم على كتلة من الديوريت ارتفاعها ٣.٢٥ متراً ومحيطها ١.٩٠ متراً عند القاعدة. وقد عثر عليها مكسورة إلى ثلاث قطع بين خرائب سوسة في ديسمبر ١٩٠١ ويناير ١٩٠٢. ويزينها نقش بارز [١] يمثل آله الشمس شماس. رب الحق يملى على الأمير البابلي "مراسيم العدالة" التي نقشت نصوصها على محيط الكتلة الحجرية. وفي الحالة الراهنة للأثر الذي أقيم فيما بين العام الأربعين والعام الثالث والأربعين من حكم حمورابي (حوالي ٢٠٨٣ ق.م) نستطيع أن نطالع مائتين وخمسين مادة من القانون في ستة وأربعين عموداً تتضمن على وجه التقريب ٣٦٠٠ سطر من النصوص. وقد محيت في العصور القديمة خمسة أعمدة أخرى على الواجهة وأغلب الظن أن ذلك تم بناء على أمر الملك العيلامي شوتروك ناهونتي الذي ربما كان يهدف إلى أن ينقش شيء باسمه هناك كما يحدث بالنسبة للأسلاب الأخرى في الحروب. ولكن هذه الفجوة تعرضها بعض الأجزاء من نسخ قديمة محفورة على لوحات الطين وهي من الآثار الأشورية للعصر السرجوني أو تسد فراغها بعض المواد المتصلة بالقرض ذي الفائدة وعقود التوكيلات التي عثر عليها في خرائب نيبور.

وهو ليس قانوناً بالمعنى الذي أعتدنا أن نسبغه على الكلمة أي مجموعة من القوانين الت٦ي تتضمن نظاماً كاملاً للتشريع... وإنما هو مجموعة من القرارات الملكية، ومن الدساتير الخاصة بعدة موضوعات يستحسن أن تقارن بالعقود المحررة في نفس العصر حتى نستطيع الوصول إلى فكرة أكثر دقة عن الفقه الجاري إذ ذاك.

(١) قارن شكل(٦) صفحة ٤٦.

ويمكننا أن نلاحظ أن هناك ترتيباً معيناً في تتابع مواد القانون:

الطلسمة "السحر" والرقي "السحر الأسود" (١-٢)

إهانة الشهود وحملهم على تزوير شهادتهم (٣-٤)

إبطال الأحكام بواسطة من يصدرها (٥)

مختلف أنواع السرقة (٦-٢٥)

أحوال والتزامات الموظفين (٢٦-٤١).

الزراعة (٤٢-٦٥)

ثم- بعد الفجوة-

القروض بفائدة (أ-ح) ثم عقود التوكيل (١٠٠-١٠٧)

الحانات "بيع المشروبات" (١٠٨-١١١)

الديون واجراءات المقاضاة الخاصة بها (١١٢-١٢١).

عقود الإيداع (١٢٢-١٢٧)

الأسرة (١٢٨-١٩١)

الضرب والجروح (١٩٢-٢٣٤).

الأطباء والمعماريون والبحارة (٢١٥-٢٤٠).

الحيوانات والعبيد والأملاك الزراعية (٢٤١-٢٥٢).

ولم يكن قانون حمورابي أقدم تشريع ظهر في سهول الفرات، وهو إن كان قد أصدر قوانين جديدة- فإنما كان في أغلب الأمر ينادي بأمور كانت اجبارية منذ أمد طويل.

ألم يشر "أورو كاجينا" إلى النظم الجديدة التي وافقت عليها سلطته الملكية حين فآخر هذا الملك المصلح القديم بأنه منع الاستغلال والإساءة إلى الغير في مدينته

"لاجاش" وأنقذ رعاياه من اللصوصية والقتل ومر ايذاء القوي للضعيف؟ ولقد جعل أورانجور "العدالة تسود". وفي عهد سومولا ايلو الأمير الثاني للأسرة البابلية الأولى طبق "قانون الملك".

وعلى ذلك فقد كانت هناك أحكام قانونية في بعض المسائل، أما حين لم يكن هناك شيء من ذلك فإن العدالة كانت تطبق وفقاً للعرف المحلي. ولقد كان الأمر كذلك في حالة ترمل من عهد حكم حمورابي نفسه فإن قضاة بابل أصدروا حكمهم بأن "قانون أهالي (سكان) سيبار هو الذي سيسري على المتخاصمين".

ومع أنه لامرية في أنه كان يوجد مشرعون منذ العصر قبل السرجوني إلا أننا لا نعرف أسماءهم أو مدنهم وإن كنا نعرف جانباً من الإنتاج السوميري (الإجراءات السوميرية) عن طريق مجاميع متأخرة: ففي مجموعة أنا اتيشو **Ana-Ittishou** يمكننا أن نقرأ مواد قانونية نستطيع أن نترسم تطبيقها في عقود وأحكام قضائية قبل عهد حمورابي ، فإذا قال ابن لأبيه "لست بأبي" فللأخير أن يسمه وبقيده ويبيعه وأن قالت زوجة لزوجها "لست بزوجي" فإنه يلقى بها إلى النهر... وأكثر من ذلك نرى أن ما نشر أخيراً من أجزاء وقطع غير مؤرخة للقوانين السوميرية يشجعنا على الأمل في العثور على مستندات أكثر كمالاً... وبعض هذه القطع من نيبور [1] والبعض الآخر من مصدر مجهول وتكون جانباً من المجموعة المعروفة ب"قوانين (الآلهة) نيسابا و (الآله) حاني" [2].

أما فيما يخص التشريع اللاحق لعصر حمورابي فإننا نعرف القليل كذلك. فهناك جانب من نص في المتحف البريطاني يحوي أما أحكاماً قضائية أو مقتطفات من قانون. ويمكن مقارنة المواد المختلفة بحالات عديدة لنظائر لها عثر عليها في لوحات من العهد البابلي الجديد.

وفي العهد ما قبل السرجوني نجد في لاجاش ذكراً لقاض يدعى أورانيني **Our-enin**

---

(1) I, t, VXII, p. 35.

(2) XXVIII, t. I. No 28.

ولقد كان جيميل ايليشو **Gimil-ilishou** في عهد "نارام سن" قاضياً كذلك وهو الذي حفر على خاتمه الأسطواني مشهدين للصراع بين البطل جلجامش والأسد والثور. ولقد كان القضاة كثيرين في عهد أور فهناك بطاقة على سلة لوحات تذكر أربعة منهم في العام الأول ل"جيميل سن" **Gimil-sin** وكانوا يعقدون جلساتهم في الوقع في مكان خاص وكان عددهم يبلغ الأربعة أحياناً وأحياناً أخرى ثلاثة وطورا اثنين وتارة واحداً بمفرده وقد أصدر الحكم يوماً في مطالبة خاصة ببقرة أحد القضاة وعمدة المدينة. ولدينا حكم آخر أصدره الوزير الأعظم هذا واسمه أراد نانار **Arad-nannar** كان في نفس الوقت ايشاكو لاجاش وربما كان يمارس عمله في المحكمة بوصفه هذا لأن أحكاماً كثيرة لا نجد ذكراً فيها لقاض بل نجد اسم الايشاكو الذي اعتاد على أية حال أن يتدخل شخصياً لأبطال الأحكام. وكان يوجد في نفس العصر "مكان حلف اليمين باسم الملك" (١) حيث يطلب إلى المدعى والمدعى عليه والشهود أن يحلفوا اليمين على صحة ما يقدمون من اقرارات.

وفي الأسرة الأولى كانت المحاكم الابتدائية تصدر الأحكام وكان الاستئناف ضد أحكامها يرفع إلى الملك ولكنه كان محرماً على القاضي– لأي سبب من الأسباب– أن يغير حكماً أصدره وكانت عقوبته العزل أن هو أقدم على ذلك. ويقرر حمورابي "أن حكم قاض في قضية وأصدر حكماً وحرر لوحة ثم ألغى هذا الحكم فإنه يحاكم على الغاء الحكم الذي نطق به وعليه أن يدفع ١٢ ضعفاً لما سبق أن حكم به ثم يطرد من منصبه القضائي ولا يعود إليه مرة أخرى بل ولا يجلس فيما بعد مع قاض في أية قضية".

وكانت العدالة الملكية تظل الامبراطورية جميعاً وكان المتخاصمون يدعون شخصياً للحضور إلى بابل للمرافعة في قضاياهم وأحياناً أخرى كانت تخول سلطة البت إلى مندوب يفض النزاع محلياً. وكانت المحاكم الابتدائية على نوعين: كهنوتية ومدنية ويظهر

---

(1) XIX Nos. 810, 733, 748, 832, 920, 745.1, 952, 744; 963; 928, 1010, 960.

أن كل معبد كان من حقه أن يصبح مكاناً لتقرير العدالة وكان في استطاعة كهنته أن يصدروا الأحكام. وكان الكهنة والكاهنات– تبعاً للقضايا– يجلسون عند بوابة المكان المقدس أو في قاعة خاصة. وكان عددهم يبلغ الستة أحياناً في القضية الواحدة ولم يكن القضاة الجالسون في المحاكم المدنية بأقل من ذلك عدداً. وكانوا غالباً– إن لم يكن دائماً– رجالاً محترفين ذلك لأنهم كانوا يحملون لقب "قاض" حتى وهم خارج دائرة أعمالهم– مثال ذلك أنهم كانوا كذلك حين يكونون مجرد شهود عاديين عند تحرير عقد.

وكان المتبع أن تدون الأحكام القضائية وكان العقد يحرره كاتب في صيغة دقيقة مختصرة تسير على نمط واحد في المدينة الواحدة وإن اختلفت في مدينة عنها في أخرى. وكانت تذكر بها العناصر الخاصة لكل قضية وكذا قائمة بالشهود ، وكان يذكر التاريخ كذلك وكانت الوثيقة تصبح رسمية بمجرد وضع الأختام. وكانت النسخة الأصلية توضع غالباً في غلاف تكتب عليه تفصيلات الوثيقة وكان هو وحده أحياناً الذي يوضع عليه طابع الأختام الاسطوانية وكانت تعد نسخة لمن قد يرى له مصلحة في المستقبل لتقديمها. كما كانت توضع أخرى في سلة المحفوظات وأغلب الظن أن لوحات أور من هذه المجموعة الأخيرة حيث جمعت أحكام عديدة من أنواع مختلفة.

وكان عدد القضاة الجالسين في عصر الامبراطورية الجديدة– كما كانت الحال في العصور السابقة– يبلغ ثلاثة أو أربعة وكان يوجد كذلك قاض واحد أحياناً. وكانت القضية تبدأ بشكوى يقدمها المدعى شخصياً أو عن طريق الغير. وكانت أدلته تفحص ثم يستدعى المدعي عليه ليدلي بحججه ثم ينطق بالحكم. وحين يتعذر تقديم لوحة كان يقبل– كدليل– يمين الكاتب الذي حررها أو أحد الشهود: وقد حدث في عصر قمبيز أن باع أخوان جاريتين إلى بابلي فأتى رجل ثالث كان شاهداً من شهود البيع ليحلف اليمين أن الثمن دفع فعلاً. وعلى أية حال، فإن بعض المشاكل كان يقض خارج المحاكم. فقد حدث نزاع بين امرأة تزوجت للمرة الثانية وبين ابنها بشأن بعض العبيد. وقد أنهى الأخير النزاع بأن أعاد إليها عبيده الذين كان يمتلكهم كما عرض عليها أن يدفع ٤ مينات تعويضاً عن عبد كان قد مات في بيته. وكان يعين أحياناً محكمون

كالعضو الأكبر في العائلة على سبيل المثال.

ومنذ أقدم العصور حتى آخر أيام الامبراطورية كان يكون شيوخ المدينة محكمة لا تستطيع أن نحدد مدى اختصاصها. ولقد كانت تختارهم في فترات معينة– أو تؤيد تعيينهم على الأقل– السلطة الملكية، وكانوا يختارون أحياناً من بين النساء– ولا سيما من بين كاهنات المعابد. وفي عهد الأسرة الأولى عارض "أبيل ايليشو **Apli-llishou**" في حقوق بالاشماش **pals-shamash** على ممتلكات معينة هي: بيت وقارب وعبيد وفضة وقد أيد شيوخ المدينة الذين عرضت القضية عليهم حق بالاشماش.

وكان الشهود في المحاكم مقسمين إلى فئتين: فكان بعضهم يكون نوعاً من المحلفين هم في أغلب الأمر نفس الأشخاص رجالاً أو نساء الذين نجد أسماءهم تتردد في الأحكام. وهم يمثلون جمهرة الناس الذين تنفذ أحكام العقوبات بحضورهم كالجلد مثلاً أو عزل قاض عدل حكماً سبق أن أصدره. وأما البعض الآخر فكانوا يشهدون بمعلوماتهم عن القضية ويؤيدون شهادتهم بحلف اليمين. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منذ عصر أور، ولقد نص قانون حمورابي على حالة شاهد الإثبات الذي لا يستطيع اثبات أقواله ففي الحالات الخطيرة التي يترتب عليها الحكم بالإعدام كان الشاهد نفسه عرضة لأن يلقى نفس المصير. وأما في الشئون المالية فإنه يدفع المصاريف. وقد عالج القانون كذلك أمر اختفاء شيء من بيت صاحبه الشرعي والعثور عليه عند آخر حصل عليه من طرف ثالث. وكان على كل أن يستدعي شهوده إلى المحكمة: "يمحص القاضي أقوالهم وأقوال الشهود الذين تم الشراء أمامهم ثم يدلى الشهود الذين عرفوا السلعة المفقودة بمعلوماتهم في حضرة الإله. أما البائع فيعامل كلص. ويستعيد المالك سلعته كما يستعيد الشاري ماله الذي دفعه من بيت البائع" وكان هناك افتراضان آخران في مثل هذه الحالة تحب مواجهتهما إذا ما غاب أحد الطرفين عند الإتيان بالبينة. وقد كان ذلك هدف المواد التالية: إن الشاري أو البائع الذي لم يحضر شهوداً يعتبر سيء النية وقد يحكم عليه بالإعدام. ويستطيع القاضي على كل حال أن يسمح بالتأجيل إن كان الشهود على صفر أو لم يكونوا يسكنون (يقيمون) في جهة قريبة ولكن مدى التأجيل

لا يجوز أن يتعدى ستة الشهور.

وكان الشهود ضروريين عند تحرير عقود غير رسمية لما قد تثيره مستقبلاً من خصام أو نزاع. فهم في أغلب الأمر أفراد لهم مصلحة في معرفة موضوع العقد فشاري العبد أو البيت يطلب مساهمة أولاد البائع حتى يجتنب المضايقات عند تقسيم التركة. وكان أي شراء من أشخاص معينين يتطلب تحرير لوحة وحضور طرف ثالث وإلا كان المشتري يجازف بأن يعد لصاً يستحق عقوبة الموت: وهكذا كان الأمر بالنسبة لشراء الأغنام والثور والعبد من ابن أو عبد الغير. وقانون حمورابي صريح واضح في هذه الناحية. وكان ايداع الأشياء الثمينة يتم كذلك أمام الشهود وإلا فإن القاضي لا يتدخل إذا ما حدث نزاع.

وإذا لم يكن في الاستطاعة فض قضية مدنية بالطريق الودي ، فإن أحد الطرفين يقدم شكوى فإن لم يحضر الطرف الآخر أمام المحكمة من تلقاء نفسه فإنه يعلن بضرورة الحضور وكان الاتفاق يتم في أغلب الأحيان بين المتنازعين على عرض الأمر على قضاة يقررون فيه ما يرون. ولعل هذا هو السبب في أنه عند تحرير اللوحات كان يعتبر الطرف الخاسر عادة كأنما هو المدعى أو الشاكي أما الذي يحكم لصالحه فيعتبر مدعى عليه. ويصغي القاضي لأقوال الطرفين ثم يفحص المستندات المقدمة ويستمع إلى شهادة الشهود وفي حالة عدم وجود مستندات مكتوبة أو لم تكن فحواها تسمح بحل للمشكلة فإن القاضي يطلب إلى هذا الطرف أو ذاك أداء اليمين كما يطلب ذلك أحياناً من الشهود. وكانت اليمين تؤدى باسم الآلهة طبقاً لعادة ترجع إلى عهد ما قبل السرجونية بل في الغالب إلى عصور سابقة له. ومنذ عهد أور حتى أيام الأكمبنيين كان يحلف باسم الملك أيضاً. ولم يؤثر هذا على أية صورة على مظهره الديني إذ أن الملك نفسه كان مؤلها، وأما في عهد الأسرة الأولى فإن أسماء الآلهة وأسماء الملوك الحاكمين ارتبطت ببعضها في أغلب الأحيان في الصيغة التقليدية. وكان حلف اليمين يتم عادة في المعبد– حتى وإن كانت القضية منظورة أمام المحكمة المدنية– بحضور رموز دينية معينة. وكانت هناك حالات تؤخذ فيها هذه الرموز إلى خارج حرمها المقدس: وقد حدث ذلك

مثلاً في نزاع على أرض مبنية كان المدعى عليه ملزماً بأن يثبت حقوقه في المكان موضوع النزاع أو "يمسح واجهة" بيته تبعاً للاصطلاح المعروف.

وكان الشاكي الذي أصيب في أملاكه الخاصة أو نهبه أحد المغتصبين مثلاً يؤيد باليمين الضرر الذي لحق به حتى يحصل على تعويض من المجموعة الاجتماعية التي أصابته الأضرار على أرضها. وفي حالة ايداع المحصولات كان المودع يحلف بقصد استرداد محصوله إن كان المودع لديه ينازع في مجموع الكمية. وكان "المعداوي" الذي تغرق احدى المراكب قارب التعدية الخاص به يحلف كذلك حتى يحصل على تعويض مناسب– وكان الرجل في حالة النزاع المدني أو الجنائي يستطيع أن يستنقذ نفسه بتأييد اقراره بحلف اليمين وقد كان ذلك مركز الرجل الذي يقبض على عبد آبق حين يموت الأخير قبل أن يعاد إلى مولاه أو الزوجة التي يتهمها زوجها بالزنا مع أنه لم يقبض عليها في حالة تلبس أو الرجل الذي جرح أو قتل– عن غير عمد– خصمه في العراك.

وكان حلف اليمين يلعب دوراً آخر كذلك بعد النطق بالحكم فالطرفان المتنازعان كانا يتعهدان أمام الآلهة باحترام الحكم كأمر نهائي غير قابل للتعديل وقد أضيفت فقرة خاصة في هذه المناسبة حتى لا ينظر في النزاع من جديد وحتى لا تقام دعوى جديدة وكان يوضع أحياناً شرط ينص على عقوبة أو تعويض على من يخالف ذلك.

أما البابليون الجدد فغالباً ما استبدلوا اليمين بلعنات تصب على من يغير القرار الذي صدر: "ألا فليكتب عليه مردوك وزربانيتوم الخراب" كما جاء في عقد من عهد نبوخودورسور: ولدينا من عهد كيروش الانزني إن من يحاول تغيير هذا القرار... ألا فيلعنه أنو وايلليل وايا... ألا فليضع نابو كاتب الايساجيل حداً لمستقبله، (حرفياً: يضع نهاية لمستقبله).

وكانت أحكام القضاة تتناول كل شيء وفي الغالب لم يكن يرد أي ذكر لأسباب النزاع في لوحة الحكم ولذا فإننا نراها تتناول مثلاً شراء عقار عارض فيه أبناء البائع ولم تؤد معارضتهم إلى نتيجة. وفي عهد "سن مو بالليت" نجد أنه بعد أن با ع رجل وأبناء

بيتا يحاول أحد الولدين أن يتراجع في الصفقة وقد حكم عليه أن يوسم على الجبهة. وقد أدت الايرادات المتنوعة– وخاصة تلك التي كانت مقررة قانوناً لبعض الوظائف المقدسة– إلى رفع قضايا من وقت لآخر– وكان القضاة يحددون أنصبة الشاكين المستحقة لهم أو هم يرفضون الشكوى لأنها لا تقوم على أساس. وكان تقسيم الميراث كذلك سبباً لتدخل الحاكم... ففي العام الثالث والثلاثين من حكم حمورابي لم يستطع أخوان أن يصلا إلى اتفاق بشأن تقسيم أملاك والدهما المتوفي فتولى المدعو ندنات سن **Nidnat-sin** تقسيمها "تقسيماً عادلاً" ولم يكن في الاستطاعة تصفية الشركة دون تدخل المحاكم بل إنه كانت تحدث فيها خلال قيامها بعض المشاكل التي لا تحل بغير الطريقة المذكورة، ففي السنة الرابعة والثلاثين من حكم حمورابي رفع اريبام سن **Eribsm-sin** دعوى ضد الأخوين تسسلى عشتار **Tsilli-ishtar** وأويل ايلي **-Awil ill f** بخصوص بيت وممتلكات أخرى اقتنوها. وذكر المدعى أنها كانت قد اشتريت بمال شركة بينهما وبينه وقد أثبت المدعى عليهما عدم صحة ذلك وأنهما دفعا ثمناً من مال أرسلته إلى تسللى عشتار أمه وهكذا كسبا قضيتهما.

وقد تناول القانون حالة رجل هجر زوجه وذهب إلى مدينة أخرى وعند عودته فيما بعد ود لو يتابع الحياة الزوجية، ولكن القانون أنكر عليه هذا الحق، وإذا كانت زوجته تزوجت مرة أخرى فإنها تبقى مع زوجها الجديد. وهناك حكم صادر في سيبار في السنة التاسعة لحمورابي هو تطبيق عملي للعرف القديم الذي بنى عليه هذا النص القانوني. فإن المدعو سن ناتسير **Sin-natcir** الذي هجر زوجته مدى عشرين عاماً وعندما توفيت عاد ليطالب بميراث أوصت به لابنتها هولاتوم **Houlstoum** التي كان من الواضح أنها أمة. وقد اجتمع "رابينو سيبار" و"كار سيبار" وقرروا أن "سن ناتسير" قد ترك زوجه "ليتابع حظه وأنه لم يكن يحبها" وقد انزالا "به اللوم ورفضا أن يجيباه إلى طلبه. وكذلك ادعت "أمات شماس **Amat-Shamash** الابنة المتبناه لشماس جاميل **Shamsh-Gamll** وزوجه اومى اراهتوم **Oumrni-arahtoum** ولم تكن لديها لوحة كما يستطع شهودها أن يأتوا بأدلة مقدمة فطلب القضاة إلى أومى اراهنوم المدعى

عليها حلف اليمين، ورفضوا دعوى المدعية. وكذلك نازع بابليتوم **Babilitoum** كلاً من اريش ساجيل **Erish-Sagll** وأوبار نابيوم **Oubar-Nabioum** ومردوك ناتسير **Mardouk-natcir** بقصد الاستيلاء على نصيبه من ميراث فمنحه اياه القاضي.

ولم تكن كل محكمة مختصة بالنظر في كل القضايا، إذ حدث أنه في العام الثامن والعشرين من حكم حمورابي رفض قضاة بابل قبول قضية لأن المدعي كان قاطناً في سيبار وتبعاً لذلك لم يكن له الحق في أن يتقدم بشكواه أمامهم.

وفي عدد من الحالات حدد قانون حمورابي العقود التي يستطيع القضاة توقيعها وكان من الممكن أن يصدر حكم الإعدام على من عمل سحراً لآخر ولا يستطيع إثبات التهمة عليه وكذا على شاهد الإثبات المزور في قضية جنائية وعلى سارق كنوز المعبد أو القصر وعلى من يخفى أشياء مسروقة وعلى اللص الذي لم يستطع أن يعيد المنقولات ذات القيمة التي اغتصبها ويدفع التعويض القانوني وعلى بائع الأشياء المسروقة ومخفيها وعلى كل من اشترى أو أخذ وديعة دون لوحة أو شهود من يد قاصر أو عبد وعلى من ادعى بينه ملكية شيء مسروق، وكان الموت عقوبة من يمنح فرصة الهرب إلى عبد أو ايواء عند آبق أو قبول خدماته، إذ أنها جميعاً تعتبر سرقة. وكان هناك قانون سوميري قديم يعاقب المرء بقانون "الرأس بالرأس" فإن لم يكن يملك عدا فغرامة ٢٥ شاقلاً من الفضة أن كان قد آرى عبداً آبقا مدى شهر، وكانت عقوبة الموت تنفذ على قاطع الطريق أو الجندي المتمرد حتى وإن كان قد أحل آخر مكانه. وكان الضابط الذي أباح الإبدال يلقى نفس العقوبة وكانت تنصب كذلك على المحافظ أو الحاكم الذي ينتقص من امتيازات الضابط وعلى تاجرة المشروبات التي تؤوى الثوار وعلى الرجل الذي يغتصب فتاة وعلى من يحتال على جراح بقصد وسم عبد بعلامة امتناع البيع. وهكذا، طبقاً للقوانين السوميرية الخاصة (بالآلهة) نيسابا والإله حاني نجد أن مغتصب الفتاة الذي رفض تزويجه منها يجب أن يعدم. وفي جميع هذه الأحوال لا يوضح القانون نوع الميتة التي توقع على المجرم. وهو في بعض الأحيان أكثر صراحة ولقد كان الموت غرقاً ينفذ في مستأجرة الحالة التي تبيع مشروبات أعلى من السعر

القانوني وترفض الثمن شعيراً أو تطلب سعراً أعلى بالفضة وكذا على الزوجة التي سجن زوجها وذهبت لتعيش مع رجل آخر رغم وجود موارد كافية، وعلى ربة الدار سيئة التدبير والمتسكعة التي بددت مال زوجها وأرادت أن تهجره. ولقد كان ذلك كذلك في القانون السوميري القديم بالنسبة للزوجة التي تحاول الطلاق. وكانت نفس العقوبة توقع كذلك على الزانية وشريكها في الاثم. وعلى الحما وكنته (•) اللذين يرتكبان زنا المحارم فكان الواحد منهما يقيد إلى الآخر ثم يلقيان في الماء. وكانت عقوبة الحرق وتوقع على الأم والابن المتهمين اللذين تثبت عليهما هذه الجريمة كذلك، وعلى الكاهنة التي تفتح حانة أو تذهب إليها لتتعاطى شراباً، وعلى الرجل الذي يستغل فرصة حدوث حريق للسلب. وكان الخازوق عقاب الزوجة المتهمة في أمر قتل زوجها بقصد التزوج من آخر.

وأخيراً، فإن عقوبة الموت تطبق عملاً بمبدأ القصاص (العين بالعين والسن بالسن) وذلك نقط حين يصيب الضرر رجلاً من ذوي الحيثية. فإذا مات رجل حر مرهون بسبب دين في بيت الدائن من أثر الضرب أو سوء المعاملة، فإن ابن الدائن يحكم عليه بالموت. وإذا أجهضت فتاة حرة فماتت نتيجة ضربات فإن ابنة الضارب تموت، وإذا أنهار بيت لم يعن ببنائه فمات بسبب ذلك صاحبه وابنه فإن عقوبة الموت توقع على المعمارى وابنه. ويمكن أن ينفذ الموت بطريقة غير مباشرة بسبب التجربة القاسية المقررة في مادتين من مواد القانون لحالات أولئك الذين يعتقدون أنهم كانوا ضحية سحر عمل ضدهم ولحالة الزوجة المتهمة بالزنا دون أن تمسك في حالة تلبس.

وكانت المحكمة تأمر بقطع لسان الطفل الذي هجره أبواه للدعارة إن هو أنكر أبويه اللذين تبنياه. وبقلع عينيه ان هو هجر بيتهما ليعود إلى بيت أبيه أو أمه. وكان قطع اليد عقاب الابن الذي يضرب أباه، أو الجراح غير الماهر الذي يفقأ عين المريض– إن كان من طبقة الأحرار وهو يفتح الغشاء بالمشرط، أو الذي يسم عبداً

(•) الكنة (بفتح لكاف وتشديد وفتح النون): امرأة الابن أو الأخ.

بعلامة عدم إمكان البيع دون علم سيده من تلقاء نفسه. أو المزارع الذي يسرق الغلال أو المزروعات.

وكان قطع الثدي عقوبة المرضع التي ترضع طفلاً آخر فيموت الأول نتيجة إهمالها وذلك إذا كان الارضاع دون إذن من أبوي الرضيع، أما العبد الذي ينازع في حقوق مولاه عليه فعقوبته قطع الأذن: وهناك قانون سوميري ينص على بيع المذنب في هذه الحالة الأخيرة.

وكل من ضرب شخصاً من مرتبة أعلى من مرتبته على يافوخه فإنه يمكن جلده علناً بسوط من جلد الثور ستين جلدة. وكان النفي عقوبة الأب الذي يتصل بابنته اتصالاً جنسياً.

وكانت هناك تدرجات في التعويضات عن الأضرار تتراوح بين ثلاثة أمثال وثلاثين ضعفاً من قيمة الشيء المطلوب استرداده. وكانت ثلاثة الأمثال تدفع عن المبالغ التي يأخذها الكاتب من وكيل الأعمال وخمسة الأمثال للعميل غير الأمين مما احتفظ به لشخصه أو للشيء المسروق الذي باعه اللص أن مات صاحبه قبل أن تقتص له العدالة واستطاع الشاري أن يثبت حسن نيته. وستة أمثال للمال الذي يدعيه بغير حق صاحب عمل على موظف عنده. وعشرة أمثال للشيء المسروق من موشكينو أو الحيوانات التي يبيعها الراعي خلسة، واثنا عشر ضعفاً لقيمة الشيء المتنازع عليه أن ألغي القاضي حكماً سبق أن أصدره. وثلاثون ضعفاً لقيمة الشيء الذي يسرق من معبد أو القصر.

وكانت المحكمة تقدر قيمة الأضرار التي يسببها قطاع الطرق. وكانت المدينة وحاكم المقاطعة التي حدث بها النهب يعتبران مسئولين.

وكانت المحكمة تعاقب المزارع المهمل بأن يدفع ما يعادل المثل من الإنتاج في الضياع المجاورة.

وكانت المحكمة تطبق التعويضات المختلفة التي يحددها القانون في حالات الحوادث

التي تسببها الحيوانات أو الجروح المتعمدة حين لا يكون من تحل به رجلاً حراً ومن ثم فإن "قانون القصاص" (العين بالعين والسن بالسن) يكون غير معمول به.

الفصل الثالث

النظام الاقتصادي

١- الملكية العقارية

كانت الملكية العقارية في سومير وأكاد منذ أبعد العهود في أيدي أفراد أو هيئات اجتماعية وتشهد بذلك عقود البيع الخاصة بالعهد قبل السرجوني. وكانت للمعابد حقولها ورياضها وكان لزوجة الايشاكو ولأولاده أراضيهم الخاصة. ولم يكن بيت الفقير دائماً في منعة من جشع الغني بل كثيراً ما كان الكاهن ينهب بستان أمه. والظاهر أنه منذ ذلك العهد كان يكافئ خدمة الأوفياء بمنح من الأرض أما بصفة دائمة أو بحق الانتفاع فقط.

ويثبت العقد الذي اشترى الملك "مانيشتوسو" بمقتضاه ضياعاً متعددة قيام ملكية مشتركة جنباً إلى جنب مع الملكية الخاصة وقد جاء فيه ذكر مزرعة حددتها قناتان وكذا قبيلة وفرد من الناس. وقد بلغت مساحة إحدى قطع الأراضي أكثر من **١٣٥٠** هكتارا على حين تبلغ الأخرى بالكاد **٣٦** هكتارا.

وقد ميز قانون حمورابي ما بين الأملاك الخاصة وممتلكات الايلكو. وكان الملك يتنازل عن الأخيرة كمكافأة عن خدمات عامة وهي لا يمكن أن يتناولها البيع أو الحجز أو الرهن أو نقل الملكية على اية صورة إلا للوريث الذكر بشرط أداء الالتزامات المقررة وكان التصرف في الأملاك الخاصة نفسها خاضعها لقيود في مصلحة العائلة. ومن حيث المبدأ لا يمكن بيعها سوى أداء لدين. وكان المرأة المتزوجة حق الانتفاع على بائنتها أما الرقبة فلأولادها أو لإخوتها إن لم يكن لها أولاد. أما الكاهنة أو العاهر فكانت لهما

حقوق أوسع إذا كان الأب قد نص في لوحة أحداهما على حرية التصرف. وربما كان لكل عائلة حق المنفعة على الأملاك التي اضطرت من قبل إلى بيعها.



(شكل ١٠) كومورو (متحف اللوفر. وفد فارس)

وكانت بعض المدن تمتلك في العهد الكامني أملاكاً عقارية ضخمة كما كان الأمر كذلك بين القبائل التي استقرت في سومير القديمة قرب شواطئ الخليج الفارسي وذلك عقب الاضطرابات التي حدثت في بلاد بابل كأثر للغزو الحيشي. وقد اعتاد الملوك أن يشتروا ضياعاً من هذه المدن أو القبائل لمنح مكافآت عن خدمات تم أداؤها للدولة أو

لإظهار الشكر للآلهة أو بقصد تخصيص اقطاعيات لأولادهم وهم لم يكتفوا بتحرير مستند الملكية المعتاد على لوحات الطين فقط بل أرادوا أن يضعوا كذلك الأراضي التي منحت حديثاً في حفل علني تحت رعاية الآلهة. ولقد حفروا على كتلة بيضية أو لوحة من الحجر أو الأجر رموزا دينية وعقد المنحة ثم لعنات على كل من يعارض أمرهم. وهذه المستندات المسماه كودور **Koudourrous** (أحجار الحدود) التي كان يفترض فيها أصلاً أن توضع على الأملاك نفسها لتستبقى الحماية الالهية عليها أطلق عليها البابليون كذلك اسم نارو **Narû** (لوحات) ويظهر أنها كانت توضع في المعابد [1].

وكان للقبائل التي حلت في جنوب بلاد بابل رؤساء ومديرون. وقد استقرت كل منها في أراض تختلف رقعتها ضيقاً واتساعاً وهناك قامت مدنهم وقراهم.



(شكل ١١) كودورو (متحف اللوفر – وفد فارس)

(1) Ct. XVIII, XC, XLIV, XLVIII; fig. 10 et 1t.

وكانت هذه القبائل تمتلك جزءاً من الأراضي كما كانت الحال بالنسبة لكل مدينة ولكل قرية ولبعض العائلات. وكانت هذه الأراضي كلها مقسمة إلى قطع يستغلها الأفراد وهي قطع لم تختلط ببعضها وإن تشابكت، لأنه رغم الثورات والغزوات ظلوا يدركون كيف يمسحون الأراضي ويعينون حدودها كما كان يفعل أسلافهم منذ ألف أو خمسمائة عام. وحين انتقلت المقاطعة من القبيلة إلى يد الملك أصبحت ملكاً خاصاً. ولما كان الرئيس قد وافق باسم المجموعة على البيع ولما كان الثمن قد دفع للمالك وكان الجيران قد دفعت لهم– إن كان لهم فيها حق ما– فإن هذه المقاطعة أصبحت لا يجوز ردها إلى القبيلة أو البائعين أو الورثة مهما تكن الأسباب. وقد عنى بالنص على هذه الشروط.

وكانت الاقطاعية التي كونها الملك تمنح بصفة نهائية وتورث– وليس بصفة مؤقتة– كما كانت الحال بالنسبة لأملاك الايلكو في العهد السابق. وقد ظل المنتفع بالهبة خاضعاً للالتزامات والضرائب المفروضة على الاقطاعية ما لم يحصل على لوحة اعفاء وهو أمر كان كثير الحدوث.

وكانت الأرض البور من حق أول من يشغلها وتصبح ملكاً لمن يصلحها. وقد منح الملك مليشيباك **Mélishipak** ابنته هونوبات ناناي **Hounnoubat- Nanai** ضيعة على حافة أرض البحر. وقد اهتم بأن يقرر أنه صاحبها الشرعي، لأنه أصلحها وأنشأ فيها مشروع ري وخزاناً وجعل الأرض صالحة للزراعة كما أنشأ ثلاث قرى [1].

وكانت الملكية العقارية في الواقع خاضعة لحقوق الارتفاق لمصلحة الجيران وخاصة فيما يتصل بري الأراضي وكان للحاكم حق المرعى وباكورة المحصول والهشيم واستدعاء الرجال والحيوانات والعجلات لأعمال السخرة وصيانة القنوات والمخاضات والطرقات. وقد ورد بيان تفصيلي عن مدى الالتزامات الخاصة بالمنافع العامة في قرارات الاعفاء التي يصدرها الملك من هذه الالتزامات، من ذلك أننا نقرأ على كودررو

---

(1) XVIII, t, I. P. 87.

مليشيباك لصالح ابنته أن "صغار الماشية وكبارها والضرائب والسخرة وتنظيف (تطهير) الترع والقنوات والعمل في الخزانات وجمع العمال للترع وتجهيز العجلات وأعمال الحرث وقطع وحصد الهشيم ولأعشاب والخراج الملكي مهما يكن... لقد ختم لوحة اعفاء القرى وسلمها اياها" وقد وضع الملك الصيغة تحت رعاية الآلهة حتى يدعم اراداته مستمطراً سخطهم على كل من يرغب في أن "يأخذ من هذه القرى ماشية صغيرة أو كبيرة أو يخضع سكانها لالتزامات أو سخرة أو أي خراج ملكي مهما يكن ومهما تبلغ ضالته".

وحين اقطع "ماليشباك" نفسه ابنه "مردوك ابال أدين– **Mardouk- apal- iddin** اقطاعية لم يكن أقل وضوحاً في ذكر الالتزامات التي أعفاه منها [1] "أن اعفاءه يسري على الصورة التالية: لا تؤخذ ضريبة على باكورة ثمار أرضه ولا العثور ولا يستدعى رجال اقطاعيته ضمن الفرق التي تشكل في مدن ناحية نيتا أجادة **Ninâ-Agadé** للسخرة أو للعمل أو للتوقى من الفيضان أو لصيانة وتدعيم الجسور للقنوات الملكية أو حماية مدن بيت سكاميدو ودامق اداد **Bit- Silkamidou Damig-Adad** وهم ليسوا ملزمين بأن يسخروا للعمل في سد القناة الملكية ولإقامة الجسور ولإغلاق أو تطهير قاع القناة ولا يستطيع أي حاكم له "بيت بير شادورابو" **Bit- pir-cinadourabou** أن يخرج من اقطاعيته مزارعاً من أراضيه أجنبياً كان أو مواطناً. ولا يجوز الاستيلاء عن طريق أمر ملكي أو أمر من الحاكم أو أمر إنسان كائناً من يكون على أخشاب أو حشائش أو هشيم أو شعير أو أي محصول آخر أو عجلات أو كدنها أو حمار أو رجل. كما لا يجوز سحب ماء من ترعة الري عند عدم وجود ماء كاف في القناة الموصلة بين رائي انزانيم **Rati- Anzanim** وقناة الإقليم الملكي. كما لا يجوز أخذ مياه من جدول خزانه أو تقسيم الري إلى قسمين ومد أملاك أخرى بمياه منه بقصد الري أو الزراعة ولا يجوز قطع الحشائش من أرضه كما لا يجوز أن تساق حيوانات الملك أو الحاكم إليها أو جمع حشائشها للعلف وليسوا ملزمين بتعبيد طريق

---

(1) RVIII t Il, p. 90.

أو كوبري سواء أكان ذلك للملك أم للحاكم أو بتنفيذ آية سخرة جديدة يفرضها ملك أو حاكم في المستقبل أو أية سخرة زالت أريد العودة إليها".

والأرض الفيضية التي تكون سهول دجلة والفرات خصبة بطبيعتها ما دامت هناك عناية بعمليتي الصرف والري فيها ولقد أدرك ذلك أقدم سكانها وقلما نجد ايشاكو من لاجاش مثلا منذ عهد الملك المسن "أورلينا" لا يفاخر بأنه شق قنوات وبذل الكثير من العناية في سبيل الري.

وقد استلزم شق هذه القنوات قيام أعمال "لابد أنها تتطلب سلسلة من المعلومات والمناهج القائمة على الفن الهندسي ما لم نفرض أن اقامتها قد تمت على مراحل متتابعة كانوا يتلمسونها بتحسينات مستمرة خلال التنفيذ الذي لابد أنه تطلب زمناً طويلاً حتى عن طريق العمال العديدين الذين كانوا لا يتناولون أجراً كالسجناء الذين كان يكتفي بالكاد بتغذيتهم وعلى ذلك فنحن مضطرون إلى أن نعتقد أنه كانت هناك دراسات تمهيدية ثم مشروعات مبدئية ثم خطة نهائية تتطلب استعمال أجهزة للقياس والتسوية وعمليات حسابية تسجل نتائج المقاسات التي تمت على الأرض ومقدار العمل المطلوب تنفيذه" [(١)] وقد وصلت إلى أيدينا بعض التخطيطات للقنوات والنهيرات من عصر ما قبل السرجونية ومنها مثلا قطعة من لوحة مثلث عليها حومادمش **Hoummadimsha** التي شقت بأمر من اياناتوم والتي ألحق بها خزان تزيد سعته على الألف هكتولتر. وقد دعم انتمينا ابن أخ اياناتوم هذا الخزان وأكمل قناة أخرى تصل النهرين كما دعمه كذلك فيما بعد بزمن وجيز الملك أوركاجينا الذي أصلح قناة جوسر القديمة المعروفة باسم "ننجرسو– أمير– في– نيبور" وقد فصلت إحدى اللوحات أعمال السخرة: وكان العمل المفروض على الحفارين المحترفين أهم بكثير من عمل العمال العاديين. وكان طول هذه القناة ٢٨٠ متراً وقد تم تنفيذها وفقاً لخطة موضوعة. وأما جودياً فلم يشر إلا عرضاً ال مشروعاته الأخرى لأنه كان مهتما

(1) LXIX. P. 426.

كل الاهتمام بالأعمال الدينية وبإعادة بناء المعابد. ومع ذلك فقد شق القناة المسما "ننجرسو أوشو مجال Ningirsou- Oushoumgal" وهو حدث محلي خلد في اسم لإحدى سنى حكمه ولابد أنه اضطر إلى ابقاء القنوات التي كانت موجودة قبل عصره في حالة صالحة للملاحة ذلك لأن نقل مواد البناء من أخشاب وأحجار ومعادن كان يتم عن طريق الماء وتطلب انزالها إلى البر إقامة رصيف بالقرب من إحدى بوابات المدينة وقد عهد في بلاط الهة ننجرسو بصيانة القنوات والجداول وأدوات الري إلى مزارع الأرض المقدسة.

وقد شق "أورانجور" ملك أور قناة الحدود المسماة نانا جوجال Nanna- gougal و"ساوي حوضها بأمواه البحر" وهناك لوحة من ذلك العهد تحتوي على أجور النساء اللواتي استخدمن في عمل سد من القصب عند رأس القناة، وقد قام سن ايدينام Sin-idinndrn من لارساب ب "حفر دجلة النهر العريض وزود مدينته وبلاده بمياه طيبة وفيرة دون انقطاع".

وبعد أن حقق حمورابي وحدة الامبراطورية بدأ في القيام بمشروعات هامة فشق نهر حمورابي Nar-Hammourabi "ثروة الشعب التي تجلب ماء وفيراً لسومير وأكاد وتحول ضفافها إلى حقول منزرعة وتهيل اكواماً من الغلة وتزود شعب سومير وأكاد بماء دائم الجريان" ولم يندثر نهر حمورابي كلية فقد كان يبدأ من الفرات أسفل كيش في مستوى بورسيبا ويجري في اتجاه أوما تاركاً إياها إلى يساره وبعد أن يصل إلى لارسا يتجه نحو الخليج الفارسي. وتبين لنا الأوامر الملكية كيف كانت السلطة المركز ية تنظم وتستخدم السخرة فنرى الملك يأمر يوما "سن ادينام" حاكم لارسا ب"استدعاء من كانت في حوزته حقول على ضفاف قناة دامانوم Damanoum بقصد تطهيرها وأنه يجب الانتهاء من تطهير قناة دامانوم عند نهاية الشهر" وفي مناسبة أخرى نراه يأمر نفس الموظف بالانتهاء في مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التي تصل حتى أوروك والتي لم تكن قد أصلحت حتى هذه المدينة.

وتثبت الاعفاءات التي منحها مليشيباك قيام السخرة بقصد الصيانة وأعمال

السدود في عهد الأسرة الثالثة. ونبين رسائل موجهة إلى الملك كودور ايلليل Koudour-Ellil كيف أن الموظفين المنوط بهم الاشراف على عمليات المياه كانوا يؤدون واجباتهم في القرن الرابع عشر: فقد أبلغ أحد المفتشين عن وال سد إحدى القنوات على وجه سمح فيه بري اقطاعيتين إلا أنه حرم عشرين اقطاعية أخرى من الماء حتى جفت تماماً فضاعت غلتها. وقد دافع الوالي عن نفسه مدعياً أنه لم يهمل حقلاً واحداً.

وفي العهد البابلي الجديد وصل نبوخودوسور الثاني ما بين دجلة والفرات من طريق الحائط المبدى الذي كان ضفته لقناة وأنهى عند بابل الحوائط التي تسند ضفاف الأراهتو Arahtou التي بدأها ابوه.

ولقد كانت القنوات الكبيرة وهي المشروعات الوطنية التي أنشئت أصلاً بقصد إصلاح الأرض وتزويدها بالمصارف، كانت في الوقت نفسه ممرات مائية رائعة ولكنها كانت تتطلب مجهوداً كبيراً لصيانتها خاصة لأن الأرض كانت رخوة والضفاف هشة جداً. وكانت مياه الفرات تصل إلى خط عرض بابل محملة بالرمل والطين وهي في الوقت الحاضر تحوي كيلو جراماً في المتر المكعب في الأوقات العادية أما في موسم الفيضان فقد يبلغ ما تحويه ٢٥ كيلو جراما [1]. أما القنوات الأقل أهمية والجداول فكانت تحمل الماء إلى أطراف الحقول والمراعي ومن هناك كانت تسحب عن طريق أدوات رافعة تديرها ثيران أو بواسطة دلاء ورافعة وذلك منذ عهد ما قبل السرجونية. وقد مثلت هذه الأداة في منظر للحياة الزراعية على خاتم أسطواني وهي تستعمل حتى اليوم ليس في الشرق فحسب بل في بعض أقاليم فرنسا نذكر منها وادي اللوار بين الجيه ونانت، وقد نص حمورابي على عقاب من يسرق مثل هذه الأدوات فكان اللص يدفع للمسروق منه خمسة شواقل مقابل الأداة التي يديرها الثور وثلاثة شواقل فقط لأداة الدلو. وفي العام الأول من حكم داراً الثاني تم اتفاق بين بعض أهالي نيبور مؤداه

(1) Génie Clvi, 10 mars 1906.

إن ري ضيعة معينة يتطلب أربعة حيوانات.

ولم يكن ارتفاع الماء يزيد على أربعة أمتار وقت انخفاض المياه في الشتاء. وفي هذا الفصل من السنة تروى الحقول ثلاث مرات الآن بمعدل ٢٠٠ متر مكعب لكل هكتار. وقد نص قانون حمورابي على عقوبة من يتسبب في حدوث أضرار تلحق بحقل آخر بسبب اهمال مزارع في صيانة جدوله: فإن هو أهمل تقويته ونجك عن ذلك صدع فعليه أن يعوضه عن المحصول الذي أتلف فإن عجز عن ذلك يباع هو وكل ما يملك مقابل مبلغ يقسم بين من لحقهم الضرر. وأما من أهمل إعادة السد بعد أن يكون قد فتحه لري حقله فإنه مسئول كذلك عن الفيضان الذي يغمر الأراضي المجاورة، وعليه أن يدفع تعويضاً يتفق ومتوسط غلة هذه الأرض. وأما إذا كان الأمر يتعلق بأغراض فإن الثمن يحدد ب "جور" من الشعير عن كل "جان" من الأرض أي ٣١/٢ هكتو لتر عن كل هكتار تقريباً.

ولم تكن المراعي في حاجة إلى عناية أكثر من سقيها وقطع كلئها وكانت تطلق الحمير والثيران والأغنام لترعى هناك. وكان الرعاة يتقاضون عادة أجراً سنوياً عبارة عن ٨ جور من الشعير (٢٠.٢٠٠ هكتولتر) في عهد حمورابي. وإن ضاعت من راع إحدى المواشي كان عليه أن يأتي بغيرها على حسابه وكان لزاماً عليه أن يزيد من القطيع طبقاً لاتفاقات مع المالك فإن هو غير عامداً من حالة القطيع فباع لمصلحته إحدى المواشي فإنه يعرض نفسه إلى أن يدفع تعويضاً قد يبلغ عشرة أمثال قيمة ما سرق أما إن كان قد حل بحظيرته ضرر ما فعليه أن يعوضه على حسابه ما لم يستطع أن يبرئ نفسه بحلف اليمين عند حصول الكارثة إن كان ذلك لظروف قاهرة خارجة عن إرادته. وكانت الحظيرة كباقي المباني الريفية مبنية من القصب. وتقدم المناظر الخاصة بالمراعي والمنقوشة على الأختام الاسطوانية أمثلة عديدة على ذلك.

وكانت تحرث حقول الحبوب بمحاريث تجرها ثيران. وقد ظهر على إحدى الاسطوانات القديمة جداً منظر للحرث يمسك فيه الحارث بذيل المحراث بكلتا يديه. وظهر بالمنظر رجال مزودون بالعصى والسياط يدفعون بها الحيوانات وكان هناك نوع من

المحاريث أكثر اتقانا وبها مدرة. وقد حدد ايجار ثيران الحراثة في عصر حمورابي بأربعة "جور" من الشعير (أكثر من ٥ هكتو لتر) في السنة. وقد نص القانون على ما قد يحدث للماشية من حوادث أو بسبب خطأ صادر عنها كما حدد التعويضات. وفي العصر ما قبل السرجوني من الممكن تقدير نسبة المحصول للبذر وانتاج الهكتار بالتقريب من بيانات في لوحات الايشاكو لوجالاندا. فكان محصول الهكتار يبلغ حوالي ٢٢ هكتو لترا من الشعير هي ثمرة بذر ٢٤ لترا أي بنسبة تزيد قليلاً عن ٥٠: ١.

وفي عصر أور كان المزارعون ورعاة الماشية والأبقار يستأجرون سنوياً وكانوا يتسلمون أجرهم شعيراً أو صوفاً وأحياناً فضة أو حيوانات وكانت هناك نظم للزراعة: ففيما يختص بالمستأجرين من كاهن أقسم احد الأشخاص اليمين مؤكداً أنهم زرعوا الحقل بـ :"عبيد وثيران" وأنهم تناولوا أجرهم وأنهم قدموا حساباتهم بانتظام.

وطبقا لقانون حمورابي كان على الرجل الذي أخذ قطعة أرض ولم يستنبتها شعيراً أن يدفع للمالك ما يعادل علة الزارع المجاورة. أما إن لم يكن قد زرعها إطلاقاً فعليه أن يصلحها ويبذرها ويسلم المحصول كله. وإذا كان قد تعاقد لمدى ثلاث سنوات على زراعة قطعة أرض لم تكن قد استصلحت بعد ولم يحافظ على ارتباطه. فإن عليه في السنة الرابعة أن يبذرها ويقدم للمالك "جور" واحداً لكل "جان" (حوالي ٧.١٦ هكتو لتر تقريباً للهكتار). وفي حالة اتلاف أربعة للمحصول الذي تم جمعه فإنه: إذا كان المالك قد تم الدفع له فإن الخسارة جميعاً تقع على رأس المزارع. أما إذا كان هناك اتفاق زراعة مشاركة بنسبة النصف أو الثلث ولم يكن النصيب قد دفع بعد فإن ما بقي من المحصول يقسم وفقاً للاتفاق. وقد حمى القانون صغار المزارعين الذين كانت مواردهم لا تكفي لشراء ما يلزم للبدء في الاستغلال فإذا كان هناك تفاهم بينه وبين جار له للبذر، فإن المالك لا يستطيع أن يمسه حتى زمن الحصاد وإذ ذاك يأخذ المستحق له. أما الزارع الذي استدان بفائدة ولم يستطع أن يجنى محصولاً لظروف خارجة عن ارادته كحدوث عاصفة مثلاً أو نقص الماء في القنوات فإنه ليس ملزماً بدفع أية فائدة عن تلك السنة. ويجوز من جهة أخرى رهن حقل مقابل سلفة.

وكان يعهد في نفس العصر بزراعة مزرعة أحياناً إلى رجل يؤجر خصيصاً لهذا الغرض بأجر سنوي قدره ٨ جور من الشعير وهو نفس الأجر الذي يدفع إلى الراعي. وكان المالك يقدم ما يلزم للزراعة من ماشية. وإذا قبض على المستأجر متلبساً بسرقة حنطة أو نباتات فإنه يحكم عليه بقطع اليدين. وإن هو أهمل شئون الحقل أو قام بتأجير المواشي إلى الغير أو سرق البذور، فإنه يلزم بدفع ٦٠ جور من الشعير عن كل ١٠٠ جان من الأرض (حوالي ٤.٣٠ هكتو لتر لكل هكتار) وإن لم يكن في استطاعته أن يدفع ذلك فإنه يظل مرتبطاً إلى الأرض "بين الماشية".

وفي عهد الأمراء الاكسينيين– كما في عهد الأسرة الأولى– كان يتم التعاقد على الأراضي لمدة ثلاث سنوات مما يجعلنا نفترض احتفاظهم بدورة المحاصيل مدى ثلاث سنوات وكان الإيجار يدفع بعضه فضة والبعض الآخر عينا: نبيذا أو دقيقاً أو حيوانات. وكان يدفع تعويض للمستأجر أن هو أخرج من مزرعته قبل انتهاء أجل عقده.

وحين يأتي موسم الحصاد كان يقطع المحصول ثم يوطأ بأقدام الحيوانات. وقد حدد حمورابي أجر الثور الدارس في اليوم ب ٢٠ "قا" من الشعير (١٧ لترا) وأجر الحمار ب ١٠ "قا" أما أجر العجل أو الجحش ف ١"قا" فقط. وكان أجر عربة الثور مع سائقها ١٨٠ "قا" يومياً أما أجرة العربة وحدها ف ٤٠ "قا" وكان العامل الزراعي– كما هي الحال اليوم في فرنسا– يتسلم أجورا مختلفة تبعاً للفصول المختلفة هي: ٦ قمحات من الفضة خلال الشهور الخمسة الأولى وخمس قمحات خلال الشهور السبعة الباقية.

وكانت البساتين تكون نوعاً ثالثاً من الأملاك العقارية بعد المراعي والأراضي المنزرعة. ولما كانت أقل اتساعاً من حقول الحبوب فإنها كانت تقاس بدقة أكثر منذ عهد ما قبل السرجونية. وكانت تزرع بها الخضر وخاصة البصل وكذلك الأشجار. ولقد كان الأمر كذلك في عهد إجادة، حيث ورد ذكر زراعات للبصل في مساحة بلغت ١ جان (٣٥.٢٨ آر).

وقد حدد حمورابي نصيب المالك بثلثي محصول البساتين في حالة الاثمار الكامل فإن أدى إهمال البستاني إلى نقص الانتاج، فهو يلزم بدفع ما يتناسب والعلة العادية. وكانت مدة عقد ايجار الحقل الذي يحول إلى بستان خمس سنوات: كانت الأربع الأولى منها للزراعة والسنة الخامسة لاقتسام المحصول. وطبقاً لتقليد سوميري قديم كان من حق المالك أن يقسم البستان إلى قسمين متساويين تاركا الأرض التي لم تزرع بعد ضمن حصة المزارع. وإذا كان المستأجر لم يقم بأي إصلاح، فعليه أن يدفع على أساس الغلة الطبيعية كل سنة كما يحكم عليه بأن يجعل الأرض قابلة للزراعة. وإن هو تسلم أرضاً بكرا فعليه كذلك أن يعدها ولكنه يقدم فقط "جور" واحداً من الشعير لكل "جان" من الأرض في كل سنة من الإيجارة (عقد الايجار). وكان التعويض عند قطع شجرة من البستان دون علم المالك ٣٠ شاقلاً من الفضة كما كانت الحال في القرون السابقة، وكان في الإمكان تقديم محصول زراعة النخيل مقدماً من أجل تصفية دين ولكن الدائن لم يكن ملزماً بتحمل هذه المجازفة. وكان البستان– شأنه في ذلك شأن كل ملك عقاري يقبل كرمن وقد ظل الأمر كذلك حتى نهاية الامبراطورية البابلية الجديدة.

وكانت تقدر قيمة الأهلاك المبنية تبعاً للمساحة التي تشغلها وكانت تقاس بدقة في المدن وكانت هذه الأخيرة (أي المدن)– على الأقل في منشئها– أمكنة مخصصة فقط للعبادة أو المأوى وأسواقاً في الوقت نفسه. وكان أغلب الأهالي يعيشون في الريف في أكواخ من الطمي والقصب وأحياناً في خيام وربما كانوا يفعلون كما يفعل العرب اليوم في هذه الجهات فيحفرون كهوفاً محاطة بالحصير والقصب اتقاء لغائلة الحر.

وكانت أقدم المنازل التي كشف عنها بين خرائب شوروباك مكونة من غرف صغيرة وتحيط بفناء مستطيل وهو طراز نجده كثيراً فيما بعد على الرسوم التخطيطية للمعماريين وكذا في المنشآت الخاصة بالامبراطورية الجديدة وكانت تبني من اللبن. وكان السقف يقوم على دعائم من كتل خشبية لما الأبواب والمتاريس فلم تكن جزءاً من العين (المؤجرة). نظراً لندرة الخشب واعتبارها من المواد ذات القيمة التي يستطاع رهنها على حدة ولا تباع عندما يباع البيت كما يمكن أن تكون ملكاً للمستأجر. وكان الكثير من

البيوت خالياً منها. وكان البيت البابلي عادة مكوناً من طابق واحد وقلما كان من طابقين وكان للعقار أحياناً حق المرور على ملك مجاور ولكنه كان في أغلب الأمر ينفتح على الشارع مباشرة.

وفي لاجاش في عهد ما قبل السرجونية بيعت بيوت تراوحت مساحتها ما بين ٢/٣، ٢/١ ١ سار (٢٣.٥٢ إلى ٥٢.٢٩ متراً مربعاً) وكان متوسط الثمن في عهد حمورابي ١٥ شاقلاً للسار وربما ارتفع إلى ٧١ شاقلاً أو ضبط إلى شاقلين أو ثلاثة شواقل. وكانت قيمة أرض البناء في المدينة تبلغ في المتوسط ٢٢٥ ضعفاً لقيمة الأرض المنزرعة حبوباً ولكنها كانت في الأرياف ارخص من ذلك، وقد قدرت بعض الصوامع بثمن لا يعدو ١-٦ شاقل للسار وهو يعادل ضعفين ونصفا لقيمة الأرض.

وقد حدد قانون حمورابي أتعاب المعماري بشاقلين للسار كما حمله مسئولية أخطاء البناء فكان عليه أن يعيد على حسابه بناء الحائط الذي ينهار وأن يأتي بأثاث بدلاً من الأثاث الذي يحطم أو يعبد بدلاً من العبد الذي يموت وأن يدفع حياته مقابل حياة المالك الذي يموت تحت الأنقاض.

وكان من الممكن رهن العين المبنية (١) وكان الدائن في العهد البابلي الجديد يسكنها بنفسه وأحياناً أخرى يترك للمدين استعمالها. وفي عهد نبوخودوروسر الثاني (٢) رهن المدعو "شابيك زر" **Shapik- zér** بيته إلى شولا **Shoulâ** الذي أتى ليعيش فيه وكان ايجار البيت يعادل فائدة قيمة السلفة ولكن شولا حين احتاج إلى المال بدوره طلب من نرجال أوبالليت **Nergal-ouballit** ٢ مينا و ١٤ شاقلا وحول إليه بيت رهن ولما كان يعتزم استمرار السكن فيه فإنه كان ايجارا يعادل فائدة المبلغ المقترض.

---

(1) Ch.39.

(2) CXIV Nbk. 188.

٢- الصناعة وتعليمها

منذ أبعد العهود كان هناك تنظيم أولى على الأقل في شئون بعض الحرف. ففي عهد دونجي كانت عملية النسيج تتم تحت رقابة رؤساء عمال يعينهم الملك. وقد نظم قانون حمورابي وحدد أجور العمال المعينين بالمساومة بأربع أو خمس قمحات من الفضة (من ١٦ سنتيجراما إلى ٢٠)، كما حدد كذلك أتعاب المعماري والمبيض دون أن يغفل تحديد مسئوليتهم المدنية عن كل خطأ في التنفيذ. وقانون حمورابي المشار إليه دليل كذلك على وجود نظم لتعليم الصناعة عند نهاية الألف الثالثة وكان يجوز للرجل أن يأخذ في بيته صبياً لتربيته وتعليمه حرفته فإذا ما استطاع أن يجعل منه صانعاً جيداً فإنه لا يجوز لوالديه الشرعيين أن يطالبا برده ما داما كانا قد قبلا الانفصال عنه، أما إذا لم يكن الصبي قد تعلم شيئاً فإنه يستطيع أن يعود إلى بيت أبيه.

وفي العهد البابلي الجديد وكذلك في عهد الملوك الفرس كان السيد يعهد بعبده إلى آخر حتى يتعلم مهنة على يديه وكان معنى ذلك فقدان فائدة رأس مال قدره مينا ولكن رأس المال هذا قد تزيد قيمته وعلى ذلك فإن السيد كان يحتاط لما قد ينجم عن حدوث الأمر الأول. فكان معلم الصبي يدفع تعويضاً أن هو أهمل تعليم الصبي حرفته على الوجه المرضي. ونظراً لأنه من جهة أخرى قد أفاد من عمل الصبي، فإنه لا يستحق أجراً على تعليمه وأقصى ما كان يحدث أن تقدم له هدية رمزاً للرضى.

وفي السنة السابعة من حكم كيروش نجد عبداً خبازاً كان عنده عبد آخر كصبي مدى تسعة شهور وكان عليه أن يستبقيه ستة شهور أخرى ولكن أن لم يكن قد دربه تدريباً كافياً عند نهاية المدة، فإنه ملزم بدفع ٦ "قا" من الشعير عن كل يوم من أيام المدة كلها.

وفي العام التالي عهد "اتى ماردوك بالاتو **Itti- Mardouk-balatou**" بعبد إلى "حاشداى **Hashdai**" عبد قمبيز الأمير الملكي ليتعلم حرفة الحجار فإن لم تكن النتيجة مرضية فإن حاشداي يدفع ١/٣مينا من الفضة إلى اتى ماردوك بالاتو. وفي

نفس العام عهد زوجان بأحد عبيدهما ليتعلم الخدمة مدى ست سنوات على أن يعطى معلمه هدية هي لباس قيمته أربعة شواقل أن هو نجح في تعليمه أما أن فشل في ذلك فإنه يدفع ٣ "قا" من الشعير عن كل يوم من أيام السنوات الست.

ولم تكن النتيجة دائماً رائعة وكان المعلم يجد نفسه ملزماً بدفع التعويض المتفق عليه، وكان يفعل ذلك عن طيب خاطر مادام قد انتفع بقدر كاف من خدمات صبيه.

وفي العشرين من تشرين في السنة الثامنة من حكم كيروش كان نوبتا **Noubta** قد عهد إلى بل اتير **Bél-étir**" بتعليم اتكال اناماردوك **Etkol-ana Mardouk** النسيج مدى خمس سنوات وكان الصبي يأتي في كل يوم بـ "قا" من الشعير والملبس. وقد تعهد النساج أن يدفع في حالة عدم كفاية التعليم تعويضاً قدره ٦ "قا" عن كل يوم وقد أضيف إلى هذا الاتفاق غرامة قدرها عشرون شاقلاً من الفضة على من يفسخه. وفي الثلاثين من آب (أغسطس) من السنة الثامنة أي بعد عشرة شهور من انتهاء السنوات الخمس كان العبد ما يزال مع النساج فدفع هذا خمسة شواقل إلى نوبتا.

٣- التجارة

كانت الأنهر والقنوات السبل الطبيعية للمواصلات بين مختلف مناطق صومير وأكاد منذ عهود ما قبل السرجونية بل إن معظم مدنها كانت منتشرة على طول ضفاف الفرات. ولقد نقل الملك العجوز "أورينا" الأخشاب اللازمة لتقييد معابد لجش عن طريق الماء، كما أن "مانشتوسو **Manishtousou**" قد استعمل نفس السبيل لنقل مسلة الديوريت التي نقش عليها قائمة بما اقتناه من ممتلكات، ولقد استجلب "جوديا" كذلك الأخشاب والأحجار والمعادن الثمينة عن طريق الأنهر أيضاً. وتحمل بعض الأسطوانات العتيقة صور قوارب وأننا لنلاحظ أن حمولة بعضها في عصر أور تبلغ سعة ٩٠ "جورا" من الشعير. وكانت تستعمل لكل أنواع المشحونات من ركاب وحيوانات وحبوب وزيت ودقيق وخشب ومختلف المواد. ولم تكن السفرة من لاجاش إلى سوسه تستغرق أقل من شهرين عن طريق القناة. وقد حدد قانون حمورابي الايجار اليومي

للقارب سعة ٦٠ جورا بمقدار ١–٦٠ شاقل، أما ايجار القارب السريع فقمحتان ونصف قمحة. وكذا حدد أجراً سنوياً للمراكبي قدره ستون جورا كما قدر ترميم القارب حمولة ٦٠ جورا بشاقلين وحدد المسئولية في حالة فقدان المركب وحمولتها. ولم تقل حركة الملاحة النهرية في العصر البابلي الجديد: ففي عهد نابونيد دفع شاقل وربع شاقل من الفضة لقاء استئجار مركب لنقل ثلاثة ثيران وأربعة وثلاثين رأساً من الماشية الصغيرة قدمها الأمير الملكي لشماش وللآلهة الآخرين في سيبار. وهذا وقد ارتفعت التعريفة المعتادة لاستئجار القوارب منذ عهد حمورابي وبلغت في المتوسط شاقلاً في اليوم وكان القارب يباع بسعر يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ شاقلاً.

وليست لدينا معلومات عن انشاء وصيانة الطرق البرية في بابل. ولقد كانت هناك قوافل بين العاصمة والمدن الرئيسية في عهد اجاده. كما أن رسلا عديدين في أيام ملوك أور كانوا يرتحلون حتى عيلام بقصد توصيل أوامر الأمير وأغلب الظن أنهم كانوا يسلكون الطرق المحاذية للأنهر والقنوات أو الدروب التي تخترق السهل ومما يجدر ذكره من جهة أخرى أن الحاجة التي اضطرت سكان بابل منذ أمد بعيد إلى استيراد عدد من المواد الأولية من الخارج لعدم وجودها في البلاد قد حملتهم على تنمية التجارة الخارجية وخاصة مع عيلام في الشرق ومع آسيا الصغرى وشواطئ البحر الأبيض في الشمال العربي. وقد مارسوا هذه التجارة عن طريق عقود العمولة أو تعيين وكلاء، فإذا كان الأمر يتعلق بإنهاء صفقة أو بيع بيت أو حقل أو شراء عبد أو تحصيل دين أو استئجار مركب أو استعارة شعير أو استئجار مزرعة أو حيوان، فإن صاحب الشأن كان– حين لا يستطيع الحضور بنفسه– يختار وكيلاً ويحدد له كتابة مهمته ويخوله سلطة تحرير العقد وتثبيته بقسم.

أما فيما يختص بالتجارة مع المدن البعيدة أو البلاد الأجنبية، فإن رجل الأعمال كان يكون نوعاً من شركا المساهمة وكان يعهد بمبلغ من المال لاستثماره تجارياً أو يسلم بضائعه ليبيعها إلى مرتحل تجاري يضع تحت تصرفه مواهبه وتجاربه ومهارته.

وقد حدث أن لازم حكم حمورابي توسع هائل في التجارة مع الشمال والغرب

نتيجة للتوسع السياسي لبابل المتحدة وكانت العاصمة الجديدة المركز الحقيقي لتجارة الشرق وذلك بفضل مركزها الجغرافي بين آسيا العليا والدنيا حيث يتقارب النهران. ولقد كرس المشرع كذلك مواد عديدة من قانونه لأعمال كبار التجار ونظم العلاقات بين صاحب العمل والمستخدم ولكن لم تصل إلينا لسوء الحظ المواد الأولى التي تنص على كيفية انشاء الشركة.

وكان الأمر يتطلب– كي تصبح الاتفاقية صحيحة– أن يكون هناك صك مكتوب يعين الواجبات المفروضة على الوكيل. ويحدد بالدقة المال أو البضاعة المودعة تحت تصرفه ثم السلفة الممنوحة بغير مقابل للرحلة. وكان على المستخدم أن يمسك حساباً دقيقاً عن عملياته ويسجل كل ما حصل عليه من أرباح. كما كان عليه عند عودته أن يقدم كل رأس المال إلى موكله مقابل ايصال بذلك ثم يأخذ من الأرباح النصيب الذي كان قد اتفق عليه قبل الرحيل، أما إن كان قد قام بصفقات غير مربحة نتيجة إهمال أو سوء تصرف فعليه تعويض ذلك بإعادة المبلغ الذي كان قد عهد إليه به مضاعفاً. ومع ذلك فما عليه إذا استطاع أن يبرر أسباب الخسارة إلا أن يعيد فقط المال الذي عهد إليه به كما أنه يعفى من دفع أي شيء إذا كان المال قد ضاع بسبب سوء الأمن في الطرق أو لأسباب قهرية أخرى ويشترط أن يؤيد ذلك بالقسم. ولم يكن ليقبل النظر في نزاع بين موكلي ويستخدمه إلا على أساس أدلة مكتوبة. وإذا ارتكب المرتحل خطأ في عمل الحسابات في غير صالحه أو أن هو لم يحصل على ايصال عن مبلغ منصرف فإنه لا يستطيع استرداد هذا المبلغ في هذه الحالة. وعند عدم وجود مستند مكتوب، فإن الشخص الذي يقوم ضد الادعاء يستدعى الآخر في المعبد في حضرة الشهود، وكان يحكم على المرتحل الذي يثبت عليه أنه مدين بدفع ثلاثة أمثال المبلغ للدائن. أما إن كان رجل الأعمال هو المخطئ فإنه يدفع للمرتحل ستة أمثال المبلغ الذي احتجزه بدون وجه حق.

ولقد كان الأمن مضطرباً فعلاً في طرق القوافل الأمر الذي دعا ملوك بابل في القرن الخامس عشر إلى الشكوى من التحرشات وجرائم القتل التي يذهب تجارهم

ضحية لها في مناطق سوريا الخاضعة للنفوذ المصري.

وفي القرون الأخيرة من الملكية البابلية كان رجل الأعمال يرتبط في أغلب الأحيان بالأجانب وخاصة بالأراميين الذين انتشرت لغتهم في ميزوبوتاميا وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى. وكان على المرتحل التجاري أن ينهي أعماله خلال المدة المحددة في عقد الاستخدام وكان عليه كذلك أن يعود على الأقل بما يساوي المبلغ الذي تسلمه ،لأنه كان يتحمل الخسائر وحده على حين كان يقسم الربح بالتساوي– إن كان هناك ربح – ولقد كان عقد الشركة معروفاً في الحضارة السوميروأكادية حتى قبل قيام عقد مساهمة الشركة بين التاجر والمرتحل الذي يأخذ المال أو التجارة لاستثمارها، كان معروفاً في أول الأمر في صورة ارتباط بين شخصين أو أكثر بقصد شراء وزراعة حقل ولكن الشروط الخاصة بالعملية لم تكن مبينة.

وإن علينا أن ننتظر حتى قيام الأسرة الأولى البابلية لكي نصل إلى معلومات أتم فإن الشركاء لم يكن يتحتم عليهم أن يكون أساس اشتراكهم رأس مال نقدي بل كثيراً ما كان هدفهم استعارة المبلغ اللازم لتنفيذ مشروعاتهم مع تعهدهم متضامنين بالسداد. وفي حالة حل الشركة كانت الأرباح والخسائر تقسم تبعاً للأنصبة المتفق عليها وقت انشائها، وتكون التصفية عامة أو كما كان يقال "ابتداء من قش التبن إلى الذهب" وكان إعلان ذلك يتم أمام السلطة القضائية، فإن حدث وقام نزاع بين الشركاء أرسلوا إلى المعبد، حيث كان المدعى عليه يلزم بالقسم لتبرئة نفسه من الاتهامات الملقاة عليه، وعلى كل حال، فإنه كان لزاماً على المستحوذ على ممتلكات الشركة أن يعلن ويقسم أنه لم يخف شيئاً منها.

وهاك نموذجاً من عقد شركة بين شخصين لأغراض تجارية بصفة عامة [1] "كون اريب سن **Erib-Sin** ونور شماش **Nour-Shamash** شركة وأتيا إلى معبد شماش وقررا مشروعهما. فهما يشتركان معاً على الشيوع في الفضة والتجارة والعبيد والاماء في

---

(1) XCV. P. 288.

الخارج والدخل ومشروعهما واضح: فضة مقابل فضة، عبد وأمة، وبضائع في الخارج أو الداخل من الفم إلى الفائدة، سوف لا يتنازع الأخ مع الأخ، لقد أقسما بـ "شماش" و"ايا" و"مردوك" و"الملك حمورابي" في حضرة ١٧ شاهداً.

وكانت الصيغة في العهد البابلي الجديد تحرر أحياناً في صورة عامة. فنحن نقرأ مثلاً في حكم نابونيد "أتى مردوك بالاتو، وشابك زر يحددان مينا من الفضة كرأس مال للشركة وتكون ثمرة العملية لهما معاً" وكان آخرون يذكرون أن كل العمليات التي يقومون بها "في المدينة أو في الريف" خاصة بالشركة وأننا لنرى نفس "أتى مردوك بالاتو" المذكور– وهو من كبار رجال الأعمال– يعقد اتفاقاً مع "مردوك شابك زر– وربما كان نفس شابك زر المذكور اسمه في العقد السابق– على أن يستثمرا معاً خمسة مينات من الفضة وبعض الطيب. ويعهد كل منهما تنفيذ المشروع إلى واحد من عبيدهما على أن تقتسم الأرباح الناجمة بين الشريكين المتعاقدين، أما العبدان فإن طعام وملبس كل منهما يكون على حساب الشركة لا على حساب سيده [(١)] وفي العام التالي نجد اتفاقاً مماثلاً: فقد تقرر أن توضع مينا من الفضة تحت تصرف عبد "مردوك شابك زر" وأما "اتى مردوك بالاتو" فإنه يقدم هو الآخر من ناحيته واحداً من خدمه ليستثمر هذا المبلغ.

وكان عقد الشركة يحرر أحياناً لمدة قصيرة ويمتد أحياناً أخرى لسنوات عديدة تسوى خلالها الحسابات من وقت لآخر بصفة مؤقتة وحين يأتي التاريخ النهائي لتسوية الحساب فإن ذلك كان يتم– كما كانت الحال من قبل– أمام المحاكم كما كان يلجأ إلى القسم لتأييد ما جاء في الإقرارات الخاصة بتسوية الحساب.

وفي عام ٦١٧ ق.م. وهي السنة الثامنة لحكم نابوبولاساد أسس "نابوكين ابلو" وابنه "نسابوبلشونو" عقد شركة مع "شولا" و"موشزيب بعل" وبعد ٣١ سنة، اي في العام الثامن عشر لحكم نبوخذ نصر الثاني (٥٨٦) قررا أن يفضاها فسووا حساباتهم

(1) CXIV. NBN. 199. 472, 653.

أمام المحكمة واقتسموا ١٥ شاقلاً من الفضة كان قد دفعها "نابوكين أبلو" وابنه ولم يكن هناك مجال لمناقشة الموضوع أو المطالبة بأي حق فقد حلت الشركة وسلك كل شريك طريقه... تمت تسوية الحساب وكسرت اللوحات القديمة بقصد الحيلولة دون قيام ايما نزاع مستقبلاً، ولقد استشهد بالآلهة على صحة التصفية وحمل كل من الشركاء السابقين معه عند انسحابه الدليل الكتابي على ذلك.

٤- البيع

كان البيع استبدالاً للشيء المملوك بما أو- في النادر جداً- بشعير. وكان يجب أن يحوى العقد الذي يثبته ثلاثة عناصر أساسية هي بيان الشيء المبيع وأسماء الطرفين وائتمن الذي يدفع أو ايصال الدفع الذي يتم فوراً.

وترجع بعض عقود البيع إلى فترة العصر التاريخي وكانت قد حررت في المدينة القديمة شوروباك قبل عهد "أوريننا" ملك لجش [١] وفيها نجد أرضاً تقدر بشاقلين ونصف شاقل من الفضة لل "جان" كما نجد تقديراً لمنشآت ملحقة بحقل بخمسة أو عشرة شواقل من الفضة أو- حتى بعشرة شواقل من النحاس ومثل هذه الوثائق لا تعطى- أسوة بنظائرها من عصر لاحق- فكرة دقيقة تماماً عن حقيقة قيمة الشيء المبيع ،لأنه يجب أن يراعى نوع العبيد وحالة المنازع وموقع الأراضي وحتى رغبة المشترين الشخصية. وتقدم لنا لوحة حجرية- من العصر العتيق كذلك- قائمة بقطع من الأراضي اشتريت نقداً بالفضة في ناحية أوروك. ولقد وجدت معظم الأرقام الواردة بها مشوهة ولكن يتبين منها أن قيمة الـ "جان" لا تقل عن ستة شواقل [٢] . وفي لجش- خلال حكم الهجال أحد أسلاف أورتينا- نجد "لوجال كيجالا" الكاهن الأكبر في ننجرسو يشتري أملاكاً متعددة تتراوح مساحتها ما بين ٤٨ و ٩٠٠ هكتار (١/٢ ١١٨، ٢٢٢٠ فداناً)- إن نحن قدرنا أن المساحة السطحية هي نفس نظيرتها في

(1) LXXV. Nos 8-15.

(2) XIII. 38. P. 818.

العهود التالية– ولقد دفع الثمن نحاساً وشعيراً وقمحاً وبعض المحصولات الزراعية الأخرى.

وقد بيعت أمة في عهد "ائتمينا" بعشرة شواقل من الفضة و١٢٠ "قا" من الشعير. وبيعت أخرى مع ابنها بعشرين شاقلاً من الفضة و١ "جور" من الشعير واناء من النبيذ على حين يباع العبد بـ ٤٣ شاقلاً. ويقدر ثمن الحمار بـ٢٠ شاقلاً والخنزير بما يتراوح بين ٤و ٥. وكان سعر "سار" الأرض بما عليها من منشآت يساوى ١٥ أو ٢/١ ٢٢ شاقلاً تبعاً لموقعه وحالة المبنى. وسعر "جان" الأرض المنزرعة ٢ "جور" من الشعير والمباني الملحقة للاستغلال يدفع ثمنها على حدة علاوة على ثمن الأرض. وكان العقد يحرر بحضور شهود من أسرة البائع– وأحياناً من أسرة المشتري كذلك– وخبراء وكتاب ورجال أعمال وموظفين مختلفين يتسلمون هدايا وكانت الموافقة تتم بقسم، كما كان يعمل ختم اسطواني لتوثيق العقد.

ولقد ظلت عادة تقديم الهدايا بمناسبة شراء الأرض في عصر "مانشتوسو" ملك "إجاده" وظلت كذلك بعد سقوط بابل. وفي عهد الأكمينيين كان المشتري يضيف إلى الثمن الأصلي رداء لـ "سيدة البيت".

وقد سجل مانشتوسو شروط بيع اقطاعات كبيرة مختلفة آلت إليه، سجلها بالنقش على مسلة من الديوريت أورد فيها أسماء أصحابها السابقين والثمن المدفوع وتكليفها المفروض وحدودها. وكان يقدر "جان" الأرض في هذه الناحية من أجاده بـ ٢/١ ٣ جور من الشعير بغير المباني المقامة للاستغلال. وكان جور الشعير يساوي شاقلاً من الفضة. وكان الجحش يباع بـ ٢٠ شاقلاً أي أغلى أحياناً من العبد أو الأمة ذلك لأن العبد المتزوج كان يباع بشاقل من الفضة وخروف. وكانت مينا الصوف تساوي ٤/١ شاقل، واناء الزيت سعة ١٠ قا بشاقل وكان سعر الفضة يعادل سعر النحاس ٢٤٠ مرة.

وحين كان يقوم نزاع حول صفقة بيع في أيام ملوك أور كان القضاة يطلبون إلى

الشاري- غذا تعذر عليه تقديم لوحته- أن يؤدي القسم ثم يؤيدون الصفقة وقد حدث هذا في السنة الثالثة من عهد جيميل سن في قضية خاصة بزراعة ١٢ نخلة بلح كبيرة باعها المدعو لونانا أمام شهود بمبلغ ثلاثة شواقل من الفضة ثم أنكر ذلك.

وفي عهد الأسرة الأمورية- قبل حمورابي- لم يكن سعر الشيء البيع يذكر دائماً، إذ أن الدفع كان يتم عادة بالنقد فوراً وكان العقد في الواقع عبارة عن ايصال. ومن عهد حمورابي بدئ في تسجيل السعر أما الاضافات الأخرى التي كانت العادة قد جرت على دفعها علاوة على الثمن فيظهر أنها اختفت لفترة ما.

ولقد اشترى "وارادسن" و"بل رم يلي" معاً ثوراً بالناف بمبلغ ٥ ١/٤ ٨ شاقلاً بموازين شماس" وكان الناف تحت تصرف أيهما، كما أنه في حالة بيع الثور فإنهما يقتسمان الثمن (١).

وكان من يشتري عبداً يتسلم من البائع ضماناً بعدم وجود عيوب فيه تستوجب الغاء البيع وكان الفريقان- قبل تنفيذ قانون حمورابي- يتفقان فيما بينهما على مدة الضمانة التي يمكن تقديم أية مطالبة خلالهما كما كان يتفقان أحياناً على أن الضمانة دائمة. وقد حددتها المادة ٢٧٨ من القانون بشهر. وكان البائع مسئولاً كذلك عن البحث عن العبد الذي هرب من بيت سيده الجديد ما دام قد أخطر بذلك خلال ثلاثة ايام كما أنه يقدم ضمانة ضد القبض أو أي نزاع على ملكية الغير وعلى وجه العموم يجب أن يواجه أية مطالبة خاصة بالعبد المذكور.

وكان يدون في عهد نقل (ملكية) منزل مساحته والأملاك التي تحده واسم البائع والمشتري والثمن المدفوع وصيغة عدم النقض والقسم بالآلهة والملك وقائمة بالشهود والتاريخ. وهذه صيغة عقد بيع بيت واقع في مدينة سيبار (٢) في مفترق طرق حرر في عهد سامسو ايلونا: "٢ سار و ٤جان أرضاً مبنية إلى جانب منزل "ايلي أويليم رابي"

---

(1) XLI. P. 198.

(2) LXXI.

بن "شماش ناتسير" وإلى جانب الشارع. ناحية منه تطل على الشارع والأخرى على منزل "سيني دينام" اشتراها من يدي "إيلي أويليم رابي" ابن "شماش ناتسير" و"شماش باني" بن "كشتي ننجزيدا" وقد دفع الثمن بأكمله وقدره ٢/٣ مينا و ٩ شاقل من الفضة. تمت الصفقة وقلبه راض. وسوف لا يتقدم أحدهما ضد الآخر بأية مطالبة فقد أقسما باسم "شماش" و"ايا" و"مردوك" و"الملك سامسو ايلونا" وآل إليه مقابل ذلك ٢ سار وجان" ثم يلي ذلك أسماء ١٢ من الشهود والتاريخ.

وكان البائع يبين أحياناً في العقد أصل الملكية وكان عليه أن يسلم مستند الملكية أو يشير إلى فقدانه وفي هذه الحالة الأخيرة كان ينص على تسليمه إلى المشتري أن عثر عليه، وأما إن دخلت على العقار تعديلات فإنه كان يشار إلى ذلك لتلافي أي خطأ في تحديده.

وفي "دلبات" كانت العقود السابقة لصدور قانون حمورابي تشير إلى إقامة حفل يقرر فيه عدم إمكان الرجوع في العقد. كما هي الحال في فرنسا إذ يشير اطفاء الضوء الثالث دون استرسال في المزايدة إلى انهاء المزاد وكانت هذه ال "بوكانو" فقد كانت هناك عادة سوميرية قديمة– ترجع في أغلب الظن إلى فترة سابقة لتاريخ كتابة العقود تقضى بإتمام الصفقة وذلك بدق مسمار في الحائط. وفي حكم انتمينا– ايشاكو لاجش– كانت تبدى رغبة في أن تكسر أسنان المدعى بوتد أن تبين أن سوء النية بين أسنانه(١). وكان القسم يتم باسم الإله المحلي والملك الحاكم. ويظل المالك السابق ملزماً بمراجعة كل دعوى استرداد قد تقام. وهناك ستة عقود من هذه الفترة تبين مساحة المنزل– وفي نفس الوقت، ثمن نقل الملكية. وقد قدر ثمن مبنيين مساحتهما ٢.٠٨١ متراً و٤٧.٠٤ متراً مربعاً بمبلغ ٢/١ ٢٥.٣ شاقلاً على التوالي أي بواقع ستة شواقل لكل سار في الحالة الأولى و٤–٣ ١٨ شاقلاً في الحالة الثانية. ومع ذلك فإنهما لم يكونا واقعين في نفس المدينة فحسب بل في نفس الحي كذلك. والواقع أن الأول كان

---

(1) LXXV, No. 61.

محصوراً بين مجموعة من المساكين بينما كان الثاني ينفتح على السوق مباشرة وكان له "باب وعارضة" وكانت المباني الأربعة الأخرى تعتبر "مباني ذات آبار" وكان يميزها اصطلاح "أي بور بال" وكان أصغرها يحتل مساحة ١.٧٦ متراً ربعاً وقد قدر بأعلى ثمن– ١/٣ ٢٣ شاقلاً العقار– ذلك لأنه كان مجاوراً لمسكن المشتري مما زاد في قيمته. أما الأخرى فتختلف مساحتها بين ١٣.٥٢ و ٣٠.٨٤٢ متراً مربعاً وقد بيعت على أساس ثمن العقار منها ٠.٨٤ شاقلاً ٢.٦٢٩ شاقلاً١، ١١.٦ شاقلاً. وقد ورد في أحد العقود ذكر لأصل ملكية العقار وقد أحضر البائع معه شاهداً نفس الرجل الذي كان قد اشترى منه العقار من قبل.

وفي السنة العشرين من حكم أشور بانيبال بيع منزل في أوروك وقد كان حسن البناء بمضادته (حزام الباب) وبابه ومزلاجه وكان مسوراً من الداخل وليس له باب على الشارع. ولم تبين المساحة في العقد ومع ذلك فقد بيع إلى أحد الملاك المجاورين بحالته بـ مينا و١٥ شاقلاً من الفضة "بيع وتم تسليمه ودفع ثمنه، لن تقوم بشأنه أية مطالبة فالصفقة نهائية ولن يحاول أحد الطرفين أن ينازل الآخر في شأنها وتتخذ– علاوة على ذلك– الاحتياطات اللازمة ضد أي شخص قد يوجد نزاعاً في المستقبل سواء أكان أخاً أم ابناً أم قريباً... أكان ذلك مباشرة أم عن طريق الغير... إنه يعرض نفسه لدفع ثمن العقار ١٢ ضعفاً وقد حرر هذا العقد طبقاً للصيغة الأشورية [1] ونفذ أمام خمسة من الشهود ومهره البائع وحده بختمه ووضع علامة على الطين بظفره.

ولعل أكثر عقود البيع إثارة للالتفات تلك العقود التي ترجع لعصر البابلية الجديدة والتي تخص العبيد. فإن الخادم كان يسلم بضمانة ضد الهرب وضد المطالبة بحق عليه: الإرادشاروتو، والماربانوتو، وكان البائع يحمس نفسه بقدر الإمكان ضد ما يمكن أن يحدث من مطالبات باتخاذ المالك السابق وورثته كشهود أثناء اتمام الصفقة.

وكانت الارادشاروتو هي خدمة الملك ولسنا نعرف على وجه التحقيق على من

---

(1) XXXI. P. 170.

كانت تسرى ولا مدى الامتيازات الناجمة عنها. أما الماربانوتو، فكانت تخص حالة الشخص الذي يرجع أصله إلى رجل حر أو محرر يوماً ما ولقد استند العبد يريكيل [١] إلى هذا الامتياز وأقام الدعوى ضد رجل الأعمال "أتى مردوك بالاتو" الذي اشتراه في العام السابع من حكم نابونيد. ولقد عرض الأمر على المحكمة وتبين لسوء حظ الشاكي أنه بيع في العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخذنصر بمقدار ٢٨ شاقلاً إلى "اهنورى" وأصبح بعد سنوات أربع من متعلقات المرأة "جاجا" ثم أعطى رهينة على قرض قدره (٢٠ شاقلاً) ثم تضمن في بائنة "نوبتا" ابنة "جاجا" ثم انتقل عن طريق التبادل إلى أيدى ابن وزوج "نوبتا" اللذين عرضاه مرة أخرى للبيع في السوق ولقد جمعت اللوحات التي تتصل بظروفه هذه وقرئت ودعا القضاة الشاكي إلى عرض حججه ولكنه اضطر إلى الاعتراف بصحة المستندات المقدمة ضده، وقرر بأنه لا حق له في الانتفاع بمزايا ال "ماربانوتو".

وبمجرد دفع ثمن أشراء العبد كان هذا الأخير يصبح ملكاً لسيده الجديد الذي يتحمل الخسارة الناجمة عن الوفاة أو ينتفع بالمزايا التي تترتب على الولادات. وقد نص على ذلك في عقد من السنة السابعة لحكم قمبيز. وقد أعاد "مردوك بالاتو" بيع أمة وطفليها إلى "هابا تسيرو" وكان قد اشتراهم منه في العام السابق ولكن لسبب ما لم يكن هذا قد سلمهم. "وفي اليوم الذي يرسل فيه "هابا تسيرو" هندوبيه إلى "أتى مردوك بالاتو" فإن الأخير سيعطى العبيد إلى مندوبي "هاباتسيرو" في بابل. أما العبيد الذين يموتون أو يولدون فيما بينهم فإنهم يخصون هابا تسيروا" [٢].

٥- التبادل (المقايضة)

التبادل اتفاق يرجع في أصوله إلى عهد أقدم من عهد البيع وكان المرء يستطيع بواسطته أن يرتبط بنقل ملكية سلعة إلى آخر مقابل تسلم سلعة أخرى. وكان للبيع

---

(1) CX1V, NBn. 42.

(2) CVI, t. II. P 40.

والتبادل في أشور عقود لها نفس الصيغة. أما في بابل فقد كان التبادل يجري على حدة. وفي عهد قمبيز نجد أن نفس الأمة وطفليها الذين أعاد شراهم في العام السابع سيدهم السابق هاباتسيرو كانوا منذ عهد قريب قد استبدلهم أتى مردوك بالاتو بمنزل- وفي العام الثامن من حكم كيروش استبدل رجل عبداً- كان قد اشتراه للتو- ببائنة زوجته. وغالباً ما كانت قيم الأشياء المستبدلة غير متكافئة. وكان على المتعاقد صاحب الكفة الراجحة أن يدفع معدلاً ونحن نجد مثلاً لذلك في دلبات [١] في عهد "سن موبالليت" تضمن فقرة جزائية ضد أي الفريقين الذي ينقص الاتفاق "١/٣ سار ٢-٦٠ من بيت بوربال المجاور لمنزل ناويرايا والمجاور لمنزل انايلي واحدى واجهتيه تطل على منزل ناهيل والأخرى على السوق الكبيرة: منزل مردوك موبالليت- (سار) من منزل بوربال. منزل اداد ايلو المجاور لمنزل لاما المجاور لمنزل اداد ايلو: إحدى واجهتيه تطل على منزل واراد أوراش والأخرى على منزل ايلي...: بيت اداد ايلو- تبادل "اداد ايلو" و"مردوك موبالليت" منزليهما. وأعطى "اداد ايلو "إلى مردوك موبالليت ١١/٣ شاقلاً، ١٢ قمحة من الفضة كمعدل ومن يتنازل فإنه يقدم بيتاً ببيت".

٦- الاستئجار

الاستئجار عملية يقدم عن طريقها شخص إلى آخر مزية استعمال شيء لفترة محددة من الزمن مقابل دفع مبلغ يتفق عليه. وقد نص قانون حمورابي على استئجار القوارب والحيوانات والأهراء والبيوت والعربات والأرض والخدمات... الخ.

وكان ثور الحراثة يقدر بـ٤ جور من الشعير في السنة على حين كان ثور الجر بثلاثة جور فقط وكان هذا هو الثمن الذي دفعه في دلبات [٢] قبل صدور القانون المدعو هوزالوم عن ثور من أملاك شماش وزوجه ايا "استأجر هوزالوم بن ناهيلوم تورا- تورا لشماش وايا لمدة عام. وايجارة السنة ٣ جور من الشعير ويكيلها يوم المحصول" وكان

(1) XLVI, No.25.

(2) XLVI, No. 45.

استئجار الثور يوماً لدرس الحبوب ٢٠ قا وهو أجر مرتفع جداً يوازي ٢٤ جورا في السنة أن نحن غضضنا النظر عن استحالة تكليف حيوان واحد بمثل هذا العمل مدى عام كامل، وضرورة الاسراع في تمام العمل حتى يوضع المحصول في مأمن.

وكان الجحش يستأجر بـ١٠ قا في نفس الظروف أي بنصف ايجار الثور وكان المستأجر مسئولاً عن الحوادث إلا في الظروف القهرية أما إذا نفق الحيوان أو أصبح غير قادر على العمل بسبب الإهمال أو بسبب الضرب فإنه يكلف بأن يعوض رأساً برأس. وإصابة العين تنزل إلى النصف قيمة الثور أو الجحش وكسر القرن أو صلم الذيل أو إصابة الرأس تفقد الحيوان ثلث ثمنه فقط.

ولقد فرق القانون بين ثلاثة أنواع من القوارب: فقوارب التعديمة كانت تستأجر بثلاث قمحات من الفضة في اليوم. والقارب السريع بقمحتين ونصف وأما القارب حمولة ٦٠ جوراً فيستأجر بـ١-١٦ من الشاقل وكان عامل القارب يؤجر عن خدماته في السنة بأجر متوسطة ٦ جور من الشعير والعربة ذات الثيران والسائق كانت تستأجر بـ ١٨٠ قا من الشعير يومياً أما العربة وحدها فأجرها ٤٠ قا.

أما العامل الزراعي- شأنه في هذا شأن راعي الماشية والأغنام- فكان يستأجر بأجر سنوي قيمته ٨ جور من الشعير. وسائق الثور بـ٦ جور أما عامل المياومة فكان يكتسب ٥ أو ٦ قمحات يومياً تبعاً لموسم العمل. وقد حدد القانون أيضاً أجور العمال اليدويين فأجر النجار- وهو الأجر الوحيد المؤكد- ٤ قمحات يومياً وكان استئجار العبيد معروفاً كذلك بين السوميريين القدماء. وكان الرجل الذي يأخذ عبد رجل آخر في خدمته يصبح- كما هو الشأن فيما يختص بالحيوانات- مسئولاً عن هرب الخادم وموته وعجزه المؤقت أو الدائم بل فمرضه كذلك، وكانت قيمة الاستئجار أصلاً محددة بـ ١٠ قا من الشعير يومياً.

وكانت الأرض الصالحة للزراعة تؤجر لمدة معينة هي ثلاث سنوات عادة- وأحياناً

لسنة واحدة– وهاك مثلاً من دلبات [1]: "٣ جان و٧٠ سار من حقل واقع في اقطاعية... المجاورة لحقل سن ايلو وحقل ليت... و (١٠ جان من حقل باب اداد المجاور لحقل ايبق عشتار وحقل اتيل بي... ومجموعها ١٣ جان و٧٠ سار من أيدي "ايلي اريشا" ابنة "ناهيلوم" و"هوزالوم بن ناهيلوم" تزرع هذه الأرض سمسماً وشعيراً وقد أجرت لعام واحد وكان الدفع في موسم الحصاد من المحصول نفسه– وفي عهد نبوخذ نصر الثاني أجرت زراعة نخيل مدى ١١ سنة [2] وكان محصول الأرض كلها والأشجار مدى أربع سنوات من حق المستأجر وفي السنوات الثلاث التالية كان نصيب المالك الثلث، أما فيما بين السنتين الثامنة والحادية عشرة فلم يتسلم سوى الربع [3]. وكان المخزن يؤجر عاماً عاماً ولدينا مثل على ذلك من دلبات ولكن العادة جرت في أغلب الأحيان على إيداع المحصول في مخزن وكان الأجر يقدر بالنسبة لكميته المخزونة: وقد حدد قانون حمورابي تسعير ذلك ب ٥ قا للجور أي ١.٦٦%.

وقد تضمن القانون المشار إليه كذلك بنوداً تتصل بتأجير المنازل ولم يبق منها سوى مادة واحدة. ويظهر أن المستأجر كان ملزماً بالدفع مقدماً وكان من المسكن طرده قبل نهاية الايجارة على أن يتسلم تعويضاً متفقاً عليه مقابل ذلك وقد اختفى حق الاخلاء في العهد البابلي الجديد وأن ظل محتفظاً بطريقة الدفع مقدماً. وفي السنة الأولى من حكم قمبيز أجر منزل بخمسة شواقل في العام تدفع على دفعتين متساويتين في أول السنة وفي الشهر السابع. وقد حددت الاصلاحات الخاصة بالعين المؤجرة كما حدد تعويض قدره ١٠ مينا عن الخسائر يدفعها الطرف الذي يخل بالاتفاق.

٧- القرض (السلفة)

يحدث في كل مجتمع منظم أن أحد أفراده يجد نفسه مضطراً إلى الالتجاء إلى

---

(1) XLVI, No, 89.

(2) CXIV BNK, 90.

(3) XLVI No, 28.

الآخرين والاستدانة منهم لفترة طويلة أو قصيرة مالاً أو نوعاً ما يحتاج إليه كي يستغله في صناعته أو يسد به حاجته. ومنذ أقدم العصور حتى الامبراطورية الفارسية ظل التشريع البابلي في هذا الصدد وطيداً في صورة تدعو إلى الدهشة: فإلى جانب القروض بدون فائدة وبنص جزائي أو بغير نص لا سيما فيما يختص بالمواد الاستهلاكية، سمح هذا التشريع بالقروض ذات الفائدة وحدد سعراً أعلى للفائدة ظل لا يتغير مدى ألفى سنة وكانت الفائدة تسمى سبتو **Sibtou** "النمو– زيادة رأس المال" وهكذا ظهرت فرصة الاستثمار حيثما كان رأس المال المعار قابلاً للزيادة اللهم إلا في حالة "الظروف القاهرة" التي يمكن اثباتها.

ولقد أقر قانون حمورابي [1] عادة كانت قائمة تحت حكم ملوك أور وحدد فقط مادتين يمكن أن تكونا محلاً للإعارة هما الشعير والفضة مع أخذنا "الشعير" هنا بمعنى واسع للدلالة على أي نوع من الحبوب بل وأي نوع من المحاصيل (كالبلح مثلاً) التي كانت كلها سواء بالنسبة للمشرع نظراً لأن سعر الفائدة لم يكن يختلف: وهناك عقد من السنة الثالثة لحمورابي خاص بقرض شعير وبلح فيه الدليل على ذلك.

وكان الشعير أهم سلعة للتبادل في هذا الإقليم ذي الأهمية الزراعية وحيث كان يغل بأكثر وسائل الزراعة سذاجة ٣٠ أو ٤٠ ضعفاً. وهو إلى جانب ذلك الغذاء الرئيسي للإنسان والحيوان لدرجة أنه كانت تدفع به لا أجور العمال فحسب بل وأجرة حيوانات الحرث وحتى مرتبات بعض الموظفين.

وفي عصر أور كان السعر المعتاد للقرض من الشعير ١/٣ ٣٣% في السنة أي ثلث رأس المال وقد ظل هذا السعر قائماً في قانون حمورابي إلا أنه أخذ في الانخفاض بعد ذلك. وفي عصر البابلية الجديدة عندما شاعت القروض بالفضة نزل هو كذلك إلى نفس سعرها. وقد حدد هذا في كل العصور بـ ٢٠% في السنة أي خمس رأس المال.

ومع ذلك فقد كانت هناك حالات– نادرة جداً على كل حال– يطلب فيها

---

(1) XXVII. t. V et. I, yt. XIII.

القرض فائدة أعلى. ولدينا مثال من عصر أور وآخر من العهد البابلي بلغ فيها سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ وغالباً ما رضي الرأسمالي بفائدة أقل وهو في هذا كان ينهج نهج الدولة التي كانت تمنح القروض المالية بفائدة ١٢٪ أو نهج أولئك الذين يديرون شئون المعابد ممن كانوا يطلبون أقل من ذلك. وقد اعتاد الإله شماش اله سيبار أن يقرض الشعير بفائدة قدرها ٢٠٪ وبعد سنوات قليلة كان يقرض الفضة بفائدة مقدرة على أساس ١-١٦من رأس المال، أي بفائدة تقل عن ثلث السعر القانوني للفائدة.

ولحماية المستدين من المرابين أمر حمورابي أن يكتب عقد القرض ذي الفائدة في حضور موظف كان مكلفاً منذ عهد أور بمعرفة ما يسلم من أموال وحبوب وحيوانات وسلع من مختلف الأنواع. ومنذ ذلك العهد اعتبر كل عقد يكتب ويختم- حين لا يكون الإشراف قائماً- ملغياً من تلقاء نفسه وكأنه لم يكن. ولبس للمقرض أي حقوق للمطالبة بما أقرضه فكان الطوفان المتعاقدان قبل تقرير هذا الاجواء القانوني يعترفان عادة بأن التسلم تم على يد "رجل عادل وصادق" وقبل ذلك وبعده كان الطرفان يقرران في كثير من الأحيان أن الوزن والمكيال سيجريان بالأوزان والمكاييل الرسمية المحفوظة في قصر الملك أو في معابد الآلهة.

ورغم حضور الموظف المختص فإنه كان من المحتمل تحرير العقد على وجه يحتال به على القانون ترفع به الفائدة إلى سعر أعلى من الحد المرخص به في القانون وفي هذه الحالة كان الاتفاق يعد لاغياً أن عرف هذا التحايل ويفقد الدائن حقه في الدين ولكنه يحتفظ بالفائدة التي تسلمها. أما المدين فلا تتخذ ضده أية اجراءات.

وقد احتاط قانون حمورابي ضد الدائن غير الشريف الذي تسلم الفائدة ولكنه ينكر ذلك بقصد مضاعفة ربح قرضه. ولسوء الحظ لم يصلنا النص الجزائي. وكان الأمر يتطلب على أية حال تحرير لوحة جديدة يحدد فيها أصل الدين وما يتبقى على المدين. وحين لا يستطيع الدائن غير الشريف أن يتهرب من هذا الالتزام فإنه كان يسعى جهده كي ينتفع منه في سبيل أهدافه الربانية- من ذلك أنه كان يخصم الفائدة التي تسلمها

فعلاً ولكنه كان يعني في الوقت نفسه بأن يضيف في الصك الجديد قيمة الفائدة– التي لا تزال واجبة السداد– إلى رأس المال وبذلك يجعل المدين يدفع فائدة الفوائد أو بعبارة أخرى يحصل على فائدة على أساس سعر أعلى من السعر القانوني. وكانت العقوبة في هذه الحالة الزام الدائن بأن يدفع ضعفي مقدار المبلغ الذي تسلمه بغير وجه حق. ولئن لم تكن هذه العقوبة أشد فربما كان سبب ذلك أن المشرع راعي أن المدين قد أهمل بعض الاهمال في تأدية واجبه الذي كان يحتم عليه أن يحقق الأرقام المنقوشة على اللوحة وأن يعارض في أعمال الغش التي أصبح ضحية لها.

وكان استعمال موازين ومكاييل زائفة سواء في تسليم القرض أو دفع الدين يعرض الدائن لسقوط حقه.

وكذلك نرى أن المدين الذي يحميه القانون من كل تصرف غير شريف من قبل المقرض يستطيع أن يحصل على تسهيلات للدفع حينما يكون من المستحيل عليه أن يرد الدين النوعي فإن كان قد استعار مالاً وكان لا يملك منه شيئاً بينما يكون لديه بعض الشعير فإنه على الدائن أن يتقبل الشعير وإن كان له أن يسدد فائدة قدرها ١/٣ ٣٣٪ وهي الفائدة الرسمية للشعير بدلاً من ٢٠٪ أقصى فائدة للفضة. أما إذا لم تكن لدى المدين فضة أو شعير فإن في استطاعته أن يقدم أية سلع يمتلكها ليتخلص من ربقة الدين. وعلى المقرض أن يتقبلها إن كان العرض قد تم في حضرة شهود. أما حين لا يكون هناك شيء يستطيع المدين تقديمه لسداد الدين فهناك مجال لعقد جديد يتفق الطرفان على فحواه ولا يعتبر هذا العقد عقد قرض بفائدة.

٨- الرهون

لم يقصر المشرع رعايته على المدين وحده لأنه كان من العدالة أن يضمن للمقرض حقه في استعادة رأس المال والفائدة ولذا فإنه سمح له أن يطلب رهناً أو ضماناً.

ولقد نظم قانون حمورابي رهن الحقول فكان لكل من يتسلم حقلاً غير مبذور بصفة رهن ليزرعه الحق في أن يأخذ وقت الحصاد ما يعادل القرض مضافاً إليه الفائدة

ونفقات الزرع. أما إن كان قد أخذ حقلاً مبذوراً فليس له حق مباشر على المحصول، بل إن من حق صاحب الأرض أن يبيعه قبل أن يسدد للدائن.

وعلاوة على ذلك كانت توجد أنواع أخرى من القروض مقابل رهن ففي حكم "سامسو ايلونا" أقرضت كاهنة إحدى زميلاتها قدراً من المال يساوي ثمن حقل وذلك مقابل اتاوة سنوية وهدايا في أعياد معينة وكان الضمان الحقل نفسه الذي يصبح من أملاك الدائنة مقابل الدين المقدم أن لم تف المدينة بالتزاماتها. ولقد انتشر رصيد الرهن انتشاراً كبيراً خلال عهد البابلية الجديدة. وكان سداد الفوائد وكذلك الدين يحدث أحياناً عن طريق استعمال الرهن المودع لدى الدائن... من ذلك– إلى حد معين– قضية الخباز "اينا تسيللى بابي رابي" الذي ألزمه أبوه أن يخدم السيدة "اهاتا" سداداً لقرض قدره ٤٢ شاقلاً من الفضة [١] ولقد ظل في خدمتها مدى عشر سنوات إذ أن خدمته كانت مقدرة على أساس أجر يومي قدره ٦ قا من الشعير استهلاكاً للدين. ومما هو جدير بالذكر أن القانون عدل ففي أيام الأسرة الأولى كانت العبودية الجثمانية لا تمتد لأكثر من ثلاث سنوات أما الآن فليس لأمدها من حدود ما لم يتيسر السداد.

وكان من الممكن استعمال المنقول وغير المنقول رهناً كالزوجة والأطفال والعبيد والحقول والمنازل والقروض وأدوات المنزل... الخ. وفي السنة الحادية والعشرين من حكم نبوخذ نصر الثاني استعار "يلبيا" وزوجه "شاناناشي" "مينا" عن الفضة من "نايوبان أهي" وقدما له ضماناً لذلك باباً من أبواب مسكن البواب لبوابة ساليمو وكان الخشب نادراً كما هي الحال في أيام الأسرة الأولى وكان الباب شيئاً له قيمته ومع ذلك فقد أضافا إليه "كل ما كانوا يملكون في المدينة والقرية" مع النص على السلع بمواصفاتها التي لا يستطيع دائن آخر أن يدعى حقاً عليها قبل انتهاء أجل الدين [٢] ولقد فعل نابو بالانسى أقبى نفس الشيء حين استعار مينا من الفضة من جاميللو

(١) راجع صفحة ٨٤. I, t.XII.

(2) CXIV NBK. 129.

بفائدة قدرها ٢٠% وذلك في السنة السادسة عشرة من حكم نابونيد وقد رهن بيته ونص في مستند الرهينة على أنه: "لا حق لأي دائن آخر على هذا البيت حتى يتم السداد".

وإذا حدث أن اقترض رجل عدة قروض متوالية من نفس المقرض فإن هذا الأخير كان يعني بأن يورد في اللوحات الجديدة ذكر القروض السابقة نلافياً للخلط بينها وبين القرض الأخير وهكذا نرى "ادين مردوك" يفرض "نابو اهيدين" نصف مينا في التاسع من سيوان من السنة الثامنة من حكم نابونيد ولقد كتب "أموال أخرى يسلمها– أي نابو لعيدين–" وفي العام التالي في ٢٤ نيسان أعطاه ٣–٤ مينا و ٣/٢ ٤ شاقلاً من الفضة وذكر أنه كانت هناك سلف أخرى سابقة دون اغفال ذكر فوائدها كذلك. وفي التاسع من كبسلو أعطاه (٤٥ جور) من الشعير بفائدة ٢٠% وفي هذه المرة أشار المقرض: "يضاف إلى ذلك القروض السابقة" [١].

وهناك عقود ثلاثة مؤرخة بالسنة التاسعة من حكم الملك نابونيد تبين كيف أنهم كانوا من الناحية العملية يفكون الرهن الذي قد يكون المقرض نفسه رهنه ضماناً لقرض آخر فلقد استعار نابو تولتابشي ليشير ٣٥ شاقلاً من الفضة من السيدة بنانوتوم وأعطاها أمة كرهن. ولما كانت بنانوتوم وزوجها في حاجة لمالهم فمالهما طلبا من ابنا ايساجيل بعليت قرضاً قدره ٣٠ شاقلاً وملماه الأمة وباع نابوتولتابشي ليشير ثلاثة خدم بما فيهم الأمة المرهونة إلى أدين مردوك مقابل ٢ مينا و٥٠ شاقلاً. وفي الحادي عشر من ٢ذار (مارس) طلب ادين مردوك من مموله أن يدفع ٣٥ بنانوتوم وهذه بدورها خلصت الأمة بأن سددت دينها إلى ابنا ايساجيل بعليت. وفي الخامس عشر من آذار تسلم نابوتولتابشي ليشير باقي ثمن البيع ولكنه أعطى مع ذلك مخالصة كاملة عن المبلغ كله ما دام وكيل الأعمال قد أعاد إليه لوحة القرض الذي كان قد

---

(1) CXIV, NBN 294, 325, 869.

أخذه من السيدة بنا نوتوم[1].

ولم يكن الرهن يحول دائماً إلى المقرض ولم يكن له في أحيان كثيرة حق فعلي عليه إلا من التاريخ الذي يستصدر فيه حكماً من المحكمة بالاستيلاء عليه وذلك في حالة عدم استطاعته استرداد الدين. وهذا ما حدث فيما يختص بالباب الخاص بـ "بابيا" أما إذا كان الرهن قد يسلم فإنه كان هناك مجال لعقد اتفاقية بشأن الأرباح التي قد تنتج من استغلاله وشروط هذا الاستغلال.

وكان الرهن أحياناً يستطيع أن يسدد رأس المال والفائدة معاً، ففي آخر خدمة اينا تسيللي بابي رايي حسب مجموع الفائدة ولم يكن استهلاك سنوي.

ولقد استعار "شابيك زر" من "شولا" ورهن بيته وقدم شولا لييش فيه ولم يكن على "شولا" أن يدفع ايجاراً أو على "شابيك زر" أن يدفع فوائد حيث اعتبر الايجار مساوياً لفائدة المبلغ المقترض. وفي السنة الثالثة من حكم كيروشن وضع "بعل أوبالليت" ١ مينا و١٣ شاقلاً تحت تصرف "نابو زر اقيشا" وقد عطى له هذا الأخير عبداً لقاء الفائدة. وفي السنة التاسعة عشرة من حكم دارا رهن حقل كان يأخذ منه المقرض أرباحه وقد نص في العقد على أن يظل المدين ملزماً بدفع الفرق في حالة عجز المحصول عن الوفاء بالمطلوب.

وكان في استطاعة عدة مدينين أن يتعهدوا متضامنين ففي السنة العاشرة من حكم دارا ضمن زوجان معاً قرضا برهن كل ما يملكان من أملاك.

وكان من الممكن أن يحول الرهن إلى طرف ثالث فلقد أعطت السيدة "بناناتوم" أمة كانت قد تسلمتها من "نابوتولتا بشيء لشير" إلى "ايبا ايساجيل بعليت" وتوضح اللوبية المركز الحقيقي لهذه الأمة "شالاً مدينيني– أمة نابوتولتا بشيء لشير– ضمان بناناتوم" كما أن "شولا" عقد قرضاً مع "نرجال أوبالليت" وأعطاه ضماناً البيت الذي كان قد أخذه من "شابيك زر" وأضاف إليه كل أملاكه في المدينة والقرية وكذلك عبداً.

---

(1) CXIV, NBN 390, 391, 395.

٩- الضمان

كثيراً مالاً يضمن الرهن سوى الفوائد الخاصة بالقرض أما رأس المال فكان يكفله الضمان [(١)]... فلما كان "بعل أوباليت"، مثلاً غير قالح بعبد "نابوزر اقيشا" فإنه طلب ضماناً من "موشاليم مردوك" فضمن هذا الأخير رأس المال بكل ممتلكاته، وفي دلبات في السنة السادسة والعشرين من حكم دارا استدان "موشاليم مردوك" آخر مبلغ ١٠ مينا نقداً من معبد أنو لمدة شهر وضمنه "ساقاي" و"نابو باللتسو" فإن استطاعا في اليوم المحدد أن يحضرا "موشاليم مردوك" ويجعلاه يسدد دينه أخليا من الضمان وإلا فإنهما يلزمان بالسداد طبقاً للشروط المعينة.

وكان من الممكن أن يكون الضمان مشروطاً ولا يسري مفعوله إلا في ظروف خاصة ففي حالة "قدما المدين خارجتان عن يدي الدائن" مثلاً فإن معنى هذا الاصطلاح القانوني اختفاء المدين وعدم استطاعة الدائن الحجز عليه. وفي السنة الثالثة من حكم كيروش ضمنت المرأة "ديديتوم" "فدمى نابوزر لشير أ.ن خرجتا من يدي جيميل شماش" فأصبحت ملزمة بأن تدفع ٣٥ جور من البلح– وهو ما يعادل بقية دينه– أن هو استطاع الهرب.

وفي أيام الأسرة الخامسة كانت العادة أن يقدم ضمان حين كان الموظف عند تعيينه لا يستطيع أن يباشر أعمال وظيفته إلا بعد تاريخ التعيين. وهاك المثال التالي من سيبار في عهد سامسو ايلونا، فإن "سيباز ليبير بمحض اختياره وبناء على طلبه استخدمه المجرر شماش وقد تسلم أجره عن شهر شاقلاً من الفضة... سوف يأتي ولا يذهب... تعهد ملكي: (والا) فإنه يدفع هذا المبلغ. يده (ضمانه) "أدين داجان" بن "شماش رابي" [(٢)] فإذا حدث فيما بعد أن اضطر أدين داجان لإطلاق سراح سيبار لبير لأنه لم يحافظ

---

(1) XL.VII1.

(2) LXXI. No 276.

على تعهده فإنه يقال أنه "سحب يده" [1] وهذا اشارة إلى ما معناه أن يد الدائن التي كانت تستطيع أن تقبض على المدين لاستعباده والتي استبدلت بالضمان في احتفال رمزي ضربت أثناءه المدين على أعضائه الخلفية لتضعه تحت حمايتها.

أما المدين الذي يتعذر عليه سداد الدين في الموعد المحدد فقد كان من الجائز استعباده. وغالباً ما كانت تقوم اتفاقية لدفع تعويض. أما إن كان مديناً لعدة دائنين وكان واحد منهم قد استعبده فقد كان من حق الآخرين مقاضاته. وإذا كانوا من مدن مختلفة فإنه يتحتم عليهم أن يقيموا عليه الدعوى أمام محكمة بابل: وكان للمدين المعسر من ناحية أخرى الحق في استبدال نفسه بزوجه أو أطفاله (مادة ١١٧) لمدة أقصاها ثلاث سنوات أو بعبد أو أمة (مادة ١١٨، ١١٩) مع الاحتفاظ بحق استرداد الأمة التي استنسلها عن طريق الشراء. وكان يسمح له كذلك– بموافقة دائنيه– أن يحول ديونه لابنه وحالما يحرر العقد ويقبله الدائنون يفقدون الحق في ادخال أي تعديل عليه.

١٠- الوديعة

الوديعة هي العملية التي يعهد فيها شخص بمنقول إلى آخر ليعني به مجاناً على أن يعبده عند الطلب وقد نظمها قانون حمورابي شأنها في ذلك شأن القرض.

وكان يوجد نوعان من الودائع: وديعة المحصولات ووديعة الأشياء الأخرى لما فيما يختص بالمحصولات المودعة في شون أو مخازن، فإن القانون قد حدد ايجار الشونة أو المخزن بخمسة قا للجور (٢/٣ ١%) واعتبر صاحب المبنى مسئولاً عن التلف. وفيما يختص بإيداع الأشياء الأخرى كان القانون قد قضى بأن يصحب الايداع تحرير لوحة بحضور شهود يذكر فيها المودع التزامات المودع لديه. وليس للغير أية صفة دون ترخيص من المودع للاستيلاء على المحصولات أو الأشياء الأخرى المودعة بقصد استرداد ما قد يكون على المودع من دين لهم. فإن فعلوا فإنهم يفقدون كل حقهم في

(1) I, t, XIV.

الدين ويلزمون بإعادة ما استولوا عليه. وكان المودع لديه مسئولاً عن اختفاء الوديعة كما من الممكن أن يتم اتفاق بينه وبين المودع على استعمالها على أن يعيد قدراً مساوياً لها إلى مكانها نفسه أو في أي مكان آخر يحدد.

١١- المعبد- الإدارة الزمنية

لم يكن المعبد في بابل مكاناً للعبادة والصلاة فحسب بل كان كذلك عنصراً هاماً. للإدارة الزمنية. وكان الأمر يتطلب موارد ضخمة لإطعام موظفي الإدارة الذين يعملون في خدمة الإله وللقيام بإصلاح المباني التي تتخرب بمرور الزمن أو التي يجتاحها العدو. وكانت للإله أراض تجمع محصولاتها وترعى فيها قطعان الماشية. وأما في المدن فكانت له الأهراء والمخازن حيث كانت تكدس أيضاً تقدمات الأمراء والمؤمنين ونصيبه من الأسلاب بعد النصر. وكذلك كانت له فيها أبنية من كل نوع.

ولقد كشف في تللو عن أجران لـ "انيننو" بناها الملك المسن أورنينا، ولدينا من عصر لوجالاندا حسابات منتظمة هي دليل على تنظيم ديني متقدم، وهي تحوى قوائم المدفوعات الشهرية لخدم الباو **Baou** مع ذكر المخازن، التي سحب منها الشعير اللازم وكذا سجل لخدم ضيحة الإله- **١٤٥** رجلاً و**٣١** امرأة مع بيان نصيب كل منهم وأسماء الوسطاء أن مست الحاجة إلى ذلك والأجور المدفوعة مقدماً وحالة الصيادين البالغ عددهم **٤٤** وقائمة بعربات وأملاك الإله وطعام الحيوانات [١]- وكان لمعبد انليل في عصر أور متنزه ضخم على مسيرة نصف ساعة من نيبور حيث كانت تفيض عليه الالتزامات (الضرائب) من المدن والايشاكومات [٢]. وفيما بعد- في سيبار مثلاً- نجد خزانة المعبد تمنح قروضاً من مال وحبوب وحين كانت تقدم أحياناً للفقير أو المريض لم تكن تطلب عنها فائدة وهي تخضع لمطلب الإله من تعويض حين يتم الشفاء

(1) LII.

(2) LIII, LVI

أو عند معاودة الحظ والسماح بسداد الدين [1] وكان القادرون يتعهدون عن طريق النذر بتقديم تقدمة في يوم شفاء من يهتمون بهم من المرضى وعند تقرير قرض بفائدة كان من النادر أن يطلب المعبد الفائدة القانونية بل غالباً ما كان يقنع بنصفها أو ثلثها على الأكثر. ويظهر أن كل معبد كان مقراً للعدالة وكان الكهنة يستمعون عند بوابته إلى الشهود وينطقون بالحكم. وحين لم يكن من المستطاع تقديم مستند مكتوب إلى المحكمة المدنية أو الدينية– في حالة فقدان عقد مثلاً– فإن القسم كان يتم من أحد الفريقين– المدعى عليه غالباً– وكان هذا القسم يؤدي في المعبد كقاعدة.

وكان كثير من الوظائف في المعبد وراثيا وإن كانت أحياناً تباع أو تؤجر. وفي زمن حمورابي كان من الممكن أن يجد الوريث من نصيبه في التركة إيراداً معيناً عن فترة ٦ أو ٨ أو ١٥ يوماً في السنة أو كهانة لمدة محدودة. وهناك باشيهو– ووظيفته مسح التماثيل الإلهية ومواد العبادة بالزيت– باع وظيفته وحقلاً بمقدار عشرة شواقل من الفضة وكان كبار موظفي الدولة يؤخذون من هذه المعابد التي كان يفخر الأمراء بأنهم يشغلون وظائفها المقدسة. وفي ظلال المعابد كانت تقوم المدارس التي تخرج الكتاب. ومن الثابت أن الكتابة وجميع المتون من كل نوع كان يعهد بها لرجال الدين وهي التي كان لها الفضل في احياء الحضارة البابلية.

(1) LXXI No. 76, I, t. XIII, p. 202.

الكتاب الثالث

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الدين

١- الآلهة

لا يزال من العسير أن نحدد في الدين السوميري الاكادي ما يرجع أصله إلى العنصر السامي من السكان وما هو من أصل سوميري ذلك لأن العقائد الأصلية، قد استقرت كما أن الطقوس جرت في خطوطهما الرئيسية منذ بدء التاريخ وكانت اللغة السوميرية تستعمل في العبادة حتى بعد اختفاء هذا الجنس وكان لنفس الآلهة الكبار هياكلهم في كلتا المنطقتين ولكن هياكل سومير كانت كما يقال أمعنت في القدم وكان أولها وأعلاها شأناً الايساجيل الذي أقيم في أريدو على شواطئ الخليج الفارسي.

وقد كانت الفكرة الأساسية في كل دين هي الاعتقاد في كائن متسام أو أكثر تلتزم أمامه الإنسانية بواجبات معينة. ولقد آمن السوميرو أكاديون بوجود عدم ضخم من المعبودات كانت جميعاً كائنات سماوية وكان الرمز الذي يعبر عن فكرة الإله يصور كنجم كان معناه الحقيقي "سماء" على حين كانت مختلف النجوم تدل عليها نفس العلامة مكررة ثلاث مرات. وكأن الأله الأعظم أنو يعرف بنجم واحد فقط... لقد كان إله السماء على حين كانت الآلهة الأخرى تكون جيش السماء... فيلق النجوم.

ولقد نسب السومير وأكاديون إلى معبوداتهم فضائل وعواطف إنسانية وأسبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وإن رفعوهم عن الجنس البشري أن منحوهم الخلود وآمنوا بهم كخيرين ورحماء في كل الظروف حتى حين كانوا يقاضون البشر جزاء إثمهم وأخطائهم. ولم يكن هناك إله شرير بل إن الشر كانت تسببه في العالم أرواح خبيثة ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الآلهة. ولم تكن تقام لهذه المسوخ عبادة دينية وكان الناس يحاولون مقاومتهم واتقاء شرهم عن طريق ممارسة السحر.

ولم يستطع السوميريون والأكاديون أن يتخيلوا كائناً أزلياً دون بدء وكانوا يرون أنه لم يكن هناك شيء كائن عند نشاة العالم وأن في هذا اللاشيء كان يستطاع تمييز عنصرين من الرطوبة مختلفين: ذكر هو "أبسو" وهو محيط الماء العذب الذي كان يحيط بالعالم والآخر التي هي "تيامات" (البحر) وقد ولدت لهما كل الكائنات. هذا هو ما تدل عليه "قصيدة الخليقة" ومطلعها:



(شكل ١٢) إله سوميري (حفائر دنفر– متحف جامعة ثلادلليا)

"حين لم تكن السماء الملا قد سميت بعد

ولم يكن للأرض من تحتها اسم

اختلطت الأمواه من أبسو الأولى أبيهم

ومن تيامات الصاخبة أم الجميع فصارت واحداً

ولم تكن الآجام والأغصان مثبتة ولم تكن غياض القصب مرئية

حين لم يكن هناك إله له اسم

حين لم يكن هناك قدر مرسوم

خلق الآلهة [١]"

ولقد أدخل علم تكوين الخلق عند الكلدانيين في إحدى الرقى نفس عناصر الرطوبة في أصل الأشياء ومن الزوج الأول خرج أولاً "لاهمو" وزوجه "لاهامو وهما معبودان لم يكن الدور الذي لعباه ملحوظاً ثم مرت فترة غير محددة وانبثق من الزوج الأصلي "انثار" و"كيشار" وهما يمثلان في ذاتيهما كل السماء والأرض ومنهما جاء ثلاثة آلهة آخرون هم الثالوث الأعظم لمجموعة الآلهة البابلية: انو وانليل وايا.

٢- الثالوث الأول

قسم هؤلاء الآلهة الثلاثة الكون (المصورة) فيما بينهم لأنه طبقاً للآراء السامية لم يكن الشيء يستطيع أن يوجد دون أن يكون له سيد. وكان انو الآله الأكبر يحكم في السماء وكان انليل سيد الجو والأرض وكانت ايا- المسماه انكى في السومبرية- تحكم أمواه المحيط البدئي وكان لكل منهم طريقه الخاص على مدار الشمس وكانت مساكنهم على قمة السموات [٢].

وكان يعتبر انو الآله الأعظم منذ أقدم العصور التاريخية. وكانت "دير" مدينته في أكاد أما في سومير فكاو يمجد ب"أوروك" في "أي. أنا" أي "مسكن أنو أو بيت السماء"، حيث حلت عبادة ابنته عشتار آلهة اللذة محل عبادته حتى قبل عصر أقدم الآثار العتيقة. وقد حدث مثل ذلك تماماً في نجش في حي جيرسو إذ كان هناك كذلك "أي- أنا" حيث كانت تعبد ابنة انو منذ عهد ايااناتوم تحت اسم "نني" **Ninni**، ولقد

---

(1) XLIII, p. 3-5.

(2) CXII, t, I, p. 259 XLIII, p. 179.

التمس لوجال زاجيسي ملك أوروك من انليل أن يقدم دعاءه إلى أنو كما يذكره جوديا في صدر اللعنة المصوغة ضد من يغتصب منشآته. ولقد كان هو أول آله يمجده ال "أي- ننو" وكان "ملك الآلهة" كذلك لقبا منحه اياه أور انجور ويسميه حمورابي "الآله الأعظم" في استهلال قانونه. ولقد كان يسكن قمة قبة السماء "سماء انو" وكان يحرس بوابته معبودان تموز وجيزيدا وكان يوضع أمامه "الصولج والعصابة والتاج وعصا "القيادة" قبل نشوء الملكية على وجه الأرض، وحين كان الآلهة في خوف من الطوفان هربوا وصعدوا إلى سماء انو وجثوا كما يفعل الكلب على الحائط ورقدوا وظلوا هناك حتى اشتموا الرائحة الجميلة للضحية (1).

ورغم أن أنو كان أسمى الآلهة ويعتبر كأب لهم وأول نموذج للخليفة. إلا أنه لم يستطع أن يحتفظ بالسلطة العليا حين ركزت بابل القوة في يديها واخضعت سومير وأكاد إلى صولج ملوكها.

وكان على التفكير الديني أن يلائم ما بين القصص القديم والمركز السياسي الجديد. ولما لم يكن هناك شيء كائناً في هذا العالم بغير أمر الآلهة والمصائر التي قرروها، فإن تعظيم إله بابل فوق الآلهة الآخرين كان يستلزم أن يتبع سمو بابل على المدن الأخرى رفع الهها فوق جميع الآلهة الآخرين. وأصبحت كلمة مردوك "مثل كلمة أنو" وكان يشار إلى خلع هذا الأخير منذ بدء الزمان فحين كلف "انشار" العجوز "أنو" بأن يحارب الثائرة تيامات لم يجد في نفسه الشجاعة لمواجهتها فكر راجعاً ولكن مردوك- على نقيضه- أصبح البطل المنتقم لأخوته. وفي مأدبة علنية وقد أسلموا أنفسهم أثناءها للسكر رسموا له مصيراً لا يباري وأعلنوه ملكاً عليهم.

وقد اغتصب انليل سيد الأرض أحياناً ألقاب أنو وكان يسمى "أب الآلهة" وقد أطلق عليه هذا اللقب في نص من عهد "انتمينا" ايشاكو لاجش وكذلك في قصيدة "ايا" و"اتارهاسيس". ومن جهة اخرى فإن رموزه الموجودة على عدد من الكودورو من

---

(1) XLIII, p. 155, 167, 111, 115.

العهد الكامني هي– مثل أنو– العرش والتاج. وهو فوق كل شيء مستشار الآلهة وهو الذي أحدث الطوفان ولذلك أزادت عشتار الغضوب أن تمنعه من أن يكون له نصيب في تضحية "اوتانابشتيم" وهو نوح البابلي فصرخت قائلة: "دعوا الآلهة للتضحية ولكن لا تدعوا انليل يأتي لأنه لم يمعن الفكر بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومي" وقد أنبه "ايا" كذلك من أجل نفس العمل "أنت اعقل الرجال! أيها البطل! لم؟ لم لم تمعن الفكر وأحدثت الطوفان؟" وعلى أية حال فإنه حدد مصير "أوتانا بشتيم" وجعله يسكن "مصب الأنهار" وقد كان في الواقع سيد الكائنات الإنسانية وعهد بهم إلى أمراء يقودونهم في مسالك العدالة... هو إله نيبور سيد سومير (١) .

والاسم السامي ل"ايا" ثالث آله في الثالوث الأعظم معناه "بيت الماء" أما اسمه السوميري فهو أنكى "سيد الأرض" وكانت مملكته ال "ابسو" "مسكن المعرفة" المياه التي تحمل الأرض وتحيط بها. وكان يرمز له بكائن برمائي هو "العنزة السمكة".

وكآله للحكمة خلق الإنسان بتشكيل كتلة من الطمي منحها الحياة بنسمته الآلهية وهو الذي أنقذ البشر من الهلاك الكامل في زمن الطوفان.

ولقد كشف عن صناعات مختلفة للإنسان ومنح الذكاء للملوك

وساعد الكهنة على تأدية وظائفهم المقدسة وخاصة في طقوس السحر التي كان يستعمل لممارستها ماء مقدساً يؤخذ من حوض ابسو في معبد أريدو (٢).

٣- الثالوث الثاني

كان هناك ثالوث ثان مكون من "سن، الآله القمر وطفليه "شماش آله الشمس" و"عشتار" نجم الزهرة.

وكان سن يقيس الزمن وهو الذي ينهى الأيام والشهور والسنين للملوك المذنبين

---

(1) LXXVI. P. 62, 38, 286, 280, 212, XLIII, p. 188, 125, 103 107, 119.

(2) LXXVI, p. 389, 38, 86, 94.

بالدموع والتأوهات. وكان رمز الهلال. وكان يعبد في أور تحت اسم نانا. ولقد انتشرت في معبده في حران **Harran** عبادته في البلاد الأرامية.

وكان شماش فوق كل شيء القاضي الأعظم وكان له طفلان هما كتو وميشارو أي العدالة والحق. وكان يطأ الظلم تحت قدميه ولقد أملى شخصياً قوانين العدالة على أورانجور وحمورابي. وكان رمزه قرصاً مزينا ينجم ذي أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الأشعة المموجة. وهو يميز على الآثار المحفورة– أسطوانات عصر أجاده وقانون حمورابي ونابو البا أدين (القرن التاسع)– بشعلات ترتفع إلى ما فوق كتفيه [١].

أما عشتار "العطوف" فمعبود ذكر في الصباح وآلهة أنثى في المساء وهي أحياناً ابنة أنو وأحياناً أخرى ابنة سن وهي آلهة الحرب وآلهة اللذة وهي أخت شماش آله النور وفي الوقت نفسه أخت "ايرشكيجال" معبودة العالم السفلي. وقد حلت عبادتها في أور ٠ .وك محل عبادة أبيها وكان محبوها لا يحصيهم العد وكانت تسعى لغواية البشر. وكانت تعتبر في هالاب **Hallab** ابنة لـ"سن" وسيدة المعارك. وأما في أجاده وسيبار فإنها تحت اسم أنونيتوم كانت على ما يظهر تمزج بين الشخصيتين وذلك في عهد نابونيد على الأقل لأنه يسميها "سيدة العراك التي تحمل الجعبة والقوس" وكانت في نفس الوقت تصنع له الفأل المناسب عند شروق الشمس وغروبها. وقد طغت شخصيتها على الآلهات الأخريات وكان، اسمها المفرد يعني أية واحدة منهن أما مدلول اسمها الجمع فهو الآلهات عامة وكأبنة لـ "سن" كان رمزها نجماً. وكانت تمثل كآلهة للحرب واقفة منتصبة على أسد أو اثنين وهي تحمل الجعبة وفي إحدى يديها سلاح مقوس وفي الأخرى صولج مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يعلوها رءوس أسود.

٤- مردوك

كانت كل قوى الطبيعة وكل قوى الخير وعلى العموم كل الأجسام السماوية تؤله عند السومير أكاديين، وكان عدد المعبودات التي يلتمسونها كبيراً جداً. وكان لكل

---

(١) راجع شكل ٧ صفحة ٥٥.

مدينة معبودها وكان كل رجل في حماية زوج آلهي. ومع ذلك فقد استطاع أحدهم أن يتفوق على الآخرين بدرجة أنه في التفكير الديني لعصر البابلية الجديدة كان الآخرون يعتبرون كمظاهر له. وقد تم تفوقه حين وحدت الأسرة الأمورية في بابن نهائياً أراضي سومير وأكاد، في مملكة واحدة وعندئذ استطاع حمورابي أن يرفع مردوك الآله المحلي إلى المرتبة الأولى فتألفت أناشيد جديدة من القصص القديم تتفق والوضع الجديد. وكان انليل يتمتع بلقب "بعل" "سيد" وهو يملك لوحات القدر منذ زمن لا يمكن تقديره. وقد اخترعوا– من أجل استلابها منه– قصة عن بدء الخليقة مؤداها أن مردوك هو الذي هزم تيامات (الفضاء) فمنحته الآلهة حق تقرير المصير مكافأة له. وكان الاحتفال يقام فيما بعد في "دو أزاج" في بابل أثناء أعياد رأس السنة. ولقد تخلى أنو عن سلطاته ل"مردوك" ومنعه أبوه "أنا" اسمه "ألا فليسم "أيا" مثلي" وكانت له بالإضافة إلى ذلك كل الحكمة بدليل ان ايا قال له: "أي بني! ماذا هناك لا تعرفه وأستطيع أن أعلمك إياه؟ أن كل ما أعرفه تعرفه أنت أيضاً" وهذا هو السبب الذي اعتبر من أجله– مثل أبيه– ساحر الآلهة وإله الكهنوت وخالق البشر. وكان يمثل بأذنين كبيرتين ترمزان إلى فهمه الكثير ويحمل السلاح المقوس الذي قهر به تيامات وتحت قدميه الوحش الذي أخضعه وكانت الحربة رمزاً له على كودورو العصر الكامي والأختام البابلية الجديدة.



(شكل ١٣) الآله مردوك: القرن التاسع (متحف برلين– حفائر بابل)

وكان آلهة بابل وبورسيبا يأتون سنوياً في يوم عيد السنة الجديدة ليقاسموا له ولاءهم وكان موكب عظيم ينظم في الطريق المقدس وعندما كان يتوجه رسمياً إلى معبده اكيتي كان يتوقف في الذهاب والعودة عند "دو أزاج". وفي اليومين الثاني والحادي عشر كان

الآلهة يجتمعون هناك ويحبونه في رهبة ويركعون أمامه وكانت المصائر تحدد أثناء ذاك تحديداً قاطعاً للسنة بأكملها. وكان توقف هذه الاحتفالات في زمن الحرب أو عند حدوث مصاب كارثة تذكر بصفة خاصة في حوليات المدينة.

٥- بعض المعبودات الأخرى

يذكر من بين المعبودات الأخرى اينورتا أول مولود لانليل وهو بطله. وكان آله حرب "خبيراً في العراك" لا تستطيع البلاد أن تحتمل وطأته الثقيلة" وكان يمتزج بال "بعول" (السادة) لبعض المدن وعندئذ كان يطلق عليه اسم آله المكان: ففي لجش في حي جيرسو كان يسمى ننجرسو أي "سيد جرسو" وفي سوسه كان يسمى "أن شوشيفاك" السوسي" وكان يمثل فيه آلهة آخرون مثل زابابا في كيش، واوراش في دلبات. وكان له على الأقل عشرون سلاحاً مختلفاً ففي يمناه كان يمسك بال "شار أور" وهي حزمة من العصى والأسلحة بسنان محدبة تعلوها رأس أسد. وعلى كتفيه يظهر غالباً مقدم أسد كما يظهر نفس الحيوان الرمزي بين قوائم عرشه أو تحت قدميه. وقد قرنه علماء النجوم بمنكب الجوزاء **Beteigeuze** في الجوزاء ككل تكون جيشه.

وكانت بار الزوجة الآلهية لـ "ننجرسو" كبرى بنات أنو تلقب "بالمرأة الخيرة" وكانت أما لسبع توأمات وكانت زوج اينورتا يطلق عليها في عصر حمورابي اسم "ننكر اك" كما كان يطلق عليها جولا في عصر الكاسيين: وتحت هذين الاسمين كانت هي آلهة الطب تضمد الجراح التي يسببها الآله وتشفى الأمراض.

ولقد عبد المصريون النيل وأقام اليونان الهياكل لأنه انتهز ولكن السوميرواكاديين كانوا قد فعلوا ذلك من قبلهم فاختاروه هو وجيبيل "آله النار" "ليقضى قضاءه بين البشر" و"حين احتقره الآلهة العظام وضعوا الخير على ضفتيه" ومنحوه قوة التمييز بين العادل والظالم. وطبقا لقانون حمورابي كان من يتهم بالسحر يلقى به في النهر المقدس الذي يلقى على عاتقه وحده أن يكشف عن مدى براءته أو ذنبه. وهو يمثل على الأختام الأسطوانية من عصر أجادة يرأس المحاكمة مستقراً على عرش وممسكاً في إحدى

يديه بإناء ينبعث منه مجريان تسبح فيهما الأسماك.

وكانت تعبد كذلك آلهة للماء هي "نينا" ابنة "أيا" وكان يرمز لها بسمكة في وسط حوض وكان لها هيكل في لجش وكانت إحدى ضواحي المدينة مكرسة لها. وفي بعض أيام الأعياد حين كانت تخرج في الموكب كان قاربها المقدس يبحر فوق القناة.

وكان "أداد" آله الجو مبعث خوف واحترام في وقت واحد. أليس هو الذي يمنع الغيث أحياناً وأحياناً أخرى يلقى الرعب في النفوس حين يطلق الرعد؟ ولقد كان يمثل مرتدياً ثياباً قصيرة ويقف فوق ثور وهو مسلح بصاعقة ورافعاً سلاحاً فوق رأسه.

وكان ينسب إلى "نيسابا" أخت "نينا" نمو القصب العظيم وهو أحد مصادر ثراء الأقليم، إذ كان يستعمل في تشييد الأكواخ وعمل الحصير وفي صنع الكراسي والموائد والسلال كما يستعمل وقوداً. وكانت الساق– إن أحسن قطعها– تستعمل قلما للكتابة على ألواح الطين كما يستعمل الرماد لغسل القماش. وكآلهة للكتابة. والخصوبة اعتادت نيسابا أن تجلس فوق كومة من الأغصان وكانت تحب أن ترسل شعرها حتى يسقط متموجاً على كتفيها اللتين تنبثق منها سيقاً، القصب وكانت تمسك في يدها اناء يفيض وهو رمز الخير الذي توزعه.

ولقد آله السومير وأكاديون عدداً من الأبطال الخرافيين وبعضهم يظهر في القوائم الملكية لعصور ما قبل التاريخ مثل "دوموزي" وهو تموز السوريين الذي نقش اسمه في المكان الرابع بين أمراء الأسرة الأولى في أورك وهو ابن "ننجزيدا" وحفيد نينازو "سيد العرافة بالماء" وقد أصبح زوجاً ل"اريشكيجال".. آلهه العالم السفلي بعد أن أحب عشتار ربة أوروك التي كانت سبباً في هلاكه. وكان بصفة عامة آله النباتات فكان يولد من جديد في كل عام في الربيع "هو يستقر صغيراً. في اناء يغوص ثم ينام كبيراً في حصاد المحصول ويظل راقداً فيه". وهو صورة من أدونيس اليوناني ففي شهر الصيف المكرس له حين يلقى الحاصد آلة حصاده ويجمع السنابل في الحرم يموت وينزل إلى العام السفلي وعندئذ تكرر النساء الولولة السنوية التي رسمتها عشتار:

"إلى متى ستظل الحبة أسيرة؟

إلى متى ستطل الخضرة مقيدة بالسلاسل؟"

وتخرج الآلهة وتسير إلى "البلد الذي لا يرجع منه أحد" لتبحث عن حبيبها وتعيده إلى الأرض.

٦- الأمراء المؤلهون

وقد كان كثير من الأمراء الذين خلفوا لنا وثائق رسمية يستمتعون كذلك بامتيازات التأله حتى في حياتهم. ولعل قائمة الأعلام لحكم مانشتوسو تقوم دليلاً على ذلك في الاسم "شوروكين ايلي" "سرجون الهي" وتتزايد الأدلة في حكم "نارام سن" فهو في الكتابات يسمى "آله أجاده" و"آله بلده". وعلى لوحة النصر لواه يلبس على رأسه التاج ذا القرون التي يسميها الملك الكاسي "أجوم كاكزين" "عصابة السيادة– علامة الألوهية". وقد قامت فيما بعد مؤسسات دينية في لجش لعبادة الايشاكو جوديا. وكان لملوك أور معبدهم وكان هناك شهر في كل عام يخصص ل"دونجي" وألفت الأناشيد في مديحهم وحرق البخور أمام تماثيلهم وقدمت التضحيات لهم. ومنذ أيام ملوك أور كان الناس يقسمون لا بالآلهة وحدها بل الملك الحاكم كذلك والقسم وعمل ديني محض.

٧- المعبد

كان الآله يسكن المعبد مع زوجه وأطفاله وخدمه. ولسوء الحظ لا يسمح لنا الوصف الذي أورده جودياً عن هيكل ننجرسو في لجش بمحاولة تصويره تماماً. ولم تكشف الحفائر سوى عن كتلة من ركن المعبد ومدخل له [1] يستند على طبقتين من اللبن تفصلهما طبقة من الرمال. وكان الركن موجهاً إلى ناحية الغرب. والحائط على الجانب الجنوبي الغربي مستو خال من الزينة أما الحائط الشمالي الغربي فمزين بخطوط من جزءين وعلى بعد خمسة أمتار من الركن كانت هناك فتحة واسعة يعترضها على كلاً

(1) XLI, p. 18 et plan K. Ct L. XX, D.396 et pI. 50 fig. i.

جانبيها بروز يتكرر ثلاث مرات. وليس هناك أثر لثقب يرتكز عليه الباب أو أية علامة لبوابة تغلق المدخل. وعلى مسافة ليست ببعيدة كان أحد أسلاف جوديا وهو الايشاكو "أوربار" قد بنى كذلك معبداً لم يبق منه سوى الركن الغربي من أرضيته وقد كشف تحته عن تمثال صغير من النحاس ولوحة أساس موضوعين في إناء من الفخار بقاعة ثلاثة تقرب [١].

ولدينا من عصر البابلية الجديدة أربعة معابد [٢] في نفس المدينة الواحدة وهي بابل وقد أمكن الكشف عن التصميم الكامل لها ودراسة هذه البقايا تبين أنه وإن كانت هناك قواعد تحتمها التقاليد، فإن المهماريين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة في ترتيب الأجزاء المتعددة للمبنى. وكانت هذه المعابد منشآت مستطيلة على وجه التقريب لها زوايا (أركان) تحدد اتجاهاتها كمباني أورباو، جوديا، ولكننا نرى أنه بينما استعمل ايشاكو لاجش الآجر والقار نرى نابو بولاسر وخلفاءه يستخدمون اللبن فقط. وفي الخارج كانت الحوائط مقسمة على مسافات متساوية بأعمدة مربعة تزينها قنوات مدرجة في معبد ننمار وشبه دائرية في معبد ايساجيل ومستطيلة في غيرهما كما هي الحال في معبد أزيدا في بورسيبا ومثل هذه الأعمدة المربعة لا توجد في أي مبنى مدني. ويؤدى إلى الفناء الأوسط مدخل أو أكثر ببوابات مزدوجة مغطاة بالبرونز ومرتكزة على دعائم حجرية ويربطها مزلاج يثبت الدعامة في الأرض. وكان هذا الفناء الأوسط– شأنه في ذلك شأن الفناء الخارجي– مؤيداً بأعمدة مربعة تزداد تعقيداً بالقرب من البوابات وعند المدخل الرئيسي وأمام الهيكل. وكان هذا الهيكل يقع عند طرف البهو إلى الغرب في معبد ايساجيل وفي الجنوب الغربي في معبد ايماء. وقد غطى نبوخذ نصر الثاني حوائط مقصورة مردوك بالمذهب واللازورد والرخام [٣] وكان السقف المصنوع من أحسن أرز لبنان مغطى كذلك بالذهب اللامع. أما لعشتار أجاده، فإن الحوائط قد طليت فقط

---

(1) CXX. P. 211, 400; LXXVI, p, 96, 98.

(2) CX b. fig. 98, 114.118. 187. Â 139, 142, 143, 244 â 247.

(3) XXXIII. B p. 134, 126.

بالجير الأبيض وغطيت المشكاة التي تحوى تمثال الآلهة بمحلول الأسفلت مع وضع شرائط بيضاء قرب الأطراف كما هي الحال بالنسبة للمداخل الرئيسية. وفي معبد إيماه كاز الإله يسكن مبنى صغيراً عثر على أساسه. وكان أمام الهيكل الذي تبلغ مساحته ١٢×٥ مترات غرفة وكان لكل من هاتين الغرفتين مخزن للأمتعة المقدسة.

وكان من الممكن رؤية الصنم من الفناء ولكن ليس من الشارع لأن باب الدخول والفناء لم يكونا في محور المبنى. وفي معبد "اينورتا" لم تكن هناك غرف جانبية ولكن كان هناك مزار صغير على كل من جانبي الهيكل. وحول الفناء الذي كانت تختلف مساحته بين مبنى وآخر- الايماه كانت واجهته ٣٠ متراً وعرضه ٥٠ متراً، ١ والإيساجيل كان مربعاً طول ضلعه ٦٠ متراً- كانت تصطف (وأحياناً تتجمع حول الأفنية الملحقة) غرف لا نعرف على وجه التحديد فيم كانت تستخدم كما كانت هذه الحجرات موزعة أحياناً على أحواش إضافية. وفي ايماه يوجد علاوة على ذلك ممران ضيقان ينتهان بزقاق غير نافذ. وفي ايساجيل لوحظ وجود مزار صغير في الجانب الشمالي.

وكان من المعتاد أن توضع في أساس كل معبد صور واقية: فعند البوابة الرئيسية لـ "ايماه" وضع طائر- وهو رمز الآلهة- في مشكاة مكونة من ستة قوالب من اللبن. وتحت أرضية قدس أقداس "أينورتا" أسطوانة الأساس باسم نابوبولاسر.

ولم يكشف عن أي مذبح داخل معابد بابل ومع ذلك فإنه يوجد مذبح من اللبن موضوع على أرضية من الطوب أمام مدخل معبد ايماه كما يوجد مذبح آخر من اللبن المجفف فوق أرضية أمام معبد أينورتا. وكانت التضحية تتم في الخارج ولم يكن مسموحاً لغير الكهنة والأمير بالدخول إلى قدس الأقداس في حضرة الآله وكذلك، فإنه طبقاً لما جاء بهيرودوت "يرى خارج قدس الأقداس- (بالأيساجيل) مذبح ذهبي وآخر كبير جداً لذبح الماشية" (١).

---

(1) Hérodote 0, 188.

وكان يقوم إلى جانب المعابد الرئيسية مبنى أصم مكون من منشورات رباعية مبنية فوق بعضها البعض وتقل حجماً كلما ارتفعت وهذا الجبل الصناعي المسمى زيجوزات مثلث صورته على كودورو ل"مروداش بالادان الأول" **Mérodach-baladan**. وكان زيجورات بابل– ال "ايتميناكي،– [١] يقع إلى شمال الايساجيل بعد الطريق المقدسة مبنياً من اللبن المجفف ومغطى بالأجر ومكوناً أعمدة مربعة عثر عليها في جانبين متجاورين طول كل منهما ٩١ متراً– وهذا الزيجورات ليس محفوظاً مثل حالة زيجورات بورسيبا التي لم يكشف عن خرائبها بعد– وهي ترتفع إلى أكثر من ٤٠ متراً فوق السهل ولم يبق من هذا الزيجورات سوى طابق واحد والسلالم الثلاثة التي تؤدى من الناحية الجنوبية إلى المدرج الأول. وهناك لوحة في اللوفر أرخت بالسنة ٨٣ من حكم السلوقيين (٢٢٩ ق.م.) [٢] تقدم وصفاً هندسياً لهذا الأثر وملحقاته الخارجية وكان في مجموعه يكون مستطيلاً طوله ٢١٩٠ قدماً وعرضه ١٢٠٠ وكان المدخل الرئيسي إلى الشرق– على الطريق المقدس– يؤدي إلى شرفتين متتاليتين تسبقان الفناء المربع الذي كان شرفة كذلك حيث يقوم البرج. ويبلغ طول قاعدة البرج ٦٠٠ قدم. وكان الطابق التالي– ال "كيجال"– يرتكز على الجانب الغربي للقاعدة وكان طوله ٣٠٠ قدم فقط [٣] وكانت به عدة مزارات فهذا الذي إلى الجانب الشرقي كرسي لمردوك ونابو وتاشمتوم وهذا الذي إلى الشمال كرسي ل"إيا" و"لوسكو" وذلك الذي إلى الجنوب كرسي ل "أنو" و"سن". وكان يرى فيه كذلك "بيت السرير" و"بيت الأدوات" و"بيت الشباك" وفناء محاط بحائط تنفتح فيه أربع بوابات. وفي وسط ال "كيجال" كانت هناك خمسة طوابق متعاقبة يقوم فوقها مزار يتوج المبنى. ويصف ميرودوت ال"ايتميناكي" ك "مربع منتظم طوله استادان [٤] في كل جانب وفي الوسط يرى برج ضخم يبلغ كل من طوله أو

---

(1) CX b. fig. 119.

(2) Memolres de l'Acedémie des inacriptione, t, XXXIX 1913.

(3) CXI; 106 métres.

(٤) يبلغ الاستاد نحو ١٨٥.٣ متراً–(المترجم).

عرضه استاداً واحداً. وفوق هذا البرج يقوم آخر ثم ثالث وهكذا إلى أن يبلغ عددها ثمانية أبراج. والصعود إليها من الخارج عن طريق منحدر يدور تباعاً حول جميع الطوابق. وفي منتصف الطريق المنحدر تقريباً توجد غرفة ومقاعد يجلس ليستريح عليها أولئك الذين يرغبون في الصعود إلى القمة. وفي أعلى الطوابق يوجد هيكل كبير به سرير مزخرف زخرفة فخمة تقوم إلى جانبه مائدة من الذهب. ولا يوجد في هذا المزار ولا يمضي الليل فيه أحد سوى امرأة من الريف يختارها من بين رفيقاتها الآله نفسه على حد قول الكلدانيين وهم كهنة هذا الآله" [١].

وقد أخذ نابوبو لاسر مؤسس الامبراطورية البابلية الجديدة على عاتقه إعادة بناء ال ايتميناكي" تنفيذاً لأمر مردوك [٢]. وكما فعل جودياً من قبله لم يفعل شيئاً دون أخذ رأى الآلهة ولقد استشار وحيهم وقام بالتطهيرات المطلوبة. ومثل الملك القديم أورنين حمل مواد البناء فوق رأسه على حين حمل ولي العهد الطين الذي يصنع منه الطوب واستخدم ابنه الآخر "نابوشوم ليشو" المجرفة والمعول. ويظهر أن الطقوس الدينية الخاصة بتشييد أبنية العبادة ظلت متوارثة سليمة مدى عشرين قرناً رغم الثورات.

ونستطيع أن نرى مثلاً آخر لروح التقاليد هذه في الصعوبات التي لقيها نابونيد حين أراد ترميم التاج الذي كان نابوابال أدين قد قدمه إلى شماش– سيبار في القرن التاسع [٣]، وقد أراد الملك أن يعيد صياغته كله من الذهب ولكن الشيوخ ادعوا آله يجب ألا يدخل عليه أي تغيير ولقد استشار وحي "شماش" و"اداد" ثلاث مرات وأجاب الوحي ثلاث مرات بالرفض فاتجه نحو مردوك يسأله ألا أن الرواة قرءوا في كبد الذبيحة تصميم الآلهة على عدم قبول أي تجديد. فنزل الأمير على ارادتهم وأمر بإعادة التاج إلى حالته الأولى.

---

(1) Hérodole I, 181.

(2) XXXII, P. 60-62.

(3) Hérodole I, 181.

٨- كبار رجال الدين

كان الأمير الكاهن الاكبر لآله مدينته وكان الملك الكاهن الأكبر للآله الوطني. فانتمينا كان الايشاكو الأكبر ل "ننجرسو" وكان جودياً يقدم بنفسه القرابين ويقوم بالاهراق وكان يستبين بالفأل ويتلقى مباشرة أوامر الإله وهو الذي طهر المدينة قبل إقامة المعبد وقام بالتقديس المطلوب ونطق بالبركات السبع عند التكريس. كما أن لوجال زاجيسي ملك أوروك أطلق على نفسه كذلك لقب كاهن أنواله أوروك ثم الايشاكو الأكبر لانليل آله سومير بعد فتح سومير: "عينه (الآلهة) في هياكل سومير كايشاكو للبلاد وفي أوروك ككاهن".

وكان كبار كهنة الهياكل الهامة شخصيات لها قدرها فكان يتطلع إلى شغل مراكزهم أبناء الأمراء وكان الفأل وسيلة تعيينهم وكان هذا الحادث يستحق التخليد بأن تسمى به السنوات. وهكذا ابن "أور انجور" خلال حكم أبيه، اختاره المعبود كاهناً أكبر للآلهة "إننا" (عشتار) في أوروك ويعيد تاريخان خاصان بدونجي إلى الذاكرة اختيار كبير كهنة نانا. فلقد مر عامان بين الانتخاب وفيما بعد خلال حكم "جونجونوم" ملك لارسا بلغت هذه الفترة ثلاث سنوات في حالة الكاهن الأكبر لشماش. ومنذ أقدم العصور ربما كان هناك مجمع لكبار الكهنة إلى جانب بعض المعابد: وهناك نص من جوديا ينهض دليلاً على ذلك. وكان الأمير الذي يخلع عن عرشه لا يستخف أبداً باحتفاظه بوظائفه الدينية فلقد ظن ننجوسو بن جوديا كاهناً لألو ونبنا حتى بعد أن زالت عنه صفة ايشاكو لجش.

وكانت تنتظم تحت الكاهن الأكبر **en** بمعنى سيد وفي السامية **enou** طبقات متعددة من الكهنة يجمعهم الاصطلاح العام سانجو (وفي ال.سامية شانجو) ويظهر أنه كان يطلق بصفة خاصة على مدير المعبد وأن كان يطلق كذلك على أي شخص يشغل الوظائف المقدسة.

٩- الطبقة الأولى من رجال الدين (السحرة)

كان رجال الكهنوت ينقسمون إلى ثلاث مراتب: السحرة وهم الذين يستعطفون الآلهة ويبعدون الأرواح النجسة، والمنجمون الذين يتنبأون بالمستقبل ثم المغنون الذين يباشرون وظائف الشمامسة. ونحن نعرف حوالي ٤٠ وظيفة مختلفة.



(شكل (١٤) بالاجو (متحف اللوفر)

وكان الكاهن من الطبقة الأولى يحمل لقب ماشماش (وفي الأكادية أشيبو) ولكن الوظائف قسمت منذ أقدم العصور فكان يدعى "كالو" الكاهن الذي يناط به أن يخفف الغضب عن قلوب الآلهة الغضبي بغنائه [١] وكان عليه في أيام معينة أن يذهب إلى المعبد ليقدم التضحيات ويرتل المراثي المقدسة مستعيناً بمختلف آلات الضرب فكان يستعمل ال"بلاجو" وهي طبلة ضخمة عثر على صورها على قطعة من اناء في اللوفر [٢] وهي تكرس للآله "لومها" حامي ال "كالو"- حين يغني تمجيداً لانليل أو

(1) I, t. XVI, D, 121: XVII, D. 58.

(٢) انظر الشكل ١٤. **I. t, IX p1, III.**

عشتار– واحدة من هذه القصائد المتعددة التي تحمل كذلك اسم بالاجو ومع ال "شم" أو "هالهالاتو" كان يصحبها "ارشم ما". وكانت لديه كذلك آلة أخرى هي ال"للسو" وهي طبل نحاسي مغطى بجلد الثور. وقد احتفظت لوحة من واركا ترجع إلى عصر السلوقيين (١) بطقس تكريس هذه الآلة. وهناك لوحات أخرى (٢) تحوي الصيغ التي تتلى خلال الاحتفال.

وكان ال"كلاماه" أو كبير الكالو أهم جماعة "الكال". ويظهر أن وظيفته كانت وراثية وكانت هناك وظائف تؤدى أعمالها بعيداً عن أعين عامة الناس ولكن كان يسمح للمبتدئين بالحضور وهكذا يتلقون التعليم الأول. وكان الكالو يتوسط في ظروف استثنائية معينة فمثلاً عندما ينظر في إعادة بناء معبد مخرب حين يتلقى المنجم فألاً بالموافقة على ذلك نرى الكالو في يوم رائع يتجهز ويضحي خلال الليل بخمس تضحيات تكريماً للآلهة الخمسة ويرتل مرثية و"ارشم ما" ثم يقدم ثلاث تضحيات لآله المعبد والآلهة زوجته ولصاحب المعبد. ويقدم عند الفجر ثلاثة أخرى هي في هذه المرة للبعول (الأسياد) الكبار أنو وأنليل وايا. وكان الاحتفال التمهيدي ينتهي بأغنية "حين خلق أنو وأنليل وأيا السماء والأرض" التي تغني أمام طوب أساس المعبد القديم. وبعد ذلك يوضع أساس المبنى الجديد ولا يتوقف الكالو عن تقديم التقدمات والمرئيات حتى يتم البناء.

وكانت مهامه تلتمس في مناسبة الفأل السيء فإن أنذرت زلزلة بهجوم لعدو (٣) فإنه هو الذي يقدم التضحيات ليلاً لآله وآلهه الملك بعد تطهيره ثم يضحى في الصباح للآلهة أنو وأنليل وأيا. وبعد أن يسجد الملك ويحلق له يأخذ هو في اناء "لاهان سهار" شعر جسم الملك ويذهب لالقائه على حدود العدو قبل أن تعمل في جميع المدن المرائى الاستعطافية على معطف الملك: "أن أنت أديت هذه الواجبات كما قررتها

---

(1) I, t. XVII, p. 56.

(2) I, t, XVII p. 95.

(3) Ibid, t,. XVII, p. 87.

الطقوس فإن الشر لا يقرب الملك".

وإلى جانب الكالو نجد هناك ال "اشيبو" وعليه واجب تطهير المرضى والأئمة وخاصة بواسطة الرقي والطقوس السحرية وهو يعمل بفضل أيا آله أريدو أو– فيما بعد– بفضل مردوك بن أيا حين بسطت بابل نفوذها:

"السيد العظيم الآله أيا أرسلني

لقد أحل رقيته المقدسة محل رقيتي

ووضع فمه المقدس مكان فمي

ووضع لعابه المقدس مكان لعابي

ووضع صلاته المقدسة مكان صلاتي" (١)

وكانت هناك رقى لكل المناسبات وضد كل الشرور "ضد الأرواح الشريرة" أوتوكي ليمنوتي "**Outoukki limnouti**" والشبح "أديمو" وال "لابارتو". أما ضد الساحر فكانت تستعمل رقية "ماقلو" (الاحتراق) أو "شاربو" (الالتهاب) ذلك لأن صورة الساحر كان يلقى بها في النار. وكان الصداع والحمى والروماتزم تعتبر كائنات حقيقية يجب أن تختفي نتيجة لعمليات السحر. وكان ال "أشيبو" يقدم الصلوات للآلهة كما يتقدم بالتضحيات ويصب الأهراق.

١٠- الطبقة الثانية من رجال الدين (المنجمون والعرافون)

كانت الطبقة الثانية من رجال الدين تضم المنجمين وقد عرفتهم لجش منذ فجر التاريخ وكانوا ينقسمون إلى فرق عدة تبعاً لمختلف أنواع الظواهر التي يمكن ملاحظتها. نفى عصر أورنينا التمس كبير المنجمين "بأزو" من الإله أنكي أن يحصل على وحي بشأن تشييد بيت جيرسو (٢) وتحت حكم أسلاف "أوروكاجيني" كان على الرجل الذي يرغب في صب الزيت على الماء حتى يعرف مشيئة الآلهة أن يدفع خمسة شواقل من

---

(1) XLIV, p. 287.

(2) LXXVI, p. 10.

الفضة للإيشاكو وواحداً لكبير الوزراء وواحداً للمنجم "أبكاللو" (الذي كاو يكرس ذاته خاصة لإدراك الغيب عن طريق دراسة الأواني [1]. وفي نفس العصر كان هناك كهنة آخرون يفسرون الأحلام– ال "انسى"– أو يلاحظون مختلف الظواهر ال "اجيدو". وكلهم يحملون الاسم العام "بارو".

ولم يكن اللجوء للعوافة يتم فقط بالنسبة للشئون الخاصة، بل كان كذلك وقبل كل شيء يتصل بالشئون العامة فلم يكن أمير يقبل على أمر هام دون استخارة المعبود سواء أكان ذلك بأن يبدى المعبود رأيه عن طريق ظاهرة غير عادية أو غير متوقعة أم– كما هو الأمر في أغلب الأحايين– بأن يلتمس السائل تدخله بالبحث عن الرغبة الآلهية في الظواهر التي يلاحظها المنجم. ولقد استشارهم "أمي ديتانا" ملك بابل فيما يختص بنقل حمولة قمح [2].

وكانت مهام المنجم وراثية وكان هو "نسل كاهن مولود من كاهن سليم" ويجب ألا يكون فيه عيب جثماني. أما العلم الذي لديه فقد وصل إليه عن "انميدورانكي" سابع الملوك السابقين للطوفان [3] الذي أقام صرح الكهانة... أما– بعد قرون– أن هو "ارتدى ثياباً طاهرة" فإن ذلك يرجع فقط إلى تعديلات أدخلت في الطقوس لأنه في الأصل كان عريان عرياً تاماً عند مباشرته لمهام عمله كما تبين ذلك اللوحات العتيقة من ليبور والأختام الأسطوانية.

أ– إدراك الغيب عن طريق دراسة الكبد والأواني

كانت العرافة تتناول كل الظواهر المحتملة وغير المحتملة. وفي المجموعات المختارة التي يستعملها المنجمون دون في عناية ما تم من أحداث، بعد ظاهرة أو أخرى من الظواهر والتي كانوا يعتقدون أنه سيتكرر حدوثها في نفس الظروف... بل وأكثر من

---

(1) Ibid, p. 80.

(2) LXXXIX p. 159.

(3) XLIII, p. 143.

ذلك اخترعت فروض معينة وبصور مختلفة من تداعى الخواطر استنتجوا ما ينبغي حدوثه.

وكانت أكباد الحيوان تعتبر مقر الحياة. ومن ثم كان هذا العضو يسمح للمرء أن يرى فيه كما يرى في المرآة نوايا الآله الذي تقبل الحيوان المضحى كتقدمة. ومع ذلك فقد كان من الضروري لمباشرة إدراك الغيب عن طريق الكبد أن يختار حيوان مبرأ من العيوب وأن يضحي به وفقاً للشروط المقررة في الطقوس والتي تختلف باختلاف ساعات النهار. ففي الفجر مثلاً كان المعبود على استعداد لأن يتقبل شاة وكان العراف يضع أمام الآله موقداً وعلى مائدة خلف الموقد أربعة أوان بها خمر السمسم و٣٦ كعكة ومزيجاً من الزبد والعسل ثم الملح أخيراً. وبعد أن ينفخ الكاهن الموقد يمسك بصاحب القربان من يده ويتلو هذه الصلاة: "فلان عبدك"! هلا يقدم تضحيته في ساعة الصباح! ألا فليقدم نفسه أمام عظمة ألوهيتك! ألا فليكن مرضياً لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الجيد والأعضاء الصحيحة" وبعد أن تضحي التضحية كان نصيب الآله الفخذ اليمنى والكليتين وقديداً. وقد عدد أحد الكتب العلامات التي قد يكفها العراف في الكبد وحدد أيها مناسب وأيها غير ملائم. ولقد احتفظ بالملاحظات التي بنيت على الأحداث التي حلت بأسرة أجاده. ولدى المتحف البريطاني كبد من الطين تنقسم إلى خمسين قسماً يتصل كل منها بعلامة من العلامات المختلفة.

أما إدراك الغيب عن طريق استقراء الأواني فقد كان الاشتغال به ايسر وكان العراف يستطيع دون تردد أن يذكر أن كان المريض موضع الاستشارة سيشفى أو يموت، وإن كان المشروع المقترح سيصيبه النجاح أو الفشل وذلك تبعاً للوضع أو الصورة اللذين تسقط بهما نقطة الزيت في اناء الماء.

(ب) الظواهر العرضية:

ولكن هناك ظواهر لا يبحث عنها الإنسان بل تفرض نفسها للملاحظة وهذه

الظواهر يمكن أن تكون أيضاً بشيراً باحظ الحسن أو نذيراً بسوئه مثال ذلك الشذوذ في ولادة الأطفال أو الحيوانات ذلك الشذوذ الذي يعتبر فألاً للبيت الذي يحدث به وأحياناً للمدينة أو الولاية. فربما دعا تشابه طفيف في الرأس إلى القول بأن المرأة ولدت أسداً وهذا يوحي بفكرة القوة والسيطرة وهي علامة طيبة للبيت أو البلد. وإن كان رأس الطفل يذكر بالحمار أو الحمل فإن هذه أيضاً علامة طيبة. أما الكلب والثعبان فيحملان الفأل السيء. وحركات الحيوانات وتصرفاتها لها قيمة تنبؤية تختلف باختلاف زمان ومكان الملاحظة: فدخول كلب أبيض إلى القصر ينبئ بحصار المدينة ودخول الجارح من الطير إلى البيت نذير بموت صاحب هذا البيت والصراصير فأل سيء للبيت الذي توجد به هذا إلى أن جميع ظواهر الجسم الإنساني قد أوجدت مجالاً لتفسيرات تناقلتها الأجيال بعضها عن البعض جيلاً بعد جيل وجمعها آشور بانيبال في مكتبته العظيمة في نينوي.

(جـ) الأحلام:

كان الآلهة يحبون أن يتصلوا بالأتقياء من الناس وأن يعلنوا إليهم ما سوف يحل بهم من أحداث عن طريق الأحلام. وحين كان يحزب الأمر كان الأمير و العراف يلتمس هذه المنحة بالتوجه إلى المكان المقدس والنوم فيه. ولذا نرى اياناتوم ايشاكو لجش حين هاجمه رجال أوما– وهم الذين هزموا جو ادين ننجرسو– ولم يكن مستعداً للذلك... نراه يرقد في معبد آلهة حتى يعرف عن طريق الحلم أي طريق يجب عليه أن يسلكه. ووقف ننجرسو عند رأسه وكشف له عن أن بابار سيسير إلى جانبه ووعده بالنصر [١].

كذلك كان حلماً ذلك الذي تلقى فيه جودياً الأمر بإعادة بناء "اننو" المعبد الرئيسي في لجش [٢] "تنهد جوديا قائلاً هلم فلأتكلم فلأردد هذه الكلمات! أنا الراعي. لقد أعطيت لي السيادة كهدية. حضر إلي شيء في منتصف الليل... شيء لا

(1) LXXVI. P. 27.

(2) Ibid, p. 137 et sulv

أعرف معناه... هلا يسمح لي أن أمكن أن أقص حلمي على أمي عسى العرافة– تلك التي لديها معرفة ما يناسبني– عسى الهتي نينا أخت سيراراشوم تفسره لي! " وقد قدم تضحيات إلى ننجرسو وإلى الآلهة جاتوم دوج. وبعد تضحية جديدة. تمجيداً هذه المرة لـ "نينا". وجه دعاءه لها قائلاً: "أي نينا أيتها الملكة يا سيدة القرارات التي لا تقدر! أيتها الملكة التي هي مثل انليل تحدد المصير! أي نينتي! أن كلمتك صادقة وتلمع في أعلى نقطة... أنت عرافة الآلهة أنت ملكة الأقطار– أيتها الأم مفسرة الأحلام– في وسط حلمي لقد أمرني رجل ترتفع هامته إلى السماء وهيكله ينافس الأرض ضخامة... كان آلهاً ما دام التاج على رأسه وإلى جانبه الطائر المقدس أمجيج وعند قدميه إعصار وعلى يمينه وإلى يساره أسد رابض... لقد أمرني أن ابني بيتي... لم أعرفه.... أشرقت الشمس من الأرض... امرأة– ألم تكن هي! من كانت؟– كان في يدها قلم طاهر وكانت تحمل لوحة نجم السماء السعيد. وكانت تحمل النصح في شخصها. رجل آخر شبيه بالمحارب كان يحمل في يده لوحة من اللازورد وكان يخط تصميم معبد ووضعت أمامي الوسادة الطاهرة ووضع فوقها القالب الطاهر وفي القالب كان طوب الفدر... ووضع أمامي... المقدس... وكان الحمار مضطجعاً على يمين ملكي، فأجابت نينا أم الايشاكو عليه قائلة: "أي راعي أن حلمك سأفسره أنا لك. أما الرجل الذي تنافس قامته السماء وتنافس الأرض الذي هو آله بالنسبة لما هو على رأسه والذي إلى جانبه الطير المقدس المجيج وعند قدميه إعصار وإلى يمينه ويساره يربض أسد... إني أخي ننجرسو. أنه أصدر إليك أمراً أن تبنى بيته الـ"أننو" أما الشمس التي أشرقت أمامك فإنها الهك ننجزيدا: أنه يخرج عن الأرض مثل الشمس. أما المرأة الشابة التي... التي تمسك في يدها قلماً طاهراً وتحمل لوحة النجم السعيد وتحمل النصح في شخصها... إنها أختي نيسابا.. لقد أعلنت لك النجمة الطاهرة عن بناء المعبد. أما الرجل الآخر الذي يشبه المحارب والذي يحمل في يده لوحة من اللازورد... إنه "تندوب" هو... تصميم المعبد. أما الوسادة الطاهرة التي وضعت أمامك والقالب الذي وضع فوقها وطوب القدر بداخل القالب– إنه الطوب المقدس لـ"اننو". أما... المقدس... الموضوع أمامك الذي... فإن هذا معناه

أنه لكي تبني المعبد فإنه يجب ألا يكون أمامك سرور. أما الحمار الذي يضطجع إلى يمين الملك إنه أنت. أنت تضطجع على الأرض في اننو مثل...".

وبعد أن نبهت إلى ما يصل بصدد تقديم هدايا معينة للآله أنهت حديثها بقولها: "ننجرسو... سيكشف لك عن تصميم معيده. والمحارب الذي له القرارات العظيمة سيباركلك" وبعد ألفي عام دعى نابونيد آخر ملوك بابل بواسطة الحلم ليعيد بناء معبد هو معبد "أي هولهول" للآله "سن" في "حران"...

وكان يعهد بتفسير الأحلام إلى كاهن خاص هو "الشاليلو".

(د) التنجيم: الظواهر الجوية

كان يظهر الآلهة رغباتهم كذلك على طريق حركات النجوم وكان المنجم يستطيع أن يقرأ على القبة ذات النجوم ما سوف يحدث على الأرض. و (سن) آله القمر مثلاً لم يكن يظهر دائماً في أول الشهر وكان أحياناً يختفي في اليوم السابع والعشرين وأحياناً في الثامن والعشرين وأحياناً يظهر تاجه في أقصى لمعانه في الثالث عشر أو الرابع عشر وأحياناً في الخامس عشر وأحياناً في السادس عشر. ومن هنا خرجت تفسيرات مختلفة خاصة بشئون الدولة التي تتصل بها هذه الظواهر مباشرة. وكان الأمر كذلك بالنسبة لظواهر آله الشمس شماش وللآلهة عشتار (كوكب الزهرة) ومردوك (المشتري) ونجوم أخرى. وإليها كانت تنسب الأحداث السعيدة أو السيئة التي تحل بالبلاد: مثل الحملات الحربية والغزوات ومرض الأمير أو موته والقحط والفيضان... الخ.

وقد أضيفت إليها الظواهر الجوية كالزوابع والأمطار والبروق والزلازل كظواهر للآله "أداد" سيد العاصفة.

١١- الكاهنات

لم يقصر الدين السومير وأكادي الوظائف المقدسة على الرجال، بل كان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات. ولقد كانت أم سرجون الأجادى كاهنة وفقاً لتقليد معين. أما والدة (كاهنة) جلجامش فكانت تفسر الأحلام

وهي التي أخبرت البطل بوجود "انكيدو" [١]. وبالمكتبة الأهلية بباريس خاتم أسطواني لكبيرة كاهنات الآله "أداد". وكان تعيين كبيرة الكاهنات يتم عن طريق الفأل كما هي الحال بالنسبة لكبير الكهنة ولدينا دليل على ذلك اسم لغام سابق لعصر أور [٢]. وبعد عشرين قرناً أعلن نابونيد الذي كانت أمه كاهنة ل"سن" في حران أنه أن كان قد كرس ابنته لمعبد أور فإنه فعل ذلك بناء على رغبة المعبود: [٣] "لما كنت مشغولاً بهيكله ودعوت جلالته عنيت بالرغبة التي كشفها لي وقدرتها حق قدرها ولم أرفض رغبته ولبيت دعوته فرفعت غلى مرتبة الكاهنة الابنة التي خرجت من قلبي وسميتها باسم "بعل. شالتي تنا" ثم أدخلتها ال (أي جيبار)" وكان الايجيبار مسكناً بني فوق شرفة مزروعة أشجاراً وكان مخصصاً لسكنى الكاهن الأكبر والكاهنة الكبرى.

ومن بين إصلاحات أوركا جينا إشارة إلى مخصصات كبيرة الكاهنات، ويقابل اسمها السوميري "فن دنجير را" زوجة الآله الكلمة السامية "انتوم" مؤنث "أنوم" **en** بالسرميرية، وهو اسم كبير الكهنة. وقد نظم قانون حمورابي مركزها القانوني سواء أكانت متصلة بمعبد مردوك أم نذرت لخدمة آله آخر. وكما أنه من المحتمل وجود عدد من كبار الكهنة لنفس الآلهة تحت سلطان كاهن أعظم بمثابة رئيس عليهم فإن الحال كذلك بالنسبة للمعابد الرئيسية حيث توجد مجامع حقيقية من كبيرات الكاهنات مختارات من أرقى طبقات المجتمع وكانت الـ "سال مي" (زوجة الآله) وال "قاديشتوم" (المكتملة الصحة) وال "زر ماشيتوم" كاهنات كذلك وكانت عبادة عشتار تضم كذلك طبقات ثلاثاً من بنات الهوى اللواتي يعشن في الـ"جاجوم" تحت رعاية إحدى ال"أوكورتوم" كما أنه كان يوجد بالقرب من نفس المعبد مبنى للرجال يديره كاهن أكبر يدعى "أكوروم".

ولم تكن بنات عظماء النبلاء يحتقرن الوظائف الدنيا في العبادة المقدسة والدليل على ذلك أن حفيدة نارام سن المدعوة "ليبوش ياو" كانت عازفة على القيتار للآله سن

---

(1) XLI, No. 96.

(2) LXXVI, p. 329.

(3) I, t. X.L, p. 144.

[1]. ومن العصر الكاسي مثلت على كودورو– ناقص لسوء الحظ [2]– امرأة تحمل جعبة وقوساً في موكب من الكهنة الموسيقيين وهي تضرب على نقيرة (طبلة) وكذلك يظهر أنها امرأة تلك التي تضرب على آلة موسيقية وترية كبيرة في صحبة يافع في منظر لحقل ديني من عصر جوديا [3].

١٢- ضرورة الدين

فسر السومير وأكاديون أصل الإنسان بمختلف الوسائل في الأشعار الدينية والشعبية ولكنهم اتفقوا جميعاً على نقطة هامة هي أن المعبود صنعه من كتلة من الطين وأنه خلق من أجل خدمة الآلهة. ويبين علم تكوين المخلوقات الكلداني [4] "أن مردوك قد خلق البشر كي يقدم للآلهة مسكناً يأوون إليه حتى يسعد قلبهم. وقد سهم معه أرورو في إخراج بذرة البشر". وفي "قصيدة الخليقة" نرى نفس الآله ينوي إيجاد الإنسان عن طريق عجن الطين بدمه هو [5] حتى يقيم عبادة الآلهة.

وكان هذا الخلق يتم في صورة المعبود وكان كل آله يستطيع أن يسهم فيه نظراً لأنه يتكرر كلما حلا لهم ذلك. وكان الخالق يشكل في قلبه "صورة أنو" ويأخذ طيناً يشكله بهذا الشبه. وقد فعل أرورو ذلك ليخلق جلجامش والمسخ "انكيدو" أما أيا وهو أحد الآلهة الذين ينسب إليهم القصص البدائي ظهور الإنسان على الأرض فإنه خلق "أسوشونامير" و"ادابا" بنفس الطريقة. وفي زمن الطوفان ادعت عشتار أنها أم البشر وصاحت قائلة: "اخلقت الناس كصغار السمك ليملأوا البحر؟" [6].

وكان الآلهة– إذا قصرت البشرية في مهمتها– توقع بها عقوبات مروعة:

---

(1) LXXVI, p. 337.

(٢) انظر الشكل رقم ١١. XVIII t. VII p.149.

(٣)انظر الشكل رقم ١٤. I, t, IX, pl 117.

(4) XLIII, 87.

(5) Ibid, p. 64.

(6) Ibid, p. 113.

كالفيضانات التي تحيل البشرية طيناً ووحلاً والقحط والمجاعة والأوبئة. وفي كل هذه المصائب كان الآله ايا يظهر نفسه دائماً عطوفاً يسعى إلى انقاذ البشر.

وكان كل إنسان يعتمد على آله هو ملاكه الحارس وكان يطلق على نفسه "ابن" هذا الآله. وكان أمراء لجش من اسرة أورنينا تحت حماية آله واحد "دون اكس". أما أوروك اجينا فقد أدعى نسبته إلى ننشويور وأما خصمه "لوجال زاجيسي" فقد كانت المعبودة نيسابا معبودته الشخصية. وقرر جوديا صراحة أنه ابن ننجزيدا وكثيراً ما نراه يدعوه "آلهه" ويوقره بصفة خاصة. وفي القرن السابع نجد "شماش شبوم أوكين" ملك بابل يستمر في تقاليد الألف الثالثة حين يقول في رقبة: "أنا شماش شوم أوكين ابن آلهه" الذي آلهه مردوك وآلهته زر بانيتوم".

وإنا لنجد بصفة خاصة في عصر الأسرات الأمورية في ايسين وبابل اشارات إلى هذا المذهب الديني في قوائم الأسماء. فهناك أسماء مركبة من ايلي (آلهي): إيلي دورى (آلهي قلعتي) وايلى أنام (كن رحيماً يا آلهي) وايلي أمراني (آلهي انظر إلى) وايلي جملاني (يا إلهي أعف عني) وايلي اشميني (إلهي استمع إلى تضرعي) وايلي اموروم (إلهي أمورو واليما أبي (حقاً أن الآله أبي) وما نوم كيما ايلي (من مثل إلهي؟) وهناك غيرها تحوى مقطع ايلوشو وايليشو (آلهه) مثل: ايلوشو أبوشو (آلهه أبوه) وايلوشو ابنيشو (الهه خلقه، وايلوشو ابنيشو (آلهه سماء) وشا ايليشو (ملك الهه) وجميل ايليشو (عطية الهه) وابيل ايليشو، مار ايليشو (ابن الهه)، ومانوم بالو اليشو (من يستطيع الحياة بغير آلهه؟).

وأسماء النساء كذلك تقدم دليلاً على نفس المعتقد الديني ف "ايلي امدى" (آلهي سندي) و"ايلي افيليم رابي" (آله الإنسان عظيم).

وكان الآله يهتم بالرجل الذي هو حارسه. وكان يعمل كوسيط بينه وبين المعبودات الأخرى. وينهى أوروكاجينا بعض نقوشه بهذه الصيغة: "ألا فليسجد آلهه ننشوبور في الأيام القادمة من أجل عمره أمام ننجرسو" ونحن نجد صيغة مماثلة في نصوص انتمينا

ولكن هذا الأمير يكتفي بأن يختم قصصه بإشارة بسيطة إلى حاميه "آلهه" هو "دون اكس".

ولما أخذ جوديا على عاتقه أمر إعادة بناء ال "اننو" أمسكه آلهه ننجزيدا من يده خلال الموكب الذي كان يسبق صنع اللبنة الأولى في هذا الأثر، وهذا واحد من الطقوس التي يتكرر ظهورها في الآثار المنقوشة. ويمثل الختم الاسطواني للايشاكو المشهور [١] منظراً مماثلاً. ونحن لو كان لدينا بقية من التردد في معرفة الأشخاص فإن واحدة من اللوحات المقامة تطرد كل الشكوك فإنه فوق نفس صورة الأمير نجد اسمه مكتوباً داخل خانة ملكية [٢].

وفي العصر المذكور كان الموضوع المحفور على الأسطوانة يمثل عادة منظر طقس يقاد فيه صاحب الختم إلى حضرة معبود آخر بواسطة آلهه. وأحياناً حين يقاد من يده كان يرفع يمناه إلى فمه وأحياناً يقف في خشوع ويداه معقودتان إلى بعضهما وخلفه آلهه يتشفع له [٣] ذلك لأن آله الرجل هو حاميه وشفيعه لدى المعبودات الأخرى. وهكذا فإننا نجد في عصر الأسرة البابلية الأولى أنه حيث تقوم الأسماء الشخصية دليلاً في أمثلة عديدة على الاعتقاد في آله حارس نرى الحفر على الأحجار يقدم كذلك شهادة تؤيد ذلك الأمر، فإن البابلي التقي كان يجب أن تنقش أسماء آلهه وآلهته في الكتابة التي على اسطوانته سواء أوصف نفسه كخادم أم تناسى نفسه أمام المعبود ولم يذكر شيئاً عن شخصيته وأنه لمن الخطأ أن نبحث عن أية رابطة مباشرة بين النص والموضوع الذي يحفر على نفس الحجر: فإن هذا لم يكن أمراً يشغلهم [٤].

ولقد كان أداد آله الصاعقة: وقد مثله خادمه أويل أداد.. ويتميز آله القرب بعصا

(١) شكل ٣١.

(2) CIV, fig, 368, d,

(3) XII, p. 46, 57.

(4) Ibid Nos, 250, 255, 233,227, 226, 226, 106, 116, 117, 118, 160, 148, 149, 205, 217, 102, 269, 291, 295, 296, 288, 294

ممقوفة: وهو يحمي زارم الذي مثله كذلك على خاتمه. وفي مكان آخر نستطيع أن نقرأ إلى جانب آلهة الحرب أسماء انليل وننليل ونرجال وباد. كما تظهر أسماء الآله شماش والإله أيا منذ عصر أور أمام الملك المقدس إلى جانب أسماء أداد وشالا كذلك. وهي موجودة في عصر الأسرة الأولى ليس فقط مع آله الشمس فحسب، بل معبودات أخرى كذلك. وهذان الاسمان منقوشان على أسطوانات معينة مثل فيها الحفار آله الغرب. ولقد بدأت تنتشر عادة اختصار الموضوع تحت حكم الملوك الأخيرين للأسرة ثم شاعت تحت حكم الكاسيين فلم يعد يمثل سوى شخص واحد وهو يقدم وعاء. ولكن الكتابة التي عليها اتسعت وتحولت إلى نص طويل. وقد حدث ذلك بالنسبة لأسطوانتين تحملان تقديساً لـ "جولا" وآله الغرب دون وجود صورة ما [١]، وفي مكان آخر نقرأ مثلاً: "إلى جيرا المولى العظيم الذي يزيد في الغلال ويكثر في الكائنات الحية ويخلق خلقاً ورينا واسماً ل"مانوم بالوايليشو" بن "أدين بلتو" خادم جيرا وآلهة أجاده، [٢] كما نقرأ: "إلى مردوك الآله المتعالي الإله الرحيم علي شماش شيبر الخادم الذي يوقره" [٣].

١٤- الخوف من الآلهة

(الصلاة والقربان "التضحية")

كان أول واجب في الدين هو الخوف من المعبود. وكان حمورابي "يخشى الآلهة" وكان نبوخذ نصر الثاني "بكل قلبه المؤمن يحب خشية معبوداته" ويرتعد أمام سطوتهم. أما نابونيد "الذي يمتلئ قلبه رهبة فيرعى كلمة الآلهة" فإنه مع ذلك يقول كيروش أن مردوك عاقبه وهجره "لأنه لم يرهبه".

وكان الواجب الثاني في الدين هو الدعاء أو الصلاة والتضحية:

---

(1) I, t, XVI, p. 5 et 89.

(2) XLII, 298.

(3) XLIX, 266.

"قدم الخضوع كل يوم لإلهك:

التضحيات والصلوات والبخور الواجب

ليكن قلبك نقياً أمام ربك!

إن هذا هو ما يرضى المعبود

إن أنت قدمت التوسل والدعاء والصلاة والسجود في كل صباح فإنه سيمنحك كل الكنوز

وسوف تزدهر أيامك بفضل إلهك

وبعقلك راع اللوحة:

الخوف يولد الرفق أو العاطفة

والتضحية تطيل العمر

والصلاة تخلص من الإثم"[(١)].

وكان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحة. وكانت السوائل تستخدم عن طريق اهراقها (إزاقتها) وتبين الأسطوانات واللوحات المحورة ذلك. وقد قدم "لوجال زاجيسي" ملك أوروك خبز التقدمة وماء نقياً لآله نيبور وأقام جودياً في ال "باجا" مائدة القربان التي اجتمع حولها آلهة لاجش، كما وضع حمورابي مأكولات وأطعمة طاهرة أمام الآلهة. وصب نبوخذ نصر نبيذا "في وفرة ماء النهر" على مائدة مردوك وزربانيتوم.

وتقدم قوائم الطقوس بيان التضحيات التي تختلف تبعاً للقرض المراد وهاك ما قدمه بارو عند الفجر من أجل متعبد نقي لشماش فقد وضع موقداً أمام كل من المعبودات الثمانية: شماش، أداد، مردوك، أيا، بونين، كيتو، ميشارو وآله المتعبد الشخصي. وعلى

(1) XLIV, p. 21.

مائدة خلف كل موقد وضع أربعة أوان من نبيذ السمسم و٣٦ رغيفاً ومزيجاً من الزبد والعسل ثم– أخيراً– الملح وبعد أن ينفخ الكاهن الموقد أمام شماش أخذ صاحب التقدمة من يده وبدأ يتلو صلاته "فلان خادمك. ألا فليسمح له في ساعة الصباح أن يقدم لك التضحية. ألا فليرفع الأرز ويقف أمام عظمة ألوهتيك. ألا فليكن مرضياً لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الطيب والأعضاء المكتملة" (١) ثم تذبح التضحية ويتقبل الآله نصيبه وهو الفخذ اليمني والكليتان وقديد.

وكانت ذبيحة الدم عادة حملاً أو جدياً. وهي تصور كثيراً في المناظر المحفورة في الألف الثالثة والواقع أن الحيوان كان يمثل حقيقة صاحب القربان:

"الحمل نداء للبشر

لقد قدم حملاً بدلاً من حياته

لقد قدم رأس الحمل بدلاً من رأس الإنسان

لقد قدم عنق الحمل بدلاً من عنق الإنسان.

لقد قدم صدر الحمل بدلاً من صدر الإنسان" (٢).

وكانت الحيوانات الأخرى على كل حال تستطيع أن تؤدي نفس الغرض للتفكير عن أخطاء المريض كان يضحى خنزير. يقول الكتاب: "قسم الخنزير إلى ستة أجزاء وضعها على المريض وطهره بالماء المبارك للابسو وأحضر إليه الموقد والمشعل وضع بالقرب من الباب المغلق مرتين سبعة رغفان سويت تحت الرماد. وقدم الخنزير بديلاً منه... اللحم بدلاً من لحمه والدم بدلاً من دمه. دع الشياطين تتقبله. إن القلب الذي وضعته إلى جانب فراشه أعطه بدلاً من قلبه وليتقبلوه" (٣).

---

(1) Ibid, D, 107.

(2) XLIV, p. 274; XLI No 157.

(3) XLIV, p. 273.

وكانت الذبائح المضحاة تنظم في عناية. وقد حدد جوديا– بعد أن عمل لوجال أوشو مجال ذلك أيضاً– عدد الأسماك والثيران والنعاج والحملان والخيل التي يضحى بها في معابد لجش باسم المدينة لمناسبة أعياد السنة المهمة. وقد فرض دونجي مبالغ لمحافظي المدن ليضمن تنظيم الذبائح الشهرية تكريماً لانليل. ويوضح نابوابال أدين تفصيلات عن القرابين التي كانت ستقدم مستقبلاً لشماش وذلك في لوحته الخاصة بعبادته في سيبار [١].

وكانت الذبائح (التضحيات) المنتظمة العامة تختلف بالضرورة تبعاً للموارد التي كانت تحت تصرف كل معبد. ففي أوروك [٢] في معبد أنو وفي عصر معين كانت هناك يومياً وجبتان تتكونان من الشراب والخبز والفاكهة واللحوم تقدم للآلهة كل صباح كما تقدم اثنتان أخريان كل مساء وذلك طبقاً لوثيقة أعيدت كتابتها في حكم السلوقيين.

وكان شراب أنو يقدم في ١٨ إناء ذهبياً: أربعة أنواع من الجعة والنبيذ المعصور. أما في الصباح فاللبن فقط في اناء من المرمر. وكان يقدم له ٣٠ رغيفاً كل منها مصنوع من ٤–١ ٢ لتراً من الدقيق (٤–٣ من الدقيق الشعير و ١/٤ من القمح) يقدم منها ثمانية في كل من وجبتي الصباح وسبعة في كل من وجبتي المساء.. وكان يقدم البلح من بابل. والبلح من دلمون على شريحة من الخبز منقوعة في الزيت. وكان يضاف إلى ذلك التين والزبيب.

أما المعبودات الأخرى فكانت تتقبل أنصبة أصغر ف "انتو" لم يكن يقدم لها النبيذ. وكانت عشتار تحصل على ١٢ إناء شراب بينما لم تكن نانا تحصل على أكثر من عشرة. وكانت كل من هذه الإلهات الثلاث يقدم لها ثلاثون رغيفاً كباقي الآلهة يوضح منها ١٢ رغيفاً أمام العرش الإلهي والإله المحلي للهيكل وأربعة أمام التاجين و ١٦ أمام البرج المدرج وإلهه المحلي.

---

(1) XLIII, p. 391.

(2) LXXVII, B.

وكانت الصحاف الرئيسية تقتضي وجود ٢١ خروفاً عمر الواحد منها سنتان علفت بالشعير. وأربع نعاج أطعمت باللبن و٢٥ نعجة من المرتبة الثانية وثوران وعجل رضيع و٨ حملان و٦٠ طيراً من نوعين مختلفين و٣ دجاجات و٧ بطات و٤ خنازير من المستنقعات و٣ بيضات لورمو و٣ بيضات من بيض البط. وكانت وجبات الصباح هي الأكثر أهمية فكان لإفطار الصباح ١٨ نعجة وثور واحد وعجل رضيع. وللغذاء ٦ نعاج والثور الآخر والحملان ومعظم الدواجن والبيض. وأما وجبة المساء فعشر من النعاج ومثلها من الطيور. وأما العشاء فعشر من النعاج فقط.

وتقدم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المقدسة التي تباشر خلال الأعياد، وإن نحن ضممنا النصوص المجزأة المتعددة إلى بعضها لاستطعنا أن نعيد منها تشكيل أعظم جزء من نظام الاحتفالات خلال "اكيتو" مردوك وهو أعظم أعياد بابل شأناً[(١)].

وكان الـ"أوريجاللو" (كبير كهنة اكوا) يستيقظ في اليوم الثاني من شهر نيسان قبل نهاية الليل بساعتين ويطهر نفسه بماء النهر ويرتدي ثوباً من الكتان ويدخل إلى قدس أقداس مردوك ويتلو في السر دعاء ثم يفتح الأبواب حتى يباشر السحرة والكالي والمغنون واجباتهم الطقسية كالمعتاد. وكانت تعمل في نفس اليوم استعدادات مختلفة وكانت توضع أشياء معينة أمام الآلهة. وفي اليوم الثاني كان احتفال الهجعة الأخيرة الشهيرية مماثلاً لما سبق. وبعد غروب الشمس بساعات ثلاث كان يستدعي ثلاثة من الصناع وأحد النساجين إلى المعبد، ليصنعوا تمثالين صغيرين ارتفاعهما سبع أصابع مزينين بالذهب وبالأحجار الكريمة ومرتديين ثوباً أحمر ومحزومين بحزام من سعف النخل. وكان أحدهما يصنع من خشب الأرز ويمسك في يسراه ثعباناً والآخر من خشب الأثل (الطرفاء) ويمسك عقرباً. وكلاهما يرفع يمناه أمام "نابو" عند وصوله إلى الـ "أي هورساج تيلا" في اليوم السادس. وعندئذ يقطع رأسيهما سياف ويرميهما إلى الموقد. ومن اللحظة التي يبدأ العمال في صنعهما حتى ساعة أحراقهما يتناول هؤلاء العمال خير

---

(1) LXXVII, b.

القطع المنتقاة من موائد التضحيات. وكان الصائغ يعطي صدر نعجة. ونحات الخشب فخذا. والنساج الضلوع. وكانت الكتف تحجز وتخصص لصالح ثالث يدعى "جورجورد" (أي حفار المعادن).

وفي اليوم الرابع كان الاحتفال السري يحوي وردين ويبدأ قبل الفجر بأربع ساعات. وبعد مشرق الشمس بساعتين يبدأ تطهير المعبد فيرشه أحد السحرة بالماء الذي يؤخذ من بئر الفرات ومن خزان دجلة ثم يقرع الدفوف النحاسية ويستعمل مجمرة ومشعلاً ولا يدخل إلى هيكل مردوك حيث يظل ال "أوريجوللو" داخله والباب مغلق عليه. ثم يذهب بعد ذلك إلى معبد نابو ويباشر نفس الطقوس هناك ويلمس بزيت الأرز مصاريع الأبواب ويمسح الحوائط بجسم شاة لا يزال دافئاً ويكون السياق قد قطع رأسها لتوه. ثم يخرج هذان الرجلان إلى الخلاء وأحدهما يحمل جسم الحيوان والآخر رأسه ويلقيان بهما في الفرات. ولما كانا قد تدنسا كنتيجة لاتصالهما بالذبيحة، فإنهما يبقيان خارج أسوار المدينة طيلة عيد ال "اكيتي" أما ال "أوريجللو" فكان يظل داخل قدس الهيكل كي يجتنب التدنيس ولو بمشاهدة المعبد أثناء تطهيره.

وعقب الساعة الثالثة بقليل يخرج ويستدعي الموظفين التابعين له ثم يذهبون إلى الخزانة لاستحضار "السماء الذهبية" ويفعلون معبد نابو من أعلاه إلى أساسه وبعد حين بعد ال"أوريجاللو" ذبيحة أمام مردوك ثم تنقل المائدة الذهبية التي استعملت في هذا الغرض إلى ضفة القناة حتى يستطيع نابو استخدامها في لحظة رسوه.

ويصل الملك في نفس اليوم وربما كان يصحب إله بورسيبا ويقاد إلى الايساجيل ويترك وحده في الفناء الرئيسي وعندئذ يخرج الأوريجاللو من الهيكل ويخلع عن الأمير علامات الملك والصولج والدائرة والعصا ذات الأسنان والتاج ويذهب ليضعها جميعاً على مقعد أمام تمثال مردوك ثم يعود إلى الأمير ويضربه على الخد ويقدمه إلى حضرة الإله ويشد أذنيه ويجعله يركع. ثم يتلو الملك اعترافاً سلبياً:

"أنا لم أرتكب اثماً يا سيد الأراضي. إنا لم أهمل فيما يختص بألوهتيك

أنا لم أحطم بابل ولم آمر بتفرقتها

أنا لم أعز الايساجيل ولم أنس طقوسه

أنا لم أضرب الزوار على خدودهم ولم أسبب لهم مذلة

لقد عنيت ببابل ولم أهدم حوائطها".

فيجيب الأوريجاللو الملك "لا تخف. سيباركك بعل إلى الأبد "وسيحطم أعداءك وسيهزم خصومك".

ثم يخرج الملك من الهيكل وتعاد إليه علامات الملك ويضربه الأوريجاللو مرة أخرى على الخد ويجب عندئذ أن تتساقط دموعه وإلا كان ذلك طالعاً سيئاً معناه أن الإله غاضب وأن اعتداءات ستحدث وأن نهاية الحكم أذنت.

وفي نفس اليوم بعد غروب الشمس بقليل يصنع الأوريجاللو حزمة من أربعين قصبة تربطها إلى بعضها صعفة نخيل ثم يضعها في حفرة في وسط الفناء الرئيسي للمعبد ويسقيها بالعسل والقشدة والزيت ويقاد إلى هناك تور يضحى ويشعل الملك بنفسه الحزمة بواسطة غصن مشتعل.

وربما كان اليوم السابع من الشهر– كما هي الحال في أوروك– متخصصاً للاستعدادات النهائية للموكب والباس مردوك.

أما اليوم الثامن فكان الآله يغادر فيه هيكله. وكان الملك هو صاحب الحق في "أخذ يده" ليقوده إلى الـ "اكيتي". أما في المدن الأخرى حيث كان يتمتع بنفس الامتياز فإنه كان يجوز للملك أن يرسل ثيابه لتمثله. ولكنه كان مضطراً في بابل أن يحضر شخصياً وإلا فإن الموكب لا يتحرك وفي هذا كارثة شاملة لأن أقدار السنة سوف لا تقرر.

وكان مردوك يتوقف عند خروجه من الهيكل. كان يتوقف "بين الأستار" في مذبح مقام في وسط الفناء الرئيسي حيث تكون وضعت (طبقاً للنظام المقرر للاحتفال)

العلامات المقدسة والآلهة الذين يسمح لهم أن يكونوا في الركب وقد حدد الطقس التضحيات التي تقدم والأغاني التي تردد. أما في المحطة الثانية فكان مردوك يجلس على مقعد أمام نجمة نجهل اسمها. وتقع المحطة الثالثة في "دو– أزاج" هيكل الأقدار. وعند مغادرة الدو أزاج يترك الموكب أبهاء الايساجيل ويتحرك على الطريق المقدس متجهاً إلى الشمال ومارأ خلال بوابة عشتار حتى يصل إلى الفرات. وهناك يدخل الآله إلى قاربه كي يذهب وينزل إلى البر على رصيف ال "اراهتو" ومن هناك يذهب إلى ال"اكيتو"الخاص به المسمى "ايزو" أي "معبد الصلوات" ويظل فيه حتى اليوم الحادي عشر من الشهر ثم يخترق الموكب مرة أخرى نفس الطريق في الاتجاه المضاد. وبعد وقفة أخرى عند ال "دو أزاج" يدخل مردوك إلى هيكله مرة أخرى. وفي اليوم التالي يعود نابو إلى بيته في بورسيبا.

١٥- الخطيئة

كان مصدر كل خير للرجل رضي الهه عنه وكان فقدان هذا الرضى أصل كل المتاعب. وكان الإله الحارس مسئولاً بطريقة ما عن الأخطاء التي يرتكبها من هو في حمايته ضد الآلهة الآخرين وكان عليه أن يعاقبه عليها. وبقول كاتب لاجاش الذي كان يرثى تدمير بلدته صراحة: "لم يكن هناك اثم من ناحية أوروكاجينا ملك جرسو. أما من ناحية لوجال زاجيسي، ايشاكو أوما، فلتحمل نيسابا آلهته هذه الخطيئة فوق رأسها" [١]. ولكن كيف كان المعبود الغاضب يعبر عن سخطه؟ إنه كان في الأوقات العديلة يسكن جسد خادمه وحين يضطر لإظهار عدم رضائه من أجل اثم فإنه كان ينسحب منه فتأتي الأرواح النجسة للتو لتحل محله وتجر معها في موكبها المصائب والشقاء. "إن من لا إله له يدثره الصداع كثوب يسير في الشارع". "إن من ليست له آلهة حامية يحطم كيانه الصداع" [٢].

(1) LXXVI, p. 93.

(2) XXIII t. XVII pI, XIV ch XIX.

ولكي يعود إليه رضي آلهه كان يلجأ إلى السحر لطرد الأرواح وتكتسب رعايته من جديد عن طريق التكفير والتضحيات والتطهيرات– وفوق كل شيء– الصلاة المصحوبة بمظاهر طقسية. وتحوى "مزامير التوبة" الاعتراف بالخطيئة المعروفة أو غير المعروفة وتنتهي أحياناً بأنشودة مديح:

"مولاي! إن آثامي كثيرة وذنوبي فظيعة

إلهي! إن آثامي كثيرة وذنوبي فظيعة

إلهي! إن آثامي كثيرة وذنوبي فظيعة

أيها الآله الذي أعرفه أو الذي لست أعرفه إن آثامي كثيرة وذنوبي فظيعة

أيتها الآلهة التي أعرفها أو التي لست أعرفها أن آثامي كثيرة ذنوبي فظيعة

ألا فليخف الغضب في قلب مولاي

ليهدأ الإله الذي أعرفه أو لا أعرفه

لتهدأ الآلهة التي أعرفها أو التي لست أعرفها" (١).

ويكشف الاعتراف السلبي جزئياً عن الذنوب التي قد يقترفها المؤمن وفيه– بعد الاشارة إلى الخطأ الذي يرتكب في حق الآلهة– يأتي ذكر أولئك الذين يبذرون الفروقة والكذابين والمشاكسين والتجار الذين يغشون في النوع أو الكمية أو يطففون وأولئك الذين ينقلون علامات الحدود من أماكنها ويسلبون بضائع الغير أو يضرون به والذين يزنون.

---

(1) XLIV, p. 237.

١٦- المجازاة (العقاب)

كان كل إثم– مهما يبلغ أمره– يعاقب عليه في هذا العالم وبالمثل كان للفضيلة هنا جزاؤها. ولم يكن الإنسان الذي خلقه المعبود على صورته ومن أجل خدمته ليتوقع شيئاً وراء هذه الحياة التي سيغادرها إن عاجلاً أوآجلاً لينزل إلى العالم السفلي الذي ليست هناك عودة منه "ولقد قالت الجنية سابيتو إلى جلجامش أنه حين خلقت الآلهة البشر وضعوا الموت نصيباً لهم واحتفظوا بالحياة في أيديهم" وكان نبات الحياة الذي يجب أن يؤكل للحصول على الخلود ينمو في "الابسو". وقد حصل عليه جلجامش بعد رحلة بالغة المشقة ولكن سرقه منه ثعبان. ولقد كاد أدابا يخلص من رق الفناء لو أنه تقبل الطعام والشراب المقدم إليه من الإله أنو ولكن قدره شاء له أن يرفضه– وحتى عشتار– رغم خلودها– لم تكن لتستطيع أن تهرب من الجحيم عندما نزلت إليه تبحث عن محبوبها لو لم تكن قد رشت بماء الحياة.

وعلى ذلك فإن البابلي– خوفاً من الموت– كان يلتمس من آلهته أن يطيلوا في حياته الحاضرة ولقد طلب لوجال زاجيسي (صاحب) أوروك أن تضاف حياة إلى حياته [١] والتمس جوديا أياماً طويلة من أجل أعماله التي تتسم عن تقواه [٢] ورغب أرادسن، أجوم كاكريم في "مصير من الحياة" وأطلق نبوخذ نصر الثاني على اللصر الذي بناه "ألا فليعش نبوخذ نصر! ليعش حتى الشيخوخة قهرهان الايساجيل" وقدم نابونيد هذه الصلاة إلى آله القمر: "خلصني من الاثم ضد عظمة ألوهتيك وامنحني الحياة أياماً طويلة وأما بالنسبة "لبعل شار أوتسور" أكبر الأبناء الخارجين من قلبي فضع الخوف من عظمة ألوهيتك في قلبه اجعله لا يرتكب اثماً– ألا فلتمتلئ نفسه بالحيا الكاملة" [٣].

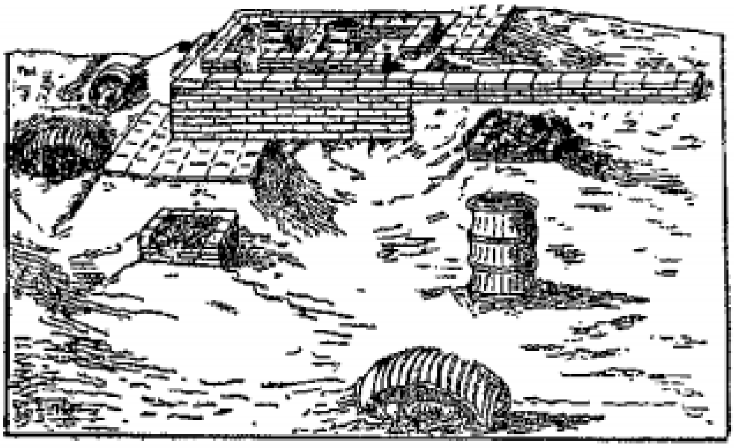
---

(1) LXXI, p. 65.

(2) LXXVI, p. 176.

(3) XXXII, b, p. 253.

١٧- بعد الموت



(شكل ١٥) مقابر في لجش (منقولة من كتاب الحفائر الحديثة في تللون صفحة ١٢٦)

مهما يطل بقاء البابلي فإنه سيأتي يوم يموت فيه. وكان الأحياء يعنون بأن يهيئوا للميت دفنه مشرفة تختلف باختلاف ثراء الميت. وقد تطورت وتبدلت على مر القرون [(١)] ففي سيبار مثلاً في نحو نهاية الألف الثالثة كان الميت يوضع على ظهره في حوض مستطيل الزوايا من الطوب وتوضع في متناول يده أوان من الطين والبرونز. وفيما بعد تحول الحوض إلى مستطيل وأصبح الأثاث الجنزي يتكون من أشياء مختلفة: كالسكاكين والموازين والحبات من العقيق والبراميل الصغيرة والسهام... ثم استبدل الحوض فيما بعد باناءين كبيرين من الفخار. وكان طعام القربان يقدم مرة كل شهر للراحل اتقاء لاذاه، أكثر منه تكريماً له لأنه كان من المعتقد في الواقع أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول إلى روح شريرة تسمى "اديمو" وتنضم إلى طبقة ال "أوتوكي" الأشرار وهي لا تستريح طالما لم تدفن الجثة "إن من تبقى جثته ملقاة في الحقول يظل خياله غير مستقر في الأرض. وإن من لا يعني أحد بخياله يقتطع ما يصل

(1) CX b, p. 214, 265 et suiv.

إلى يده في مطافه السريع من بقايا الأطعمة الملقاة في الشارع ليأكلها" [١] وعلى ذلك، فإن الحرمان من الدفن كان أقصى عقوبة فلتسقط جثته وذ يجد لها قبراً" [٢]. وحين تؤدى آخر الواجبات للجسد ينزل الاديمو إلى "الأرض العظيمة". إلى "بيت الظلام" "مسكن الرجال" "إلى البيت الذي لا يخرج منه من يدخل فيه" وطبقاً لما جاء في قصيدة "نزول عشتار إلى الجحيم" [٣] كان ذلك المكان مسوراً بسبع حوائط تتخلل كل منها بوابة وكان يشمله ظلام حالك في كل الأوقات وكان ابلوتي "وهم يلبسون ثياباً من الريش كالطيور" يأكلون التراب ويتغذون بالطمى وكان على رأس هذه المملكة نرجال واللاتو الملقبة اريشكيجال وكانت تحت أمرتهم أرواح الطاعون والمرض ترقب الموتى وتمنعهم من الصعود لمهاجمة الأحياء.

ولما رأى الكيدو رفيق جلجامش نفسه في رؤيا يتحول إلى أحد ساكني الجحيم رأى هناك المولى والكاهن والساحر والنبى وكل أنواع البشر مجتمعين هناك دون تفرقة بينهم [٤] ولما استدعاء جلجامش بعد موته ليستعلم عن "قانون الأرض التي كان قد رآها" كان تصويره لذلك مريراً للأحياء إلى درجة أبكته. ومع ذلك فإن المصير المحزن بالنسبة للموتى جميعاً لم يكن واحداً فبعضهم كانت تأكلهم الديدان تقطع من الثياب القديمة وبعضهم كان يملؤهم الغبار ولكن كان هناك بعضهم أقل تعاسة يستريحون فوق أسرة ويشربون ماء نقياً على حين كان أولئك الذين يسقطون في المعارك ينالون عون آبائهم وزوجاتهم [٥].

أما السماوات التي كانت مقسمة إلى مساكن مخصصة للآلهة فلم تكن من نصيب البشر. فبطل الطوفان وزوجه اللذان أصبحا خالدين قد وضعا في جزيرة نائية "عند

---

(1) XIII, p, 315.
(2) Ibid, p. 397.
(3) Ibid, p. 326.
(4) Ibid, p. 215.
(5) Ibid, p. 325.

مصب الأنهار" ولم يصعد إلى السماء سوى رجلين فقط هما أدابا الأريدي واتانا ملك كيش [١]، وكان على أدابا بعد أن كسر أجنحة الريح الجنوبية أن يظهر أمام أنو وقد رفض– ومستعماً في ذلك إلى نصيحة أيا– الطعام والشراب اللذين قدما له وقد هدأ غضبه أنو بعكس ما كان يظنه إله أريدو: ولقد كان ذلك الطعام والماء طعام الحياة وماؤها فقال له: "لم لم تأكل؟ لم لم تشرب؟ سوف لا تعيش!".

ولقد صعد اتانا– الملك الثاني عشر للأسرة الأسطورية عقب الطوفان– إلى السماء كذلك بقصد سرقة الشعار الملكي الموضوع أمام أنو. وقد تعرف عند الجبل الذي ذهب إليه ليبحث عن "نبات انجاب الأطفال" ليضمن لزوجته أن تلد ولادة موفقة، تعرف إلى النسر الذي عرض عليه أن يحمله إلى السماء. ولقد حدث ذلك الأمر مما أدهش الرعاة وكلابهم [٢] وأراد النسر بعد وصوله إلى سماء أنو أن يرتفع صاعداً إلى عرش شعتار نفسه ولكن الدوار أصاب اتانا الذي يجر معه النسر أثناء سقوطه. وتوجد ثانية الاديمو الخاص بـ "اتانا"– كباقي المؤلهين– بين الموتى في العالم السفلى [٣].

---

(1) Ibid. p. 148 et 162.

(2) XLII, t, 97; CIV fig. 301.

(3) XLIII, p. 215.

الفصل الثاني

الفنون

١- العمارة

كانت المساكن الأولى لسكان سومير وأكاد خياماً أو أكواخاً من القصب، وكما هي العادة اليوم في هذه الأقاليم كان القصب يزرع في دائرة أو صفين متوازيين. وكانت السيقان ترتبط إلى بعضها عند ثنيها حتى تصبح على شكل مجموعة من الأقواس (القباب) وهناك شاهد قوي على ذلك من بعض المناظر المرسومة على الأسطوانات. ولما لم يكن في البلاد أحجار فإن المباني كانت تغطى بطبقة من "الطين" (طمي مختلط بقش) وسرعان ما لوحظ أن الطين يكتسب من حرارة الشمس في الصيف صلابة وقد أدى ذلك إلى تشكيله في صورة مكعبات تترك لتجف: ومن هنا كانت قوالب اللبن المجفف في الشمس. وبوضعها فوق بعضها البعض قبل أن تجف تماماً استطاعوا الوصول إلى ما يربطها دون الاستعانة بالمونة: ومن هنا جاءت فكرة الحائط من الطوب. وقد استطاعوا أن يبنوا منازل سريعة صغيرة الحجم من اللبن المجفف في الشمس صنعت سقوفها من القصب المغطى بالطين وترتكز على ركائز من أخشاب النخيل (العروش) أما اختراع الآجر الذي يسجل تقدماً جديداً فيرجع إلى الصدفة، فإن اللبن أصبح أشد صلابة في الموقد منه حين يترك ليجف في الشمس. وهكذا استعملت تلك الطريقة البدائية ثم تعلموا فيما بعد أن يصنعوا الآجر في أتون مغلق (قمينة).

وأقدم أنواع الطوب من عهد الملك أورنينا في تللو وغيرها في أيو شهرين مستطيلة ومقببة على أحد وجوهها وأما فيما بعد فهي ملساء. وفي المباني الرسمية نرى عليها نقوشاً محفورة أو مختومة. أما أحجامها فكانت تحدد في كل عصر على حدة سواء أكانت مستطيلة أم مربعة م مثلثة الأركان كما هي الحال في مغير أو على شكل أقواس

محزومة للأعمدة كما هي الحال في تللو. وأما أنواعها فتختلف من عصر إلى آخر. فتلك التي تمت إلى عصر نبوخذ نصر الثاني في بابل عبارة عن طوب مربع طول ضلعه ٣١ ١/٣ سم وهي تامة النضج.

وكان هناك دفعة أخرى في هذه الصناعة إلى الأمام وهي اختراع القاشاني الذي ساد استعماله في الإمبراطورية الجديدة لتكسية حوائط القصور وقد نقل البابليون هذا الفن بواسطة الأشوريين.

ولم يكن الحجر يستعمل قبل حكم نبوخذ نصر الثاني سوى في أرزاز الأبواب في المعابد والمنشآت العامة ويرجع هذا الترف إلى عصر سحيق وطبقاً لما ذكره هيرودوت وديودور كانت هناك قنطرة من الحجر فوق الفرات عند بابل في القرن السادس ولكن واقع الأمر أن الاحجار لم تستعمل فقط إلا لتغطية الدعائم. ولتسند روافد الخشب.

ومن الملاحظ أن الدعائم السبع التي كشف عنها مصنوعة من الآجر [1] وقد استعملت الأحجار في هذا العصر لوصف الطريق المقدس في بابل وللحدائق المعلقة وللحائط الشمالية للقلعة.

وكان المبنى دائماً مستطيلاً متوازي الأضلاع سواء كان خصراً أم معبداً أم مسكناً خاصاً يرتكز أصلاً على مرتفع من البناء يدرأ عنه الفيضان. وكان هذا المرتفع ويسمى "تمنو" عبارة عن أربع حوائط من الطوب الذي غالباً ما يكون أجراً يملأ ما بينها بالتراب والأنقاص وغيرها. وكانت تتخلله مجار بقصد حمايته وتجنباً لتجمع ماء المطر. وقد عثر في سومير على بعضها عمودية مصنوعة من أنابيب فخارية ملأى ومحاطة باللخاف ومغلقة بواسطة قبعة مثقوبة بمرغاة "مطفحة" في مستوى الأرضية (البلاط). وكما عثر في بابل في المدينة من عصر البابلية الجديدة على بعضها من أحجام كبيرة مقببة بشكل جمالون وأخرى صغيرة من قالبين من الطوب على شكل ٧ مغطاة بقالب ثالث أفقي.

وكانت المنازل تشيد أحياناً كلها من الآجر وأحياناً أخرى تقوم على بعض صفوف

(1) CX. b. D. 183.

(مداميك) منه وقد استعملت الطريقة الأخيرة في بابل منذ أيام حمورابي حتى سقوط الإمبراطورية. أما في الأحياء الخاصة فقد كانت للبيوت حوائط ضعيفة وكان من النادر أن يبني فوق الدور الأرضي غرفة علوية، وكانت البيوت متلاصقة بحيث لا تترك فيما بينها إلا ممرات أو حارات ومع ذلك فإن المبنى لم يكن يقوم بغير نظام، لأنه منذ الأسرة الأولى نجد هناك تصميمات للشوارع لا مثيل لها في المدن السومرية القديمة. وكان هذا التصميم (الذي ظل محتفظاً به رغم الثورات) يحدد الشوارع الرئيسية التي تتجه من الشمال إلى الجنوب، وتتقاطع معها شوارع عرضية.

ولسنا نعرف كيف كانت توضع السقوف فإننا نرى في كل مكان بقايا الحوائط القديمة قائمة إلى ارتفاع بضعة أقدام فقط وليس لدينا أي أثر لما كان يعملوها وليس من شك في أن أصحاب المباني الخاصة كانوا يستخدمون النخيل الذي كان ينمو في الإقليم ثم يغطون أفلاقه بطبقة من الطين تثبت عليه تماماً أما بالنسبة للمباني العامة منذ عصر أورنينا فإننا نلاحظ استعمال جذوع الأرز التي ثبت أن خشبها لا يعطب. وقد كان يؤتى بها من الجبال وخاصة من لبنان. وقد كان من النادر عمل فتحات أخرى غير الأبواب وأقصى ما كان يعمل هو بعض فتحات صغيرة في أعلى الحوائط. ولقد كان شكل المبنى عامة لا يوحى بمنظر لطيف. وكانت الحوائط تغطى بطلاء ملون يزينها ويحميها من التقلبات الجوية.

ولقد شهدنا حتى الآن الترتيبات الخاصة بالمعابد [1]. أما قصر نبوخذ نصر الثاني في بابل فكان مكوناً من مبان موزعة حول أربعة أفنية رئيسية. أما قاعة العرش– وطولها ٥٢ متراً وعرضها ١٧ متراً– فكانت تواجه الشمال. وتقوم في ثالث الأفنية وأوسعها وتتصل بكل المباني المجاورة. وكانت الزينة الوحيدة لهذه القاعة مشكاة ضخمة حيث يجلس الملك وكانت ترى من الفناء. أما سمك الحوائط فكان ستة أمتار وكانت كلها مطلية باللون الأبيض. أما حوائط البهو فعلى العكس من ذلك إذ كانت مزخرفة

---

(١) انظر صفحة ١٤٥ وما بعدها.

بطوب مغطى بالميناء وزخارف، مستوحاة من الفنين الحيثي والأشوري، وهي تتكون من عمد صفراء على أرضية زرقاء سماوية اللون تحمل شريطاً عريضاً مرصعاً بوريدات بيضاء ذات لون أصفر في الوسط ومعينات زرقاء محاطة باللون الأصفر [1]. أما الغرف الشخصية فكان يتقدمها دهليز يمكن الوصول إليه بعد اختراق غرفتين وقد عثر هناك على بئرين دائريتين.

أما في الركن الشمالي لشرقي من القصر فقد عثر على مبنى ضخم مكون من أربع عشرة غرفة مقببة رتبت في صفين. وإن وجود بئر وأحجار تناولتها يد الإنسان بالتهذيب لمما يدفعنا إلى التساؤل إن كان ذلك هو أساس الحدائق المعلقة إحدى عجائب العالم القديم. وعلى أية حال، فإن الحدائق كانت قائمة داخل أسوار القلعة طبقاً لما ورد في مؤلفات اليونان.

وكان يحيط بهذه القلعة التي كان يشغل القصر معظمها- شأنها في ذلك شأن المدينة- سور مزدوج. وكان الحائط الخارجي لمدينة نبوخذ تصر مصنوعاً من الآجر وبين طبقاته القار وسمكه ٧.٨١ متراً وقد دعم من الخارج من خندق التحصين حتى مستوى الأرض بحائط آخر سمكه **٣.٢٥**متراً. أما الحائط الداخلي (الذي تفصله عن الحائط الآخر مسافة **١١.٢٥** متراً) فقد بنى من اللبن بسمك أقل (٧.١٢ متراً) وجهز بأبراج على مسافات متباعدة منتظمة بارزة في الجانبين. وكانت تبعد هذه المجموعة من الاستحكامات مسافة **٢٤٠٠** متر من الايساجيل- معبد مردوك- الذي يعد قلب المدينة. وفي القرن السابق تحت الاحتلال الأشوري لم تكن المدينة تشغل سوى مساحة صغيرة. وكانت تحصيناتها التي لا تبعد أكثر من **١٤٠٠** متر من الهيكل تتكون من سور مزدوج من اللبن عرضه **٦.٥٠** متراً تقع على جانبيه أبراج ضخمة بينها أبراج أخرى صغيرة. ومن المحتمل أن المدينة كانت أصغر من ذلك في القرون السابقة ولكن أسوارها الدفاعية القديمة لم يكشف عنها بعد. وكانت المدن السومرية كذلك محاطة بحوائط من

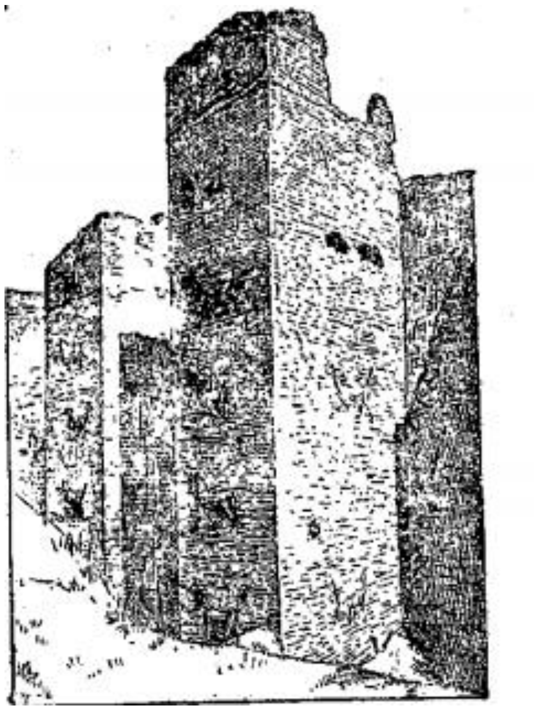
(١) انظر شكل ٢٧.

اللبن كشف عن بقايا منها في تللو.

ولعل أجمل أثر في بابل هو بوابة عشتار التي أعاد بناءها نبوخذ نصر الثاني ، وهي تقع بالقرب من القلعة عند النقطة التي يبدأ عندها الطريق المقدس دخول المدينة القديمة. وكانت مكونة من مبنيين من الآجر يمت كل واحد منهما إلى أحد حوائط المدينة ، وكان كل مبنى منها ينغلق عليه باب من الأمام والخلف ويفصلها بهو يحيط به حائطان صغيران. أما في الجانبين الآخرين فإن البوابة يقع على جانبيها يتخلله ممر. وعلى ذلك فإنه كانت هناك ثلاثة مداخل مختلفة تغلق عليها ثماني بوابات. ويلاحظ أن البرجين المركزين اللذين يقعان على جانبي المدخل في جهة الشمال والغرب وشأنهما في ذلك شأن الواجهة كلها والممر الرئيسي والواجهة الجنوبية الشرقية المواجهة للمدينة قد زينت جميعها بحيوانات رتبت في صفوف أفقية يمثل كل منها نوعاً معيناً؛ ثور أداد وتنين مردوك. وهناك صفوف ستة كائنة إلى أسفل ما يظن أنه كان ممراً قديماً للطريق المقدس وهناك ثمانية أسفل الممر من اللبن وعشرة أسفل ممر نبوخذ نصر المرصوف بالحجارة. والحيوانات في الصفوف التسعة الأولى منقوشة وهي تتكون من طوب غير مطلى بالميناء. أما إلى أعلى فهناك صفان من الحيوانات من الطوب المغطى بالميناء ولكنها ليست منقوشة ثم صفان من الطوب الخزفي المنقوش. وقد أحصى عدد الصور التي توجد بهذه المجاميع الثلاث عشرة من الحيوانات فوجد أنها ٥٧٥ صورة منها ١٥٢ مازالت قائمة في أماكنها. وهي كلها تواجه– بقدر الإمكان– الأشخاص الذين يدخلون المدينة. ولقد صور نبوخذ نصر الطريق المقدس بواسطة تحصينات جديدة عند هذه البوابة وذلك بواسطة حائط سمكه ٧ أمتار تقع على جانبيه أبراج تقوم بينها سباع منقوشة نقشاً بارزاً ومزينة بالميناء يبلغ عددها ستين في كل ناحية وهي تواجه المدينة:

وقد رصف الطريق المقدس ببلاطات عريضة من الحجر الجيري استجلبت من **Hit** على الفرات من بين طبقتين من البرشيا الحمراء المعروفة بالأبيض. وتقوم الأحجار–التي يربطها ببعضها البعض الأسفلت– على أساس من الأجر المغطى بالقار. ويظهر أن الطريق كان مخصصاً للمشاة وللمراكب الدينية. ولا يلاحظ عليه آثار مركبات على

الإطلاق. وبعدأن يسير بجوار الزيجورات في الشرق نراه ينحرف في زاوية تاركاً معبد مردوك على اليسار حتى يصل إلى كوبري الفرات ثم يهبط مرة أخرى من الشمال إلى الجنوب في اتجاه بورسيبا.



شكل (١٦) بوابة عشتار في بابل (نقلاً عن كولداى **Das wiéder ersehnde Babylon**

ويظهر أن البابليين كانوا يهدفون إلى ضبط زوايا مبانيهم على اتجاهات البوصلة مما كان يسمح بعدم حرمان أية واجهة حرماناً تاماً من أن تظل في الشمس. ولم يكونوا يقيمون أي مبنى دون تأدية طقوس معينة. وقد أعدوا تحت الحائط أو الرصيف مخابئ صغيرة خبئت فيها نقوش تذكارية ترافق تماثيل صغيرة واقية وأحياناً تمائم وأشياء أخرى. وحين كان يسقط أحد المباني ويتحول إلى أنقاض ويسمح الآلهة بإعادة بنائه فإنه كان من الواجب أن يبحثوا عن النص القديم وأن يرش بزيت مقدس ثم يعاد وضعه في الطبقة السفلى (بدروم) للمبنى الجديد.

وكانت الأكوام الصناعية تتكون من البقايا والمخلفات توضع بين الحوائط من الآجر عادة: وكان الطوب يجفف تماماً قبل استعماله. وكان يراعى في الرصيف السميك ترك فتحات عديدة ضيقة حتى يكون الجفاف محققاً. أما في أشور حيث كانت المواد تستعمل وهي لا تزال رطبة فإن مثل هذه الفجوات لم يعثر عليها.

وكان الملاط يصنع من الأسفلت المختلط بالطين أو القش. وقد استعمل في عصر نبوخذ نصر ملاط من الجير. كما استعمل الأسفلت وحده لحائط الفرات في عهد نابونيد وكما استعمل ملاط الطين في مباني الفرس واليونان.

أما الزخرفة الخارجية للمباني فكانت تتركب من نقوش وزخارف من الطوب أو العمد المربعة كان الهدف من استعمالها كسر حدة الممل في الحوائط وكان الطوب يغطى في كل مكان بطبقة من الطلاء من الجير أو الأسفلت لحمايته من التقلبات الجوية. ومن المحتمل أن استعمال الطوب المغطى بالميناء لم يعرف قبل الاحتلال الأشوري. وقد استخدم يقصد الزيادة من روعة هذه الزخرفة. التي اكتملت بما كانت عليه الأبواب المشغولة من أبهة وفخامة فبوابات جوديا في أنينو في لجش صنعت من الأرز المغطى بالمعدن شأنها في ذلك شأن الأبواب المتأخرة لمعابد بابل التي رسمها نبوخذ نصر. أو مصاريع بوابة عشتار المزينة بالنحاس. وكانت هذه الأخيرة تدور على "رزاز" من البرونز مثبتة في عتبة من نفس المعدن وربما استعيرت النقوش التي عليها من الفن الأشوري.

٢- النحت

ولقد كان فن النحت السومير وأكادي في تقدم حتى عصر جوديا وملوك أور إلى أن انتهى به الأمر إلى الانهيار منذ قيام الأسرة الأولى في بابل فحل محله طراز جديد هو الفن الميزوبوتامي في عصر الكاسيين. ولقد كان السومير وأكادي يهدف إلى تمثيل الطبيعة في تماثيله الكبيرة من الديوريت التي جاءت ثقيلة نوعاً ما ولقد نجح في التماثيل في إظهار شكل الضلات رغم صلابة الحجر كما حاول إبراز ثنيات النسيج وهو أمر لم يعن به الفن البابلي فيما بعد مما يجعل العصر الغارق في القدم في مقدمة العهود من

حيث الكمال في تمثيل الصورة الإنسانية.

أما التماثيل فنادرة. وبمتحف اللوفر ثمانية من الديوريت كان قد وضعها جوديار في معابد لجش وكلها تبين الايشاكو في مظهر الولاء أمام المعبود ويداه معقودتان إلى بعضهما وهو أما واقف أو جالس ويمسك أحياناً على ركبتيه تصميماً للمعبد أو مسطرة أو قلماً ولكن كلها– لسوء الحظ– مقطوعة الرأس. والرءوس المنفصلة التي عثر عليها في الأنقاض لا تناسبها. ولقد أمكن ترميم واحد من التماثيل الجالسة ذات الحجم الصغير (١) ويلاحظ في الرأس بعنقه القصر– ويكاد يكون سليماً– أنه محلوق كنه وتغطيه عمامة. وقد عنى بنحت الشفتين والخدين ولكن علينا ألا نعتقد أن هذه صورة الأمير فإن هذا لم يكن غرض النحات الفنرقي القديم على الأقل قبل العصر الاكيميني لأن كل تماثيله كانت تقليدية. وقد ظل النحاتون يعنون بإبراز العضلات والتمثيل الدقيق للحركة الطبيعية للملابس خلال عهد ملوك أور ولكن شأن النحت لم يكن كذلك فيما قبل كما يبين التمثال الصغير المنحوت من الرخام لملك من آداب أقدم من جوديا يرتدي ثوباً كالقراب (الجراب) وليست به عضلة واضحة أما العين فمفرغة جوفاء شأنها في هذا الشأن كثير من التماثيل العتيقة والرأس محلوق تماماً (٢)، ولم تكن النسب الصحيحة مرعية دائماً ومن أمثلة ذلك تمثال أورباو (٣) أحد أسلاف جوديا، إذ أنه قصير قصراً غير متناسب. وكذلك نرى في أحد التماثيل العتيقة (٤) أن الارتفاع كله لا يبلغ أربعة أمثال الرأس وحده.

---

(١) شكل ٥ صفحة ٣٦.

(2) LXX, pl. 21 fig, 4.

(3) Ibid., pl, 6, et 8.

(4) Ibid, p. 1 ter fig. 3.

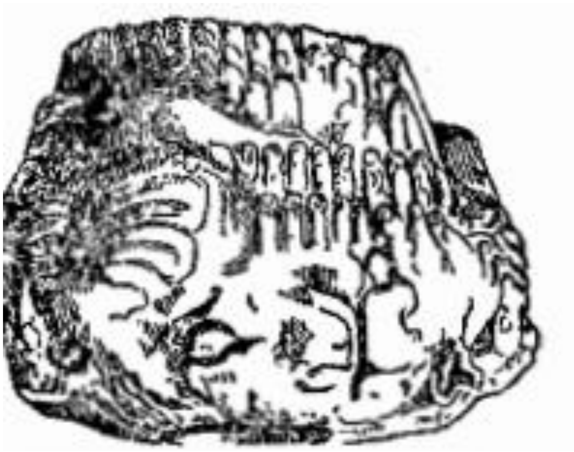


(شكل ١٧) قطعة من نقش بارز دائري (متحف اللوفر– حفائر تللو)

وكانت التماثيل الكبيرة من الحجر الصلب الصخري. أما الصغيرة فمن حجر لين في معظم الأحيان من الحجر الجيري أو المرمر أو الأونكس. ولقد بذلت محاولات أحياناً لجعلها طبيعية تنفي بالحياة وذلك عن طريق التطعيم بأحجار من ألوان أخرى أو بالمعادن وليس من شك في أن تمثال ملك آداب كانت عيناه موضوعتين. وهناك تمثال امرأة من الحجر الجيري الأشهب يرجع إلى عصر جوديا حلى معصمه بأساور نحاسية مكسوة بالذهب [1] وهناك آخر أحيط عنقه بعقد من العقيق والفيروز وحبات (خرز)

(1) XLVIII, no 108.

النحاس المذهب [١]. وتسمح لنا مجموعة النقوش البارزة– وهي أكثر كمالاً من مجموعة النحت في التمثيل المجسم (التماثيل)– بأن نتتبع التطور والنمو الفني في تمثيل الشكل الإنساني ابتداء من الصورة ذات الريش [٢] حتى لوحات جوديا مارين فيما بين هاتين المرحلتين بالنقش البارز الدائري [٣]وصور أسرة أورنينا [٤]ولوحة العقبان [٥]والنقش البارز لـ"دودو" ولوحات سرجون ونارام سن [٦]وفي لوحة العقبان بوجهيها– وأحدهما تاريخي والآخر أسطوري– المقسمين إلى صفوف متعاقبة نرى تنفيذاً أكثر حرية من نقوش أورنينا. ولقد استطاع الفنان في آثار نارام سن أن يستخدم في تكوين موضوعه سطحاً غير مستو مثل فيه الملك واقفاً فخوراً مما يجعله يحتل المقام الأول.



(شكل ١٨) رأس ديوس جوديا (متحف اللوفر– حفائر تللو)

وتمثيل الحيوان– شأنه في هذا شأن الصور الإنسانية يكون سلسلة حلقاتها مستمرة

(1) **Ibid, No, 121.**

(2) **LXX DI, 1 bis, fig 2.**

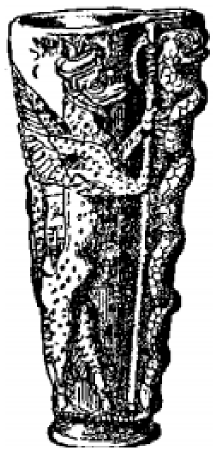
(٣) انظر شكل ١٧. **LXX pI. 1 bis fig. 2.**

(٤)انظر شكل ٣ صفحة ٢٨. **Ibid, pI, bis fig, 1.**

(٥) انظر شكل ٨ صفحة ٨٤. **Ibid pl. 3 â 4 ter.**

(٦) انظر شكل ٤ صفحة ٣٥.

ولقد أمر جوديا بنحت آساد بالحجم الطبيعي لم تبق منها إلا قطع قليلة [١] وحوض مزين بصور جانبية لسباع [٢] ولا يزال رأس الحيوان ومقدمه يحملان اسم أورنينا [٣] وصناعتهما بدائية عتيقة والمقارنة بين صولج "مسيليم [٤] المنقوشة عليه رسوم أساد ونظيره ل "جوديا" [٥] تكشف عن التقدم الفني في معالجة الموضوعات الدائرية. والنقوش التي تمثل المواشي كثيرة كذلك. فعلى النقش البارز ل "دودو" نرى ثوراً مضطجعاً وعلى لوحة العقبان نرى ثورة مهيأ للتضحية وهو مربط إلى وتد. وهناك رأس عجل من الحجر الجيري [٦] يقدم لنا فكرة عن التطعيم: فلقد صنع محجر العين من الأصداف وقطع انسان العين (سوادها) من القار.



شكل (١٩) اناء نصب السوائل خامر بجوديا (متحف اللوفر- حفائر تللو).

ولم يكن السومير وأكادي- أكثر من ذلك- ليقنع بتمثيل الكائنات الحقيقية إذ كان شديد الميل لاختراع مخلوقات مختلطة غير متجانسة الأجزاء انتقلت خلال الأجيال

---

(1) Ibid pl, 24.

(2) Ibid pl, 24.

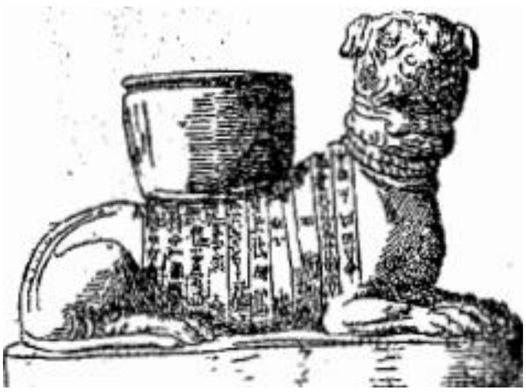
(3) Ibid, pl, 25 bis.

(٤) انظر شكل ٢ صفحة ٢٦. Ibid pl, I ter. Fig. 2.

(٥) انظر شكل ١٨. Ibid, pl. 25 bis, fig. 1.

(6) Ibid, p. II, ter, fig. 1.

من عصر إلى عصر معتمداً في ذلك على تشابه معين قل أو كبر بين الإنسان والحيوان وعلى ما كان يلاحظه من مظاهر شذوذ في الطبيعة. فالنسر برأس الأسد مثلاً– وهو رمز الإله ننجرسو– كثيراً ما نجده على آثار لاجش. والثور بالرأس الآدمي مزاج من نوعين يظهر أنه جاء مباشرة من محاولات لإظهار نوع من الجاموس. وفي واحد من هذه الحيوانات المنحوتة من ال "ستياتيت" استعملت الأصداف لملء فجوات العينين فيما عدت انسانها الذي لم يعثر عليه. وهذه القطعة أحدث من عصر جوديا ويمكن مقارنتها برسم آخر أكثر ثباتاً وبدون تطعيم (١) غطى كل جسمه بصفائح مثلثة من الأصداف. وعلى أواني التقدمات للايشاكو (٢) نرى التنين برأس الثعبان مغطى بحفر كان يملأ من غير شك أصلاً بمادة مضادة للون أرضيته وسيصبح هذا التنين رمزاً لمردوك بابل وهو في نفس الوقت الوحش العجيب الذي نراه بعد عشرين قرناً في أيام نبوخذ نصر الثاني على نقوش بوابة عشتار بنفس الجسم ذي القشور ومخالبه الأمامية مخالب نسر وله ذيل ورأس ثعبان ويعلو رأسه غطاء ذو قرون تتحول إلى التفاف وريش يتحول إلى قرن مدبب. ولم يختف سوى الأجنحة وحلت محلها ذؤابة ملفوفة بطول العمود الفقري (٣).



(شكل ٢٠) كلب– سوموايلوم (متحف اللوفر– حفائر تللو)

(1) Monumen's ptot, VII, pl, 1.

(٢) شكل ١٩.

(٣) شكل ٣٦.

هذا وهناك قطعة فنية رائعة [1] تمثل كلب سوموايلرم سابع ملوك أسرة لارسا حوالي ٢٠٠٠ ق.م. ولكنه لازم قيام الوحدة السياسية واختفاء السومريين كشعب عهد انحطاط بالنسبة للفن. والنقوش البارزة لحمورابي دليل واضح على هذا الانحلال. ومنذ عهد الكاسيين نقدم الكودورو دليلاً على الإهمال (الابتعاد) المعتمد للصورة الحقيقية بحثاً وراء التفصيلات الخاصة بملابس الشخص الذي يمثل.

ولا نزال نجد حقاً ملفات بدون نقوش ولكنها لا تكون ثياباً. ونلاحظ كذلك ظهور الثياب المطرزة التي تنتشر عليها الوريدات والشجر المقدس والحيوانات. وهي كلها موضوعات تثبت لنا تأثير الفن الحيثي الذي ربما وصل إلى بابل عن طريق أشور. وإننا لنجد نفس الترف في القرن التاسع على الكونوكو من اللازورد الذي حفره "مردوك زاكرسوم" [2] تمجيداً للآله مردوك وكذلك على منيله في اللوفر [3].

٣- الصور المعدنية

لم يلجأ بابل إلى الحجر وحده كمادة لصنع التماثيل والنقوش التي تصور الآلهة والرجال والحيوانات بل أنهم مهروا منذ عصر ممعن في القدم في استعمال المعادن وخاصة النحاس، فلقد كشف في تللو [4] عن قرن لثور بالحجم الطبيعي مكون من رقيقة من النحاس ملفوفة حول قالب خشبي وملصقة به عن طريق مسامير صغيرة ويظهر أن هذه الطريقة قد استعملت في صنع أشياء أخرى ذات أحجام أكبر مثل أشجار النخيل التي أقامها "جونجر نومط ملك لارسا في معبد شماش في السنة الثانية من حكمه (٢٢٦٣ ق.م.) ولقد نصب فيما بعد تماثيل نحاسية في هياكل متعددة كماأمر خلفه الثاني "سومواايلومط بصنع أسود نحاسية، وهناك من نفس الفترة ذكر لعدد من التماثيل من المعادن الثمينة إلى جانب تمثال من العقيق واللازورد أوصى على صنعه "أبي

---

(١) شكل ٢٠.

(٢) شكل ١٣ صفحة ١٤٢.

(3) XLII, Pl, 39, A, 830.

(4) LXX pl, 45 fig. 1.

ساري". ولقد صنع "سن ايقيشام" (٢١٧٣-٢١٦٩) لنفسه أحد عشر تمثالاً من الفضة وواحداً عن الذهب للآله "شماش" كما قدم واراد سن تمثالاً ذهبياً لأبيه "كودورما برج" لنفس معبد الآله. وصنع "رم سن" واحداً ل "سن ايدينام" أحد أسلافه لمعبد آداب. ومن المحتمل أن هذه الأشياء لم تكن تصنع من معدن خالص وربما كانت تصنع من النحاس أو البرونز وتغطى بطبقة من الذهب أو الفضة وهي لم يعثر عليها ولابد أنها هشمت وإن كان لدينا من حفائر سوسة تمثال ذهبي صغير موجود باللوفر الآن.

أما المستندات النحاسية فلدينا منها بالعكس عدد كبير فهي تماثيل صغيرة صلبة موضوعة تحت الأساس تحمل نقشاً وتصحبها لوحة تخلد ذكرى إقامة المبنى. ولعل أقدمها تماثيل نصفية لنساء ذوات شعور طويلة مموجة ذات منظر جانبي حاد التقاطيع كما هي الحال بالنسبة للنقوش البارزة وتنتهي هذه التماثيل النصفية بمسامير وكانت تثبت في دوائر ذات مركز واحد في مكانين في الطابق الأرضي (بدروم) من مبنى يرجع عهده إلى ما قبل عهد أورنينا [١] وفي عهد أورنينا نفسه [٢] وفي عهد خلفه الرابع انتينا [٣] وكانت هذه الصور لا تزال صور نساء ميزت في الحالة الأخيرة بوضوح كأنما هي حوريات بقرون واضحة على الجبهة. وفي حكم "أورباو" اختلف الموضوع نظهر آله راكع ولم ينته بسن لينغرس في الأرض، ولكنه يمسك بيديه وتدا ضخماً كأنما هو يهم بغرسه في الأرض (انظر شكل ٢١) ولعل هذا هو أجمل مثال لهذه المجموعة من التماثيل [٤] وفي حكم جوديا [٥] لا نجد نفس الطراز يصل إلى هذه الدقة من التنفيذ ثم يبدأ بعد ذلك ظهور حملة السلال واقفين على أوتاد وكن من النساء في عصر دونجي، بورسن

---

(1) LXX, pl, 1 bis.

(2) Ibid, Dl. 2 ter

(3) Ibid, pl. 5 bis.

(4) Ibid, pl, 8 bis.

(5) Ibid, pl, 28.

وقد ظهروا مرة أخرى في عصر دم سن.

وكانت تماثيل الحيوانات تحل أحياناً محل الصور الإنسانية فمن عهد جوديا صنعت تماثيل لثيران على قاعدة تقوم على مسار ضخم وفي عهد دونجي (1) نجد نفس الموضوع ممثلاً تمثيلاً خيراً من ذلك.



(شكل ٢١) معبود واق (تللو– اللوفر)

وكانت التماثيل المعدنية الأكبر حجماً تصب جوفاء (2) وهناك رأسان لثورين هما نموذج طيب لعصر ما قبل السرجونية. وكما هي الحال في بعض التماثيل الحجرية كانت العيون ترصع. وفي هذه الحالة كانت من الصدف وكان إنسان العين من اللازورد. وهناك ثور من البرونز (3) من أصل غير معروف مطعم بالفضة وقائم على قاعدة يعتبر دليلاً واضحاً على اثبات ودوام الطراز السوميروأكادي. وطبقاً لنقوش نبوخذ نصر الثاني نراه أقام ثيراناً من البرونز وتنانين عند بوابة عشتار ولم يكشف عن واحد منها بل

(1) Ibid, pl, 28.

(2) Ibid., p 51 ér.

(3) monuments piot VII, pl. 1.

إن نفس قطعها قد اختفت.

ولقد اشتق فن النحت في الحجارة أو المعدن أو حتى الطمى المجفف في الشمس- مثل نقوش بوابة عشتار- من التشكيل بالطين وإننا لنجد من عصر ما قبل السرجونية إلى جانب التمثيل من الطمي (maquette) تماثيل صغيرة مشكلة بأكملها في قوالب من قطعة واحدة شكل الجانب الآخر منها باليد مثل الهات عاريات أو مكسوات وآلهة بالتيجان فوق رءوسهم [١]. ويقدم لنا عصر جوديا موضوعات متعددة عنيت القوالب بإعدادها: وهي خاصة بالهة والبطل جلجامش وحامل الجدى والهات لابسات وبصفة خاصة آلهة تقوم بحركة الشفاعة وقد ظلت هذه التماثيل الصغيرة حتى العهد اليوناني الفارسي وازداد تكاثر الإلهات العاريات أكثر من غيرها [٢]. ويوجد في ودائع الأساس من المعابد البابلية الجديدة عادة تمثال صغير من الفخار ل "بابسو كال".

٤- النقش

يرجع الحفر على الأصداف غلى عصر بعيد جداً، ومن "كلوملا" أصداف معينة كانت تؤخذ رقائق صغيرة أو شرائح مقلسة. وربما جاء استخدام الأختام الأسطوانية من استعمال الأصداف. وإننا لنجد على قطع الأصداف نفس ما نجده على الأختام الأسطوانية العتيقة من نسر برأس أسد منقض على ثور برأس بشرى بقصد افتراسه [٣] كما نجد على قطعة من اناء صورة أخرى شائعة هي الصراع بين أسد وثور تتدخل فيه شخصية ثالثة يذكرنا بطراز الدبابيس من عهد مسيليم وهناك حامل زاد [٤] هو أقدم كذلك من أورنينا إن نحن استطعنا الحكم على ذلك من رداء ستر عورته (كادناكس) الذي يتصل به صف واحد من الأهذاب.

---

(1) LXX, pl, 39.

(2) XL,

(٣) انظر شكل ٢٢، ٢٣ LXX pl, 46.

(٤) انظر شكل ٢٢، ٢٣. LXX, pl, 40.



(شكل ٢٢) نقش على الصدف (متحف اللوفر– حفائر تللو)

وهناك أدوات أخرى معدة لتطعيمها مثل جدى يقفز أو جذع مكسور ثقب بعناية فيما بين الصدر والذراعين، ولكن لعل خير قطعة من الصدف ترجع إلى هذا العصر السحيق هي رأس أسد عرضها ٢٤ ملليمترا مجسمة بعيون مطعمة وانسانها من اللازورد [١].



(شكل ٢٣) نقش على الصدف "حفائر تللو–



(شكل ٢٤) اناء فضي "تللو– الليفر"

(1) LXX, pl. 46.

ولقد بدأ اللؤلؤ يحل محل الأصداف. وانحدر الحفر على هذه المادة السريعة القصف إلى تخطيط مستقيم (١). أما الحفر على المعدن فمثاله حربة ضخمة حفر عليها ملك من ملوك اجاده صورة أسد (٢) وكذا اناء فضي لأنتمينا (٣) وجسمه مزين بنسور لها رءوس سباع ترتبط على التوالي بأسود وأيائل ثم أسود مرة ثانية وأخيراً وعول (تيوس وحشية). وهذه المجاميع الأربع ليست مستقلة. وكل أسد يعض الأيل في فمه أو الوعل في المنظر المجاور. وفوق الخط الذي يحد الحقل (الساحة) توجد سبعة عجول يرقد الواحد منها خلف الآخر وكل منها يرفع أحد حوافره الخلفية. وقد تم الحفر بعناية زائدة. والخطوط حادة ومتساوية وقد مثلت الحيوانات من الجانب (بروفيل) بأمانة بينما نرى الوجوه الممثلة من أمام للنسر والأسد ليس لها نفس الطابع كما هي الحال في أسطوانات هذا العصر، لأن الفنان لم يستطع اعطاءها شبها بالحقيقة.

٥- الأختام الاسطوانية

كان الحفر على الحجر يمارس منذ العصر العتيق وقد حفظت اطلال نيبور ولاجش بعض الأمثلة له على لوحات كبيرة الحجم، ولكنه تطور أكثر ما تطور على الأختام الأسطوانية التي ظلت تستعمل حتى العصر الفارسي لتوثيق المستندات. وهناك آلاف من تلك الأحجار في المتاحف والمجموعات الخاصة الأولى مستخرجة من الحفائر الرسمية والأخرى وعددها هائل قذف به إلى السوق الحفارون الوطنيون، وهي مرتبة طبقاً لفترات تاريخية محددة تماماً دون أي اعتبار لماهيتها الفنية وذلك أما نظرا للكتابات المحفورة عليها، وأما بالمقارنة بما هو منقوش على اللوحات المؤرخة. أما الموضوعات فليست تختلف كثيراً عن نظائرها في النحت ولكن بالنسبة لانتشارها في عدد كبير من

---

(1) LXX, pl, 271.

(2) LXX, pl., 5 ter.

(3) LXX pl. 43, 43 b.

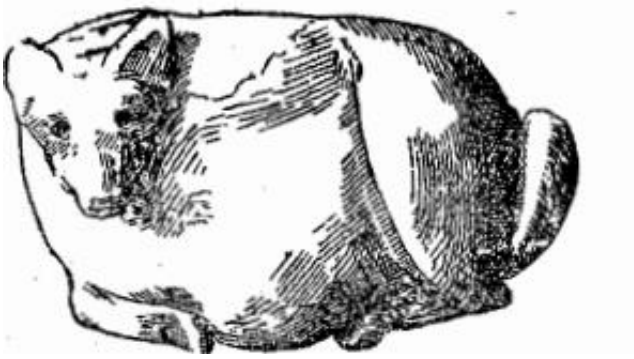
الأشياء الخاصة نراها تمثل الذوق السائد في كل عصر واختبار نوع الحجر نفسه فيه الدلالة الكافية: فقبل عهد ملوك أجاده كانت الأصداف الحلزونية والحجر الجيري والحجر اليماني الأخضر واللازورد كثيرة الشيوع.

أما الرخام فكان نادراً في عصر اجاده وقد بدأ ظهور الستياتيت والحجر الأرقط Eerpentine وحجر الحديد Hematite. وكانت لحجر الحديد السيادة في عصر جوديا وملوك أور وظل الحفارون يستعملون الحجر الأرقط واللازورد وبلغوا يقومون بتجاربهم على بعض أنواع اليشب والبلور الصخري. وقد ظلت لحجر الحديد المكانة الأولى خلال عهد الأسرة. الأمورية في بابل. ولكن في عصر الكاسيين كثر استعمال اليشب وبدأ العقيق اليماني يأخذ دوره في الاستعمال. وبدأ استعمال العقيق الأبيض يكثر في القرن السادس وخاصة في الأختام المسطحة بينما كان صانعو الحلى الفرس يستعملون العاج والكوارتز البلوري (البلور الصخري) واليشب والعقيق.

ويمتاز أقدم العصور العتيقة بمجموعة من الرسوم الهندسية [١] مشتقة من الرسوم الاصطلاحية لبعض الأشياء والحيوانات والصور الإنسانية ثم مجموعة متناثرة من الحيوانات يحفرها الصانع بالمثقب بغير دقة. وكانت صورة الإنسان تنقش بنفس الطريقة، فلقد كان وجهه يمثل على شكل منقار الطائر أن استعمل الفنان المثقاب، أو على شكل المعين إن هو استعمل المنحت (المسمار)، أما الأسطوانات [٢] فكانت لا تزال نادرة وكان يفضل عليها الختم المسطح المحفور في شكل حيوان بأعين مستديرة مجوفة وربما مطعمة [٣] ثم تظهر مناظر عراك الحيوانات أما بين بعضها البعض أو ضد الأبطال مثل جلجامش وصاحبه الوفي الكيدو. وهناك نحو اثنى عشر منظراً تتجمع حول اسم "لوجالندا" ايشاكو لاجش الذي أمكن العثور على طبقات لثلاثة أختام

(١) شكل ٢٥.
(٢) شكل ٢٦.
(٣) شكل ٢٧.

مختلفة له [١].



(شكل ٢٥) ختم عتيق "متحف اللوفر"

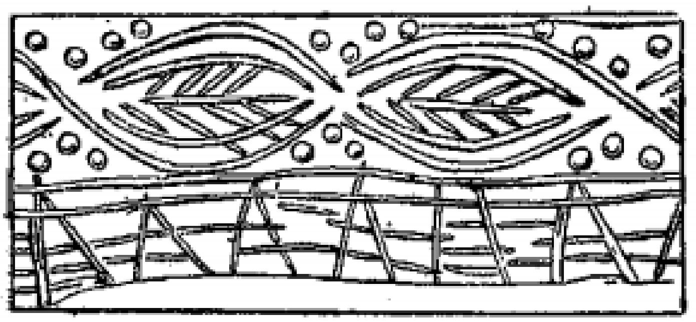
ويستمر في خلال حكم "نارام سن" و"شار جاليشاري" ظهور معارك جلجامش وانكيدو مع الأسد والثور. وتمتاز إحدى الأسطوانات من تللو بعمق الحفر وبراعة تصوير الوجوه وهي تحمل الاسم الإلهي ل "نينين" [٢].

ولعل هذه هي أروع فترات صناعة النقش على الأحجار الكريمة حين يبذل الفنان قصارى عبقريته في تنويع الموضوعات المشتقة من الأساطير الهامة. ومجموعة شماش إله الشمس والقاضي الأول أعلاها شأناً إذ عولجت معبودات الزراعة ومحاكمة زو [٣] الذي حاول سرقة لوحات القدر وأسطورة اتانا الذي رفعه نسر إلى المسماء والشجرة المسحورة... عولجت جميعاً ولكن ليس بنفس الدقة.

(١) شكل ٢٩.
(٢) شكل ٢٨.
(٣) شكل ٣٠.



(شكل (٢٦) اسطوانة



(شكل ٢٧) اسطوانة اركية "متحف اللوفر"



(شكل ٢٨) اسطوانة من عصر اجاده "متحف اللوفر– حفائر تللو–"



(شكل ٢٩) اسطوانة لوجالاندا ايشاكو لاجش "مجموعة الوت دي لافي"



(شكل ٣٠ اسطوانة زو– عصر اجاده "الملكية الأهلية"

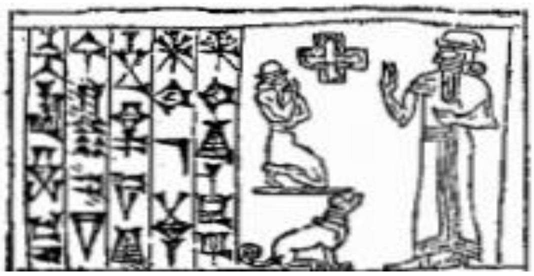
وفي عصر جوديا وملوك أور كانت تفضل المناظر الدينية التي كان يمثل فيها المخلوق وهو يتصل بالمعبود عن طريق وساطة آلهه الخاص الحارس.

والأمثلة لهذا عديدة جداً ولا تختلف عن بعضها البعض كثيراً وتكاد لا تكون هناك مناظر معينة تسترعى التفاتاً خاصاً. ويمتاز ختم جودياً بفنه [1] الخاص وبتكوين الموضوع بآلهته موضحة توضيحاً تاماً وبالتنين ذي رأس الثعبان الذي تظهر دقة تفصيلاته واضحة رغم صغر الوجه. كما يظهر كذلك واضحاً على اناء السكب الخاص بالايشاكو.



(شكل ٣١) اسطوانة جوديا ايشاكوجش "حفائر تللو- متحف اللوفر"

وبعض الاسطوانات لا تتصل بهذه المجموعة ولكنها- كما هي الحال في القرون السابقة- تصور صراع بطل مع الحيوانات البرية.

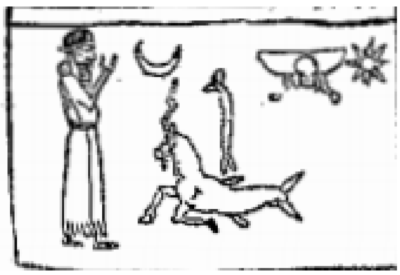


(شكل ٣٢) اسطوانة كاسية "متحف اللوفر"

ولقد ظلت الحال كذلك خلال حكم ملوك الأسرة الأولى البابلية: فلجلجامش لا

(١) شكل ٣١.

يزال شخصية شعبية وبطلاً قوياً على أتم استعداد للنزال وهو في صحبة انكيدو نراه يتولى تقديم الجدى إلى المعبود وخاصة إلى شماس. ثم يظهر آله آخر للمرة الأولى في زي قصير وهو معمم ومسلح بهراوة ويظهر أنه أمورو إله الغرب. كما يظهر أداد وفي النادر مردوك والهات حرب والآلهة العارية لتكمل قائمة (مجموعة) هذا العصر وفي خلال الفترة الكاسية نرى الموضوع يقتصر في كثير من الأحيان على تصوير شخص واحد فقط أو بضعة رموز مقدسة، وتصبح الكتابة لها القدح المعلى وهي عادة دعاء للمعبود لالتماس العون والحماية والعمر الطويل لصاحب الختم خادمه الأمين [1].



(شكل ٣٣) اسطوانة نيو بابلية "متحف اللوفر"



(شكل ٣٤) قالب ختم نيوبابلي



(شكل ٣٥) ختم نيو بابلي (متحف اللوفر)

وفي خلال الاحتلال الأشوري قلما نجد الحفر أو النقش على الأحجار يقدم لنا

(١) شكل ٣٢.

شيئاً له مميزات خاصة فلقد سمح لنفسه أن يتنزل ليحل الختم المسطح [(١)] ذو الحجم الصغير محل الأسطوانة، وأخذ منذ ذلك الحين يقدم المناظر المميزة للفترتين النيوبابلية والآكيمينية: وفيها يظهر كاهن وهو يقوم بشعائر الصلاة ويداه مرفوعتان أما المذبح الذي توضع فوقه رموز مقدسة [(٢)].

ولم يتوقف الخطاط فن الحفر على الأحجار الكريمة منذ عصر أجداده: فلقد استبدل بالسعي وراء التكوينات الأصلية والفنية منذ أيام ملوك أور مجرد صنع الأختام بالجملة وبسرعة إلى أن أصبحت مجرد رسوم. وخاصة في القرن السادس.



... (شكل ٣٦) تعين مردوك على بوابة عشتار قفلاً عن كولدواي

Des Wieder arstehende Babylon

٦- الطوب الخزفي

استعمل البابليون في الإمبراطورية الحديثة- كما سبق أن لاحظنا- طوبا خزفياً لتزيين المباني العامة وهذا هو أهم استعمال للألوان في الزخرفة إلى جانب التطعيم في التماثيل والنقوش. ولقد كانت حوائط بوابة عشتار مزينة بحيوانات غريبة الشكل وثور اداد وتنين مردوك التي توجد تسعة صفوف منها منقوشة على طوب المبنى وإلى أعلاها

(١) شكل ٣٤.

(٢) شكل ٣٥، قارن شكل ٣٣.

صفان من حيوانات مشابهة من الطوب الخزفي يعلوهما أيضاً صفان آخران من الطوب الخزفي المحفور. أما الأرضية الزرقاء فقد توصلوا إلى صنعها عن طريق اللازورد المسحوق كما هي الحال في القرن الثامن في آشور في قصر سرجون. ولون الثيران أصفر ولها قرون وحوافر خضراء أما أهداب الذيل والشعر فزرقاء وتنين مردوك أبيض، أما قرونه ولسانه المشعب ومخالب الأسد ومقدماه وكعبا مؤخريه فمن الأصفر الخفيف، وأما الأقدام الخلفية فمكونة من معجون زجاجي ملون أحياناً بالخزف المجاور له.



(شكل ٣٧) زينة الحوائط الخارجية لقاعة العرش في قصر نبوخذ نصر في بابل

نقلاً عن كولدوى **Das Wlédee erstehende Babylon**

وقد كشف أخيراً عن طريقة معالجة هذا الطوب [١]. ويظهر أنه أخذ من الآشوريين الذين ربما نقلوه عن الحيثيين ثم انتقل إلى فارس حيث استخدمه دارا في زخرفة قصر سوسة. أما اختيار الألوان واستخدامها فمأخوذ من غير شك عن أشور، وأما فكرة المناظر نفسها فتقليد للفن الحبثي فمثلاً، نجد ذلك على الحوائط الخارجية لغرفة العرش حيث تغطى الأعمدة الصفراء من أعلى بتاج مزدوج من الحلزونات الزرقاء التي تعلوها وريدات بيضاء ذات لون أصفر في الوسط على أرضية داكنة الزرقة وهو طراز كان معروفاً في آسيا الصغرى انتقل منها كذلك إلى الفن القبرصي.

---

(1) Bigot; Reconstilution des frises du paleis de Darlus, 1913.

٧- الزي

يمتاز الآلهة في كل الآثار المصورة من كل العصور عن الناس بلباس الرأس الذي هو عبارة عن قلنسوة مزينة بقرون تتقابل أطرافها من أمام كل اثنين معاً. وإذا نحن استثينا بعض الحالات النادرة جداً فيما يختص بالمعبودات الثانوية نرى صورها إنسانية بحتة وللتمييز فيما بينها نراها تخصص بالأسلحة التي تمسكها بأيديها وبرموز معينة فوق أكتافها أو بالحيوانات التي تطأ عليها بأقدامها. وقد استبدلت صورها فيما بعد برموز مشتقة من شخصياتهم الأسطورية وصفاتهم وبعض تقاليدهم الموروثة. ولقد كان أنو سبدا للآلهة وكان رمزه التاج ذا القرون وهو الرمز الإلهي البحت يوضع على العرش. أما مردوك فقد استحوذ على السلطان بعد صراعه مع تيامات ولذا فإننا نرى عند قدميه تنينا مهزوماً. وأما رمزه فحربة. وأما توبوا إله الكتاب فيرمز له قلم أو طائر وأما "أداد" إله العاصفة فيرمز له بالصاعقة. وأما شماش إله الشمس فيرى محاطاً باللهب كما تظهر نيسابا آلهة الزراعة في وسط القصب.

وكان تمثيل الأشكال العارية نادراً. ومن بينها معبودات في نزاع مع بعضها البعض وكاهن يباشر عملية الاهراق (السكب) وبعض الأشخاص النانويين في بعض المناظر المحفورة على الأحجار الكريمة وآلهة الخصب وخاصة في التماثيل الصغيرة الفخارية وعلى أسطوانات أسرة حمورابي. وكان جسم البطل جلجامش في النقش الغائر الأركي مشدوداً في حزام ينزل طرفه في محاذاة الساق. وفي عصر أجاده نرى بعض الآلهة أو الجان يلبسون قطعة من قماش يمر فيها بين سيقانهم ويمسكها حزام.

وأقدم زي للسوميريين والأكاديين كان يتكون من ملفعة (شال) مستطيلة تلف كالنقبة (الجونلة) حول العجز وتنسدل حتى الركبتين وكانت من لون واحد ولها أهداب على شكل الخيوط أو العنكبوت تنتهي بأهداب في صفوف منتظمة وهو ما عناه اليونان بكلمة "كادناكس" الذي كان ينسج في اكبتانا في أيام أرستوفان.

ولقد كان ذلك زي الآلهة على أقدم الآثار وعلى ذلك فإنه كان أيضاً زي أورنينا

الملك العجوز للاجش. ثم أضيفت قطعة أخرى تدور حول الكتف اليسرى مثل زي الملك "أياناتوم" على لوحة العقبان. وبمرور الزمن ازداد حجم الملفعة حتى غطت الجسم كله وأصبحت تربط تحت الأبط وتلف الذراع اليسرى ثم نمر نهايتها الأخرى تحت الذراع اليمني ولقد كان ذلك لباس الآلهة والرجال منذ عصر سرجون الأجادي، كما كان لباس جوديا وحمورابي. أما الكاسيون فقد ارتدوا قميصاً ذا أكمام طويلة ضيقة. وتدثروا بملفعة "شال" مزركشة أو منسوجة من ألوان متعددة[1] وهي من الأشياء التي كانت تستعمل منذ عهد بعيد ودليلنا على ذلك أن ألوال ملوك أور كانت تورد للأمراء قطعاً من الثياب الثقيلة المنسوجة من الصوف المختلف ذي الصبغات المتناسقة الألوان. وتظهر الزخارف والوريدات والأشجار المقدسة والجان والحيوانات حوالي عام ١٠٠٠ ق.م. في أقمشة الزي الملكي وقد أخذت جميعاً عن الفن الحبثي أما مباشرة (ذلك لأن التأثير الحيثي ظهر في الفن حتى السلاسل المحيطة بايران) أو عن طريق أشور حيث ظهرت نفس الطرز.

أما رداء الأشخاص العاديين فقد ظل بسيطاً ذا لون واحد وكانت له عادة أهداب. وقلما يضع جلجامش على رأسه لباس رأس بينما نجد رجالاً من عصر أورنينا يلبسون أحياناً تاجاً ذا عريشة يشبه "الكلاثوس" الذي عرفه اليونان. ثم ظهرت في عصر جوديا العمامة التي أصبحت لباس الرأس عند حمورابي. وكان الآلهة ملتحين بشعور طويلة معقودة عند القفا مزدوجة أصلاً ثم بسيطة فيما بعد وكانوا يعنون دائماً بتصفيفها. وكانت للألهات أحياناً ضفائر وأحياناً عقائص تمسكها عصبة. وللأبطال القدامى لحى وشعور طويلة هي فيما يختص بجلجامش يقسمها فرق دقيق واضح يكون ثلاثة صفوف من الحلقات (البوكل) على كل من جانبي الرأس. ولقد صور كووجال بن أورنيا برأس محلوق مرة وبشعر طويل معقود على القفا مرة أخرى. ويرى "نارام سن" بلحية على لوحة النصر. أما جوديا ومعاصروه في لجش فلهم عادة بشرة ناعمة ورأس حليق مثل

(1) XC pl. LXXIV.

أشخاص لوحة الكودورو الخاصة "بمردوك بالاتسو اقبي"[١] فيما بعد.

أما كهنة البابلية الجديدة فيضعون شعراً مستعاراً يربطه الاكيل وكانت نساء السوميريين والأكاديين يعنين عناية خاصة ويبذلن جهداً ملحوظاً في تصفيف الشعر في أشكال مختلفة ويثبتونه في مكانه عن طريق شرائط وشبك وملفحة يثبت أحد أطرافها عن طريق الأهداب التي تصبح شكل عصابة. وكان الرجال والنساء في أكثر الأحيان حفاة في الفترة البدائية ثم انتعلوا النعال في عصر أجاده. وكانوا يضعون حول رقابهم عقوداً من أصداف أو أحجار منحوتة أو تمائم وكانوا يضعون أساور حول أذرعهم.

٨- الأثاث

كان الأثاث يتكون من أسرة وكراس منوعة وأدوات منزلية. والقوائم دلالة تشهد على وجود عدد كبير من المقاعد ذات الأشكال المتباينة والآثار المصورة تقدم لنا ما يكفي لتعريفنا ببعضها ابتداء من المقعد البسيط الذي يجلس عليه جوديا إلى العرش المحفور للمعبود على أسطوانة "حاشهامر" المعاصر "لبورسن" ملك أور. فهذه الآثار تصور لنا: مقاعد مكعبة ذات اطار من عصر أجاده وأخرى مغطاة بالكاوناكس من عصر دونجي وكذا مقاعد وكراسي ذات ذراعين من طرز متباينة.

وكانت الأواني تصنع من الأحجار والطين وكذا من المعدن. وكانت تصنع من النحاس أو من معادن أخرى أشد نفاسة ومنها الاناء الفضي لانتمينا عند بدء الألف الثالثة المزخرف بحفر دقيق والمركب على قائم نحاسي[٢]. وكانت الأواني الحجرية رمزاً للترف وكان يحتفظ بها عادة للمعابد وكثيراً ما كانت تحمل تكريساً[٣].

أما الأواني الطميية وبعضها مصنوع باليد والبعض الآخر على العجلة فكانت تغطيها النقوش أحياناً ولكن هذه الصناعة لم تكن متقدمة في سومير وأكاد كما قامت

(1) Ibid, XCVI.

(٢) انظر شكل ٢٤ صفحة ١٨٥.

(3) LXXI, p. 261.

في سـوزيانا حيـث كـرس الفنـانون جهـودهم مـدى فترتـين طـويلتين عتيقتـين لتنويـع زخارفها[١].



(شكل ٣٨) اناء مزخرف (حفائر تللو– متحف اللوفر)

ويمكن حصر طرزها في ثلاثة أشكال: اناء الشرب المخروطي والصفحة ذات الحافة المثقوبة لوضع الطعام بها والقدر لحفظ ونقل السوائل.

(1) XVIII, t. XIII; cf LXXIX, p. 349.

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١- الكتاب

لقد استخدم الاصطلاح العام "عقد" استخداما في غير موضعه حين أطلق في مختلف العصور على جميع الوثائق القانونية التي تنشيء التزاماً يقره القانون أو العرف. ولقد ذاع استعمال الاتفاقيات المكتوبة ولم يكن لمعظم التصرفات المدنية التي ينشأ عنها تعهد أو التزام أية قيمة قانونية ما لم تكن على صك مكتوب.

ويحوى الخط المسماري عدة مئات من العلامات وكانت علماً قائماً بذاته يتطلب الإلمام به مجهوداً كبيراً ووقتاً طويلاً وذلك لصعوبته. بيد أنه كان يوجد في جميع العصور عدد كبير من الكتاب، رجالاً ونساء، وقد بلغ بعضهم أسمى مراتب الشرف حتى إن كلا من "لوجال أوشو مجال" الذي عاصر نارام سن "وأور آباد" في أيام ملوك أور أصبح ايشاكو لجش كما أن أشور بانيبال ملك أشور يفخر بأنه ملك زمام الكتابة.

ولقد قامت المدارس حيث كانت تعلم المطالعة وتدرس مبادئ الكتابة والرسم على الطين. وكانت مدارس سيبار [1] أشهرها وذلك في الألف الأولى فيما يتصل بقدم النصوص المحفوظة في أضابيرها. ويكشف لنا عدد من اللوحات من قرن حمورابي، بعضها نماذج وبعضها نسخ– عن طرق التعليم: هي قراءة وكتابة العلامات البسيطة أولاً مع دراسة قيمتها الصوتية ثم تعليم التلاميذ تدريجاً استعمال مجاميع العلامات والإشارات ثم الصيغ المتداولة، وكان التلميذ يعطي بعد ذلك دروساً في النحو في صورة الصيغ المختلفة من تصريف الأسماء والأفعال وينهى تعليمه في آخر الأمر بالرياضيات:

(1) LXXI p. 33.

بقواعدها الأربع والموازين والمقاييس والمعايير والمسكوكات.

وأحس الكتاب منذ البدء بحاجتهم إلى مفكرة أو جدول يجمع شتات العلامات والكلمات والجمل. وهناك لوحة أوكية تحشد معاً كل مركبات "كا" وساج. وهناك أخرى من عصر أجادة تحوى العلامات التي تظهر فيها "جال" وهناك ثالثة تقدم أسماء عدد معين من المراهم وهي تضم بذلك كافة العبارات التي تدور حول "شم" (١).

وكان الكاتب يفخر بعلمه. وكانت الدراية بالقراءة والكتابة لقباً يعدل لقب مدير المعبد أو القاضي. ولم يكن هناك من يغفله في عقوده وكان لا يفوت أحد ذكر اسمه في العقود أو نقشه على الأختام الأسطوانية، وفي عهد لوجالاندا خصص كاتب لبيت زوجته الأميرة "بارنا متارا" ويحمل خاتمه النص الآتي: "أنيجال- كاتب بيت الزوجة" وبعد إصلاحات أوروك اجينا حين أعيدت الأملاك إلى الآلهة بعد أن كانت قد استخدمت في أغراض دنيوية بغير وجه حق استبدل هذا النص ب"انيجال كاتب الآلهة بارو" وكان تمرين الكتاب يتم في ظل المعابد ولهذا نراهم يكونون تدريجياً طائفة معينة متصلة بمديري الهياكل حتى إن الوظيفتين اختلطتا ببعضهما في عصر البابلية الجديدة في بعض المدن وخاصة سيبار، فهناك كان يذكر اسم الشانجو (مدير المعبد) في غالب الأحيان على الألواح بينما قلما يظهر لقب دوبشارو (كاتب).

وكان إعداد اللوحات يتطلب طمياً ناعماً ثم عجنه مدة طويلة يوضع في شكل قوالب تختلف حجماً ولوناً وشكلاً باختلاف المكان والزمان.

وأقدم ألواح لجش قبل عهد أورنينا مصنوعة من الطمي الذي لم يدخل النار، وهي مستديرة وهناك ألواح أخرى تعادلها في القدم مستديرة مثلها ولكنها سويت في النار ومصدرها شوروباك ووجهها مستو بينما الوجه الآخر مقبب. ولم يختلف شكل اللوحات في عصر لوجالاندا وأوروكاجينا في لجش ولكنها كانت تسوى في النار. وبعد أقل من نصف قرن حدث تغيير واضح فأصبحت الوثائق المعاصرة لملوك اجاد تختلف اختلافاً

---

(1) XVIII, t. XIV. P. 87-89.

بينا عن سابقها: فالطين لم يعرف النار وفيما عدا النصوص المتصلة بالمساحة نجد اللوحات مستطيلة وهو الشكل الذي سيحتفظ به منذ هذا الوقت.

وكان الكاتب يرسم علاماته والطين لا يزال طرياً وذلك بواسطة قلم مثلث منشوري الشكل يمسك به مائلاً وهو يضغط بخفة. وكان الركن يترك خطاً صغيراً بينما تترك القاعدة علامة أكثر أو أقل عمقاً. ويكون كل ذلك شكلاً يشبه الوتد أو المسمار ومن هنا جاءت كلمة المسمارية التي أطلقها المحدثون على الكتابة السومير وأكادية. ويرجع شكل عناصر العلامات إلى استعمال القلم والطين. ولقد سرق بعد استعماله بعد ذلك في الكتابة على الأحجار ولكننا لا نراه في العصور البدائية على المواد الصلبة التي لا تشهد عليها سوى خطوط بسيطة.

وحتى عصر ملوك أور لا نستطيع أن نترسم سوى طريقتين لحساب الأعداد والأرقام وبعضها مكون من مسامير– شأنها في ذلك شأن باقي علامات الكتابة– والبعض الآخر من دوائر وأشكال مشتقة من الدوائر. وكانوا يتوصلون إلى رسمها عن طريق قام أسطوا لي يوضع عمودياً أو منحرفاً على اللوحة. ولقد أبطلت هذه العادة في النصف الثاني من الألف الثانية حين لم يعد الكاتب يستعمل سوى القلم المثلث.

ولم تكن هذه الأداة لتسمح برسم الخطوط المستديرة وعلى ذلك كانت كل العلامات مكونة من خطوط مستقيمة رأسية أو أفقية أو منحرفة كما تحولت دوائر الأرقام الأصلية إلى مربعات أو معينات وكانت كل المسامير الأفقية لعلامة ما ترسم قبل المسامير المنحرفة أو الرأسية التي غالباً ما تتقاطع معها وكانت كل علامة تكمل قبل الانتقال إلى علامة أخرى لأنه قد يحدث أن العلامة القديمة تطغى على سابقتها. ولكن حين نتكلم عن المسامير الرأسية أو الأفقية، فإن هذا يعني تبعاً لطريقتنا الحديثة في القراءة المبنية على أساس ترتيب النص على الآثار الحجرية ابتداء من العصر الكاسي. وكانت العلامات ترتب في خطوط رأسية في العصور القديمة كما هي الحال بالنسبة لقانون حمورابي ومسلة "مانشتوسو" ولوحة العقبان، وربما كان الكاتب يرسم على اللوحات كل المسامير من أعلى إلى أسفل. ثم يدير اللوحة في زاوية قدرها ٩٠° من

اليمين إلى اليسار إلى اليمين: وكل عناصر العلامات تتشابه تماماً في الواقع مع بعضها البعض. وأننا لنرى أنه إذا ضغط القلم في عمل المسامير أفقية فإن هذا الضغط يحدث عند تخطيط المسامير الرأسية.

ولقد تغيرت الكتابة من قرن إلى قرن بل ولم تكن متشابهة تماماً في كل المدن في عصر من العصور. وكان لكل مدرسة تقاليدها وطرائقها الخاصة، ففي أيام ملوك أور مثلاً كانت مدارس أوما تختلف اختلافاً بينا عن مدارس لجش المدينة المجاورة.

ولقد كانت الكتابة على الطين بقلم مثلث سبباً في تحريف الكتابة المقدسة الأصلية حتى أنه من الصعب التعرف عليها ومع ذلك فإن بعض المستندات يرجع بنا إلى عصر كان الشيء فيه يمثل بصورته الطبيعية. فعلى لوحة يملك المتحف البريطاني قطعاً منها نرى كاتباً آشورياً قد جمع أقدم الصور المعروفة لديه جنباً إلى جنب مع العلامات المستعملة خلال حكم أشور بانيبال [١]. وعلى لوحة حجرية عثر عليها في أوما [٢] نجد اناء ذا صنبور (بزبوز) بقاعدة مخروطية مغطى بقطعة من النسيج وهناك اناء آخر مشابه له موضوع على قائم. وأننا لنرى العلامة التصويرية ل "مولى" و"قلعة"– التي نستطيع متابعة تطورها حتى آخر الامبراطورية البابلية– ممثلة– كما هي الحال على تميمة باللوفر– بواسطة مبنى مستطيل على جانبه برج. أما القدم فلها شكل يمكن إدراكه في أحدث الكتابات وعلى قطع أخرى يمكن تمييز أنواع من الأواني والصاعقة والمشط والقيتار والفأس والقوس والسهم والأغصبان والأزهار.

وكان الأمر كذلك في عيلام حيث ظهرت كتابة خاصة تفرعت من نفس نقطة البدء وتطورت تطوراً مستقلاً عن ذلك التطور الذي أدركناه في سومير وأكاد. وقد أخرجت حفائر سوسة علامات أركية .يظهر من بينها عدد من علامات الكتابة المقدسة

(1) LX. t, I. p. 727.

(2) XVIII, t. II, p. 130.

البدائية[1].

وكان النص قبل ملوك أجاده– وفيما بعد على اللوحات الكبيرة الحجم– برتب في أعمدة تقسم إلى خانات وكان كتاب لجش في عصر "لوجالاندا" و"أوركاجينا" بعد أن يملأوا الوجه الأول من اليسار إلى اليمين يقلبون اللوحة من أسفل إلى أعلى ويستمرون في الكتابة على الوجه الآخر من اليمين إلى اليسار. وعلى هذا فإن الخانة الأولى للوجه الثاني تقابل الخانة الأخيرة للوجه الأول. ولم يكن ملخص النص يتبع النص الكامل، بل يبدأ في رأس العمود الأيسر من الوجه التالي ويستمر في الأعمدة المجاورة إن لزم الأمر. ومنذ عصر أجاده نرى فيما يختص باللوحات الحسابية أن مسافة تترك فراغاً لتفصل بين مختلف العمليات الحسابية والمجاميع النهائية. وفي عهد الأسرة الأولى البابلية أخذ استخدام الخطوط بين سطور الكتابة يختفي. ومع ذلك فقد ظل باقياً ليفصل أحياناً قائمة الشهود وأحياناً أخرى التواريخ أو المجموع. وفيما بعد نرى خطوطاً مرسومة متوازية مع أطول جانبي اللوحة، كما نرى النص مقسماً إلى أقسام يفصل ما بينها فراغ.

والوثائق الممشهورة بأختام كثيرة العدد. وكثيراً ما كان الكاتب يشير إليها في النص. وقبل الأسرة الأولى البابلية كانت الأسطوانة تدار أحياناً فوق سطح اللوحة كلها وأحياناً أخرى كانت يكتب اسم ومهنة وأجداد صاحبها. وكانت هذه العملية تسبق كتابة النص. ومن عهد السيادة البابلية كان أغلب الشهود يثبتون أختامهم في العقود بالقرب من أختام المتعاقدين ويفضل أن يكون ذلك على أطراف الوثيقة. ولما كانت هذه الأختام غير منقوشة عادة فإن اسم صاحبها كان يكتبه الكاتب على القرب من البصمة. ولقد انحدرت العادات المحلية عن طريق المدارس. ففي نيبور نرى فيما يختص بعقود معينة أن قالباً معيناً تم صنعه، بعد أن نقش عليه اسماً المتعاقدين. وفي عهد الامبراطورية الجديدة نجد أن بصمة الأختام توضع أحياناً على الأطراف وأحياناً أخرى في الفراغ الكائن بين الخانات المختلفة للنص بعد تحريره.

---

(1) XVIII, t. VL.

ويظهر أن هذه الاحتياطات لم تكن كافية لحماية المستند ومنع تزويره ولذا فإننا نرى أنه منذ فترة ما قبل السرجونية روعى في بعض اللوحات الهامة أن يرش عليها مسحوق من الطمي الجاف وأن توضع في غلاف طمبي يكرر عليه النص وكان عليه وحده عادة بصمات الأختام [١] فإذا قام نزاع كان أنكر الطرفان صحة المستند مثلاً، فإن الغلاف يفض فلا يستطيع أحد التشكيك في اللوحة الموجودة بداخله.

وقد استعمل الغلاف الطمبي كذلك في المراسلات الرسمية أو الشخصية وكان ذلك على الأقل منذ عصر أجاده. ولكنه كثيرًا ما كان يستبدل بقطعة من القماش تلصق بها كتلة صغيرة من الطين تحمل بصمة الخاتم وتؤدي وظيفة ختم الرصاص الحالي.

وحين الفراغ من اللوحة كانت تسلم نسخة منها لكل من يهمه الاحتفاظ بواحدة. وغالبًا ما كانت تودع أخري في محفوظات المعبد أو القصر. وكان أمين المحفوظات يخزنها في سلال عليها بطاقات وضعت بعناية. وكانت البطاقات من الطمي كذلك. وفي خلال حكم لوجالاندا كانت مشابهة للوحات وإحداها تحمل النص التالي: "سلة لوحات (لما) جاء به سماكو البحر وسماكو الماء العذب –"بارنامتارا" زوجة لوجالاندا ايشاكو لاجش: السنة الثانية، ثم أخذت فيما بعد شكل الزيتون المثقوب الذي يمر بداخله خيط. وطبقًا لترتيب متسق للموضوعات من عصر أور نرى أمين المحفوظات يجمع في سلة الأحكام التي أصدرتها هيئة أو أخرى من هيئات القضاة. وكذلك القرابين التي قدمت للمعابد أو الآلهة في مناسبة الأعياد أو مدفوعات المستأجرين سنة بعد سنة مع ذكر اسم الموظف المختص بالحسابات أو قيمة الأجر من الشعير والصوف للعمال الذين يعملون في المؤسسات الملكية للنسيج أو بيانًا بمقدار الشعير الذي يسلم للبذر أو الاستهلاك... وهكذا فيما يختص بكل رفع من فروع النشاط الاجتماعي[٢].

وكانت الرسائل ترسل من مدينة إلى أخرى في سلال مختومة. وكانت تثبت كتلة من الطين إلى عقدة الخيط الذي يربط السلة ثم تبصم بخاتم الراسل ويكتب عليها اسم

(1) XLII pl. 112 et suiv.

(2) XIX. Nos, 810, 695, 713, 651, 7911 etc.

المرسل إليه. وأننا لمدينون إلى هذه العادة بالمعلومات التي لدينا عن مجموعة من النماذج الطيبة للنقش على الأحجار من عصر أجادة.

ولقد انتشرت اللغة الآرامية في بابل في عهد الإمبراطورية الجديدة. وكان للأسرى المستجلبين من سوريا طريقة كتابة أبسط وأقرب من الناحية العملية من الخط المسماري. ومع أنها لم تستعمل إلا أن العادة جرت منذ القرن الثامن على استعمال الآرامية في مناسبات كثيرة في تدوين ملخص المستند على هوامش اللوحات المسمارية. وكان هذا من عمل الكتاب الذين يتقنون اللغتين معًا. ولقد كان ذلك أمرًا له قيمته في أكثر من ناحية وأعان على تحديد نطق بعض الحروف في اللغة البابلية للعصر المذكور.

٢- الآداب

لم يقنع الكتاب السوميريون والبابليون بأن يضمنوا لوحاتهم حسابات أو عقودًا بل دفعهم الأمراء إلى ذكر أهم أحداث حكمهم على أوقاب الأبواب وقوالب المباني والألواح الحجرية واللوحات. ولقد سجلوا القوانين ونسخوا القصص والطقوس والدعوات والرقي، بل أن هناك بعض ما خلفوه مما يهم القارئ من الناحية الأدبية البحتة.

وهاك بدء القصة السومبرية التي يحكي فيها انتمينا معارك لجش مع جارته أوما:

"حدد ننجرسو (إله لجش) وشارا (إله أوما) تخوم حدودهم تبعا للكلمة الحقة لـ"انليل" ملك البلاد. وأقام مسيليم ملك كيش تنفيذًا لصوت آلهته "كادي" في مكانها لوحة. وتصرف أوش ايشاكو أوما طبقا لخططه الطامعة.

فزحزح اللوحة وأتى إلى سهل لاجش فحدث صراع مع أوما طبقا لكلمة العدل من ننجرسو محارب انليل وكنتيجة لصوت انليل العظيم هزمت الشبكة (الإلهية) العدو. وأقيمت في السهول في مكانها أكوام جنزية.

وأقام اياناتوم ايشاكو لجش سلف انتمينا ايشاكو لجش تخوم الحدود: فحفر حفرة من النهر العظيم إلى "جو ادين" وأقام لوحة على هذه الحفرة وأعاد لوحة هسيليم

مكانها ولم يغز سهل أوما".

وبعد أن يقص كيف أنه هو بنفسه أملى السلم على العدو الذي عاد إلى غزو مقاطعة لجش نراه ينتهي بهذه اللعنات: "إذا عبر رجال أوما حفرة الحدود لننجرسو وفرة الحدود لـ"نينا" بواسطة رجال أوما أو رجال بلاد أخرى بوضع أيديهم على القطر.. ألا فليهلكهم انليل ويقضي عليهم تمامًا... ألا فلتهزمهم شبكة ننجرسو العظمى! ألا فلتسقط (عليهم) يده الرفيعة وقدمه السنية من عل. ألا فليمتلئ جند مدينته غضبًا وليدخل الخوف في كل قلوب أهل مدينته"(١).

وهكذا –أي باللعنات– كانت تنتهي نصوص عديدة يذكر فيها الملوك مؤسساتهم ونظمهم ومبانيهم وقراراتهم. وهذه هي خاتمة لوحة كتب عليها كاتب من لجش هذه المرثية المؤثرة حقا عند تخريب مدينته في أيام أوركا جينا(٢).

"رجال أوما في الـ"ايكي"... أشعلوا النار... أحرقوا الـ"انتاسوررا" ونهبوا الفضة والأحجار الثمينة وأسالوا الدماء في قصر "تيراش" وأسالوا الدماء في الـ"ابزوباندا"، وأسالوا الدماء في هيكل انليل وهيكل بابار. وأسالوا الدماء في "أهواش" ونهبوا منه الفض والأحجار الكريمة وأسالوا الدماء في "أي بابار" ونهبوا منه الفضة والأحجار الكريمة وأسالوا الدماء في جيكانا– ننما بالغابة المدقسة ونهبوا منه الفضة والأحجار الكريمة".

ويتكرر هذا الدعاء دون إغفال هيكل واحد ودون أن ينسى حتى الحقل المقدس لننجرسو الذي سلبت منه غلاله. وأمام هذه الكارثة لم يستطع هذا اللجاشي العجوز التقي إلا أن يبدي هذه الأمنية:

"إن رجال أوما بإتلافهم لاجش قد ارتكبوا إثمًا ضد ننجرسو، وستسترد منهم القوة التي كانت منحت لهم... إن إثمًا لم يحدث من جانب أوركاجينا ملك جرسو أما بالنسبة

---

(1) LXNI, p.68.
(2) Ibid p.91.

إلى لوجال زاجيسي ايشاكو أوما فلتضع آلهته نيسابا هذا الإثم على رأسه".

قصيدة الخليقة:

أنشئت قصيدة الخليقة تمجيدًا لمردوك إله بابل وهدفها وصف لكيفية ظفر هذا الإله بمكان الصدارة في عراكة مع تيامات:

فلقد أخرجت تيامات البحر وأبسو المحيط من اختلاط أمواههما الآلهة جميعا ولما لم يرضيا عن خليقتهم قررا –بنصح من مومو أول مواوداتهم أن يحطماها ويقضيا عليها. وعرف أبا إله الحكمة مؤامرتهما وأسر أبسو ومومو. وأرادت تيامات الانتقام لهما فخلقت جمعا من الجبابرة تردد الآلهة انو وايا في الدخول معهم في معركة... وطلب مردوك عندما دعاه انشار إلى أن يمجد من مجمع الآلهة قبل الموافقة على الدفاع عنهم فأرسل انشار رسوله جاجا ليدعو أولا أقدم المعبودات لاهمو ولاهامو...[1].

"ذهب جاجا وسار في طريقه

وأمام لاهمو ولاهامو الآلهة والديه

تواضع. وقبل الأرض أمامهما.

وركع ثم قال وقال لهما:

"أرسلني انشار ابنكما

وكشف لي عن بغية قلبه

وهي أن تيامات أمنا حملت الكراهية ضدنا

وهي تجمع حشدًا... وهي تعصف غضبًا

استجاب لها الآلهة جميعا

حتى أولئك الذين خلقتماهم... يسيرون إلى جنبها.

(1) XLIII, p.

هم يلعنون اليوم. وإلى جانب تيامات يتقدمون
أنهم غاضبون ويتآمرون ليل نهار دون راحة
أنهم يستعدون للقتال ويدمرون ويثورون
ويكونون عصابة وينظمون المعركة
أم الجميع خالقة الأشياء كلها
جمعت أسلحتها التي لا تباري وولدت أفاعي ضخمة
حادة الأنياب لا ترحم في القتال
استبدلت الدم بالسم في أجسادها
وألبست التنانين المخفية ثوب الرعب
وملأتها بالجلال والبهاء وأعطتها سحتة تعالية
حتى يهلك فزعًا من يراها
حين تقوم أجسامها لا يستطيع أحد أن يقاوم هجماتها
لقد أمرت بتدفق الأفاعي والزواحف الوحشية واللهامو
ووحوش العواصف والكلاب الغضبى والرجال العقارب
والأعاصير القوية والرجال الأسماك والكباش
التي تحمل أسلحة لا ترحم ولا تخشى العراك".

وبعد أن ذكر الرسول أن "قنجو" على رأس هذا الجيش المكون من أحد عشر نوعًا من المسوخ استمر يقول باسم انشار:

"لقد أرسلت أنو لوكن لم تكن له القوة ليقترب منها
وخاف ايا وتراجع

فقام مردوك العاقل من بين الآلهة من ذريتكما

واستحثه قلبه ليواجه تيامات

وذكر لي هن فمه:

"إن كان لي... أنا المنتقم لكم

أن أقيد تيامات بالأغلال لتبقوا أحياء

فأجمع مجمعا ومجدني وأعلن مصيري

اجلسوا جميعا فرحين في الـ(ابشوكينا)

ولتقرر كلمة فمي المصائر كما تقررها كلمتكم

ليكن كل ما أعمله غير قابل للتغيير مستقبلًا

لتكن الكلمة التي تخرج من شفتي غير قابلة للتغيير أو التبديل

كي يذهب ويهاجم تيامات عدوكما المرعب

أسرعا– سارعا وحددا له مصيركما

وسمع لاهمو ولاهامو ذلك وصرخا بصوت عال

وبكى الـ"اجيجي"[1] معا بدموع مريرة قائلين:

"من هو العدو الذي جعل المحيط يطفح

لسنا نقر عمل تيامات"

واجتمعوا وذهبوا

الآلهة الكبار معا– الذين يحددون المصائر

واتوا أمام انشار وملأوا...

---

(١) آلهة السماء.

واحتضنوا بعضهم بعضا في المجمع

وتحدثوا معا وجلسوا في مأدبة

وغير النبيذ الخلو من...

وواصلوا الشرب حتى سكروا وانتشت أجسامهم مرحًا

وأخذوا يصيحون كثيرًا وقلوبهم فرحة سعيدة

وحددوا لمردوك المنتقم لهم مصيره.

ولما انتهى العراك وأعلن مردوك المنتصر عزمه على أن يعجن الطين بدمه ليقيم الإنسان... اجتمع الآلهة مرة أخرى وأعلنوا أسماءه الخمسين"(١).

ولسنا نستطيع أن نغفل ذكر قصص الطوفان وإحداها هي التي نورد منها الفقرات التالية مأخوذة من قصيدة "جلجامش" وفيها يصف "أوتا نابشتيم" –نوح البابلي– لملك أوروك كيف أنه اكتسب الخلود. ولقد بني سفينته بناء على طلب الإله ايا:

"قال: حملتها بكل ما كنت أمتلك... كل بذور الحياة

أنزلتها إليها.. أسرتي كلها وأقاربي

ماشية الحقل وحيوانات الحقل والصناع... أنزلت كل ذلك

ثم دخلت السفين وأغلقت الباب.

وعهدت إلى "بوزور انليل" الملاح بقيادة السفينة

عهدت إليه بها بكل ما تحوي

ولما أضاء الفجر

خرجت من بطن السماء سحابة داكنة

(1) XLI, p.109.

وزأر اداد[1] فيها

وكان نابو[2] والملك[3] يسيران في المقدمة

وسار المنادون في الجبال والسهول

وانتزع نرجال[4] الصاري

ومضى اينورتا[5] يقود المعركة

وحمل الـ"اتوناكي"[6] المشاعل

وألهبوا الأرض بأضوائهم

وارتفع ضوضاء اداد إلى السموات

وانقلب كل ما هو مضيء إلى ظلام

فلم يعد الأخ يرى أخاه

وأصبح الناس في السماء لا يعرف الواحد منهم الآخر

وخشي الآلهة من الطوفان

فهربوا وصعدوا إلى سموات انو

وربض الآلهة واضطجعوا ككلاب على الحائط

واستمرت الريح والطوفان ستة أيام وست ليال

---

(١) إله الأعاصير.

(٢) المنادي الحربي للآلهة.

(٣) الإله مردوك.

(٤) إله الجحيم.

(٥) إله الحرب.

(٦) الأرواح الجهنمية.

وساد الأرض إعصار

فلما أشرق فجر اليوم السابع هزم الإعصار

وكذلك الطوفان الذي كان قد حارب كجيش بأسره

وارتاح البحر وهدأت الريح الرديئة وتوقف الطوفان

ونظرت إلى البحر وكان صوته قد سكت

وكانت البشرية قد تحولت طينًا

وارتفع المستنقع إلى السقوف

وفتحت النافذة وسقط الضوء على خدي

وانهرت على مقعد وظللت جالسًا أبكي

وأخذت الدموع تسيل على خدي

نظرت إلى العالم... إلى أفق البحر

فرأيت هناك على مبعدة ١٢ (مقياسًا) جزيرة برزت

وبلغ السفين جبل نتسير[١]

واستوقف جبل نتسير السفين ولم يدعها تتحرك

ولما جاء اليوم السابع

أخرجت حمامة وأطلقتها

ذهبت الحمامة ولكنها عادت

عادت لأنها لم تجد مكانًا

فأخرجت سنونو وأطلقته

(١) بين دجلة والزاب الصغير.

فذهب ولكنه عاد

عاد لأنه لم يجد مكانًا

أخرجت غرابًا وأطلقته

ذهب الغراب ورأي الماء يختفي

وأكل ومشى في الطين ولعب ولم يعد

فأخرجت من السفين عددًا أطلقته إلى الجهات الأربع... وسكبت سكيبًا

وقدمت قربانًا على قمة الجبل

ووضعت ١٤ إناء "ادا جورو"

ونشرت من تحتها القصب والأرز والآس

واشتم الآلهة عبيرها

اشتم الآلهة عبيرها المعطر

وتجمع الآلهة كالذباب فوق مقدم القربان

وفي أسطورة "اتانا" أحد أوائل الملوك قبل العصر التاريخي نجد خرافة طريفة هي خرافة النسر والثعبان. فلقد عقد نسر نيته على التهام صغار الثعبان ورغم نصيحة ملؤها السداد من أحد صغاره العقلاء أنفذ مشروعه وشكا الثعبان إلى شماش إله العدالة[١].

"فحين سمع صلاة الثعبان

فتح شماش فمه وقال للثعبان:

اذهب في طريقك حتى تصل إلى الجبل

(1) XLIII, p.167.

وسأحجز لك جاموسة

افتح أمعاءها واخترق بطنها

واتخذ بطنها مسكنا لك

وستنزل من السماء كل أنواع الطيور

لتأكل من لحم الجاموسة

وسينزل النسر معها

وما ليس يعرفه...

وسيبحث عن مدخل إلى اللحم في ال... سيرفرف حولها

وسيحلم بالمكان الخفي للقلب

فحين يصل إلى الداخل اقبض عليه من أجنحته

واقطع هذه الأجنحة وريشها ومقالبه

ومزقه وارمه في حفرة

ودعه يموت ميتة الجوع والظمأ"

وأطاع الثعبان واختبأ في بطن الجاموسة

" ونزلت كل طيور السماء وأكلت من اللحم

ولو كان النسر يعرف ما قدر له من سوء طالع

لما نزل مع صغاره ليأكل من اللحم

ولكنه فتح فاه وقال لهم:

"لننزل ونأكل نحن من لحم هذه الجاموسة"

ونطق نسر صغير مليء بالفهم إلى أبيه النسر قائلًا:

"لا تنزل يا أبي ربما كان هناك ثعبان يرقد مختبئًا في بطن الجاموسة

وقال النسر لنفسه كذلك كلمة

أنه لم يفهم ما قيل له... إنه لم يتدبر ما قال الصغير

فنزل وجثم فوق الجاموسة

ونظر النسر إلى اللحم وقدر ما أمامه وما وراءه

وكرر الأمر ونظر ثانية إلى اللحم وقدر ما وراءه وما أمامه

وأخذ يطوف في.... وأخذ يحلم في حفايا القلب

وحين دخل قبض عليه الثعبان من أجنحته...

وفتح النسر فاه وقال للثعبان:

"ارحمني وسأعطيك بائنة كما يعطي للعروس"

وفتح الثعبان فمه وقال للنسر:

"إن تركتك فكيف أستطيع أن أجاوب شماش المعظم؟"

سوف ترتد العقوبة علي

تلك العقوبة التي أفرضها عليك

وقطع أجنحته وريش أجنحته ومخالبه

ومزقه ورماه في حفرة

حتى يموت جوعًا وعطشًا".

ولقد كانت مشكلة الخير والشر تسرعي انتباه البابليين فالألم يحل بالمستقيمين ولا يمس أهل السوء مما دعا الرجل التقي الذي يرعى الواجب إلى أن يتساءل عن سبب

نكبته[1]:

لم أكد أصل إلى الحياة حتى عبرت الزمن المحدد

فاستدرت... إنه شر... وشر أكثر

زاد الجور على ولم أستطع بلوغ سقي

صرخت إلى إلهي ولكن لم ينظر إلي

توسلت إلى إلهتي ولكنها لم تعن برفع رأسها

إن العراف بعرافته لم يحدد مستقبلي

والساحر بضحية لم يستطع أن يجعل محاكمتي جلية

لقد تحدثت إلى العراف ولكن لم يعلمني شيئًا

أن الساحر برقاه لم يستطع أن يحل اللعنة التي أنا هدفها

ما أكثر اختلاف الأحداث في العالم!

لقد نظرت ورائي: فوجدت الشر في عقبي

كأنما لم أكن أقدم التقدمات بانتظام لإلهي

وكأنما كنت لا أخلد ذكرى آلهتي في الوليمة

وكأنما لم أحن وجهي وكأنما لم ينظر إلى عبادتي

فكنت كمن توقفت الصلوات والابتهالات في فمه

وكنت كمن انتهى يومه الإلهي. لقد مات القمر الجديد

وأصبحت مثل ذلك الذي اضطجع على جانبه واحتقر صورهم

والذي لم يعلم أتباعه الخوف والإجلال

---

(1) XLIII, p.205.

والذي لم يذكر إلهه والتهم الطعا المخصص له

والذي هجر آلهته ولم يأت بالمقرر عليه

والذي كان ظالمًا، والذي نسى مولاه

والذي نطق كلمة إلهه القوي باستخفاف

أنني أصبحت مثل ذلك الرجل

أن مضطهدي يتبعني كل يوم

وعند قدوم الليل لا يدع لحظة أتنفس فيها

إن أعصابي تتفكك من كثرة اضطرابي

وقواي تنحل وأدى فألا سيئًا

فأراني ملقي على سريري كالثور ملوثًا ببرازي كالشاة

لقد عذبت الساحر عضلاتي المريضة

وضللت العراف التنبؤات التي جاءته عني

إن صاحب الرقي لم يفهم شيئًا عن مرضي

ولم يضع العراف حدا لعجزي

ولم يأت إلهي لعوني ولم يأخذ بيدي

ولم ترحمني آلهتي ولم تسر إلى جانبي

القبر مفتوح ومسكني تم الاستيلاء عليه[١]

وانتهي الحزن على حتى قبل أن أموت

لقد رددت كل الناس "كم هو مهدم!"

---

(1) LXXVI, p.219.

وسمع عدوى بذلك وتهللت أساريره

لأن بشارة الخير قد وصلته فانبثق النور من قلبه".

وقلما اختلفت أساليب الإنشاء على مر العصور. وأننا لنرى لوجال زاجيسي ملك أوروك في القرن التاسع والعشرين يذكر بركات الآلهة عليه في مقدمة نقوشه السومرية كما نجد نابونيد آخر ملوك الإمبراطورية البابلية الجديدة يستعمل نفس الصيغة في القرن السادس. فقد قال الأول[1]:

"حين منح انليل ملك البلاد إلى لوجال زاجيسي ملك أوروك سيد البلاد.

كاهن أنو نبي نيسابا بن أوكوش ايشاكو أوما ونبي نيسابا الملحوظ بعين رعاية أنو ملك الأقاليم الايشاكو الأكبر لانليل الممنوح، فهما من أنكى الذي ردد اسمه باباز كبير وزراء أنزر شاكاناكو بابار قهرمان أنينا طفل نيسابا الذي يطعم على لبن.

"ننهار ساج" المقدس، رجل الإله مسن، كاهن أوروك... تلميذ "ننابوهادو" سيدة أوروك.. الأباراكو الكبير جدًا للآلهة.. حين منح انليل سيد البلاد إلى لوجال زاجيسي ملك الأرض... حين جعله ينجح أمام الأرض.. حين أخضع البلاد لسلطانه.. حين هزم الجميع من مشرق الشمس إلى مغربها.. في ذلك اليوم.."

ويقول الثاني[2]:

"حين خلق مردوك سيد الآلهة العظيم سيد العالم.. حين خلق الأمير سماه نابونيد ملكًا مكرسًا للعبادة ليمارس السلطان. ورفع رأسه فوق الملوك جميعا. سعد الآلهة العظام بكلمته من أجل ملكه ولقد منحه أنو انليل العرش إلى الأبد، والتاج والصولجان وعصا الملك وكتاب الطقس الملكي.. جعله ايا خالق جميع الأشياء.. كامل الحكمة.. أما بعليت ايل خالقة العالم فأكملت تكوينه. وأما "نابو" مراقب العلم فقد منحه العقل. وأما سن ابن الأمير فقد تبصر في صورته. وأما شماش ضوء الآلهة فقد جعله راعيًا

---

(1) L.t. XI p.113.
(2)

لقطيعه ووضع رعاياه تحت أمرته. وأما ايرا العظيم القوي بين الآلهة فقد منحه القوة وأما زبابا المعظم فقد جعله كاملًا همته. وأما نوسكو المخيف فقد زينه بأبهة الملك ثم استدار إلى روحه الحارسة حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الإلهية واتخاذ القرارات وتحديد المستقبل. واستدعته الآلهة المعظمة لمعونته حتى يستطيع إنفاذ أوامره".

أما بقية النص فنموذج طيب للنصوص التاريخية البابلية(١):

"نابونيد ملك بابل الأمير العظيم الراعي الفطن الذي يحترم الآلهة العظمى الوكيل التقي.

الذي يعني برؤيا الآلهة والذي يشغل نفسه كل يوم بطقوس الآلهة والآلهات ابن "نابو بالاتسو اقبي" الأمير العاقل.

إنني منذ عين مردوك السيد العظيم أسمى سيدا أعلى للبلاد ومجد نابو ابن الأمير أسمى الملكي... أنني أكرر كل يوم احترامي لجلالتهم وأشغل نفسي باستمرار بما يرضيهم وأزيد من عنايتي بالايساجيل(٢) وال"أزيدا"(٣). أنني أقدم لهم خير ما لدى من أشياء جميلة وأهتم بألا ينقطع تقديم القرابين وأبني الهياكل تمجيدًا لهم كما أبني مدتهم العظيمة وأمجد أسماءهم على لسان كل الأحياء.

أما بالنسبة لشماش القاضي العظيم والإله الفخم سيد سيبار مان ال"أبارا" الهيكل الطاهر ببيته الأصلي الذي لم يدع ملكًا من قبلي يرى ال"تمن" الخاص به فإن شماش انتظرني حتى أقيمه وقد وضعت أساسه على "تمن" نارام سن. ورفعت رأس حائط أوجال أمارو، حائط كوثا وأمرت بحائط "ميلام كوركورا دولا" حائط كيش أن يرتفع كالجبال. أما بالنسبة للسيد العظيم أوراش فقد جددت –كما كانت الحال من قبل– قصر الأعياد الهادئ. وأما عن المدينة –بين بابل وبورسيبا– فقد رفعت أبراجها

---

(1) L.t. XI, p.114.

(٢) معبد مردوك.

(٣) معبد نابو.

بالإسفلت والآجر وأدخلت نانا الآلهة المؤمرة إلى هيكلها.

أما عن سمن السيد العظيم الذي يسكن "اكيس شرجال" التي تقع في أور فقد قررت أقصى كمية من تقدماته الثابتة وعنيت بأن تكون تقدماته الاختيارية فخمة. ولما كنت مهتمًا بهيكله متضرعًا إلى جلالته، فقد أظهرت احترامي للرغبة التي أبداها. واهتممت بها ولم أرفض طلبه وأطلعت أمره ورفعت إلى مرتبه الكهنوت الابنة التي أنجبها قلبي وسميتها بعل شالتي نانا ثم أدخلتها الـ"اجيبار"[1] وقادني قلبي إلى أن أعني بمدن جميع الآلهة العظام فمجدت سيدي لوجال مارادا المحارب الصنديد والبطل الرائع الكامل القوة الإعصار الذي لا يقاوم الذي يغرق الأراضي المعادية ويغتال أرض الأعداء الذي يسكن في معبده الـ"أي ايجي كالاما". أما بالنسبة لعجلته –عربة جلالته رمز شجاعته التي تغتال أرض العدو المعدة للمعارك تلك العربة التي لم يعد مثلها منذ أقدم العصور ملك آخر من قبلي فقد وجدت أحجار زخرفتها وطاقمها في أياي الـ"أي ايجي كالاما" هذه العربة فأعدت بناءها من جديد وزينتها بالفضة النقية والذهب اللامع والأحجار الكريمة ثم قدمتها له. أما معبده "أي ايجي كالاما" الذي كان قد أقامه ملك سابق ورفع رأسه ولكن لم يحط بالأسوار بحوائط تسندها ولم يدعم حائط الحراسة فقد كان هيكله مخربًا وأحجار عتبة بابه غير متماسكة فقد هدمتها وفحصت الـ"تمن" القديم وحددت أساسه على "تمنه" وأعدت بناء الأسوار وقويت حائط الحراسة وحددته ورفعت قمته أعلى مما كانت...

أي لوجال مارادا! أيها السيد العظيم المحارب القوى!

حين تدخل فرحًا إلى معبدك وحين تشهد كل الأعمال الطاهرة التي أتممتها... ألا فلتكرر كل يوم أمام مردوك ملك السماء والأرض ما يسعدني... ألا فلتطل أيام حياتي! ألا فللأكلل بذرية ضخمة!... ألا فلتسحق أعدائي بذراعيك القويتين وتقضي على كل أعدائي!".

---

(١) مسكن كبير كاهنات أور.

٣- التعامل بالمراسلة

يظهر أن التعامل بالمراسلة كان معروفًا منذ أقدم العصور. فكان الخطاب يكتب على لوحة جففت في النار عادة ثم تغلف بغلاف من الطين. ولم يكن يستطيع أحد مطالعتها دون كسر الأختام مما كان يسمح بتلافي إفشاء محتوياتها. وكان يكتفي أحيانًا بلفها في قطعة من القماش تثبت عليها قطعة من الطين تحمل بصمة ختم مرسلها.

ولعل أقدم خطاب حفظ لنا رسالة تتصل بالغزو العيلامي لأرض السوميريين(١) وهي موجهة إلى "انيتارزي" الايشاكو المقبل للأجش. ومرسل الخطاب المدعو "لو انا" يخبر أنه هزم العدو ثم يعدد الأسلاب وربما ما وقع من نصيب الايشاكو الذي ضاع اسمه لسوء الحظ وكذا ما كان من نصيب "الاباركو" والآلهة "ننمار".

"هذا ما يرسله "لو انا" سانجو (مدير) ننمار إلى "انيتارزي سانجو.

ننجرسو ليبلغه: لقد استطاع ٦٠٠ عيلامي أن يستولوا من لاجش على أسلاب لأخذها إلى عيلام: لقد حارب "لو انا" سانجو (ننمار) ضد العيلاميين ولقد هزم العيلاميين (وقتل أو أسر)، ٥٤٠ عيلاميًا. أما أورياو، أحد عمال نجلو نوتوم رئيس السباكين فقد استلم ٥ مينا من الفضة الخالصة و٥.٠٠٠٢٠ أثواب ملكية و١٦ مينا من صوف أغنام الأكل... لـ... ايشاكة لاجش وهو ما يخصه. ولايناناتوم سيزيد (الاباروكو ما يخصه) ألا فليؤخذ الـ.. إلى ننمار "السنة الخامسة" وهاك خطابًا آخر كتب في زمن لوجالاندا(٢):

"بخصوص الـ٦٦٠ نعجة وحملا والـ٢٤ ثورًا وبقرة والـ١٦ جحشًا التي أرسلها "جوبي" له أنه أبلغه إلى ص" تعيد إلى أذهاننا تلك الفترة حين كان يعهد بالرسالة شفويًا إلى رسول إذ أنها موجهة إلى الكاتب الذي سينقل إلى المرسل إليه محتويات المستند ذلك لأن أغلبية السوميرو أكاديين لم يكونوا ملمين بالقراءة، وكان من الضروري أن

---

(1) XLI, p.52.
(2) I,t. XVII, p.95.

يلجئوا إلى خدمات المتعلمين. ولقد طرأ بعض التعديل على هذه الصيغة في عهد أجاده[1] وإن بقيت جارية الاستعمال مهما تكن وظيفة أو صفة المرسل إليه "ما يرسله لوبا الـ"نوباندا" (الرئيس) أبلغه إلى ملكي" وقد اختصرت الصيغة أحيانًا إلى "إلى ملكي ما يرسله انيجلولا" وقد اختفى في عهد ملوك أور الجزء الأول الذي كان يحوى اسم المرسل ولم يبق سوى: "أبلغه إلى فلان".

ولدينا عدد من الخطابات ابتداء من عهد الأسرة الأولى البابلية يشير بعضها إلى شئون الدولة والبعض الآخر إلى أمور خاصة وليس هدف النوع الأول –كما هي الحال بالنسبة للنقوش الرسمية– أن يبقى للأجيال القادمة ولكنه يهدف إلى تصفية منازعات أو إبلاغ أوامر أو تقارير. وهذا النوع أحسن ما يقوم مثالًا لتعريفنا بالعرف المتبع والتقاليد والعادات والأحداث. وهكذا تبين مراسلات حمورابي مع "سن ايدينام" محافظ لارسا كيف كانت السلطة المركزية تعني بإدارة شئون الدولة وتهتم بأقل التفصيلات وتركز في بابل إدارة جميع الشئون. وإننا لنرى أن وحدة الإمبراطورية تحققت في النهاية وأن الملك يشغل نفسه ويهتم باستقرار كل الأنظمة التي وضعها أو عدلها وقد نجح في ذلك. ولقد كانت ثروة المعابد ضخمة وكان للمشرفين عليها نفوذ واسع وكان حمورابي يطلب حسابًا عن إيراداتها ويعني بالترميمات أو إعادة البناء أو زخرفة الهياكل. ولما كان الأمر يتطلب أعمالًا إنشائية كبرى، فإنه كان يهتم بتعيين العمال وتحديد أجورهم وكان البت في بعض الشئون من اختصاص السلطات المحلية فأصبح من اختصاص السلطة المركزية. ولقد كان التقويم من هذه الشئون إذ كانت كل مدينة تحدد إن كانت السنة الحالية بها ١٢ أو ١٣ شهرًا. وقلما كان يتم اتفاق على هذا الأمر بين الأمراء المتجاورين لأن كلا منهم كان يتصرف حسب هواه. إلا أنه منذ ذلك الوقت بدأ العمل بحساب واحد لكل الإمبراطورية وكان الملك بما له من سلطة ملكية يقرر ما إذا كان يجب إضافة شهر إلى السنة الجارية وهكذا نرى حمورابي يخطر "سن ادينام" في واحد من كتبه أنه قد حل احتساب أيلول آخر في تلك السنة.

---

(1) XIX, no. 1058, 1170, 1261.

ولم يكن الملك يكتفي بجمع الأحكام القضائية ووضع التشريعات وإصلاح بعض المساوئ فحسب ولكنه كان يتولى الحكم بنفسه في القضايا الكبرى ويتلقى التظلمات ويوجه قضاة المقاطعات. فقد ضبط حادث رشوة في "دور جور جوري" فأمر بالتحقيق والتحري وأشار بأن يرسل المجرمون إلى بابل ليعاقبهم بنفسه.

"إلى سن ادينام قل: هذا نطق حمورابي! هكذا نطق

شوما ايلو لا ايلو... هكذا يقول: حدثت رشوة في دور جورجوري

أن أولئك الذين سمحوا لأنفسهم بقبول رشى وشهود الحادث

هنا... هكذا قال: إنني أرسل لك شوما ايلو لا ايلو بنفسه..

لتقم بالتحقيق بمجرد وصول هذا الخطاب فإذا كانت هناك رشوة

فلتؤخذ الفضة، أو ما أعطى كرشوة ولتوضع في حرز مختوم

وترسل إلى. أما المرتشون وشهود الحال الذين سيكشف

عنهم شوما ايلو لا ايلو فليرسلوا إلى"[١].

وقد نزعت أرض ايالوبابي منه وقدم صك بسند الملكية إلى الملك فأمر هذا بردها إلى صاحبها[٢]. ولقد شكا أحد أهالي سيبار من أن الحبوب التي أودعها مخزن غلال قد سرقت فاتصل الملك بـ"سن ادينام" لإنهاء هذه المسألة[٣].

"إلى سن ادينام قل: هكذا تلكم حمورابي؟ أخبرني

تومو من نيبور بما يأتي: قال: لقد أودعت ٧٠ جورا

من الشعير في مخزن في "أونابو" وفتح "اويل ايلي" المخزن

وأخذ الشعير... هذا ما أخطرني به. أنني أرسل

---

(1) LXXXIX, No. 11.
(2) Ibid No. 76.
(3) Ibid No. 12.

تمومو بنفسه. استدع "اويل ايلي" واستمع إليهما وليعد

أويل ايلي إلى تمومو شعيره الذي أخذه منه...".

وكان "ايلوشو ايقيش"(١) قد أعار "سن ماجير" ٣٠ جورا من الشعير وأخذ إيصالًا عنها ولكنه ظل مدى ثلاث سنوات يطلب السداد دون جدوى. وقد أطلع الملك على الإيصال فلم يكن هناك من داع لتحقيق الأمر، وحل الملك المشكلة بنفسه فكتب إلى الحاكم يقول: "ليرجع سن ماجير الشعير والفائدة وليعطهما إلى ايلوشو ايقيش".

ولم يكن جباة الضرائب يتعجلون تقديم حساباتهم إذ أنهم كانوا مزارعين يدفعون مبلغًا معينًا إلى الخزانة ويحصلون على مسئوليتهم الضرائب المستحقة في الناحية التي سبق أن تعاقدوا عليها. ولقد اشتهر "شب سن" بتباطؤه في دفع التزامه وقد طالبه الملك ذات مرة بتسديد ما عليه(٢). وفي مرة أخرى اعتذر بصعوبة جمع المال المستحق لمعبد معين(٣) وأخيرًا غضب حمورابي وكتب إلى سن ادينام(٤):

"إنني كنت قد كتبت إليك طالبًا إليك فيما يختص برئيس الجباة شب سن أن ترسله ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم،

١٩ مينا من الفضة واجب عليه سدادها. وكذلك رئيس

الجباة سن موشتال ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم،

٧ مينا من الفضة مستحقة عليه، وأرسلهما إلى بابل...

ولكنك أخبرتني بأن رئيسي الجباة هذين قالا: لقد حل

موسم الحصاد وسنذهب بعد الحصاد. –هذا ما قالاه وأخبرتني

به.. والآن وقد انتهى الحصاد فحالما ترى هذه اللوحة التي أرسلها

---

(1) Ibid No. 24
(2) Ibid No. 16.
(3) Ibid No. 30.
(4) Ibid No. 33

لك أرسل إلى بابل "شب سن" رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور
من السمسم و١٩ مينا من الفضة مستحقة عليه وكذلك
سن موشتال رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم
و٧ مينا من الفضة مستحقة عليه كذلك. وأرسل معهما حارسك
الأمين. وكلفهما بأن يقدما نفسيهما أمامي بكل ما يملكان".

ولقد تعرض موظفون آخرون للوم عنيف واستدعوا كذلك أمام الملك. وهذا ما حدث لـ"اتيل بي مردوك" بسبب ما اعتاده من ربا فاحش[(١)] فلقد طلب ايشاكو خاضع لأوامره أن ينقل إلى خدمة سيد آخر[(٢)]، كما شكا أحد الرعاة من أنه فرض السخرة على رعاة كانوا معفين منها[(٣)] وكانت صيانة القنوات من أهم الأمور ليس لري الأراضي وصرفها فحسب بل لأنها وسيلة للعلاقات التجارية كذلك. وكان أولئك الذين يعيشون على ضفافها يخضعون للسخرة تحت إشراف المحافظين. ولم يكن الملك ليأنف من أن يعطي أوامره باستدعائهم وتكليفهم بتطهير القنوات في فترة يحددها[(٤)]. ولقد تبين له ذات يوم أن تطهير قناة معينة لم يتم فأمر بإتمامه خلال ثلاثة أيام[(٥)]. وكانت قطعان الملك وأراضيه الخاصة موضوع خطابات عديدة. وكان يتلقى عنها تقارير ويرسل ضباطًا من رجاله لمراقبة الرعاة. وكان يستدعي إلى القصر أحيانًا ٤٧ راعيًا في وقت واحد ليستقي منهم الأخبار مباشرة. وكان يهتم بجز الغنم ومحاصيل البلح والبقول وتخزين الأخشاب... الخ.

وقد حدث في خلال حملة ضد ايموتبال (وهو إقليم على حدود عيلام) أن

---

(1) Ibid No. 18, 30, 73.
(2) Ibid No.38.
(3) Ibid No. 3.
(4) Ibid No. 26.
(5) Ibid No. 5.

استولت الجيوش الملكية على آلهات هذه البلاد وحملتها عند عودتها إلى بابل. وطبقا للعقائد الدينية كان يجب أن تعامل هذه الآلهة الأسرى باحترام، وأن توضع في معابد الآلهة البابلية حتى تصبح موالية للغزاة فيسمح لها أن تعود إلى هياكلها توطئة لتسهيل الغزو السلمي للمقاطعة التي تخضع لسلطتها الشرعية. ولقد كتب حمورابي عنها إلى سن ادينام[1]:

"ضع الإلهات حالا على (مركب) مواكب وأرسلها إلى بابل.

ودع العاهرات (داعرات المعابد).

يصحبنها. ولتحمل السفين طعامًا من أجل ولائم الإلهات وكذا شرابًا

وصغار ماشية ومستلزمات ومعدات للعاهرات حتى يصلن إلى بابل.

وليعين من يعملون في جر المركب ولتأت الإلهات إلى بابل دون عائق ولا يتأخرن بل يأتين بسرعة إلى بابل". ولسنا ندري كيف نفذ ما جاء في هذا الخطاب. وهناك كتاب آخر كذلك موجه إلى حاكم لارسا يأمر فيه بإعادة نفس المعبودات إلى معابدها:

"قل لـ"سن ادينام": هكذا يتكلم حمورابي: أن

آلهات "ايموتبال" اللواتي تحت رعايتك سوف تحضرها

جيوش "انوحسامار" لك تحت حراسة قوية وحين تصل

إليك ضم هذه الجيوش إلى جيوشك وأعد هذه الآلهات

إلى هياكلها"[2].

وقد شكا "لالو" إلى ساموايلونا" خليفة حمورابي من حاكم كان يدعي حقوقًا على محصول من متعلقات "ايلكو" واستولى عليه. وكانت اللوحة في القصر. وكان المدعى في

(1) Ibid, No 34.
(2) Ibid, No. 46.

الواقع صاحب حق استثمار عدد ٢ جان من الأرض. فأرسل أمر إلى سن ادينام[١] للتحقيق وأن يلام الحاكم أن كان قد أعطى سلفة على رهن هذه الأرض.

وكان هناك في ذلك الوقت نظام خاص بصيد الأسماك. وكانت كل ناحية تحتفظ لنفسها بحقوق معينة في حدود أراضيها تعويضًا عما يؤدي من أعمال خاصة بصيانة القنوات وتطهيرها. وحين تلقى "سامسوا ايلونا" شكاية أعطى الأمر التالي[٢]:

"إلى سن ادينام... قل لـ"كارميبار" وقضاة سيبار:
هكذا يقول سامسو ايلونا: لقد وصل إلى علمي أن
قوارب الصيادين تنزل إلى نواحي "رابي" و"شامكاني"
تصيد سمكا هناك. لذلك فإنني أرسل ضابطًا من
ضباط "بوابة القصر" وحين يصل إليك استدع قوارب
الصيادين التي تصيد سمنا في نواحي رابي وشامكاني
ولا تسمح مرة أخرى بأن تنزل قوارب الصيادين إلى نواحي
رابي وشامكاني".

ويشهد خطاب لـ"أمي ديتانا" محفوظ في اللوفر[٣] بعادة القيام بطقوس شهرية للموتى:

"قل لـ"شوما ايلوم بن أدين مردوك:
هذا ما يقوله امي ديتانا: لا يوجد اللبن والزبد
اللازمان للتقدمات الشهرية لشهر آب. فبمجرد وصول
لوحتي هذه إليك دع خادمك يأخذ ٣٠ بقرة،

---

(1) Ibid, No 6.
(2) Ibid, No. 80.
(3) XXIV, p. 160.

٦٠ قا من الزبد ويأتي إلى بابل. ودعه يحضر لينا

حتى تنتهي التقدمات الجنازية. ولا تدعه يتأخر بل دعه

يأتي سريعًا"

وهناك خطاب آخر من "سامسو ديتانا"[١] يكشف عن ظروف اضطراب الأمن خلال أخريات عهد الأسرة الأولى:

"بالإشارة إلى ما كتبته إلى قائلًا عن الحبوب التي تنمو في

مقاطعة سيبار– ياروم وأنه ليس من الصواب

أن تترك في الحقول تحت رحمة جند الأعداء... ألا

فليسمح سيدنا بإعطاء الأمر بإرسال تعليمات إلينا

لفتح بوابة شماش ونقل هذه الحبوب إلى المدينة.

هذا ما كتبته لي... وبمجرد جمع الحبوب من كل الأراضي

فلتفتح حالًا بوابة شماش وحتى يتم إدخال الحبوب

هناك فلتستمر جلسات القضاة منعقدة ولا تدعهم يهملون

حراسة البوابة".

أما الخطابات الشخصية التي تعالج شئونًا خاصة فهي غامضة، لأننا لا نعرف شيئًا عما وراء نصوص اللوحة نفسها. ونصها في أغلب الأحيان مقتضب جدًا ومحشو بالإشارة إلى أمور يعرفها المرسل إليه ونجهلها نحن.

فهناك فلاح أغار العدو على ماشيته يسأل مولاه أن يزوده ببقرة وهو يرسل له خمسة شواقل من الفضة ويعد بدفع باقي الثمن حين يتسلم البقرة.

"إلى سيدي قل –هكذا يقول "ايجاتوم" خادمك"

(1) Ibid, p. 161.

كما علمت يا سيدي استولى العدو على ماشيتي.

إنني لم أكتب إليك من قبل والآن أطلب تحرير

خطاب إليك يا سيدي. أرسل لي يا سيدي بقرة

صغيرة وسأزن وأرسل لك خمسة شواقل يا سيدي!

أرسل البقرة الصغيرة مع أخي ايلي ايقيشام ولكي

يوافق مولاي بدون تأخير ويرسل لي البقرة الصغيرة

فإنني سأزن في الحال وأرسل لك ١٥ شاقلًا من الفضة يا سيدي".

وكان اريب سن، ابني نابو شريكين في عمل من الأعمال. وطلب الأول من الأخير أن يدفع ١٤ شاقلًا إلى المدعو "شماش بل ايلاني" وأجابه الأخير بأن يأخذها من مبلغ الـ٣/٢ مينا من الفضة السابق تسليمها إلى المدعو "واراد ايليشو"[(١)].

"أما فيما يختص بـ" واراد ايليشو" ابن "ابني ديبارا

فأنني سلمته ٣/٢ مينا من الفضة واعترف بذلك كتابة

بحضور شهودي. وقد ذهب إلى آشور ولم يدفع المال

إلى "شماياتو" وقد تقابل "شماياتو" معي في داجانا

وتناقشنا في هذا الموضوع وقلت له: "لقد أرسلت لك

النقود مع واراد ايليشو" فأجاب قائلًا: "أن كان واراد ايليشو قد دفع النقود بالإبل..."

أما فيما يختص بما كتبته عن الـ١٤ شاقلًا الخاصة

"بشماش بل ايلاني" فإنني لم أدفع له النقود. اقبض

---

(1) XCV, p.334.

على واراد ايليشو وألزمه بأن يزن الفضة بفائدة أكثر
أو أقل وخذ من هذا المبلغ ١٤ شاقلًا وأرسل لي الباقي".
وهناك رجل ألقى في السجن منذ خمسة شهور يشكو تعاسته
ويلتمس من مولاه بأن تيسر له سبل العيش(١):
"أرسل لي نصف مينا من الفضة أو ٢ مينا من الصوف
لاستعمالها لي ألا لا يرجع ما رابوللي فارغ اليدين.
إن رجع خاوي الوفاض فإن الكلاب ستنهشني
أنه لم يلق بي في السجن من أجل سطو أو اقتحام منازل.
أنت تعلم يا مولاي كما يعلم كل أهل سيبار وبابل
لقد أرسلتني يا مولاي عبر النهر بزيت فهاجمني السوتيون
وسجنت... لتقل كلمة في مصلحتي لاخصاء "اباراكو" الملك
أرسل لي شيئًا حتى لا أموت في بيت البؤس. أرسل لي
"قا" من الزيت و٥ قا من الملح. أن ما سبق أن
أرسلته إلى لم يسلم إلي".

وقد وصلتنا عن طريق الحفائر في نيبور خطابات موجهة إلى الملوك الكاسيين ومراسلات بين الموظفين في القرنين الخامس عشر. والرابع عشر وهناك مذكرة بغير إمضاء تبين أن طريقة مسك حسابات المعابد والضياع الواسعة ظلت معقدة كما كانت منذ البدء(٢).

"هكذا يقول أبوك: أعط وجهك –كن عطوفًا وأرسل

(1) Ibid, p. 331.
(2) XXV, t, XVII, 76.

بأسرع ما يمكن التقرير إلى "رئيس الشعير" حتى أستطيع

أن أرسل تقريرًا من عندي...".

وكان الأمر يتصل بحسابات أمراء أو صوامع مختلفة في عهدة نفس الموظف وكان على كل حارس أن يقدم قائمة بالسلع حتى يستطاع عمل القائمة الإجمالية التي ترسل إلى السلطة الرئيسية. وقد بدأت تظهر إذ ذاك اصطلاحات "أب" و"أم" بمعنى "رئيس" واصطلاح "أخ" بمعنى زميل أو صديق أو ند: تلك الاصطلاحات التي انتشر استخدامها في الرسائل الكتابية في عهد الدولة الحديثة.

وهناك آخر يشكو من خطأ: أنه كان قد طلب بعض الأواني وأرسل له تبن بدلًا منها(1)، كما نرى السيدة "أنبي ايري" تكتب إلى رئيس حراس المخازن لمعبد نيبور وتأمره أن يسلم كمية معينة من الشعير:

"إلى اينايي قل: هكذا تقول انبي ايري:

أعط ادين زجال ٣ جور من الشعير.

لا تعاملني معاملة لا تنطوي على روح المودة ولكن

–كما قلت له– دعه يأخذ ويحضر هذا الشعير.

أما فيما يختص بضمانة الناس فأرسلها إلى سن ايساهارا

وأرسل إلى "ديني" ابنة "ابيا" ٤ جور من الشعير".

وكان الملك غالبًا ما يحكم في القضايا بنفسه كما كانت الحال خلال عهد الأسرة الأولى:

قل إلى اديل مردوك: هكذا قال الملك:

هكذا يقول إلى اديل مردوك: أن "ابريش نادين شوم"

(1) Ibid. 76.

ابن "اباناي" الذي افترى على هانيبي ودامجو بن...

الذي افترى على سن... أحضره أمامي"[١].

وكان اديل مردوك هذا رئيس شرطة نيبور أيام حكم "شاجاراكتي شورياش" (حوالي ١٢٧٠ق.م.) ويبدأ المجوروم تقريرًا مقدمًا إلى الملك "بورنا بورياش" عن الشئون التي تحت رعايته على الصورة التالية:

"خادمك المجوروم. ألا أستطيع أن أحضر أمام سيدي؟

تحيات إلى ببت مولاي!".

ثم يصف حالة العمل في مختلف المباني الجاري بناؤها بعضها من اللبن والبعض الآخر من الآجر ثم يشير إلى عدم وصول الصوف من "بعل أوساعتوم" ويبين كيفية توزيع الصوف الذي تسلمه ويلتمس من الملك أن يرسل بعض الصوف ما دام لا يستطيع الحصول على شيء منه في دور كوريجا لزو ويقرر أنه "لا يجد لذة في هذه الوظيفة" ثم ينهى خطابه بأن يطلب الإفراج عن النساجين المسجونين في بان بالي. وكان قد تحدث إلى الملك من قبل وكتب إليه ثلاث مرات في هذا الشأن دون أن يتلقى جوابًا.

وهناك شخص آخر يدعي "كالبو"[٢] يصف نفسه بأنه متواضع كالتراب وخادم محب لمولاه ويبدأ خطابه بهذه المجاملة:

"إلى مولاي الرائع في بهائه ذي الأصل السماوي القوي"

الجبار، العاقل، ضوء أخوانه الذي يضيء مثل الفجر

هادي السادة الجبابرة والمرعبين، قوت الشعب،

مائدة النبلاء، بطل عشيرته، ذلك الذي منحه أنو

---

(1) Ibid, 45.
(2) Ibid, p.24.

وانليل وايا وبعليت ايلي إقطاع النعمة والعدل...

إلى مولاي أقول: هكذا يتكلم كالبو التراب والخادم الذي يحبك".

كان هذا المتملق حاكمًا على "مانوجير رمان" واجتيحت مقاطعته. اجتاحها "أمطار السماء وأمواج الهاوية".. حطم الفيضان البوابات وقضى على قطيع من النعاج عمرها عامان ولم يبق شيء لغذاء السكان. وبعد أن يعرض بعض الشئون الأخرى نراه ينهي خطابه ملتمسًا ردًا عاجلًا.

ومن العصر نفسه فإن المجموعة التي لا تقدر من خطابات تل العمارنة تلقى ضوءًا قويًا على سياسة الإمبراطوريات الشرقية وسياسة مصر في كنعان وفي عمورو وهي أقطار كان يطمح فيها دائمًا جيرانها الأقوياء ليس لأنها كانت أقطارًا غنية فحسب بل ولأنها أيضًا كانت الطريق التجاري الوحيد الذي يهبط من بلاد بابل وأشور ومن المملكة الحيثية نحو إمبراطورية الفراعنة. وليس خطاب "خاتوسيل" ملك الحيثيين إلى "كاداشام–اليل" ملك بابل[1] بأقل قدرًا أو أهمية في المعلومات التي يقدمها لنا عن العلاقات بين البلدين.

ويحمل خطاب بابلي من القرن السابع –كتبه ملك أشوري– أمرًا بالبحث عن وثائق قديمة كان يحتاج لنسخ منها لمكتبته. وهو يعطي لمحة واضحة عن الطرق التي كان يتبعها أشور بانيبال في تكوين مجموعة كبيرة من النصوص في قصره في نينوي:

"أوامر الملك إلى شادونو... أنا بخير... ليسعد قلبك

في اليوم الذي تقرأ فيه لوحتي، خذ "شوما" بن "شوموكين"

وأخاه "بعل اتير" و"ابلا" بن "اركات ايلاني" وصناع

بورسينا الذين تعرفهم... خذهم في خدمتك وابحث عن

كل اللوحات التي في منازلهم وكل اللوحات المودعة في "أزيدا" ولوحات

(١) قارن ما ذكر قبلا في صفحة ٥٦.

تمائم.. الملك والأنهار والحرائق.. وشهر نيسان والـ... الأنهار

وشهر تشريت ومنزل الرش والـ...الأنهار وإحصاء الأيام

وأربع تمائم وسادة سرير الملك و... الملك

وسلاح "ارو" لوسادة سرير الملك ورقية "ايا ومردوك الحكمة التي

يباشرانها واجتماع..." وقصص المعركة وكل ما هو كائن مع

اللوحات الكبيرة مما هو هناك، (والمجموعة): "لا تدع (السوء)

"آس مي جي" يقرب الرجل.

الذاهب إلى الحقول (أو) الداخل إلى القصر". وابحث عن النصوص الخاصة.

بالطقوس ورفع الأيدي والنقوش على الحجر وكل ما يفيد جلالتي و(مجموعة) تطهير

المدينة..كلها وكل ما في القصر خاصًا "بالكروب والحاجة الملحة، وكل اللوحات

الثمينة في منازلكم (الخاصة) غير الموجودة في آشور... ابحث

(عنها) جميعا وأرسلها إلى. ولقد كتبت فورًا إلى الوكيل والضابط

وضعها في مخزنك. لا تدع

أحدًا يرفض إعطاء لوحة لك. وإذا وجدت لوحة أو نصوص خاصة بالطقوس لم أكتب لك عنها

وترى أنت أنها ذات نفع لقصري فخذها وأرسلها إلى"[١].

٤- المقاييس والموازين

هناك تمثالان من بين تماثيل جوديا المحفوظة في اللوفر يرى فيهما الايشاكو جالسًا

---

(1) LVIII, p.19.

وهو يمسك على ركبتيه لوحة تستقر فوقها مسطرة مدرجة: لعلها المقياس الوحيد لدينا لتقدير الأطوال في الألف الثالثة. وأحد النموذجين كامل ويبعد أقصى خدشين فيه عن بعضهما بمسافة ٢٦.٤٥ سنتيمترا وأحد المقاسين مقسم إلى ١٦ جزءًا متساويًا أربعة منها مقسمة إلى جزأين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أجزاء. أما الآخر فمقسم كذلك إلى ١٦ قسمًا متساويًا من بينها اثنان مقسمان إلى ١٢ و١٨ جزءًا. والتماثيل أصغر قليلًا من الحجم الطبيعي ولسنا ندري على وجه التحقيق أتمثل المسطرة مقياسًا حقيقيًا أم هي مصغرة وتمثل مقياسًا للرسم فقط[1] وهناك دلالات أخرى أهمها أحجام طوب البناء مما يسمح لنا باعتبار الأقسام كأنما يساوي كل منها كسرًا من وحدة الطول المعمول بها في هذا العصر. وهذا الكسر الجزئي لا يمكن أن يكون سوى الأصبع وهو ١/٠ من "المقياس" أو الذراع المستعمل في لجش منذ عصر ما قبل السرجونية. والذراع يساوي على وجه التقريب ٤٩.٥ سنتيمتر[2].

أما كسور الذراع ذي الـ٣٠ أصبعا فهي "المقياس" أو القدم ذر العشرين أصبعا و"اليد المفتوحة" ذات الخمس عشرة أصبعا و"يد البناء" ذات عشر الأصابع وأخيرًا الأصبع. ومضاعفاته هي: "القصبة" وتعادل ست أذرع و"الشاخص" ويعادل ١٢ ذراعًا و"التسوبان" ويعادل ٦٠ ذراعًا وشريط المساح ويعادل ١٢٠ ذراعًا.

والجدول التالي يبين قيم هذه المقاييس بالنظام المتري:

الأصبع= ٠.٠١٦٥ مترًا.

يد البناء= ١٠ أصابع= ٠.١٦٥ مترًا.

اليد المفتوحة= ١٥ أصبعًا= ٠.٢٤٧٥ مترًا.

القدم= ٢٠ أصبعًا= ٠.٣٣٠ مترًا.

الذراع= ٣٠ أصبعًا= ٠.٤٩٥ مترًا.

(1) LXX, p.15.
(2) V. t, XVIII. No 3.

القصبة= ٦ أذرع= ٢.٩٧ مترًا.

الشاخص= ١٢ ذراعًا= ٥.٩٤ مترًا.

نصف الشريط= ٦٠ ذراعًا= ٢٩.٧٠ مترًا.

شريط المساح= ١٢٠ ذراعًا= ٥٩.٤٠ مترًا.

الفرسفخ= ١٨٠ شريطًا= -١٠٦٩٢ مترًا.

ومنذ الأسرة الثالثة البابلية نجد مقياسًا ثالثًا أو ذراعًا طوله ٤٥ أصبعًا وكان يسمى "بالمقياس الطواف" أو الذراع الكبير ويعادل ٣/٤ متر تقريبًا[١] ولقد أمكن تحقيق هذه التحديدات بمقارنة مقاييس سيجورات بابل التي تقدمها لنا لوحة من عصر السلوقيين مع المقاييس الصحيحة التي عملت لإطلال هذا الأثر حين الكشف عنه.

وكانت وحدة المساحة في الألف الثالثة هي الـ"سار" (ربع الفدان) وهو مربع طول ضلعه شاخص وأجزاؤه ١/٦٠ و"القمحة" التي تعادل ١/٣ الـ١/٦٠. وأما مضاعفاته فهي: الـ"جان" أو الحقل ١و الـ١٠٠ سار ثم الـ"بور" ذو ١٨ جان وتحقيق هذه المساحات بما يقابلها من مقاييسنا الحديثة هو:

القمحة= ٠.١٩٦ سنتيمترًا مربعًا.

= ٠.٥٨٨ سنتيمترًا مربعًا.

ربع الفدان= ٣٥.٢٨٣٦ سنتيمترًا مربعًا.

الفدان= ٣٥.٣٨٣٦ آر

البور= ٦.٣٥١٠٤٨ هكتارًا.

وقد ظهر مع الكاسيين مقياس مساحي جديد يرتبط بمقياس الجديد. وكما أن هناك ذراعًا كبيرًا يرتبط بالخطوة المعادلة لـ٧٥سم وهو ٣/٤ الذراع المعتاد، فإننا نجد الأمر

---

(1) It. XV, p.59.

كذلك بالنسبة للأراضي التي تمسح بـ"الحان الذي يقاس بالذراع الكبير" وهذا الجان أو الحقل الذي ظل ثابتًا موافقًا مع لجان القديم حتى سقوط بابل كان مقياسه ٧٩.٣٨٨١ آر ونسبته إلى الجان الآخر كنسبة ٩: ٤، أما وحدة مقاس الأحجام فكانت ١١/١ من الذراع المكعب وتعادل ١٧.٤٦٥ مترًا مكعبًا وأجزاؤها الـ"جن" أو الـ١/٦٠[1].

والحدة الأساسية لقياس المكاييل كانت الـ"قا" ويعادل ١/١٤٤ من الذراع المكعب أو حوالي ٨.٤٢ ديسيلترز وكان هناك تقسيم لمكاييل السوائل فالـ"جن" أو الـ١/٦٠ الذي يذكر كثيرًا في لجشن في عصر أور في تعيين كميات الزيت التي تعطي لمناسبة مآدب الموظفين المرحلين إلى جانب مكيال آخر هو الـ"أجام" الذي يظهر أنه كان يساوي ٥ جن أو ١/١٢ قا. أما مضاعفاته فـ"الوعاء الصغير" سعة ٥ قا والـ"نجن" سعة الـ ١٠ قا والـ"دج" أو الوعاء سعة ٢٠ قا في عصر ما قبل السرجونية– وكان الوعاء يعادل ٣٠ قا في عصر أسرة أجاده– ثم الـ"سادوج" أو "الجرة" سعة ٣٠ قا، ثم الجرة المزدوجة ثم الـ"أدابا" سعة ٣٠٠ قا.

وقد عرفت المكاييل للمواد الجافة سعة ٦، ٣٦، ٧٢، ١٤٤ قا في عصر لوجالاندا واوروكاجينا. والمكيال الأخير يسمى الـ"جور سجال" وكان له كذلك مضاعف يعادل حجمه ٣٦٠٠ مرة. وقد ظل مستعملًا حتى عصر أور ولكن كان هناك في نفس الوقت مكيال آخر هو الـ"جور" سعة الـ٣٠٠ قا (٢٥٢.٦ لترًا) الذي سمي فيما بعد جور أجاده أو الجور الملكي. وقد ظل استعماله قائمًا حتى عصر الأسرة الثالثة حين حل محله الجور سعة ١٨٠ قا (حوالي ١٥١.٥٦ لترًا).

أما وحدة الوزن فكانت الـ"مينا" وزنتها ١٤٠/٠ من الذراع المكعب من الماء وليس من الـ"قا" التي كانت ١/١٠٤. وكانت المينا مقسمة إلى ٦ شاقلًا وكانت كل ٦٠ مينا تعادل "وزنة". وهناك عدد من الأوزان البابلية والأشورية والعيلامية استطعنا عن طريقها أن نحدد وزنة المينا بحوالي ٥٠٥ جرامات. وكانت المينا مقسمة في الألف

---

(1) I t, VI, p.75.

الثالثة إلى ٦٠ شاقلًا والشاقل إلى ١٨٠ قمحة. وكانت كل ٣ قمحات تعادل شاقلًا صغيرًا وكل ٦٠ تعادل "مينيت" وكل ٩٠ نصف شاقل وكل ١٢٠ ميتيت مزدوجة وهذا هو الجدول:

القمحة	٠.٠٤٦	جرامًا
الشاقل الصغير	٠.١٤٠	جرامًا
المينيت	٢.٨٠٥	جرامًا
نصف الشاقل	٤.٢٠٨	جرامًا
المينيت المزدوجة	٥.٦١١	جرامًا
الشاقل	٨.٤١٦	جرامًا
المينا	٥٠٥.–	جرامًا
الوزنة	٣٠.٥٠٥	كيلو جرامًا

وكان الشاقل يقسم في العهد البابلي الجديد إلى ٣/٢، ١/٢، ١/٣، ١/٤، ١/٥، ١/٦، ١/٨، ١/١٠، ١/١٢، ١/٢٤. وكان اسم الأخير هو ال"أوبول" ويعادل ٣٥ سنتيجرام. وكان السوميرو أكاديون يقسمون محيط الدائرة إلى ٣٦٠ درجة بكل منها ٦٠ دقيقة وقد ظل هذا التقسيم قائمًا رغم عدم تكافؤه مع النظام المتري. ويظهر أنه لم تكن به قابلية للتقسيم إلى درجات (Grades) لسنين كثيرة بعد ذلك.

كيف توصل السوميريون القدماء إلى اختراع الطريقة الستينية للعد. إن أسماء الأعداد نفسها تقدم لنا الإجابة: فهم من أول الأمر لاحظوا الأصابع الخمس لليد وبدءوا في العدد: آش (١)، من (٢)، اش (٣)، لمو (٤)، أي اويا (٥) ولما كان العدد ٥ غير كاف كما هو واضح فإنهم زادوا في الترقيم بالإضافة إلى الأربعة الأولى وهذا يعطينا آش (ياش) (٦)، ايمين (اي– مين= ٧)، أوشو (اي– اش= ٨). الملو (اي– لمو= ٩). ولمجموعتي الخمسة اخترعوا اسما جديدًا جعلوه وحدة جديدة أعلى هي

العشرة "أو" (١٠) وضعفها ٢٠ المسماة نش (٢٠). ومن هاتين التسميتين لعشرات صنعوا مركبات تعني أربعة أمثال هي: أوشو (أوش أو ثلاث عشرات= ٣٠)، نيمين (نيش مين= عشرينين= ٤٠)، نينو (أو= عشرينين+ عشرة= ٥٠) أما الستون فجعلوا لها اسمًا جديدًا هو "جش".

وكان أعلى الآحاد المربع والمكعب والقوة الرابعة لـ٦٠. وكانت ستون مربعًا تسمى سار (٣٦٠٠) وكانت القوة الرابعة (١٢٩٦٠٠٠٠) تسمى "بالسار العظيم" أو "السار العظيم الذي لا تدركه الحواس".

وكانت الأرقام تطبع أولًا على اللوحات بواسطة قلمين مستديرين في القاعدة لكل منهما قطاع نصف قطري يختلف عن الآخر. وبضغط الدائرة الصغرى بانحراف على الطين نستطيع الوصول إلى ما يشبه نصف دائرة ممدودة تمثل الوحدة. وكان اثنان أو ثلاثة تصنع عن طريق تكرار هذه الوحدة على نفس الخط. ثم -ابتداء من ٤- كانت ترتب الأرقام في صفين لتسهيل عملية القراءة وحين الوصول إلى ٩ كانوا يفضلون كتابة (١٠- ١) وكانت علامة الناقص يشار إليها بزاوية قائمة متجهة نحو العدد المطروح منه وكانت هذه العلامة كثيرة الاستعمال بقصد تجنب الخطأ ولتسهيل الكتابة: ولذا فإننا نجد أن رقم ٧ يكتب "١٠- ٣" ونجد مبلغ ٥٦ شاقلًا من الفضة يكتب "٣ مينا- ٤ شاقل".

أما العدد للعشرات فكانوا يصلون إليه بنفس القلم حين يمسك عموديًا وليس مائلًا حتى يترك دائرة تامة. وأما العشرات بعد ٣ فكانت ترتب في صفين كالآحاد.

وكانت أعلى وحدة وهي الستون تختلف عن العدد ١ بحجمها الأكبر وكانت تصنع بواسطة قلم كبير يستعمل مائلًا. أما علامة عشرة ستينات فتعمل على شكل نصف دائرة تمثل ٦٠ مع الدائرة الصغيرة التي تمثل ١٠ منقوشة بداخلها أو متقاطعة مع حافتها وكان السار (الستون المربعة) يرسم بالقلم الكبير ويكون دائرة كاملة. ولتبيان عشرة من السار (٣٦٠٠٠) كانت تطبع الدائرة الصغيرة في وسط الدائرة الكبيرة

وكانت ترسم ٤ خطوط صغيرة على شكل× مقاطعة للشكل المذكور وذلك لتشير إلى مكعب الـ٦٠.

وقد اخترعت منذ زمن بعيد علامات الكسور وكانت علامة الوحدة داخل ٩٠ درجة إلى اليمين تقسم بواسطة خط صغير لتشير إلى كسر الـ٢/١ أو تصحب بزاوية لتمثل الـ٣/١ أما الكسور أكبر من ٢/١ فقد استخدمت لها بعض اصطلاحات، فـ"ايجي- ٣ جال"= ٣/١، "ايجي- ٤- جال"= ٤/١، "ايجي- ٥- جال"= ٥/١ وهكذا.

ولبيان المساحات كان الـ"جان" أو الفدان يمثل بوحدة وأما ٦ جان وتعادل ٦٠٠ سار فتمثل بالعدد ٦٠٠ والبور من ١٨ جان برقم ١٠ وأما ١٠ بور فبنفس العدد تقطعه ٤ خطوط على شكل× وكانت ٦٠ بور تبين على شكل دائرة كبيرة وأما ٦٠٠ بور فدائرة صغيرة داخل أخرى أكبر منها وأما ٣٦٠٠ بور فبنفس الشكل تقطعه علامة× المكونة من أربعة خطوط صغيرة.

ومع الجور كمكيال استعملت الأعداد العادية للحساب وهي ١، ١٠، ٦٠، ٦٠٠ وكانت الوحدة الراقدة على الجانب الأيمن تشير إلى الجور. وقد تكرر إلى أربع مرات وكان نفس العدد إذا قطعته خطوط ما بين واحد وخمسة يمثل من ٠٠/٠ إلى ٥٠/٠ من الجور على التوالي.

ومنذ عصر لوجالاندا لا نجد الكاتب يستعمل دائمًا القلم بالقطاع الدائري لكتابة الأرقام وكان يستعمل أحيانًا القلم المثلث الذي كانت ترسم به العلامات الأخرى وحينئذ كان يستطيع عمل مسامير مائلة بدلًا من الدوائر ومسامير قائمة بدلًا من أنصاف الدوائر.

وقد ظلت الطريقتان تستعملان جنبًا إلى جنب حتى عصر ملوك أور حين اختفت الطريقة الدائرية ولم تبق سوى الطريقة المسمارية. وفي النصوص التي تستعمل فيها الطريقتان معا نجد أن ذلك لم يكن في أغلب الظن يرجع إلى الصدفة أو إلى مزاج

الكاتب "لقد كانت الواحدة من الاثنتين تستعمل عادة لهذا النوع أو ذاك من الحساب ولكنها تستبدل بالأخرى حين يراد إحداث تمييز من شأنه أن يساعد على وضوح النص كما نستعمل نحن الحروف الكبيرة لنفس الغرض"(١).

ويظهر أن مسح الأراضي كان نظامًا وطيد الأركان قبل أن تصبح مصائر لاجش في يد لوجالاندا وأوركاجينا بزمن طويل، ذلك لأن القوم هناك كانوا يرسمون تخطيطات ذات أرقام وكانوا يستطيعون أن يحسبوا مساحة الأراضي مهما بلغ من عدم انتظام شكلها وكانت للسوميريين صيغة لإيجاد مساحة المثلث والمنحرف والأشكال ذات الجوانب الأربعة غير المنتظمة وكانوا يقومون برسم صورة مساعدة تقاس بسهولة ثم تضاف إليها مساحة ما يقع خارجها لحساب الشكل ذي الزوايا والأضلاع الكثيرة العدد.

كانت القصة ذات ست الأذرع هي الوحدة الطولية للمساح وطولها ٢.٩٧ مترًا وكانوا يتجاهلون عند قياس الحقول كل طول يقل عن القصبة كما كانت تحذف كذلك كل مساحة تقل عن ١/٤ جان وكان الخطأ الناتج لا يتجاوز (٤.٥٠) آر. وفي حالة الأراضي المستعملة كحدائق، فإن وحدة المساحة كانت السار وهو ١/١٠٠ من الجان وذلك لارتفاع قيمتها وصغر حجمها وكانوا يتجاهلون الكسور الأقل من ١/٢ سار وكان تجاوز الخطأ في حدود ٩ سنتيمتر وأما في أرض المباني فإن القصبة لم تكن تصلح لذلك الأمر فاستعاضوا عنها بالذراع وكانت المساحة تعد صحيحة إلى ٠/٦٠ من السار أو ما يعادل ٥٨ ديسيمتر مربع.

وقد خلف لنا مانشتوسو ملك أجاده ما ينبئ عن شرائه لضياع واسعة سجل أمرها على مسلة ولعل أكبرها جميعا كانت تحتوي على ٣٨٣٤ جان أو أكثر بقليل من ١٣٥٢ هكتارًا وكانت الحدود تذكر أحيانًا وأن كان يغفل أمرها في غالب الأمر. وليست هناك تفصيلات عن تحديد المساحات بل اقتصر على ذكر أن هدايا أعطيت

(1) I, t. XII, p.121.

للمساحين[١].

وقد كشف حفائر تللو عن عدد كبير من مستندات المساحة من عصر أجاده إلى عصر أور[٢] وبعضها يقدم بالتفصيل حساب الوصول إلى مساحة الحقول: من طول جوانب للمسطح الإضافي والأجزاء لتي تضاف أو تخصم والمساحة الحقيقية للأرض التي تقاس. وفي بعض التصميمات الأخرى يوجد منها ما هو خاص بالمنازل والمدن والأراضي المقسمة إلى قطع والأراضي التي تخترقها قنوات ولم تعد وحدة القياس هي القصبة ذات ست الأذرع بين الشاخص ذو الـ١٢ ذراعًا الذي كان مربعه يعادل السار تمامًا (٣٠.٢٨ سنتيير) وهو ١/١٠٠ من الجان وهكذا نجد على لوحة واحدة من أجاده[٣] قطعتين من الأرض بالتحديد التالي:

٢٠ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ٢ بور ١٧ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ١ بور ٢/٣، ١/٢ جان.

ذلك لأن ٢٠× ١٨٠= ٣٦٠٠= ٦٠ ٢ ومن الناحية الأخرى من المعادلة ٢ بور= ٣٦٠٠ سار فوحدة الطول هي على ذلك جانب السار أي الشاخص أما بالنسبة للقطعة الثانية فإن مساحة ما هو أقل من ١/٤ الجان كان يهمل كما هي الحال في عصر ما قبل السرجونية. وما دام حاصل ضرب ١٧ شاخصًا× ١٨٠ شاخصًا يعادل ٣٠٦٠ شاخصًا مربعًا أو سار فإن هذا يعني ٣/١٢ بور ونصف جان و١٠ سار.

ولم يتخلوا عن استعمال السطوح ذات الجوانب في عصر حمورابي[٤] وكانت أرض البناء تقاس مضبوطة إلى ٠/١٤٠ من السار أو ٠.١٤٧ مترًا.

وقد أدخل الملوك الكاسيون تجديدات على مقاييس الأراضي أو بمعني أدق على

(1) XVIII, t. II.
(2) LXXV, p1. 63 a 68 et 150.
(3) XIX, No 2923.
(4) LXXI et XLVI.

صيغ العقود. وبينما نرى "مانشتوسو" يشتري قطعة من الأرض مساحتها عدد معين من الجان قيمتها في أول الأمر مقدرة بالشعير ثم محولة إلى نقود، نجد أن "كاشتلياشو"، "نازيما ردنا شى" والأمراء الآخرون من أسرتهم لديهم أملاك يتبادلونها حسب اتساعها بـ"أجوار" من الشعير وكان الجور منها يساوي ٣٠ قا للذراع الكبير. ومن الواضح أن هذه الكمية الصغيرة من الحبوب تمثل من الناحية التقليدية البذور المستعملة.

وقد ظلت هذه الطريقة الجديدة في تقدير الأراضي قائمة حتى نهاية عهد الإمبراطورية البابلية الجديدة رغم اختلاف النسب.

ولقد أدخل الكاسيون كذلك طريقة جديدة لحساب ما لديهم من طوب. وكان المتبع منذ عصر أجاده أن تقاس جوانب الكومة ويسجل الكاتب ارتفاعها وطولها وعرضها. وبدأ منذ الأسرة الثالثة الإحصاء بالوحدات وظلت هذه هي القاعدة خلال حكم نابونيد وارتكز رمسيس الأول.

٥- النقود

لم يعرف البابليون النقود حتى الاحتلال الفارسي وكان الشعير في العصور القديمة واسطة التعامل وأضيفت إليه قبل الألف الثالثة سبائك من النحاس والفضة ومن ثم كان الشعير والفضة معيارين تحدد بهما قيمة كل شيء.

وكانت العلاقة بينهما تختلف وعلى ذلك كانت التقاليد والعادات تفرض عمل الحساب في بعض الظروف بأحد المعيارين لأيهما وهكذا نرى أن أجوز الموظفين الملكيين في عصر حمورابي شأنها في ذلك شأن الأجور الزراعية كانت تحسب شعيرًا وأن الصناع والقلافين ضاربي الطوب والبنائين والنجارين كانت تدفع أجورهم فضة شأنهم في ذلك شأن المعماريين والأطباء.

ولعل من الطريف أن نتابع التغييرات التي طرأت على قيمة المواد الرئيسية للمعاملة التجارية من البدء حتى نهاية الإمبراطورية ولكن ما لدينا من معلومات غير كاف ولا يسمح لنا بالقيام بإحصاء في هذا الشأن. ولدينا "سن جاشيد" ملك أوروك الذي تمنى

أن يمتد حكمه سنين عديدة مليئة بالخيرات[1] وأن يكون في الاستطاعة الحصول على ٣ جور من الشعير و١٢ مينا من الصوف و١٠ مينا من النحاس، ٣٠ قا من الزيت مقابل شاقل شاقل من الفضة ومعنى هذا أنه يتمنى أن تبلغ قيمة الفضة ٦٠٠ مرة وزنها من النحاس أو ٧٢٠ مرة وزنها من الصوف. والواقع أن الأثمان كانت مرتفعة عن ذلك فمثلا نرى أن الصوف كان يبلغ ضعف الثمن المذكور والزيت ثلاثة أمثاله في عصر "اميد يتانا" و"أميزادوجا". وكان سعر الشعير غير ثابت خلال السنة فكان ثمنه يتضاعف أحيانًا وكان يساوي في الشهر الرابع خلال حكم أميزادوجا ١٢/٣ شاقل للجور بينما يرتفع في نهاية العام –قبل الحصاد بقليل– إلى أكثر من ٣ شواقل.

وقد قدرت قيمة الذهب في بعض النصوص من مختلف العصور: فكان يساوي ثمانية أمثال وزنه من الفضة في عصر أجاده ووصل إلى نسبة ١٠: ١ في السنة الثامنة (٨) من حكم بورسن ثم هبط إلى (٧) في زمن "جميل سن" و٦: ١ في السنة الخامسة والثلاثين لحمورابي ثم ارتفع مرة أخرى إلى ١٢: ١ في السنة الحادية عشرة من حكم نابونيد.

٦- التقويم (النتيجة)

بعد اليوم الذي فرضته الطبيعة على البشر كان أول مقياس للزمن اعتمده السوميرو اكاديون هو الشهر القمري. وقد نظموا بدأه بظهور الهلال في السماء وكان يستمر حتى ظهوره مرة ثانية. وما زالت هذه الطريقة التجريبية مستعملة في البلاد الإسلامية لتحديد نهاية رمضان شهر الصوم. ولقد كان الأمر كذلك عند اليهود فكانوا حتى عام ٣٦٠ الميلادي حين أنشئت نتيجتهم الحالية يحددون بهذه الطريقة بدء نيسان شهر عيد الفصح. وكان ظهور القمر الجديد والبدر واختفاء الهلال موضعًا لاحتفالات دينية: وفي الحالتين الأوليين كانت تقدم التضحيات في القصر. أما يوم اختفاء القمر فكان يعتبر يوم حزن وكآبة.

(1) LXXVI, p.315.

وسرعان ما رئي أن من الضروري أن تدخل في حسابهم فترات أطول فقامت محاولات لإيجاد عدد ثابت من الشهور تتفق ودورة الفصول ولكن ليس هناك مقياس مشترك بين وجوه القمر والسنة الشمسية وكان لابد لتحديد سنة مدنية يعترف بها في كل مكان انتظار تركيز السلطة في يد واحدة.

وكانت أسماء الشهور في عصر ما قبل السرجونية تختلف من مدينة إلى مدينة ويبلغ عدد هذه الأسماء في لجش وحدها خمسة وعشرين اسمًا على الأقل وقد أدخل أحد الإصلاحات في أيام ملوك أجاده أو غيرت بعض الأسماء على الأقل. ولم ينجح ملوك أور في فرض قائمة واحدة لهذه الأسماء في كل أنحاء إمبراطوريتهم إذ أن كل مدينة كانت لا تزال لديها طريقتها الخاصة للحساب والعد وليس هذا فحسب بل أن بدء السنة كذلك كان مختلفًا وكان اعتراض بعض الشهور الإضافية في نظام مخالف دون قاعدة معينة مما سبب ارتباكًا جديدًا في التقاويم فهل لنا أن نعجب لهذه الحالة منذ أربعة آلاف سنة في الوقت الذي نرى فيه الناس في أوروبا اليوم في القسطنطينية من غربيين ويونان وأرمن ومسلمين ويهود لا يزالون يستعملون تقاويم متباينة في مدينة واحدة؟

وقد كان تحديد السنين التي يبلغ عدد الشهور فيها ١٣ بدلًا من ١٢ يتم بطريقة تجريبية. وفي بعض الأحيان أيضًا كانوا يفرضون شهرًا عرضيًا بعد الشهر السادس وآخر يقع بعد الشهر الثاني عشر فتصبح السنة مكونة من ١٤ شهرًا. وقد لوحظ أن عدد الشهور الإضافية في السنة ٥٤ من حكم دونجي قد بلغ في "درهم" ثلاثة شهور(١) وقد ضمن حمورابي إصلاحاته واحدًا خاصًا بالتقويم(٢). فقد جعل من حقه أن يقرر شخصيًا متى يحل الوقت لاستبدال السنة العامة بسنة اعتراضية(٣) كما حدد أسماء الشهور نفسها في كل أنحاء الإمبراطورية. ولكنه لم يدخل أي تعديل على العادة المتبعة منذ عهد ملوك أجاده حين كان يطلق على كل سنة اسم أهم حادث تم خلالها مثل إقامة تمثال أو

---

(1) L, t. XVII, p.200.
(2) L, t. XVII, p.211.

(٣) انظر صفحة ٢٦٠.

تكريس معبد أو شق قناة أو حادث وقع أخيرًا كاعتلاء الملك للعرش أو هزيمة بلاد معادية أو تعيين كبير الكهنة. وتدل هذه العادة نفسها على تقدم في طرق الحساب التي كانت متبعة في عصر ما قبل السرجونية حين كان الناس يبينون على اللوحة بواسطة رقم مسلسل عدد سني حكم الأمير وذلك عندما كانوا لا يقنعون بنص كالآتي مثلا "في هذا الوقت كان أنتمينا ايشاكو وكان انلي تارزي سانجو ننجرسو".

وقد بسط الكاسيون حساب السنين بأن جعلوا لكل حكم عددًا من السنين غير محدود يبدأ بالسنة الأولى بعد ولاية العرش وقد ظلت هذه الطريقة متبعة حتى أيام السلوقيين الذين أدخلوا تاريخهم إلى بابل واستمرت متبعة تحت حكم الارساكيين.

٧- الطب والفلك

كان الطب البابلي طبًا تجريبيًا بحتًا. وكان يلعب دورًا أقل أهمية من مزاولة السحر في شفاء الأمراض. وحين كان المريض يتلوى في سريره عللوا ذلك بأن الأرواح الشريرة الموجودة من حوله وفي جسمه تؤذيه بسحرها[1] وكان واجب الساحر أن يطردها ومع ذلك فقد كان للطبيب دوره إذ كان يستخدم في حالات الرمد المنتشر في هذه الأقاليم نوعًا من المراهم للعين مكونًا من نباتات تطبخ في الدهن أو خلاصة النحاس الخام في الجعة. وكان يعطي من يشكو إمساكًا مزيجًا من مركب النباتات المطبوخة تشرب بالجعة. وقد استخدم في دستور الأدوية كل أنواع العناصر سواء أكانت من أصل معدني أم نباتي أم حيواني كما أن روث الغزال لم يكن أشد ما تتقزز منه النفس. وكان بعض الأطباء يتمتعون بتقدير كبير. فقد كان "أور لوجال ادينا" المحفوظ ختمه باللوفر[2] أحد المشهورين في لاجاش في عصر أور ننجرسو بن جوديا. وفي الألف الثانية كان ملوك الحيثيين يطلبون إلى ملك بابل أن يرسل له أطباء إذا مرضوا هم أو مرض أحد أقاربهم مرضًا خطيرًا. وهذا وأن كان قانون حمورابي لم يشر إلى الأطباء٣٦ إلا أنه يحدد أجور الجراحين تبعا لمركز المريض وهو يفرض جزاء قاسيًا بسبب أي خطأ مهني مراعيًا نفس

(1) LXVIII No 122; XLII, A.831; I, t. XVII.
(2) XLII, T.98.

الاعتبارات.

وهناك نص من القرن الخامس هو عبارة عن مقدمة لدراسة علم الفلك يبين كيف أن العلم كان بدائيًا في هذا العصر فالنجوم والأجرام الرئيسية وعددها ٧١ كانت مقسمة إلى ثلاث مجاميع يحكم كلا منها أحد الآلهة العظام للثالوث الأكبر: فهناك ٣٣ من نصيب انليل و٢٣ لآنو و٥٠ لـ"ايا" وهناك جدول آخر يبين الشروق الشمسي لبعض النجوم الهامة. وقد بينت كذلك أجور الملاحظين وهي ٤ مينا في النهار و٢ مينا في الليل صيفًا ابتداء من ١٥ تموز إلى ١٥ تبت و٢ مينا نهارًا و٤ مينا ليلًا أثناء بقية الشهور. وهناك قائمة ثالثة تحوى ٥٥ نجمًا تتفق مع الشمس في الشروق والغروب. وهناك أخرى تبين فترات من النهار بين الشروق الشمسي و١٦ نجمًا هامًا. وقد تبينوا الوقت الذي تلاحظ فيه ظواهر معينة في شروق وغروب النجوم فهناك ١٤ نجمًا لـ"اليل" نستعمل لضبط الملاحظات عن الشروق والغروب الشمسي. وكذا عن النجوم والأجرام المنتشرة على طول مجرى القمر. ومن ملاحظة السموات سعى البابليون وراء الطيرة.

٨- الجغرافيا

لم يكن البابلي بأقل شغفًا لمعرفة حقيقة شكل الأرض التي يعيش عليها. وقد استطاع هؤلاء الناس الذين تمكنوا منذ أقدم العصور من وضع أسس دقيقة لمساحة أملاكهم وأراضيهم... استطاعوا كذلك أن يرسموا خرائط للمدن والقنوات مجمعة أحيانًا في حلقات. وقد وصلتنا خريطة مفردة للعالم الذي يمثل على شكل دائرة تبرز من خارج محيطها مثلثات مختلفة المساحة. أما التاج الدائري فيمثل "النهر المر" أو الأوقيانوس الذي يحيط بالعالم حيت يمتد التأثير البابلي. أما مدينة بابل نفسها فمبينة إلى يمين وفوق الوسط. وحول المحيط من الداخل من أعلى إلى أسفل نرى على اليمين مدينة أشور وإقليم دير وبيت ياقين وهذا الإقليم الأخير الأبعد إلى الجنوب تفصله عن بابل مجموعة مستنقعات ومن بين الأراضي الواقعة فيما وراء المحيط واحدة في الشمال "حيث لا ترى الشمس" أفنستطيع من وراء ذلك أن نقرر أن البابليين عرفوا الأقاليم القطبية؟ أو أليس

من المستحسن أن نعود بذاكرتنا إلى ملحمة جلجامش البطل الذي ذهب في رحلته إلى نهاية الأرض– ربما إلى الشمال الغربي– حيث يتبع الطريق الليلي للشمس في جبال ماشو: "الظلام هناك كثيف وليس هناك ضوء". في مرحلة قطعها في عشر ساعات مزدوجة(١).

أما اللوحة التي رسمت عليها هذه الخريطة فتتضمن صورة من نص قديم عن حملات سرجون الأجادي في إقليم طوروس(٢).

وقد استعاضوا عن عدم وجود خرائط جغرافية دقيقة بجداول تبين مثلا الأبعاد بين نقطتين أو الأقاليم الواجب عبورها للوصول من بقعة إلى أخرى أو أسماء المدن والمعابد والقنوات في إقليم ما.

ولم يحاول الكتاب البابليون أن يفرغوا جهودهم لتصنيف رسائل تهذيبية عن نظم العقل وكان التجرد شيئًا غير مفهوم بالنسبة لهم. وكانوا يقنعون بجمع حقائق فردية خاصة وحالات جامدة، يختلف عددها قلة أو كثرة، طبقا لقواعد تعسفية. وهذا هو المبدأ الذي قامت عليه اللوحات الجغرافية والرياضية والنصوص التكهنية ومجموعات القوانين وقد سادت نفس القاعدة فيما يتصل بالتعليم والآداب. ويضاف إلى ذلك أنه –كما هي الحال في المجتمعات البدائية– كانت الفكرة التي تتملك خيال المخترع يكررها بقدر ما يستطيع في نفس الأسلوب في العمل الواحد ثم يتناقلونها بغير نهاية في القرون التالية. أما قواعد الإنشاء في كل طراز فكانوا يتناقلونها عن بعضهم البعض دون تحريف منذ بدء سومير وأكاد حتى بعد انهيار الإمبراطورية البابلية الجديدة.

وقد لجأت أشور في كل قرن إلى مثل هذه المصادر بقصد٣٧ تدريب كتابها. وحتى حماس السرجونيين لترقية الآداب والعلوم في العصر الذي بلغت فيه إمبراطورية نينوي الذروة كان يقتصر غالبًا على نسخ صور من الوثائق البابلية القديمة تودع في مكتباتهم في نينوي.

---

(1) XLIII, p.275- 277.
(2) XXXI b. fasc. 6, p.92.

الجزء الثاني

الحضارة الآشورية

الكتاب الأول

الحقائق التاريخية

تقع آشور إلى شمال بابل وتبدأ مع السهل المرتفع لميزوبوتاميا على ارتفاع قليل عن ملتقى الأدهم ودجلة وتشغل الجزء الأوسط من حوض هذا النهر حتى كورنيب ويفصلها من ناحية الشرق الجزء الأوسط من الزاب الكبير وجبال زاجروس عن الكاسيين ويحدها شمالًا جبل ماسيوي. وهي لا تصل غربًا إلى الهابور أو الفرات.

وليس لهذا البلد المثلث الشكل الوحدة التي تتمتع بها بابل: والجزء الغربي من ميزوبوتاميا هضبة واسعة متموجة تنتشر فيها بعض التلال من الحجر الجيري. أما في القطاع الشرقي فيما وراء دجلة فتوجد كثير من التلال المليئة بالغابات والوديان التي تجري فيها مجار مهمة كالكورنيب والزابان والأدهم وهو منطقة غنية في معادنها خصبة في الغلال والثمر. ويكون الزاجروس في الشرق حدًا طبيعيًا مكونًا من سلسلة من الجبال الوعرة التي لا يوجد بها إلا ممران أو ثلاثة لا يمكن عبورها خلال فترة من السنة. ونحو الشمال تتلاحق مرتفعة الواحدة بعد الأخرى مسطحات ترتكز في النهاية إلى جبل أرمينيا. وفي الجنوب يقع السهل الفيضي الذي يسكنه البابليون. وينفرد الغرب وحده بعدم وجود حدود طبيعية وهو الاتجاه الذي ستمتد منه فتوحات الدولة الآشورية نحو البحر المتوسط مصر. وقد ذكر ج.رولنسن أن مساحة آشور تساوي مساحة بريطانيا على حين تقرب مساحة بابل من مساحة الدانمرك[١].

وأقدم الوثائق التي اكتشفت تحت أحد معابد عشتار في خرائب آشور أول عاصمة

---

(1) XVI, 1914 No 54.

لآشور عبارة عن تماثيل تشبه التماثيل السومرية هي: تمثال لرجل جالس ولكنه للأسف مشوه وبدون رأس. وتمثال لرجل واقف بعينين واسعتين فارغتين ورأس حليق ولكن له ذقنًا تكسوها لحية بخلاف ما هو متبع لدى السوميريين.



(شكل ٣٩) تمثال كشف عنه في خرائب آشور (متحف برلين)

وقد اكتشف صدفة أثناء الحفر في "كالاتيبة" بالقرب من "كارا ايوك" وهو تل يقع على مبعدة ١٨ كيلو مترًا من شمال شرق شيزارية بكبادوكيا لوحات مكتوبة باللغة السامية وعليها أسماء مركبة من الإله آشور: أبي آشور، تابا آشور، آشور ملك، آشور موتاييل ولم يعد هناك شك في أنه كان يوجد بهذه المنطقة النائية من آشور عباد لآشور

في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وذلك بعد نشر لوحة(1) من هذه المجموعة التي يحمل غلافها رسم ختم سوميري باسم أحد خدم "أبي سن" آخر ملوك أور. وهذا الختم مزين برسومات أخرى مقتبسة من الفن السوميري للحفر على الحجارة الكريمة في هذا العهد ولكن من طراز مختلف تمامًا يلاحظ فيه منذ ذلك العهد وفي أكثر الأحيان الميل الذي سيبرز في الفن الميزوبوتامي إلى عدم تشكيل الوجوه مقابل الاهتمام بصفة خاصة بالزينة الخارجية التي جرت العادة على أن تنقش فيها الكتابة –فضلًا عن التفاصيل المتصلة بالعبادة والعادات المحلية– في اتجاه القراءة المباشرة على الأسطوانة نفسها. وتدل النصوص على وجود مدنية تطورت تطورًا كبيرًا خارج نطاق الثقافة السوميرو أكادية كما تدل على أن لها شكلها واصطلاحاتها الخاصة لتي وجدت ثانية في آشور حتى سقوط نينوي. من ذلك أنهم بدءوا يذكرون على الأغلفة الأختام المطبوعة لجعل الوثيقة صحيحة ولكن الشهود كانوا يضعون هنا إلى جانب أختامهم ختم حامل السند على حين نجد أن هؤلاء الشهود في نينوي في عهد السرجونيين يذكرون فقط في نهاية الاتفاق. وأسوة بالمتبع في آشور كانت السنوات تعرف بأسماء الأشخاص لا الأحداث الهامة أسوة بالعادة المتبعة في سومير وأكاد ولكن لا نستطيع القطع وقتئذ بأن الاسم هو ذاته في آشور. أما أسماء الشهور فهي واحدة في كبدوكيا وفي آشور.

ومن المحتمل جدًا أن تجارة منتظمة في مختلف أنواع النسيج والمعادن التي تستخرج من مناجم البلجار داج كانت تجري مع آشور، وكانت القوافل تنزل إلى الفرات حتى نقطة اتصاله بالهابور ثم تعبر بلاد هانا التي كانت حضارتها واقعة تحت نفس المؤثرات وحيث كان جزء كبير من السكان يمارس صناعة النسيج كما حدث بالفعل فيما بعد(2).

وتثبت هذه المجموعة في آسيا الصغرى وهذه الشهود للحضارة السوميرية التي

---

(1) I, t. VIII, p.142.

(2) قارن CONTENAU- trente tabletes cappadociennes: S. Smith, cappadocian Tablets in the British Museum.

كشف عنها في آشور أن الأشوريين استطاعوا أن يكونوا في القرن الخامس والعشرين شعبًا متميز العلاقات بالسوميرو أكاديين (الذين كان لهم تأثير بين عليهم) وأن تمكنوا في الوقت نفسه من أن يكون لهم طابعهم الخاص. أما أصلهم فلا يزال غير معروف. ويظهر أنهم كانوا قد انتشروا في مساحة واسعة في الألف الثالثة دفعهم الآريون منها إلى آشور نفسها وأن بلادهم نفسها احتلها الميتانيون –أو احتلوا منها على الأقل الإقليم المحيط بنينوي. وإننا لنجد إلى شرق تلك المدينة بالقرب من كركوك في الألف الثانية بعض الآريين من عباد تشوب أحد آلهة الحيثيين. ويسود الاعتقاد أن الكاسيين المستقرين في الزاجروس من نفس الجنس.

ولعل أقدم أمير وصلتنا عنه وثيقة مكتوبة كان يدعي زاريكوم (حوالي ٢٤٠٠ق.م.) وكان معاصرًا ومن موالي بورسن ملك أور. ونسمع عن سلف له هو أوشيبا الذي ينسب إليه تشييد الأسوار وكذا كيكيا مؤسس معبد آشور. وكان ايريكا بكابو أيضًا أميرًا قديمًا: ويقول "أداد نيراري" الثالث عنه أنه كان ملكًا قبل حكم "سوليلو" ولكن سوليلو نفسه لا نكاد نعرف عنه شيئًا.

وحوالي ٢٢٥٠ق.م. ظهر "بوزور اشير" الأول ومنذ أذاك تستمر قائمة الملوك الآشوريين دون انقطاع تقريبًا حتى نهاية الإمبراطورية.

ولقد هاجم ايلو شوما الأشوري "سوموابوم" مؤسس الأسرة البابلية الأولى ولكن يظهر أنه هزم حسب ما ورد في إحدى الوثائق البابلية وقد بني ايلو شوما هذا معبدًا للآلهة عشتار وجدد ابنه وخلفه ايريشوم هيكل الإله الوطني الذي كان قد شيده من قبل اوشبيا كما حفر قناة عند قاعدة السيجورات. وأما ابنه ايكونوم فقد جدد أسوار المدينة وكرس معبدًا لـ"ننكيجال" وربما كان ذلك في نينوي. وقد شيد سرجون الأول الذي خلفه مزارًا لعشتار. وأما "شامشي اداد" الأول (٢١٢٣– ٢٠٨١) فكان معاصرًا ومولى لحمورابي ولقد وضع حامية بابلية في آشور وساعد الأمير الأشوري مولاه البابلي– أما لغرض خاص أو بدافع الضرورة– في حربه ضد أمراء لارسا. وأننا لنجد في وثيقة محفوظة في متحف جامعة بنسلفانيا أن صيغة القسم تحوي اسم شامشي اداد إلى

جانب اسم حمورابي كما نجد هذا الاسم نفسه في نصوص أسطوانات مختلفة من الطراز البابلي البحت[1].

وأما بعد ذلك فيكاد يحجب الأحداث ديجور شديد الإظلام حتى القرن الخامس عشر حين استقبل تحتمس الثالث المصري في العام الثالث والعشرين من حكمه سفارة أشورية قدمت له ثلاث كتل من اللازورد وأحجارًا أخرى ثمينة. وتكشف رسائل تل العمارنة عن الموقف الدولي عند نهاية ذلك القرن كما تضيف الوثائق التي عثر عليها في بوغاز كوي مكان عاصمة الحيثيين القديمة معلومات لها قيمتها. وكان أمنحتب الثالث يجلس على عرش مصر. وكان الشاطئ السوري خاضعًا لمصر ومقسمًا إلى إقليمين: كنعان في الجنوب وعامور في الشمال. وكانت دولة الحيثيين الجار المباشرة لعامور وكانت تمتد في آسيا الصغرى عبر طوروس كما تمتد من ناحية الشرق حتى انحناءة الفرات. وهناك كانت تلامس دولة ميتاني التي تحدها بدورها من ناحية الشرق أشور التي كانت قد أخضعتها. وأما أصل الحيثيين والميتانيين فغير معروف. وكان الميتانيون يعبدون اندرا، فارونا، مثرا. وكانوا قد لعبوا من زمن بعيد دورًا هامًا في التاريخ، فقد غزا الحيثيون ميزوبوتاميا في القرن العشرين واحتلوا بابل وأنهوا حكم الأسرة الأولى في تلك المدينة (١٩٢٥ق.م) وكان ملكهم في عصر أمنحتب الثالث يدعى شوبليوليما وكان ملك ميتاني نسبيًا لفرعون هو دوشراتا الذي كان قد زوجه من إحدى أخواته. وقد هاجمه الحيثيون ولكنه نجح في ردهم واحتجز جانبًا من الغنائم عربة وخيلًا لملك مصر وكذا بعض الحلي الصدرية (حلي الصدر) للملكة أخته. وكان نفوذه يمتد حتى على نينوي حيث كانت آلهتها يمجدها البابليون والأشوريون تحت اسم عشتار –التي يظهر أنها كانت في الأصل معبودة ميتانية. وكانت في عهد الملك السابق قد قامت برحلة إلى مصر وحفظت خير الذكريات الممتعة من الترحيب الحار الذي قوبلت به هناك. وقد طلبت إلى ملك ميتاني أن يبلغ عن مقدمها حين عزمت على تكرار الزيارة.

ولقد منح فرعون في إحدى المرات دوشراتا عشرين وزنه من الذهب وقد أثار ذلك

---

(1) XLI p. XXXVI note 1.

غيرة "أشور أوبالليت" ملك آشور (حوالي ١٣٧٠) وسرعان ما تساءل عن سبب عدم حظوته بمثل هذه المعاملة. ولقد ادعى "بورنابورياش" البابلي حق السيادة على آشور وحين سمع بالرسالة التي أرسلها آشور أوبالليت شكا واحتج على أساس أن الأشوريين "وهم من رعاياه" ليس لهم حق الاتصال المباشر بفرعون. وحقيقة الأمر أن كل هذه الشعوب كانت تتنازع فيما بينها جميعا حق السيادة على الشاطئ السوري الذي كان سوقها المشترك وكان الحيثيون أقواها جميعا فأثاروا منافسين من بين الأمراء العاموريين وحاولوا أن يفصلوهم عن مصر وقد نجحوا في السيطرة على وادي الأورونت ولكن أمنحتب الثالث أرسل جيشًا وأعاد النظام فانتقم شوبليوليما من دوشراتا ونهب حدود ميتاني ثم عاد إلى سوريا واستولى على حلب.

ويظهر أن أمنحتب الرابع الذي كان قد اعتلى عرش مصر لتوه لم يشغل باله بالحروب الداخلية التي كانت قائمة في سوريا كلها. ولقد استطاع "عزيرو" أحد الأمراء العاموريين أن يوسع رقعة نفوذه بعد حملة ناجحة ولكنه اعترف بسيادة فرعون وقدم إلى مصر ليعلن ولاءه له. وقد عده شوبليوليما خائنًا فهاجمه وهزمه واستولى على سوريا وقضى على النفوذ المصري قضاء تامًا.

وقامت ثورة في ميتاني وقتل دوشراتا وخلفه ابنه "ماتي يوزا" الذي تحالف مع الملك الحيثي ولكن "سوتارنا" ابن أخ الملك السابق استطاع أن يستولى على العرش فطرد ابن عمه الذي لجأ إلى البلاط الحيثي، وسرعان ما تقدمت أشور لاجتياح ميتاني فزوج شوبليوليما ابنته إلى ماتي يوزا وأعاد له حقوقه ولكن مع معاملته كمولى. وبعد وقت قصير اعتلى مورسيل العرش الحيثي وورث إمبراطورية ضخمة تمتد شرقًا إلى الحدود الأشورية وجنوبًا إلى الكرمل والجليل. ومات بعد أن هزمه سيتي الأول بالقرب من قادش على الأورونت ثم رمسيس الثاني وشهد ابناه موتاللو وخاتوسيل قواهما تضمحل حتى ذلك اليوم حين رأى هذا الأخير نفسه مضطرًا إلى أن يعلن السلام في العام الحادي والعشرين من حكم رمسيس الثاني (حوالي ١٢٧٩ق.م.) ولكن سرعان ما بدأت مصر نفسها تنحل كما بدأت بابل تفقد نفوذها. وكانت هذه هي اللحظة التي

اختارها العبرانيون للاستقرار في كنعان وبدأت جماعات من الآراميين في التسرب عبر حدود أشور وبابل.

وقد تولى "أشور أوبالليت" إصلاح العاصمة التي كانت أسوارها قد دمرت حديثًا –ربما كنتيجة لحصار– وقد أعاد بناء معبد في نينوي وحارب الشوباري في الشمال الغربي من مملكته ووسع رقعة بلاده وقد تدخل في بابل ضد حرب الكاسيين الذي اغتال حفيده "كارا انداش الثاني" وأمن العرش لحفيده الآخر "كوريجالزو" الثالث. وأما ابنه "ايلليل نيراري" (حوالي ١٣٤٥) فقد وسع أيضًا مملكته على حساب أرض الكاسيين الفعلية وبعد مذبحة للبابليين في سوجاجي اغتصب أراضي أخرى من ابن أخيه كوريجالزو(١).

وقد قام "اريك دين ايلي" (حوالي ١٣٣٥) بخمس حملات مظفرة على الأقل كانت إحداها ضد الهابور في ناحية حاران واستجلب من هناك غنائم كثيرة من قطعان ماشية وأغنام.

ويحدثنا "اداد نيراري" الأول (حوالي ١٣٣٠– ١٣٩٠) عن حملات أسلافه ولقد كان عليه هو نفسه أن يحارب الـ"لولومي" في الشرق وبابل في الجنوب وهي التي فرض عليها تعديل الحدود. وقد أصلح القصر الملكي ومنشآت أخرى في أشور ونينوي. وقد تابع ابنه شلمنصر الأول (حوالي ١٢٩٠– ١٢٦٠) سياسة الغزو فقام بحملات ثلاث في ناحية ديار بكير وهزم "ساتو وارا" ملك هانيرابات وهو الميتاني القديم الذي كان قد تحالف مع الحيثيين والآراميين أهلامي وثبت ملكه حتى قرقميس على الفرات. وقد اضطر الـ"لولومي" في الشرق كذلك إلى دفع الجزية. ولما بسط شلمنصر على هذا النحو نفوذه على ميزوبوتاميا جميعا عول على نقل العاصمة السياسية لدولته. وكانت أشور تقع على الضفة اليمنى لدجلة إلى ما دون ملتقاه بالزاب الأعلى فاختار موقع كلج الضفة اليسرى فوق نفس الملتقي بقليل وقد دمر في عهده معبد أشور وربما كان

(١) قارن ص٥٤ وما بعدها.

ذلك نتيجة زلزال كما دمر معبد عشتار في نينوي.

وقد غزا ابنه "توكولتي أينورتا" الأول (حوالي ١٢٦٠– ١٢٤٠) منذ السنة الأولى من حكمه الأراضي الواقعة إلى الشمال والشمال الشرقي وهي "قوتو" و"شوباري" ثم نهب وأخضع الأقاليم الواقعة إلى الشمال الغربي حتى كوماجين فتكون ضده اتحاد في "نايبري" فيما يجاور بحيرة "فان". ولكن الأربعين من الملوك الصغار لهذه البلاد اضطروا إلى الاعتراف بسيادته ودفع الجزية له ثم استدار نحو بابل[1] حيث حكم سبع سنوات ومد غزواته حتى الخليج الفارسي وابتني هناك مدينة جديدة سماها باسمه "كارتوكولتي اينورتا" وزودها بالماء عن طريق قناة وبني معبدًا لأشور فيها كما شيد لنفسه بها قصرًا. وهناك اغتيل أثناء فتنة أثارها ابنه "أشور نادين ابلا" الأول.

ولقد ظل تاريخ أشور مدى قرن من الزمان لا يكاد يعرف عنه سوى القليل. وأعيد تمثال مردوك إلى بابل كما أعاد "آشور دان" الأول (حوالي ١١٨٢– ١١٤٥) رابع خلف لـ"آشور نادين ابلا" غزو منطقة الزاب التي كان قد اضطر لتركها للاستسلام لبابل كما غزا بابل نفسها وجلب منها غنائم قيمة. وأننا لا نعرف شيئًا عن "موتا كل نوسكو" أما "آشور رش ايشي" الأول وهو محارب (حوالي ١١٣٥– ١١١٥) فإننا نراه يحارب منتصرًا ضد الأهلامي واللولومي والقوتي الذين كان أسلافه قد اضطروا لمحاربتهم مرارًا من قبل كما انتصر على نبوخذ نصر الأول البابلي وأعاد بناء أو إصلاح معابد أشور وعشتار.

وبولاية "تجلات فلاسر" الأول بن "آشور رش ايشي" (حوالي ١١١٥– ١١١٠) نرى آشور تتقدم وتمد سيادتها حتى البحر المتوسط.

وتعدد الكتابات على المناشير من أربع نسخ التي وضعها في أسس معبد أنو واداد "في آشور... تعدد الحملات التي وقعت خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه فنراه أولًا يهاجم الموسكيائيين الذين يقطنون الجبال إلى شمال كوماجين: والذين كان

---

(١) قارن صفحة ٥٧ وما بعدها.

عليهم أن يؤدوا جزية لآشور في أيان "توكولتي اينورتا" ولكنهم كانوا قد استطاعوا أن يستعيدوا استقلالهم الكامل منذ نحو ستين عامًا. ونزل ٢٠٠٠٠ رجل تحت قيادة خمسة ملوك إلى كوماجين فجمع الآشوري جيوشه وعبر تلال الكاشياري فوق نسيبًا، وانقض على كوماجين وأسر ٦٠٠٠ أسير واستحوذ على غنيمة طائلة كما قطع رؤوس القتلى وزين بها أعلى قمم أسوار المدن. وبهزيمة كوماجين ضمت إلى الإمبراطورية وألحقت بها. وفي العام التالي تقدم الملك نحو جبال أرمينيا –وذلك بناء على طلب آشور في الوقت الذي كانت جماعات من الجند تغير على كردستان– في غابات لا يستطاع اختراقها لم يرتدها أي ملك من قبل"... تقدم في هذه المنطقة الوعرة التي يتعذر استخدام المركبات فيها... تقدم بالمشاة فقط واكتسح كورهي وال"هاريا" وحمل آلهتهم أسرى ونفي الأهلين وصودرت ممتلكاتهم وأحرق مدنهم. ثم بدأ الحرب ضد ال"نايبري" وحاول ٢٣ من صغار الملوك أن يدافعوا عن أراضيهم ولكنهم هزموا وطردوا حتى بحيرة فان واضطروا إلى قبول حماية آشور وتسليم أبنائهم كرهائن وتوريد ١٢٠٠ حصان، ٢٠٠٠ رأس من الماشية كجزية.

وفي السنة الخامسة من حكمه "بعد تحديد يوم ملائم بواسطة حلم" غادر "تجلات فلاسر" آشور ونزل إلى أرض سوهي وفي صعوده إلى الفرات دمر آرام النهرين التي كان يحتلها الأهلامي ووصل إلى قرقميش وهي قلعة الحيثيين على الفرات وعبر النهر وأخضع بلاد موتسرو التي تمتد من الطوروس إلى ما وراءه وواصل فتوحاته إلى أرض عامور. وصاد الملك جاموسة عند سفح لبنان وركب البحر في أرواد وقتل كلب بحر (قرش) في البحر المتوسط. وأصبح الشاطئ وحده تحت حكم آشور التي لم تكن تجرؤ بعد على مهاجمة ممالك الآراميين في تشوبا ودمشق ولا حتى على مقاطعتي صور وصيدا اللتين كانتا قد استعادتا استقلالها.

ولقد استطاع "تجلات فلاسر" بعد سنوات خمس من ولايته للعرش أن يفخر بأنه أخضع ٤٢ شعبًا بملوكهم.

أما خلفاؤه المباشرون فلم يستطيعوا أن يسيطروا على مثل هذه الإمبراطورية

الشاسعة واستطاعت الولايات البعيدة أن تخلع النير عن كاهلها واحدة بعد الأخرى وذلك في مدى قرنين من الزمان.

وقد أعاد "تجلات فلاسر" بناء معبد أنو، اداد في آشور ذلك المعبد الذي كان قد شيده "شامشي اداد" منذ ستة قرون ونصف ودمر في خلال حكم "آشور دان" الذي كان قد اعتزم إعادة بنائه ولكنه لم يستطع أن يفعل وقد أصلح أيضًا معابد آشور الأخرى وكذلك القصور الملكية وأقام من جديد أسوار المدن واستورد الخيل من البلاد التي فتحها وكذا الحمير والماشية كما استورد للصيد الملكي قطعانًا حقيقية من الماعز الوحشي وأمر باستجلاب نباتات لم تكن معروفة في آشور لتزرع في الحدائق والأراضي الملكية.

وقد حارب تجلات فلاسر مرتين ضد بابل خلال النصف الثاني من حكمه وأما ابنه "آشور بعل كالا" فقد عقد معها الصلح وتزوج من ابنة الملك البابلي. ولم يستطع أشور رابي الثاني أن يمنع الآراميين من أن يستردوا مدن بترو وموتكينو. وأما خلفه الرابع اداد نيراري الثاني (حوالي ٩١٠– ٨٩٠) فقد بدأ في بعض آشور فأشهر حربًا انتصر فيها على بابل ثم عقد حلفًا معها. وكان ابنه "توكولتي اينورتا" الثاني فاتحًا عظيمًا (٨٩٠– ٨٨٤) إذ كان يقوم بحملة كل عام ويكتب يومياته أثناء حملاته ويظهر من يوميات حملة العام الأخير أنه خرج من آشور ونزل في مجرى الترتار إلى الصحراء المجدبة ثم وصل إلى دجلة مارا بدور كاريجالزو و"سيبار" ثم صعد مع الفرات حتى الهابور متابعًا السير عن طريق بيت حالوبي والشاديكاني ونسيب متجها نحو بلاد الموسكيين.

ويعتبر "أشور ناتسير ابلا" الثاني (٨٨٤– ٨٦٠) بن "توكولتي اينورتا" أحد أمراء الأشوريين الذين تركوا نقوشًا وآثارًا مرسومة كثيرة. وتوجد كتابات ورسوم له في أطلال قصره بكلح وفي معبد اينورتا وعلى نقوش بارزة وعلى سلة وعلى تمثاله وعلى مذبح وفي كل مكان توجد كتابات أو رسوم له. وكرجل رمم كلح نراه يملؤها بالأسرى الذين استجلبهم من الأقاليم التي فتحتها أسلحته وأتى بمياه الزاب عن طريق قناة زرعت ضفتاها بالأشجار.



(شكل ٤٠) لوحة آشور نتسير ابلا الثاني

ولقد هاجم كردستان في حملته الأولى وفتح "كيرهي" الواقعة إلى شمال "كارشياري" وكوم جماجم أعدائه في شكل هرمي وفي خريف العام نفسه غزا كوماجين وتسلم هناك جزية من الموسيكين ولكن "بيت حالوبي" ثارت ضد حاكمها الآشوري فأسرع الملك إلى هناك مع جيوشه وقبض على المغتصب والثوار الآخرين، وحكم بالموت على واحد أو اثنين منهم ولف بجلودهم أثرًا أقامه أمام بوابات المدينة، وأما جثثهم المقطوعة الرؤوس فقد وضعت فوق الخوازيق وعلقت رؤوسهم كتاج فوق الأثر ونقل المدعى إلى نينوى حيث سلخ حيا وعلق جلده بالمسامير على حوائط المدينة.

وفي عام ٨٨٣ق.م. علم بعد أن تسلم في نينوى هدايا "أيلو ابنى" محافظ سوهى –علم أن المستعمرة الأشورية التي أقامها شلمنصر الأول في هالزيلوها قد ثارت فقام إليها ليقر النظام ومر خلال منبع سوبنات وأقام لوحة له بجوار لوحات تجلات فلاسر الأول وثوكولتى أينورتا الأول ثم اخترق كاشيارى ووصل إلى كينابو مركز المقاومة وأخذ نائب الملك حيا وسلخه ووضع جلده فوق حائط مدينة دامداموسا. أما "توشها" في "نربو" فقد أعيد بناؤها وشيد قصر بها كما أقيمت لوحة ملكية هناك. ولما أضر الجوع بالمستعمرين الأشوريين القدماء هربوا إلى شوبرى واستقروا في تلك المدينة الملحقة بالأملاك الملكية وخضعت نربو بأكملها وأتت بيت زمانى والشوبرى والنردون والأورومى وكل النايرى ليقدموا ولاءهم.

وفي عام ٨٨١ق.م. حدثت ثورة وتكتل عدائي في أقاليم الزاجروس وسد الثوار الممر البابيتى بواسطة متراس ولكن الممر اغتصب ودمرت ١٥٠ مدينة وقرية وعاد الملك في عام ٨٨٠ إلى زاموا للمرة الثالثة. وفي العام التالي دخل إلى كوماجين وكرس قصرا لـ "توليلى" وتسلم الجزية ثم اخترق ممر عشتارات وتوقف عند كيبالكى. ولما كان سكان كيرهى قد هربوا فإنه طاردهم في الجبال وقطع أيدي أولئك الذين وقعوا أحياء بين يديه. كما دمر في نايرى ٢٥٠ قرية وعند عودته عبر دجلة نزل حتى الفرات وقابل أمير سوهى حليف ملك بابل الذي خرج لمقاتلته. ولكن هذا الأمير هزم وتم الاستيلاء على مدينته وأخذ القائد البابلي أسيرا. ولم يكد الملك الأشوري يرجع إلى كلح حتى وصل إلى علمه أن ثورة جديدة قد قامت في "سوهى" و"هندانو" و"لاقى" فسار في طريق مضاد للطريق الذي كان قد سلكه "توكولتى اينورتا" الثاني وهزم التكتل وبني مدينة على كل من ضفتي النهر هما: "كاراشور ناتسير ابلا" على أحد الجانبين و"نيبارتي أشور" على الجانب الآخر.

وفي عام ٨٧٧ق.م. تقدم نحو قرقميش فأسرع "سانجار" ملك الحيثيين ليقدم له هدايا ذات قيمة وكذا رهائن. وبعد عبور الفرات تقدم نحو أرض "هاتين" التي قدم ملكها "لوبارنا" حرسا وأثاثًا وعتادًا حربيًا وعبيدًا ومعادن ثمينة وحيوانات. وعبر الجيش

الأورونت وسانجورا وغزا أرض لوهوتي في جنوب حماة على الضفة اليسرى للأورونت وتقدم الملك نحو البحر المتوسط وغسل أسلحته في البحر وقدم التضحيات منبعا في ذلك الطقس القديم للأمراء السوميرو أكاديين. ورغم استمراره في التقدم غربًا فإنه قنع بجزية من صور وصيدا وجبيل (ببلوس) ومهالاتا ومايتسي والعامور وأرواد. وكان من الفطنة بحيث عرف أين يتوقف قبل أن يدخل في صراع مع مملكة دمشق القوية.

وعند عودته من حملته أمر بقطع الأرز في أمانوس لإحضار خشب من أجل تشييد مباني كلح (نمرود) حيث أسس عاصمته. وقد أعيد بناء هذه المدينة وهي المقر الصيفي القديم لأسلافه وهدم القصر القديم الذي كان قد شاده شلمنصر الأول منذ أمد طويل وحل مكانه مبنى أضخم منه. وقد كشف هناك عن تمثال للملك ولوحة مستديرة مكونة من قطعة واحدة أما النقوش الملونة التي زينت بها واجهة الحوائط فإنها تسمح لنا بدراسة الفن الأشوري للقرن التاسع وأن نتابع الملك في حربه أو خروجه للصيد وأن نرقب الأمراء المعادين وهم يقدمون خضوعهم وأن ندرك لمحة صحيحة من كثير من تفصيلات الحياة الأشوية.

وأما ابنه شلمنصر الثالث (٨٥٩– ٨٢٤) فقد كان جنديًا محاربًا قاد ٣٢ حملة في مدة حكمه البالغة ٣٥ عاما ٩٠ ولم يكد يعتلي العرش حتى توجه إلى سوريا ليتسلم جزية صور وصيدا. وفي السنوات التالية دعم نفوذه في "أورارتو" و"نابيري". وفي عام ٨٥٤ق.م. عاد إلى سوريا وغزا مملكة "حماة" التي كانت تسند ملكها "ايرهوليني" قوة متآلفة على رأسها "أداد ادرى" الدمشقي الذي أنزل إلى الميدان ١٢٠٠ مركبة، ١٢٠٠٠ خيال، ٢٠٠٠٠ من المشاة. أما "أثياب" ملك إسرائيل وهو صهر ملك صيدا فقد أرسل ٢٠٠٠ مركبة، ١٠٠٠٠ رجل. وأما "قي"، و"موتسرو" وهي أقاليم من قيليقيا الشهيرة بخيلها فلم يرسلوا سوى المشاة. كما ساهمت بنصيبها أربع مدن فينيقية والبعثة الأمونية. وجهز ملك عربي ١٠٠٠ جمل. وأما صور وصيدا فقد امتنعتا عن الاشتراك في هذه الثورة واستمرتا بفطنة تدفعان الجزية.

وقامت المعركة في قرقار بالقرب من الأورونت وطبقا لما جاء بالسجلات الأشورية

فإن السهل كان أصغر من أن يتحمل الأعداد الضخمة من الجثث وأن الأرض الواسعة لم تكن تكفي لدفنها وقد أفعم نهر الأورنت بجثث الأعداء وأقيم منها معبر على الأورنت. والواقع أن النتيجة لم تكن حاسمة فإن شلمنصر لم يجسر –أو هو لم يستطع– أن ينتفع من النجاح الذي يفخر به. وقد عاد إلى أشور بعد رحلة بحرية.

وفي عام ٨٥٣ق.م. قاتل في منطقة منابع دجلة وفي البلاد المحيطة ببحيرة فان وقد شق طريقه مرتين إلى بابل (٨٥٢– ٨٥١) ليساند "مردوك زاكر شوم" الذي كان أخوه "مردوك بصل أوشاتي" قد رفع لواء الثورة ضده. وفي ٨٥٠ أغار على سنجار ملك قرقميش، وأرامي ملك أربي عند سفح الأمانوس. وفي العام التالي قام بحملة ثانية ضده لمدة ثلاث سنوات (٨٤٦). وعلى أية حال، فإنه عند موت "أداد أداري" أستولي مغتصب يدعى حازائيل على عرش دمشق ومات كذلك "أشاب" وأنحل الحلف. فلما عاد الملك الأشوري للنزال في ٨٤٢ واجهه حازائيل منفردا وكان قد حصن نفسه على الـ"سانين" عند مدخل سوريا المتكتلة ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام الهجوم وأنسحب إلى دمشق فخرب الجيش الأشوري الإقليم المحيط ودمر حوران وعاد ليعسكر عند مصب نهر الكلب حيث أحضرت صور وصيدا وإسرائيل جزاها. وأهم الآثار المرسومة لهذا الحكم مسلة مزينة بنقوش وبعض لوحات من البرونز المطروق عثر عليها في خرائب القصر الصيفي الذي بني في أمجور أيلليل (بالأوات).

وقد أظلمت أخريات سني الحكم من جراء ثورة الابن الأكبر للملك المدعو "أشور دالين أبلا" الذي إنحازت إلى صفه معظم مدن أشور. وقد استغرقت الثورة أربع سنوات حتى مات شلمنصر (٨٢٤). وكان على ابنه الأصغر "شامشي أداد" الخامس أن يتابع الصراع مدى عامين آخرين قبل أن يتم له النصر. وقد حارب أيضًا في نايبرى حيث قاد ثلاث حملات. بل وأكثر من ذلك نراه يتدخل في بابل ويدحر "مردوك بالاتسو أقبى" في "دور بابسو كال" وبعد مدة استطاع أن يهزم ويأسر "باو آخى أدين" خلف مردوك بالاتسو أقبى. ومازال اسم زوجته "سامورامات" التي كشف عن لوحتها في أشور مشهورًا في صورته اليونانية "سميراميس".



(شكل ٤١) جزية يبهو ملك إسرائيل

(المتحف البريطاني– مسلة شلمنصر)

وقد خبأ ضوء العظمة الأشورية خلال حكمه لفترة قصيرة فقد أضعفتها الحروب الداخلية ولما خط الملك حدود إمبراطوريته لم يجسر على أن يدفعها غربا إلى ما وراء الفرات.

أما ابنه "أداد نيراري" الثالث (٨١٠– ٧٨٢ق.م.) فإنه لم يضمن حدوده فتوح شلمنصر الثالث فحسب بل مدها من الخليج الفارسي وحدود عيلام حتى صحراء مصر. ولكن التوسع لم يكن يستحق الذكر في ناحية الشرق أو الشمال: وكان الميديون قد بدءوا يتحفزون ولم تكن أورارتو التي هزمها شلمنصر عام ٨٢٩ وشامشي أداد عام ٨١٩ق.م. لتقبل الهزيمة ولكنها أستغلت كل فرصة لمحاولة استعادة إستقلالها.

وقد حارب شلمنصر الرابع (٧٨٢– ٧٧٢) الآراميين الذين كانوا يحاولون الانتشار في ميزوبوتاميا فقد دس حملات في أورارتو وواحدة في ناحية جبل أمانوس (٧٧٥) واثنتين ضد دمشق (٧٧٣) ومدينة هزرق (٧٧٢) على التوالي.

وتابع أشور دان الثالث (٧٧٢– ٧٥٤ق.م.) الصراع ضد الآراميين (٧٦٩) فأرسل حملة إلى ميديا في ٧٦٦ وضد هزرق في السنة التالية. وانتشر الطاعون في أشور وكسفت الشمس في سيمانو (٧٦٣) وكان ذلك كافيا كي يوحي للناس بعقوبة السماء. وثارت أشور وتابعتها في ذلك، محتذية مثالها مدن أخرى كثيرة. ولم يستطع الملك أن يعاود الكرة ضد مدينة هزرق إلا بعد عشر سنوات من تاريخ حملته الأولى ضدها.

ولم تقم حروب في السنوات الأربع الأولى من حكم أداد فيراري الرابع (٧٥٤- ٧٤٦) ولكنا نراه يقوم بحرب في عامي ٧٤٩، ٧٤٨ق.م. ضد "نامري" فيما وراء الزاب الأسفل وثارت كلح في عام ٧٤٦ق.م. وحارب تجلات فلاسر الثالث الذي ربما كان أحد أشقاء الملك... حارب العصاة وإننا لنراه في العام التالي وقد أعتلى العرش. ولقد كان أمرا عظيما (٧٤٥- ٧٢٧) استطاع أن يرتفع بأشور فوق كل جيرانها وأن يجعل لها سيادة مطلقة دون منافس. ولما أستحوذ على الملك في الثالث عشر من أيار عام ٧٤٥ق.م. هاجم نابوناسار البابلي في خريف تلك السنة ونهب مدينتين أو ثلاثا في أكاد و"أخذ بيد بعل" وجعل من نفسه "ملكًا على سومير وأكاد وملكا على الأقاليم الأربعة" تحت اسم بولو (٧٢٩).

ولقد انتهز الآراميون فرصة الانحلال المؤقت لآشور لينتشروا في سيزوبوتاميا وعرف تجلاث فلاسر الثالث حوالي ٣٥ قبيلة من قبائلهم "مستقرة على ضفاف دجلة والفرات والسواريو حتى الأوكنو (كرخا) على ضفاف البحر الأدنى".

ولقد قام بحملات أربع ضد مدينة "أرباد" وتدخل في الشئون الداخلية لـ"يودى" كي يعيد إلى العرش بانامو الثاني الكاري الذي قتل أباه أحد المغتصبين وقد قدمت له الجزية كوماجين ودمشق وصوق وصيدا وببلوسي (جبيل) وقي وقرقميش وحماة وجورجوم ومليد مدن أخرى في قيليقيا ومليثين وأخيرًا زبيبة ملكة سبأ في بلاد العرب.

ولقد أتبع تجلات فلاسر الثالث طريقة جديدة في الغزو، إذ أنه كان ينفي سكان الأقاليم المغزوة ويحل حكاما أشوريين في مكان الملوك المهزومين. وقد أقر في المنطقة الواقعة من حماة إلى الشاطئ أقوامًا استحضرهم من لولومو في الزاجروس ومن نابيرى قرب بحيرة فان.

وفي ٧٣٧ق.م. قامت حرب في الشرق ضد ميديا. وفي ٧٣٥ حدث توسع جديد إلى ناحية الغرب فكانت هناك حملة ضد فلسطين ونهبت غزة ووضع هوشع على عرش إسرائيل. وفي ٧٣٣ و٧٣٢ قامت حروب ضد دمشق وتنافس العرب الذين كانوا

يعيشون على حدود أراضي الغرب. في سرعة إرسال الذهب والفضة والجمال والعطور للمرة الأولى: وكانوا يأتون من تيما وسبأ وبادانا في أرض مدين ومن مدن كثيرة أخرى.

وقد تدخل في شئون إسرائيل عندما قامت ثورة ضد صنيعته هوشع كما ثبت في عسقلان سلطان روكيتو الذي كان أبوه قد تنازل عن العرش وأستولى مقابل تدخله هذا على جانب من الإمارة ثم عين أحد الحكام على العرب أنفسهم.

وقد ترك تجلات فلاسر عند موته لابنه إمبراطورية أوسع مساحة وأقوى تنظيما منها في أي وقت سابق.

وحكم شلمنصر الخامس (٧٢٧- ٧٢٢) مدى ست سنوات. وقد عرف في بابل تحت اسم "أولولاى" ولقد كان حاكما على فينيقيا منذ حملة عام ٧٣٣ ق.م. ولما عاد من هناك إلى أشور ثارت صور فاضطر إلى معاودة زيارة شواطيء البحر المتوسط والتوجه جنوبا لتسلم جزية هوشع وسرعان ما كان ملك إسرائيل يتآمر مع مصر فخرج الجيش الأشوري ليحاصر عاصمته ساماريا مدى ثلاث سنوات.

السرجونيون

مات شلمنصر في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ق.م. وبعد أيام قلائل أعتلى عرش أشور سرجون الثاني (٧٢٢- ٧٠٥) وهو من أصل مجهول. وقبل نهاية العام استسلمت سامريا وتبعا للخطة التي استنها "تجلات فلاسر" الثالث طرد الإسرائيليين... البعض منهم إلى ناحية حران والبعض إلى ضفاف الهابور والبعض أخيرًا إلى ميديا. وقد حل محلهم الآراميون من أقليم حماة ثم لحق بهم العرب هناك في عام ٧١٥ وكذا بعض الأهلين من كوثا وبابل في ٧٠٩.

وقد ثارت بابل في بداية عام ٧٢١ق.م. واستطاع هردواخ بالاداز الثاني الأرامي من بيت ياكين أن يستولي على السلطة وأن يحكم مدن اثنين عشر عامًا. وقد عقد حلفًا مع هومبانيجاش ملك عيلان الذي هزم الآشوريين في دير.

وكان تقدم أشور نحو شاطئ البحر المتوسط قد بدأ يقلق مصر فنجح سيبو قائد

جيوش فرعون الذي كان قد عقد اتفاقا مع هوشع ملك إسرائيل في بداية حكمه نجح في تجميع حلف تحت قيادة "ياؤو بعدى" ملك حماة وقد أسهمت فيه أرباد وسميرا ودمشق وسامريا. وتمت المعركة في قرقار كما حدث في عهد شلمنصر الثالث وأخذ "ياؤو بعدى" أسيرًا وسلخ حيا. وقد تكاثر الأشوريون في حماة تحت قيادة أحد القواد.

وقد أعيد تكوين التحالف بعيدًا إلى الجنوب بزعامة "سيبو" وجر وراءه ملك غزة فهاجمهم سرجون واضطروا إلى التراجع نحو رفح على حدود مصر وهرب سيبو تحت ضغط الأشوريين وحمل ملك غزة أسيرًا إلى أشور.

أما في شمال الإمبراطورية فقد كان أحد القواد الطموحين لـ"أورارتو" وهو "أورسا الأول" يحاول أن يثير الدسائس منذ عشر سنوات فاستولى ميتاني من زيكارتو في عام ٧١٩ق.م. بإيعاز منه وبدون قتال على مدينتين ولكنهما أستعيدتا ودمرتا بالنيران وطرد أهلوهما إلى سوريا.

وفي الغرب بدأ ملك الموشيين المدعو ميداس بن جورديوس الفريجى يتحرك كنتيجة لنفس المؤثر. وفي عام ٧١٧ق.م. خلع "بيسيريس" الملك الحيثي لقمرقميش وأصبحت مدينته مستعمرة أشورية. وفي الأعوام التالية قامت حملات جديدة ضد أورارتو كما أجتيحت في عام ٧١٦ البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي فان واورميا وقامت غارة جديدة في عام ٧١٥. وفي عام ٧١٤ قامت حملة أخيرة انتهت بموت أورسا.

ثم استدار سرجون إلى ناحية قيليقيا ونابان وموسكو واستطاع في عام ٧١٣ق.م. أن يبسط نفوذه حتى هاليس واستورد من هناك الأحجار والمعادن والأخشاب الثمينة لتشييد "دورشاروكين" وهي المدينة الجديدة التي أنشئت في شرق نينوى على موقع قرية ماجانويا.

ويتميز عام ٧١١ بحملة على فلسطين ذلك لأن ملك أسدود كان قد تمرد وحاول بتحريض من مصر أن يحمل الفلسطينيين واليهود والأودميين والموآبيين على التمرد فخلع ولكن الشعب رفض أن يعترف بالملك الجديد الذي نصبته أشور فهزمت جاث

مع الأسدوديين وضمت إلى الإمبراطورية تحت رعاية حكام من القواد. وعندئذ حاول سرجون أن يعيد فتح بابل. وقد أستهدفت قبيلة جامبولو للهجوم الأول وتجمعت قبائل أخرى على طول الكرخا حيث حوصروا واضطروا للتسليم. وقامت مظاهرة على حدود عيلام وهرب "مروداخ بالادان" وفتح كهنة بابل بوابات المدينة للمنتصر!

وفي بداية عام ٧٠٩ق.م. أخذ ملك أشور ب"يد بعل" وأصبح الحاكم الشرعي لبابل وعندما هدأ أقليم الفرات الأدنى أقر فيه المنفيون من الأقاليم الحيثية وكوماجين كما أنشئت نقط للمحافظة على الأمن على طول حدود عيلام. ولأول مرة نرى ملك دلمون على الخليج الفارسي يرسل جزية وكذلك يفعل ميداس الذي قهر نهائيا. كما أرسل سبعة ملوك من جزيرة قبرص هدايا وسمحوا بإقامة لوحة في ستيوم (لارناكا) أمر سرجون بأن تحفر عليها صورته الملكية ورموز الآلهة العظمى لبابل وأشور.

وفي عام ٧٠٨ أصبحت كوماجين مقاطعة أشورية تحت قيادة حاكم مزود بقوات حربية عظيمة. وفي العام التالي افتتح سرجون القصر ومدينة دور شاروكين بعد رحلة في جنوب كنديا ولكن لم يقدر له أن ينعم بهما طويلا وذلك لأنه قتل في الشهور الأولى من عام ٧٠٥ق.م.

وكان سرجون قد أتقن الطريقة التنظيمية التي وضع أسسها تجلاث فلاسر فهو لم يكتف بأن نفى الشعوب المغلوبة على أمرها وعمل على مزجهم بأجناس مختلفة، بل إنه استن طريقة جديدة للاندماج والاحتلال بأن جعل بعض الأشوريين يستوطنون في المدن الرئيسية المغزوة. ورغم ذلك فإن الحيوية الخاصة بالشعوب المنقولة ظلت تنمو حتى اضطر خلفاؤه إلى الدخول في حرب ليحافظوا على تماسك المجموعة.

وقد أنشأ سرجون مكتبة نينوى كما شجع التجارة عن طريق إنشاء أسواق جديدة والزراعة عن طريق عمل خزانات وقنوات. وكان قصره في دور شاروكين مزخرفًا بالنقوش التي تجدر دراستها مع مقارنتها بنقوش قصر أشورنا تسير أبلا فموضوعاتها لم تتغير تقريبًا ولكن الذي تناوله التغيير كان الأسلوب، فأصبح الأشخاص أكبر من

الحجم الطبيعي كما تطورت النقوش وانتشرت. ولعل الأسد البرونزي المقيد ككلب الحراسة عند بوابات هذا القصر يعتبر كمثل من أروع أمثلة الفن: الأشوري(1).

ولم يكد سناخريب (٧٠٥- ٦٨١ق.م.) بن سرجون يعتلي العرش حتى ظهر مدع استطاع أن يستولي على السلطة في بابل فخرج مروداخ بالادان من مستنقعه وطرده في الشهر التالي (٧٠٣) وحكم هو مدى تسعة شهور. وقد اعتمد -كما كانت الحال من قبل- على القوات العيلامية لتسنده. وحالما خرج ملك أشور لمهاجمته جمع قواته بالقرب من كيش على معبده ثلاثة فراسخ من عاصمته. ولكن الأشوري هزمه واستقبلته بابل استقبال المنتصرين. وقد وضع الملك الأشوري عليها "بعل ابني" بمثابة نائب ملك (٧٠٣- ١٠٠٠) وهو بابلي نشأ في بلاطه. ثم أمضى عامًا كاملًا في تحطيم قوى القبائل الآرامية للفرات الأدنى وهم أولئك الذين كان العرب قد تسروا بينهم والذين كثر عددهم في أوروك ونيبور في سومير وفي كيش وكوثا في أكاد. ثم أرتد مرة أخرى ضد الآراميين في ميزوبوتاميا ونفى وطرد أكثر من مائتي ألف من بينهم، وقام بغارة على الكاسيين وبسط عليهم نفوذ حاكم أرافا ثم أكمل عمله في الشرق ببعض المظاهرات على حدود ميديا.

وأما في الغرب فلم يكن ملك صور ليستطيع أن يحتمل خضوع الأمراء القبرصيين لأشور وهم الذين كانوا يدفعون الجزية من قبل ويتجرون مع مدينته ولذا نراه يرسل جيوشًا لاستعادة "ستيوم" وهي المدينة التي كان سرجون قد أقام فيها لوحته. فأرسل سناخريب في عام ٧٠١ جيشًا قويًا وجهه ضد صور ولم تحاول صيدا أو عكا أو المدن الأخرى الساحلية المقاومة ولكنها فتحت بواباتها للأشوريين فهرب ملك صور إلى قبرص حيث مات بها. أما المواطنون فنظموا الدفاع عن المدينة التي ظلت مصونة. أما فينيقيا التي كانت قد نظمت شئونها كولاية واحدة فقد قررت عليها جزية.

أما في كنعان فإن مصر كانت قد استمرت تدبر إشاعة الاضطراب فيها وكان

---

(١) شكل ٥٣.

عنصر التآمر صدقيا العسقلاني وقد انضوت تحت لوائه يافا وأكرون وأورشليم ولكن صدقيا هزم وأسر ونهبت مقاطعة يافا فأرسل أمراء الدلتا وفرعون هددا. وقامت الحرب في سهل إلى جنوب أكرون وخرج الأشوريون من المعركة منتصرين وأستولوا على المدينة وعلقوا جثث زعماء الثوار على الأسوار ثم اتجه نحو يهوذا واستولى على ٤٦ قرية محصنة وحاصر أورشليم وتمردت حامية المدينة، الأمر الذي اضطر الملك حرفيا إلى المفاوضة وتعهد بدفع جزية قدرها ٣٠ وزنة من الذهب مضافا إليها مازنته عشرة أمثال ذلك من الفضة. كما رأى نفسه مضطرا علاوة على ذلك إلى قبول الانتقاص من مقاطعته.

وقد وجد سناخريب نفسه مضطرًا عقب عودته إلى أشور إلى مقاتلة "بعل ابنى" ملك بابل الذي خان عهده ولم يبر بقسمه. فطارد "موشزيب مردوك" الكلداني الذي كان قد أعلن استقلاله وكذا "مروداخ بالادان" الثاني الذي هجر "بيت ياكين" وركب البحر وهرب إلى "ناجيتي رقى" وبأسر "بعل ابنى" وضع "أشور نادين شومى" ابن الملك الأشوري على عرش بابل (٧٠٠– ٦٩٣).

وفي عام ٦٩٩ق.م. قامت حملة إلى كردستان والإقليم الغربي لبحيرة فان وفي عام ٦٩٨ اتجه جيش لإخضاع قيليقيا التي كان حاكمها قد رفع لواء الثورة فأسر وأحضر إلى نينوى وسلخ حيا. وفي عام ٦٩٥ قامت حملة إلى أرض تابال.

ويتميز عام ٦٩٤ق.م. بعملية حربية جديدة تمامًا –لم يكن لدى سناخريب أسطول ليطارد "مروداخ بالادان" إلى عيلام بحرًا فأمر بإنشاء أسطول جزء منه في "كارشو لمانو أشاريد" و(يرجيك) على الفرات والجزء الآخر في نينوى على دجلة. وقد استغرق إنشاء هذا الأسطول عامًا كاملًا وكان العمال صوريين وصيدائيين وقبرصيين وأبحرت السفن من نينوى حتى أربيسن حيث نقلت برا حتى قناة أرأهتو التي استطاعوا بواسطتها الوصول إلى الفرات. وتم ضم جزأي الأسطول في "باب ساليمبي" واتجه الأسطول كله إلى مصب الأوليوس. وهزم "مروداخ بالادان" وأخذ جنده والجيوش العيلامية التي سندته إلى الأسر. وسرعان ما دخل المعركة "هاللودوش" ملك عيلام وغزا

بابل وثار السكان ضد "أشور نادين شومى" وسلموه للعدو وأعلنوا المدعو "نرجال شزيب" ملكًا عليهم. وعاد الجيش الآشوري وانتشرت المذابح في كل مكان وأسر نرجال شزيب بالقرب من نيبور. أما "موشزيب مردوك" فقد ظهر مرة أخرى وعقد حلفا مع عيلام.

ولقد حاول الملك الآشوري أن يستغل – في نهاية عام ٦٩٣– ثورة قامت في عيلام استطاع "كوتور ناهونتي" من ورائها أن يخلع "هاللدوش". وقد تراجع العيلاميون في مبدأ الأمر إلى الجبال ولكن الأمطار والثلوج سقطت بغزارة في بداية عام ٦٩٢ حتى اضطر الجيش الأشوري إلى التراجع ومات "كوتور ناهونتي" بعد ذلك بفترة قصيرة وخلفه أخوه الأصغر "أومانيجاش" وقد أرسل جيوشًا ضد أشور بناء على التماس ملك بابل: فقامت معركة كبيرة في هالولي التي لا تبعد كثيرًا عن ملتقى التورنات بدجلة ولكنها لم تكن حاسمة (٦٩٠).

وفي نفس العام بسط سناخريب سلطانه على بعض القبائل العربية التي هربت جيوشها إلى ناحية أدوماتو (الجوف) عند مدخل نفود "وهو مكان مجدب لا طعام فيه ولا شراب" وقد سار ملك أشور على طرف الصحراء حتى الحدود المصرية ونصب معسكره في لاشيس وأرسل من هناك رسلًا إلى حزقيا ملك يهوذا فأسرع طهرقة الملك الأثيوبي نحو الميدان وتجهز الجيش الآشوري للمعركة ولكن بعد ما تحمله من حرمان من جراء قسوة الطبيعة في أقاليم الصحراء هلك جزء كبير منه يضاف إلى ذلك ما قاساه من جراء وباء انتشر عن طريق الفيران فدفع ذلك كله الملك إلى أن يتخلى عن خطته التي كان قد دبرها للمعركة وأن يأمر بالانسحاب.

وكان "موشزيب مردوك" في بابل يثير متاعب جديدة فقرر سناخريب أن يضع حدا لذلك فاستولى على المدينة وجعل عاليها سافلها وأشعل فيها النيران ثم أغرقها. وبعد ثماني سنوات أي في العشرين من تبت من عام ٦٨١ق.م. بينما كان الملك يصلي في المعبد اغتاله ابنه "أراد ملكات" و"ونابوشارأوتسور" الذي سمى العام المذكور باسمه.

وقد جدد سناخريب نينوى التي كان سرجون قد هجرها وزودها بكمية وافرة من ماء الشرب وبنى بها قصرا زينه بالنقوش التي بدأت تظهر فيها الصفوف العليا من اللوحات المصورة وميل واضح إلى التدقيق في نقش المناظر. كما وسع المكتبة التي أسسها أبوه وأدخل في أشور عددًا من النباتات والأشجار الجديدة.

ولم يستطع أراد ملكات أن يتفق بما جناه من قتل أبيه فبينما هو يستعد لإعلان نفسه ملكا جمع أخوه أسار حدون (٦٨١– ٦٦٨.ق.م.) أعوانه وحارب أخاه وهزمه وتوج نفسه ملكًا بعد مقتل سناخريب بـ٤٢ يومًا.

ولما كان من أم بابلية فإنه عول على أن يقيم من جديد العاصمة المهدمة. وكان نابوزر كنوليشير بن مروداخ بالادان الثاني يحاول في الوقت نفسه أن ينتهز فرصة تغيير الملك فأثار "أرض البحر" وتقدم لمحاصرة أور ولكنه هزم واضطر إلى الهرب إلى عيلام حيث قتله "حومانالداش" الثاني (٦٨١– ٦٧٥) وسرعان ما خضع أخوه ناعبد مردوك.

وأما في سوريا فإن فرعون كان يحاول استعادة نفوذه وقد ثار "عبدي ملكوتي" ملك صيدا بإيعاز منه. وقد انتهت الحملة الأولى بنهب مدينته وأسر في عام ٦٧٦ق.م. وقطع رأسه وحمل إلى نينوى. وقد لقى نفس المصير شريكه "ساندواري" ملك سيس في قيليقيا ونفى الناس جماعات وحلت محل صيدا مدينة جديدة هي "كاراشور أحا أدين" وعين عليها حاكم أشوري وسكنها كلدانيون أسروا في العام الأول من حكمه.

وكان الآراميون وخاصة قبيلة "بيت داكوري" يتآمرون في بابل حتى أستطاعوا أخيرًا أن يدفعوا "حومانالداش" أن يعيرهم عونًا محسوسًا فاستولى الجيش العيلامي على سيبار ولكن موت الملك المفاجيء اضطر خلفه "أورتاكو" إلى أن يكف عن الإعتداء.

وأراد "أسارحدون" أن يتابع الصراع القديم ضد مصر وأن يدخل إلى الدلتا التي لم يسبق لجيش آشوري أن تقدم نحوها فشق طريقه حتى سيل مصر (وادي العريش) (٦٧٥) ولكنه استدعى إلى بلاده ليواجه حلفا من الآريين والسكيثيين والميديين الذين

كانوا يتهددون الحدود الشمالية والشرقية للإمبراطورية وكان سرجون (٧٢٠) قد هزم مجموعتين من الكيثيين والأشكوزاي والسيميريين القادمين من قارة أوروبا ولكن السميريين استطاعوا إذ ذاك أن ينحدروا ويستقروا في أحواض الأراكس والهاليس. أما الأشكوزاي فقد استقروا بالقرب من المانيين في مكان ليس بعيدًا عن بحيرة فان. فهاجم أسار حدون ثيوشبا قائد السيميريين وطرده إلى آسيا الصغرى ثم هزم الأشكوزاي المتحالفين مع المافيين.



(شكل ٤٢) لوحة أسار حدون

وأرسل الجيش الأشوري مرة أخرى إلى مصر... ولكن ليس عن طريق سوريا بل عن طريق الصحراء الذي كان سناخريب قد سلكه.

وقد استطاع الجيش أن يخضع وهو في طريقه بعض القبائل العربية التي قتل ملوكها

الصغار. ولم يكد الجيش يصل إلى الصحراء السورية حتى اضطر للعودة لمقابلة العيلاميين والميديين (٦٧٣) وانضم الجامبولو إلى آشور ضد عيلام واضطر ملوك "ميديا" (الميديين) حين ضيق عليهم الخناق عند سفح ديما قائد إلى الخضوع وتقديم الجزية.

وقد استدعيت الحشود المسخرة من سوريا جميعا وكذا من قبرص لينقلوا إلى نينوى المواد المطلوبة لبناء قصر جديد. وكان بعل ملك صور قد أقسم يمين المعاهدة مع أشور: ولكن لم يمنعه ذلك من أن يتصل بطهرقة ملك أثيوبيا متآمرا فحوصرت مدينته في بداية عام ٦٧١ق.م. ومر الجيش الأشوري بها نحو الجنوب إلى رابيحي (تل رفح) حيث أحضر العرب جمالًا لعبور الصحراء وشق الجيش طريقه للمرة الأولى في أرض مصر. ووصل بعد خمسة عشر يومًا إلى منف وهو يقوم بمعركة تلو معركة. وفي الثاني والعشرين من تموز (يولية) أستسلمت المدينة بعد مقاومة أستغرقت نصف يوم وفر طهرقة إلى الجنوب وأسرت زوجته وحريمه وأولاده. وأعيد الأمراء الأقدمون في المدن المهزومة إلى وظائفهم وأن ألحق ببلاطهم ضباط وكتاب أشوريون.

وكانت قعقعة الثورة تدوي في أشور فذبح الملك في عام ٦٧٠ق.م. الكثيرين من أمرائه الذين لم يكونوا ليقبلوا بغير تذمر اختيار أشور بانيبال الابن الأصغر لاسار حدون وريثًا شرعيًا للتاج الأشوري في الوقت الذي كان عرش بابل وحده من نصيب ابنه الأكبر شاماش هوم أوكين.

وفي العام التالي كانت الأمور في مصر تتطلب تدخلًا جديدًا إذ عاود طهرقة الظهور واستعاد منف فأتخذ أسر حدون الخطوة للتقدم لولا أنه سقط مريضًا ثم مات في العاشر من مارهشوان (أكتوبر– نوفمبر) عام ٦٦٩ق.م.

فأمر أشور بانيبال (٦٦٩– ٦٢٦) رئيس الجيش أن يتابع السير وأن يجمع كل القوى في الدويلات التابعة له التي يمر بها في طريقه. فهزم جيش طهرقة بالقرب من كاربانيت في الدلتا وتقدم الأشوريون في وادي النيل حتى طيبة وأعيد تنظيم البلاد.

ولكن لم تكد الجيوش تعود إلى سوريا حتى تآمر ثلاثة من ملوك الدلتا بقصد الاستقلال وهكذا غزيت الدلتا جميعها مرة أخرى ونهبت سايس ومندس وتانيس، ولما مات طهرقة (٦٦٦) استولى ابن أخيه تانداماني (تانوت آمون) على طيبة وأونو (هليوبوليس) وأتجه نحو منف حيث كانت قوات البوليس الأشورية مركزة. ووصل الجيش النينوى إلى الميدان وأضطره إلى الإنسحاب جنوبا وطارده إلى النوبة ونهب مدينة طيبة وحمل معه مسلتين كعلامة من علامات النصر.

وكانت إحدى نتائج هذه الحملة تهدئة سوريا حيث لم يجرؤ أي ملك على معاودة التآمر– وقد ذاعت شهرة أشور بانيبال في آسيا الصغرى فأرسل جيجس ملك ليديا إليه وفدًا ملتمسًا عونه في صراعه ضد السيميريين الذين كانوا يهدون دولته: وفي الوقت الذي كانت ليديا تحارب هؤلاء الآريين هاجمت أشور أحلافهم المانيين والميديين (حوالي ٦٦٠) الذين كانوا قد أتحدوا تحت قيادة رئيس واحد.

والتمس "شماش شوم أوكين" العون من أخيه ضد العيلاميين الذين انتشروا في بابل بفضل تستر الجمبوليين. وقد هزم ملكهم "أورتاكو" ومات (٦٦١) وأستولى على العرش مغتصب يدعى تيومان وطلب أن يسلم إليه الأمراء العيلاميون الذين كانوا قد إلتجئوا إلى نينوى. وقد دعا هذا إلى قيام حرب جديدة فهزم "تيومان" في "تولليز" في جنوب سوسه وحمل رأسه رمزًا للنصر وقسمت عيلام إلى مملكتين وضع على عرشيهما ابنا "أورتاكو" وهما: "هوما نيجاش" الثاني "وتاماريتو".

وقد كان "شاماش شوم أوكين" سببًا في إشعال نار الحرب من جديد، إذ أن هذا الأمير كون حلفا ضد أخيه حوالي ٦٥٢ق.م. ضم كل أمراء كلديا كما أنضم له هومبا نيجاش وكذلك فعلت شعوب الجبل وقد امتد هذا الحلف غربًا عن طريق بلاد العرب إلى شبه جزيرة سيناء وسوريا، ولكن هذه الحركة قمعت في قوة وعنف وقاست بابل من السيف والنار والدم وحبس شماش شوم أوكين نفسه في قصره وأشعل فيه النار وهلك في لهيبها. أما كلديا فقد أقيم عليها حكام أشوريون (٦٤٨).

وكان "تاما ريتو" في عيلام قد خلع أخاه وأنضم إلى الحلف البابلي فخلعه مغتصب يدعى "أندابيجاش" ولكن سرعان ما حل محله "أوما نالداسي" ثم "أومباهابوا" وتقدم الجيش الأشوري نحو سوسه وأعاد "نماريتو" ولكن سرعان ما تحرك وظهر أوما نالداسي وانتهى التدخل الجديد بنهب وتحطيم سوسه (٦٤٠) ولم ترع حرمة الموتى إذ حملت عظام ملوكهم إلى أشور وحرمت أرواحهم من الراحة وذلك بعدم تقديم القرابين الجنزية. وقد حاول بسماتيك في مصر أن يكون حلفا وتلقى مددا من جيجس الليدى ولكن الوثائق المسمارية لا تتحدث عن قمع هذه الثورة وإن كانت تذكر فقط موت جيجس في صراع بين السيميريين كما تذكر رسالة أرسلها ابنه إلى الملك الأشوري يعترف له فيها بولائه.

وقد وجهت عدة حملات ضد العرب وقامت غارة أولى وصلت إلى نباتين وذلك عقب سقوط بابل مباشرة فاصطنع ملك نباتين الخضوع ولكن سرعان ما أستدعت الحال العودة إليه: وحاول العرب أن يستدرجوا الجيش الأشوري إلى الصحراء ولكنه أخذ معسكرات "أتر سامايين" والكيدرانيين وأستطاع "واتى" بن "بيرددا" –الذي كان الأشوريون قد نصبوه ملكا– أن يهرب ولكنه طورد وسادت المجاعة وانتشر الطاعون بين العرب الذين خانوا ملكهم وسلموه إلى العدو فحمل إلى نينوى وربط من فكه الأسفل إلى سلسلة كلب وعرض على البوابة الشرقية للمدينة.

وصلت أشور وقتئذ إلى أوجها: وبلغ أتساع الإمبراطورية إلى أقصى ما وصلت إليه وكانت نينوى قد طفحت وأمتلأت بالثراء وكان الأمراء الأسرى يجرون عربة أشور بانيبال حين يذهب إلى المعبد ليقدم الشكر للمعبود من أجل أنه مهد له دائما سبيل النصر. وجمعت في المكتبة التي أسسها سرجون أهم الوثائق للآداب البابلية والأشورية وزينت قاعات الاحتفالات في القصر بالنقوش التي بلغ بعضها القمة من ناحية الدقة الفنية.

وينقطع قصص الحوليات في عام ٦٣٦ق.م. وليس بها نبأ ما عن النزاع الذي أدى بهذه الإمبراطورية إلى الانهيار بعد أقل من ثلاثين عامًا.

ولقد كونت في الشرق –هضبة إيران– القوة التي قدر لها أن تغزو أرض أشور وتحاصر نينوى وتزيلها من وجه الأرض إلى الأبد. وربما أتى الميديون والفرس من أوروبا عبر القوقاز واستقروا هناك الأول في الجنوب والآخرون في الشمال وكان الأشوريون قد دخلوا في صراع للمرة الأولى في القرن التاسع مع بعض القبائل الميدية، وفي القرن التالي نفى سرجون بعضهم إلى سوريا وأحل محلهم السامريين وبعض الشعوب الأخرى المغلوبة على أمرها. وقد استطاع "دايا أوكو" وهو (De Joces عند اليونان) في خلال حكمه أن يجمع شمل قبائل متعددة ويعلن نفسه ملكا واختار "أكبتاني" عاصمة له وخلفه فرافارتي (Pilradrtes– حوالي ٦٤٧– ٦٢٥) وضم بعض الولايات المجاورة وانتصر على الفرس الذين انتهز ملكهم تايسبس فرصة تدمير سوسه، ليستولي على جانب من عيلام ويعلن نفسه ملكا على إنشان ثم هاجم عندئذ أشور ولكنه سقط في ساحة القتال مع معظم جنده.

وأعاد سيا كسار ابنه تنظيم الجيش على النظام الأشوري. ولما دخل ساحة الحرب مرة أخرى هزم القواد الأشوريون وحوصرت نينوى ولكن جيشًا جديدًا أشترك في الصراع وهم السكينيون القادمون من أوروبا والذين كانت تربطهم بآشور صلات منذ أكثر من قرن من الزمان فهاجموا الميديين من المؤخرة وهزموهم إلى الشمال من بحيرة أورميا واجتاحوا أقليمهم ثم أنقضوا على أشور وحرقوا كاح وأشور ودمروا كل ما لقوه في طريقهم وانتشروا بعد ذلك في البلاد التي كانت تدفع الجزية ووقفوا في النهاية على حدود مصر تقديرا للهدايا الثمينة التي قدمها لهم بسماتيك.

وحوالي عام ٦١١ أستطاع "سيا كسار" أن يرفع النير. وكان أشور بانيبال قد مات (٦٢٦– ٦٢٥) وأحتل العرش ابنان له على التوالي وأن لم يكن ذلك بغير صراع نظرا لظهور مدعين للعرش. ولم يستطع ثانيهما "سنشار أشكون" أن يبسط نفوذه خارج أشور نفسها إلا على بضع مدن بابلية ظلت موالية له ثم أعلن "نابوبو لاسار" الكلداني حاكم بابل نفسه ملكا وسرعان ما تحالف مع الميدى ضد مولاه القديم وحوصرت نينوى وسقطت ودمرت بالنار والفيضان (٦١٢).

وتحطمت الإمبراطورية الأشورية إلى الأبد ورددت الشعوب التي خلعت نيرها كلمات النبي اليهودي:

"كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك:

لأنه على من لم يمر شرك الدام؟"(١).

قائمة تاريخية لأمراء آشور ومن يعاصرهم من أمراء سومير وأكاد

علامة* تسبق أسماء الأمراء الآشوريين الذين لدينا نقوش عنهم

علامة× تدل على المعاصرين:

أوشيبا ترتيب غير معروف

كيكيا ذكرهما ملوك متأخرون

سوليو(؟)

*زاريكوم	حوالي ٢٠٤٠	بورسن ملك أور
١- بوزور آشير الأول		الأسـرة الأولى البابلية
٢* شاليم أهوم		
٣* ايلوشوما الأول	٢٢٢٠× ١- سوموابوم	٢٢٢٥- ٢٢١٢
٤* اريشوم الأول	٢٢٠٠× ٢- سومولا ايلوم	٢٢١٢- ٢١٧٦
٥* ايكونوم	٣- زابيوم	٢١٧٥- ٢١٦١
٦- سرجون الأول		
٧- بوزور أشير الثاني	٤- ابيل سن	٢١٦١- ٢١٤٤

(١) ناحوم ٢: ١٩.

٨– أهي أشير	٥– سن موبالليت	٢١٤٣– ٢١٢٤	
٩– رم سن	٦– حمورابي	٢١٢٣– ٢٠٨١	
١٠– ايلوشوما الثاني			الأسرة الثانية
١١– آريشوم الثاني			×ايلوما ايلوم
١٢– شماشي اداد الأول			ايتي ايلي نيبي
١٣– اشمي دجان الأول	٧– سمسو ايلونا	٢٠٨٠– ٢٠٤٣	
١٤–.... أششات	٨– ابيشو	٢٤٠٢– ٢٠١٥	داميق ايليشو
١٥– ريموش	٩– أمي ديتانا	٢٠١٤– ١٩٧٨	
١٦– أداسي	١٠– امي زادوجا	١٩٧٧– ١٩٥٧	ايشكيبال (معاصر بعل بابي)
١٧– بعل باني	١١– سامسو ديتانا	١٩٥٦– ١٩٢٥	**Weidner, Assur, 4128**
١٨– شابابا			شوشي
١٩– شارما اداد الأول			كولكشار
٢٠– جيزيل سن			...رن

الأسرة الثالثة

٢١– زمزايا			
٢٢– لولايا			
٢٣– بان نينوا			
٢٤– شارما اداد الثاني			
٢٥– أريشوم الثالث	١– جنداش	حوالي ١٧٦١– ١٧٤٧	بشد اجالدا راماش
٢٦– شمشي اداد الثاني	٢– أجوم الأول	١٧٤٥–	أداراكالاما

		١٧٢٤	
٢٧– اشمي دجان الثاني	٣–كشتلياش الأول	١٧٢٣–	ايكورو لانا
		١٧٠٢	
٢٨– شامشي اداد الثالث	٤– ابيراتاش	١٧٠١–	ميلامكور كورا
		١٦٩٤	
	٥–كشتلياش الثاني		ايا جميل
	٦– تازيجوروماش		
	٧– هارباشيباك		
	٨–......		
	٩– أجوم الثاني		
	١٠–كوريجالزو الأول		
	١١– ملشباك الأول		
٢٩–......			
٣٠– بورور أشير الثالث	١٢– نازيمـــا روتاش الأول		
٣١– انليل هتسير الأول			
٣٢– نور ايلي			
٣٣– اشمسي دجان الثالث			
٣٤* اشير نيراري الأول	١٣– بـــور نابـــورياش الأول		
٣٥* بوزور أشير الرابع			
٣٦– انليل نتسير الثاني	١٤–كشـــــتلياش الثالث		

٣٧- آشير رابي الأول	١٥- أجوم الثالث		
٣٨- آشير نيراري الثاني		في مصر	
٣٩- آشير بعل نشيشو	١٦- كارا انداش الأول	×أمنحتب الثالث	حوالي ١٤١٣-١٣٧٧
٤٠- آشير رم نشيشو	١٧- كوريجالزو الثاني		
٤١* أشورنا دين امي	١٨× كادشيان الليل الأول		
٤٢* أريبا اداد	١٩× بورنابورياش الثاني	×أمنحتب الرابع	حوالي ١٣٧٦-١٣٦١
٤٣* آشور أوبالليت	٢٠× كادا انداش الثاني		
	٢١× كادشمان حاربي الأول		
	ناز يبوجاش (مغتصب)		
	٢٢× كوريجالزو الثالث		
٤٤* ايلليل انيراري		٢٣ سنة	حوالي ١٣٥٧-١٣٣٥
٤٥* اريك دن ايلي			
٤٦* اداد نيراري الأول			
	٢٣× ناذي مارو تاش	٢٦ سنة	حوالي ١٣٣٤-١٣٠٩
٤٧* شلمنصر الأول حوالي ١٢٩٠-	٢٤× كادشمان تورجو	١٧ سنة	حوالي ١٣٠٨-

١٢٦٠			١٢٩٢
	٢٥× كادشمان ايلليل الثاني	٦ سنوات	حوالي ١٢٩١- ١٢٨٦
٤٨* توكولتي اينورتا الأول ١٢٦٠- ١٢٤٠	٢٦-كودور ايلليل	٩ سنوات	حوالي ١٢٨٥- ١٢٧٧
	٢٧- شاجاراكتي شورياش	١٣ سنة	حوالي ١٢٧٦- ١٢٦٤
	٢٨-كاشتلياش الثالث	٨ سنوات	حوالي ١٢٦٣- ١٢٥٦
	٢٩- ايليل نادين شوم	١.٥ سنة	حوالي ١٢٥٥- ١٢٥٤
	٣٠-كدشمان حربي الثاني	١.٥ سنة	حوالي ١٢٥٤- ١٢٥٣
	٣١- اداد شوم ادين	٦ سنوات	حوالي ١٢٥٢- ١٢٤٧
	٣٢- اداد شوم اوتسور	٣٠ سنة	حوالي ١٢٤٦- ١٢١٧
٤٩* آشور نادين ابلا الأول			
٥٠* آشور نيراري الثالث ٦ سنوات	٣٣- مليشيباك الثاني	١٥ سنة	حوالي ١٢١٦- ١٢٠٢
٥١- ايلليل كودور أوتسور ٥ سنوات	٣٤- مروداخ بالادان الأول	١٣ سنة	حوالي ١٢٠١- ١١٨٩
٥٢- اينورتا ابال ايكور الأول ١١٨٢- ١١٤٥	٣٥× زبابا شوم ادين	١ سنة	حوالي ١١٨٨
٥٣- اشور دان الأول	٣٦- ايلليل نادين	٣ سنوات	حوالي ١١٨٧-

اهي ١١٨٥

الأسرة الرابعة

٥٤- اينور تاتوكولتي اشور	١- مردوك شابيك زيريم	١٧ سنة	حوالي ١١٨٤-١١٦٨
٥٥- موتاكل نوسكو	٢- اينورتا نادين شومي	٦ سنوات	حوالي ١١٦٨-١١٦٢
٥٦- أشور رش ايشي الأول حوالي ١١٣٥- ١١١٥	٣× نيوخودو روسور الأول		
	٤× ايلليل نادين ابلي		
٥٧- تجلات فلاسر الأول حوالي ١١١٥- ١١٠٠	٥× مردوك نادين اهي		
٥٨- اينورتا ابال ايكول الثاني	٦- اتى مردوك بلاتي		
٥٩- آشور بعل كالا الأول	٧× مردوك شابيك زرماتيم		
	٨× اداد أبال ادين	٢٢ سنة	١٠٩٥- ١٠٧٤
٦٠- ايلليل رابي	٩- مردوك اهي	1.5 سنة	١٠٧٣
٦١- آشور بعل كالا الثاني	١٠- مردوك زر	١٢ سنة	١٠٧٣- ١٠٦١
	١١- مردوك شوم ليبور	٨ سنوات ما بين	١٠٦٠- ١٠٥٣

الأسرة الخامسة

٦٢- اريبا		١- شيماش شيباك	١٨ سنة ما بين	١٠٥٢- ١٠٣٢
٦٣- شمشي اداد الرابع		٢- ايامـو كـوكين شومي	٥ شهور	١٠٣٥
٦٤- آشور نتسير ابلا الأول	١٩ سنة	٣-كاشـرو نادين اهي	٣ سنوات	١٩٣٤- ١٠٣٢

الأسرة السادسة

٦٥- سلمنصر الثاني	١٢ سنة		١٧ سنة	١٠٣١- ١٠١٥
٦٦- آشور نيراري الرابع	٦ سنوات	١- أولماش شاكين شومي	٣ سنوات	١٠١٤- ١٠١٢
٦٧- آشور رابي الثاني	١٠١٢- ٩٩٥	٢- اينورتا كودور أوتسو	٣ شهور	١٠١٢
		٣- شرقتو شوقامونا		

الأسرة السابعة

٦٨* آشور رش ايشي الثاني	٩٩٥- ٩٦٦	ماربيتي ابال أوتسور	٦ سنوات	١٠١١- ١٠٠٦

الأسرة الثامنة

٦٩* تجلات فلاسر الثاني	٩٦١- ٩٣٣	١× نابوموكين ابلي	٣٦ سنة	١٠٠٥- ٩٧٠
		٢× اينورتا كودور أوتسور الثاني		٩٧٠
		٣× ماربيتي اهي		٩٧٠- ٩٤٦

		أدين	
٧٠- آشور دان الثاني	٩٣٣- ٩١١	٤× شماش موداميق	٩٤٥- ٩٠٥
٧١* اداد نيراري الثاني	٩١١- ٨٩٠		
		٥× نابوشوم أوكين	٩٠٥- ٨٨٥
٧٢* توكولتي اينورتا الثاني	٨٩٠- ٨٨٤		
		٦× نابو ابلا أدين	٨٨٥- ٨٥٢
٧٣* آشور ناتسير ابلا الثاني	٨٨٤- ٨٥٩		
٧٤* سلمنصر الثالث	٨٥٩- ٨٢٤		
آشور دانين ابلا (مغتصب)			
		٧- مردوك زكير شوم	٨٥٢- ٨٢٢
٧٥* شمشي اداد الخامس	٨٢٤- ٨١٠	٨- مردوك بالاتسو ايقبي	٨٢٢- ٧٩٤
٧٦* اداد نيراري الثالث	٨١٠- ٧٨٢		
		٩- باوو اهي أدين	
		١٠- مردوك بعل	
		١١- مردوك بال أوتسور	

٧٧- سلمنصر الرابع	٧٨٢- ٧٧٢	١٢- اريبا مردوك	٧٨٢- ٧٦٢
٧٨- آشـــور دان الثالث	٧٧٢- ٧٥٤		

الأسرة التاسعة

		١- نابو شوم اشكون الثاني	٧٦١- ٧٤٨
٧٩- اداد نيراري الرابع	٧٥٤- ٧٤٦		
		٢- نابو ناسار	٧٤٨- ٧٣٤
٨٠* تجــلات فلاســر الثالث	٧٤٥- ٧٢٧		
		٣- نابو نادين زر	٧٣٤- ٧٣٢
		٤- نابو شوم أوكين الثاني	٧٣٢

الأسرة العاشرة

		١- نابو أوكين زر	٧٣٢- ٧٢٩
		٢- بولو	٧٢٩- ٧٢٧
٨١* سلمنصر الخامس	٧٢٧- ٧٢٢	٣*أولولاي	٧٢٧- ٧٢٢
٨٢* سرجون الثاني	٧٢٢- ٧٠٥	٤- مروداخ بالادان الثاني	٧٢١- ٧١٠
		٥× سرجون	٧٠٩- ٧٠٥
٨٣* سناخريب	٧٠٥- ٦٨١	٦× سناخريب	٧٠٥- ٧٠٣

		٧- مردوك زاكين شوم	٧٠٣
		٨- مروداخ بالادان الثاني	٧٠٣
		٩- بعل ابني	٧٠٣- ٧٠٠
		١٠- آشوؤ نادين شومي	٧٠٠- ٦٩٤
		١١- نرجال شزيب	٦٩٤- ٦٩٣
		١٢- موشزيل مردوك	٦٩٣- ٦٨٩
		١٣- سناخريب	٦٨٩- ٦٨١
	٦٨١- ٦٦٩	١٤× أسارحدون	٦٨١- ٦٦٩
٨٤* أسارحدون	٦٦٩- ٦٢٦	١٥× شماش شوم أوكين	٦٦٨- ٦٤٨
٨٥* آشور بانيبال		١٦-كاندا لانو	٦٤٨- ٦٢٦
٨٦* آشور اتيل الثاني	٦٢٦	١٧- آشور اتيل الثاني	٢٦٦

الأسرة الحادية عشرة

		١- نابوبو لاسار	٦٢٥- ٦٠٤
٨٧- سن شوم ليشير		١٨× سن شوم ليشير	
٨٨* سن شار اشكون	٦١٢	١٩× سن شار اشكون	٦١٢

الكتاب الثاني

النظم

الفصل الأول

الدولة والأسرة

١- الدولة

كان نظام الدولة هو نفسه كما في بابل فكان الإله أشور هو السيد الحقيقي للبلاد والمدينة التي تحمل اسمه كما كان ملك أشور نائبه ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذ أي مشروع قبل أن يتلقى أمره ويقدم حسابًا عنه. وعند عودته من كل حملة مثلا كان الملك يقدم له تقريرًا إضافيًا هو في الحقيقة يوميات الحملة وسرد للنجاح الذي حققته. فإذا كان تجلات فلاسر هاجم كوماجين فما ذلك إلا "لأنها منعت جزيتها وهداياها عن الإله أشور". ويقول الأمير نفسه في مكان آخر عن الشعوب المنهزمة: "لقد أخضعتهم لأشور مولاي وعددتهم ضمن رعايا أشور مولاي" وكما هي الحال فيما شهدناه في بابل كانت كل مدينة مسكنا للمعبودات. ويشير سرجون إلى "الآلهة الذين يقيمون في كلح"، والآلهة والآلهات الذين يقطنون سومير وأكاد، وبعد تدمير بابل يقرر أسار حدون أن "الآلهة والآلهات الذين كانوا يقطنون فيها صعدوا إلى السماء على حين أخضع الناس الذين كانوا يعيشون فيها للنير والقيود".

وكان يقوم على رأس المجتمع الملك والملكة وولي العهد. ولكل منهم مسكنه الخاص بموظفيه المتعددين. وكان الملك يمنح اسمه للسنة الأولى لولايته للعرش. كما يعطي "التورتان" أو القائد الأعلى اسمه للسنة التالية ويتلوهما في هذا الشرف المشرف على القصر ورئيس السقاة وعشرات من الضباط الآخرين. ولقد أحاط السرجونيون أنفسهم بجيش من الأخصاء والمقربين: كحامل الختم ورئيس الاحتفالات وأمين القصر وحامل المفاتيح ورئيس السقاة والمشرف على الحظائر وكبير الأطباء يعاونه طبيب مساعد والطبيب الخاص للملك وكاتب القصر وكاتب الحرملك وكاتب الخطابات الأرامية

وكاتب الخطابات المصرية ومفتش القصر وقائد القصر ورئيس الحرس وبستاني القصر ومفتش الحرملك والمشرف على القطعان ورئيس الخبازين وكبير المخصيان وحامل السيف وحامل الصولج ورئيس الصياغ ومدير الموسيقى ورئيس القصارين ورئيس النساجين ورئيس بوابي البوابة الرئيسية إلخ.

وكان للملكة الوالدة وللملكة هيئة موظفين من الكتاب وحامل الختم ورئيس الرسل والنساجات إلخ. أما ولي العهد فكان لديه – شأنه في ذلك شأن الملك– بيت حربي وبيت مدني. وكان يشرف عليه حاكم ويحوطه عدد من الكهنة ورجال الأعمال والمفتشين.

وكان الشعب ينقسم إلى طبقتين: الأمراء والعبيد.

وكما هي الحال في بابل كان للأسرة مكانتها في أشور فكان من المعتاد أن تعامل أسرة العبيد كوحدة كاملة لا فردا فردا، فإذا بيع فإنه لا ينتقل وحده بل إن الصفقة تتضمن في الوقت نفسه زوجته وأولاده وبناته وأمه الأرملة وأخاه الأصغر إن كان لا يزال قاصرا في حكم القانون.

ولقد أشترى "أولولاي" من "نابواريبا" في عام ٦٨٤ق.م. بمبلغ ٦ مينا من الفضة العبد "كاند للانو وأبناءه الثلاثة وزوجته وابنتيه وأخاه وأولاد الأخ الذكور الثلاثة" كما با ع "كيكينانو" رجلاو وأمه إلى "شوقا إيلاني"، وكما سلم "ياكارا أحي" مع ابنته. وإننا لنجد في عقد واحد معا: رجلا وزوجته وابنته، ورجلا ومعه زوجته وأبناؤهما الثلاثة وزوجان وعبد بمفرده[1].

ورغم أنه كان يشار في معظم الأحوال إلى رفيق العبد بالإصطلاح المبهم "امرأة" فإنه كان يطلق عليها كذلك كلمة "زوجة" وكلا الإصطلاحين يترددان على التبادل في العقد المذكور. وكان السيد يختار بنفسه في معظم الأحوال العبيد الذين يريد أن يزاوجهم: أشترى كاكولانو بنصف مينا من الفضة الفتاة "أبي دلالي" وزوجها من عبده

(1) XIV No 230, 235, 245, 246.

"أولولاي". وفي مناسبة أخرى نرى نفس الشخص يقوم بعملية مشابهة لمصلحة عبده "تارهو نازي". وكان الزواج من امرأة واحدة هو القاعدة في مثل هذه الزيجات كما هي الحال بين الأحرار. ومع ذلك فإنه حدثت زيجات بأكثر من امرأة: فنحن نجد في عقد من ٦٨٠ق.م. خاص ببيع سبعة أشخاص أن عبدًا بيع مع زوجته وأطفاله[1] ولم يكن العبد يستطيع أن يمنح أطفاله اسمه فكان العبد يعرف باسمه وحده دون ذكر اسم أبيه.

وكما هي الحال في بابل كان العبد يستطيع أن تكون له أملاك خاصة منقولة وثابتة فكان يملك الحقول وحديقة وبيتًا وعبيدًا. وكان يستطيع كذلك أن يقوم ببعض العمليات من بيع وشراء قرض وشهادة شأنه في هذا شأن الرجل الحر. وكان له كذلك ختم يصدق به على الوثائق. وفي خلال تكنية "مردوك شاراوتسور" نرى عبدا لـ"دادا رياني" يبيع امرأة يمتلكها فينقلها إلى "عبدونو" بن "كاكو لانو" رجل الأعمال المشهور الذي كثيرًا ما يظهر اسمه في العقود التي ترجع إلى عهد أشور بانيبال ولا تختلف محتويات اللوحة في شيء من العقود المتداولة المعتادة بين طرفين من الأحرار. وهناك عبد آخر باع حديقة في ٦٦٩ق.م. وأعترف "نابو تاريتس" في عام ٦٧٩.ق.م. وهو عبد لـ"تسابانو" أنه تسلم ٢١٠ مينا من البرونز من "شانجو عشتار" بوضع ختمه[2].

والعقود التي وردت فيها أسماء العبيد كشهود كثيرة. فهناك عبد مع اثنين من أتباعه كان حاضرًا وقت تحرير عقد مؤرخ في ٧٠٩ق.م. وهناك وثيقة سبقت الإشارة إليها بسبب النصوص الجزائية الواردة فيها والتي تطبق على من يحاول إلغاء الإتفاق. وقد ورد فيها من بين الشهود أحد عشر شاهدًا من عبيد كبار رجال الدولة، وقد تم تحرير العقد: أمام باجاجي، بيلاي، أو ردو، أشور كاشوم... والأربعة جميعا من عبيد محافظ القصر وأمام لوكيماما، شارو أقبى، حلموسو... والثلاثة جميعا من عبيد رئيس ماموري الأقوات. وأمام أبلى بالانسو أقبى، وكناني عشتار وهما عبدان لحامل الختم، وأمام "تسيل أداداد" عبد "راب كرماني". وأمام "أكرو" جابي مكوس نينوى وأشور أحى

(1) Ibid No 300, 308, 220.
(2) Ibid Nos 311, 366, 161.

أوتسور، أشوراي، أردى عشتار عبيد... و"أمام شوما إيلاني"[(١)].

وكانت هناك طبقة هامة من العبيد تتكون من موالي الأرض. وحين كانت الأملاك التي يعملون بها يتغير أصحابها كانوا يضمنون في عقد البيع وكان في معظم الأحيان يشار إليهم عائلة عائلة. ولقد أشترى "ملكي نوري" في عام ٦٦٨ق.م. مزرعة من "نابو شزيب" بحالتها بحقولها وحدائقها وعمالها "وأشترى" شومايلاني، خمسين أيمر من الأرض بها ١٠٠٠٠ شجرة فواكه وبيتا و"حشانا" وأبناءه الأربعة وزوجته والمرأة دانجي وابنها وابنتها... أي ٩ أشخاص في المجموع.

وأحيانا كان الناس يؤخذون دون ضمانة: وهكذا فعل "ملكي نوري" على ما يظهر إلا أن المشتري كان يحتفظ أحيانا أخرى بحقوقه: فقد ورد في عقد بيع من دوجاوا وأبيه فقرة خاصة بالصرع والمطالبة.

وإذا رهنت أحدى الممتلكات فإن العبيد كانوا يسلمون في نفس الوقت ثم يسترجعون عند السداد: ولقد تسلمت السيدة "أداتي" في عام ٦١٤ ضمانة عن ٢ مينا من الفضة... لا قطعة أرض مساحتها ١٢ أيمر فحسب بل وكذلك العائلتين اللتين كانتا تزرعانها وإحداهما مكونة من خمسة أشخاص والأخرى من زوج وزوجة لا عقب لهما[(٢)].

وكان من المستطاع أحيانًا أن يصل العبد إلى وظيفة عالية: ففي عام ٦٨٣ق.م. نجد عبدًا بيت الملكة يصبح مفتشًا للمدن.

٢- الجيش

كان ملك أشور يقود حملة في كل عام تقريبًا في شهر تموز "الذي كتب سيد العلم الإله، فن إيجي أزاج" في اللوحة القديمة أنه فصل تجمع الجيوش وإنشاء المعسكرات"[(٣)] ومع ذلك فإنه لم يكن ليفعل ذلك أبدًا دون استشارة الآلهة بواسطة العرافين الذين

---

(1) Cix, 113, XXIV, 464.
(2) XCIV No 472, 422, 420, 50, 447.
(3) XX t, III, p.3

يقومون بدراسة أمعاء الذبائح ويتقبلون الأمر الإلهي في الأحلام. أو المتضلعين منهم في فن معرفة النجوم. وبعد أن يكون ولاة مدن الحدود قد أرسلوا عيونًا إلى المقاطعات المزمع مهاجمتها وتكون تقاريرهم دالة على أن من المقدر نجاح الحملة.

وكان الجيش مستعدًا للسير تحت قيادة الـ"تورتان" وهو أكبر موظفي البلاط وذلك حين لا يكون الملك على رأس جيوشه بنفسه. ويصف سرجون بالتفصيل تكوين جيشه في عام ٧١٤ وذلك في الخطاب الذي يقدم فيه للإله أشور تقريره عن الحملة الثامنة[١]: فلقد استعرضه ثم وصل أمام سيميريا التي يصفها وصفًا شعريًا: "إنها قمة عظيمة ترتفع مثل سن الرمح وتسمو فوق الجبال. هي مسكن "بعليت إيلي" الرأس الذي تعتمد عليه السماء من أعلى ومن أسفل تمتد جذورها حتى تصل إلى وسط الجحيم. هي من الخارج كالسلسلة الفقرية للسمكة لا تدع مجالًا للمرور من ناحية إلى آخرى... الصعود عليها عسير من أمام أو من خلف. تنشق على جانبيها خوانق ووهاد حتى ليوحي منظرها بالرعب. وليس من الممكن أن ترقى إليها العربات أو الجياد الصافنات... هذا إلى مسالكها الوعرة التي يصعب على المشاة اختراقها... ولكن بفضل سعة أفقي وما أوحى به إلى أيا وبعليت إيلي اللذان مدا في ساقي لاذل البلاد المعادية زودت مشاتي بمعاول برونزية حتى استطاعو أن يجعلوا صخور الجبال العالية تتطاير شظايا كأحجار البناء ومهدوا الطريق ورحت على رأسي جيوشي: وكانت العربات والخيالة والمحاربون على جانبي جعلتهم كنسور شجعان يطيرون فوق هذا (الجبل) وأمرت العمال من الجند أن يتبعونا وأما الجمال ودواب الحمل فكانت تقفز فوق قمته كماعز بري ربيت في الجبال. وجعلت جيوش أشور الثقيلة تتسلق منحدراته الخطرة في سلام ثم أقمت معسكري على قمة هذا الجبل".

وإننا لنرى وفقا لما جاء بالتقرير بعد ذلك أن المشاة كانوا مسلحين بالأقواس والبعض بالرماح والدروع. وأما العمال من الجند ممن يقومون بالهدم والكشافون فقد حملوا البلطة والمعول. ولم تكن هناك أدوات حصار ولكننا سوف نجدها في ظروف

(1) Ibid, p.7.

أخرى.

وطبقا للنقوش التي كانت تزين الجزء الأسفل من حوائط القصور نستطيع أن ندرك أن المشاة الأشورية الثقيلة في الألف الأولى كان يضع أفرادها فوق رؤوسهم خوذات مخروطية مزودة بقطع جانبية لحماية الأذنين أما الصدر والجزء العلوي من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محارية مروحية الشكل تلبس فوق الدثار. وكان يكمل الزي سراويل وأحذية طويلة. وكانت المشاة الثقيلة تتكون من مجموعتين: حملة الأقواس وحملة الرماح ومع كل منهم سيف قصير للحرب من قرب وكان رجال المجموعة الثانية يحملون رمحًا طويلًا ودرعًا أما من المعدن مستديرًا أو محدبًا أو من الخيزران المجدول مستديرًا عند القمة ومستقيمًا فيما دونها. وأما حملة الأقواس فكان لديهم القوس والجعبة المعلقة على الظهر. أما المشاة الخفيفة فكانت تضم كذلك حملة الأقواس وحملة الرماح. ولكن حملة الأقواس لم يكونوا يلبسون الزرد. وكان حملة الرماح يضعون الخوذات التي تنحني من أعلى إلى الخلف كما يحملون درعًا صغيرًا من الخيزران المجدول.

ومن النادر أن نجد الفرسان قبل حكم سرجون. وكانت معداتهم تشابه معدات المشاة وكان تسليحهم طبق الأصل تقريبًا ولكن القوس كان أقصر على حين كان الرمح أطول ولم يكن للدرع وجود. وكان الفرسان الأوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويصحب كلا منهم خادم يركب مثله ليقود الجياد أثناء المعركة. ولقد غطيت الحيوانات فيما بعد في زمن أشور بانيبال بسروج وحلى واختفى الخادم نتيجة لتقدم فن الفروسية.

وكانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين ضخمتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد على المحور (الدنجل) مباشرة وكان جسمها مكونا من لوحات مزينة بالنقوش والتعليم. وكان العمود ثقيلًا وينتهي بطرف معقوف تزينه زهرة أو رأس حيوان. وكانت تتصل به أربطة من القماش أو الحبال لتربطه بصندوق العربة ولتخفف من الثقل على النير. أما استخدام العريش فلم يكن معروفًا، ولذا فإنه كان من الضروري استخدام حصانين لجر كل عربة. وكان يحتاج إلى واحد أو اثنين آخرين احتياطيين. وكانت عدة الخيل خفيفة وكان يضاف إليها أحيانًا بعض السروج أو الزينة، وكان يركب العربة ثلاثة

رجال: ويركب السائق إلى اليسار لقيادتها والمحارب المسلح بالحربة أو القوس والخادم الذي يحميهما بدرع(١) وكان لواء المجموعة يربط إلى واحدة من هذه العربات: وكان عبارة عن عصا طويلة تعلوها عجلة توضع بداخلها حيوانات مقدسة أو صورة الإله(٢).

وكانت المراحل الهامة في كل حرب تمثل في نقوش القصر الملكي. وهناك مثلا قصة حصار مدينة محصنة في بلاد جبلية على ضفة نهر، فإن هذه المدينة تمثل –حسب أهميتها– بباب سري بين برجين أو خط مزدوج من التحصينات أو أحيانًا ثلاثة صفوف من الأسوار.

أما الجبل فيرمز له –كما هي الحال في الفن السوميري– برسم هندسي على شكل قشور وإن كان بالإقليم غابات فإن بضع أشجار توضع في المنظر –وكان المجرى المائي طبقا لنفس التقاليد– يمثل بتموجات وحلزونات تسبح فيها الأسماك. أما المحاصرون فيمثلون بصورة شخص أو أكثر تموز من كل برج(٣).



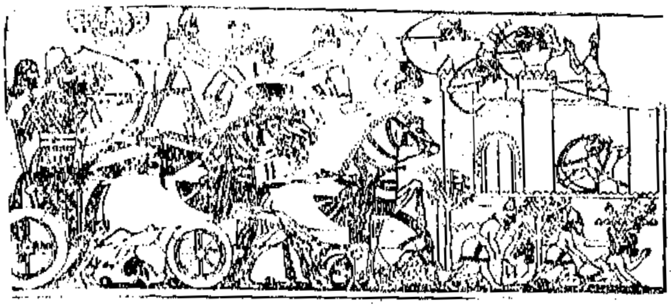
(شكل ٤٣) حصار مدينة محصنة (قصر سرجون: نقلًا عن بوتا: آثار نينوي).

وإننا لنرى "أشور أبلا" أمام مدينة راكبًا عربته التي تجرها جياد مدرعة يدرك بها العدو كما نرى عربة الخصم المقهور مقلوبة يهتز لحد جيادها يسقط. أما السائق الذي اخترق جسده سهم فإنه ينهار ساقطًا إلى الأمام. ويسقط المحارب إلى الخلف تحت

(1) XCVIII I, pl.28.
(2) Ibid I, pl 14.

(٣) أنظر شكل ٤٢.

عجلات العربة الملكية[١]. ونرى الإله أشور من فوق الملك يشترك في العراك كما نرى على الأرض النباتات تطؤها حوافر الخيل وهي ترمز إلى المحتسولات والكلا الذي أتلف. ويشاهد كذلك في غابة صغيرة نزال فردي ينتهي بانتصار الأشوري وفي رسم آخر نرى محاربًا مسلحًا بسيف يحميه درع من الخيزران يطعن عدوه طعنة نافذة فيسقط ويدركه زميل لإسعافه.



(شكل ٤٤) "آشور نتيرابلا" أمام مدينة محصنة

(نقلًا عن لايار– آثار نينوي الجزء الأول لوحة ١٣)

ومع ذلك فإن الملك ينزل من مركبته[٢] ويحارب مع المشاة وينقسم المحاصرون إلى فريقين أحدهما يشد القوس والأخر يحرسه بدرعه. أما الجند العمال الذين يأتزرون بالزرد فيهاجمون أسفل الحائط بمعاولهم ويحاولون هدمه. وفي ناحية أخرى نرى آلة هدم الأسوار المحوطة بما يشبه سقفًا على شكل شبكة من الأغصان تهز الحائط وتدعو إلى تساقط كتل ضخمة منه. ويحاول المدافعون إمساكها بسلسلة ضخمة وذلك بهزها محاولة فصلها من سقفها. أما المحاصرون من ناحيتهم فتراهم يمسكون بالآلة بواسطة خطاطيف ليستطيعوا الاحتفاظ بها وهناك برج على عجلات أستحضر قريبًا من الأسوار ومن فمنه يفوق حملة السهام سهامهم ويجيب العدو بمشاقة متأججة محاولًا إشعال النار في الآلة. ويسقط بعض المدافعين من قمة الأسوار إلى الهوة، أما السكان المدنيون فيمثلهم

(١) أنظر شكل ٤٤.

(2) XCVII, I, pl 17. 19.

امرأتان في أعلى أحد الأبراج يبدو عليهما اليأس الواحدة تمزق شعرها والأخرى تمد يديها ملتمسة الرحمة.

ثم يصدر أمر الهجوم الأخير(١) فقد أحضر الأشوريون المراقي ولم يبق لدى الحامية بعد أن نفذت سهامها سوى بضع قطع من الأحجار. ويستمر الملك في التصويب متسترًا بدرعه على حين ينجح أحد الجند العمال في صدع الحائط وعمل نقب فيه وينفذ منه ليكون من أوائل من يدخلون إلى المدينة المستولى عليها.

وهكذا انتهت المعركة وانتصر الأشوري فما هذا الذي سيفعله بعد ذلك؟ لقد اضطر تجلات فلاسر الأول الموسكيين فيما مضى إلى إلتماس الصلح وهم قوم كان قد أخضعهم توكولتي أيلورتا من قبل واستردوا استقلالهم منذ ستين عامًا. إننا نراه يقطع الرءوس ليتوج بها أعلى الأسوار المهدمة لمدنهم ويحطم القصور ويحرق القرى ويأسر النساء والأطفال ويستولي على المعبودات ويأخذ من الممتلكات كل ما يستطيع أن يضع يده عليه ويخصص جانبا منها لآلهة أشور ويحتفظ بجانب آخر لنفسه ثم يترك الباقي لجنده. فإن سأل العدو الرحمة فرض عليه جزية سنوية تزداد قيمتها حسب مبلغ اجتياح أراضيه.

ولقد أحرق توكولتي أينورتا المدن وأضرم النار في المحصولات والبساتين، وقطع أشور نتسير أبلا رءوس القتلى وجعل منها أهراما، ولم تأخذه شفقة بمن شقوا عصا الطاعة على حكمه فسلخهم أحياء وألصق جلودهم على حوائط المدينة كما دفن آخرين أحياء في البناء ووضع غيرهم فوق الخوازيق على طول المتاريس ويمثل نقش في قصره(٢) العودة المظفرة من حملة ناجحة: تدخل عربات الأشوريين في مشية هادئة ويعد الكتاب رءوس العدو. أما الموسيقيون فيحتفلون بالنصر على القيثار ويسهم في الغنيمة النصر الذي صحب الجيش المنتصر في مطاردة العدو(٣) فيحل في مخالبه رأس واحد من

(1) Ibid, pl. 20.
(2) Ibid, pl. 22.
(3) Ibid, pl. 14.

المهزومين وفي عام ٨٧٩ق.م. يفخر الملك بقطع أيدي ٢٠٠ أسير سقطوا أحياء في يده ويقول: "لقد تهلل وجهي فوق الخرائب... وإني لأجد راحة في إشباع غضبي" وقد حمل هو كذلك إلى أشور المعبودات المنهزمة. وإننا لنرى على بعض النقوش أربع مجاميع من الحمالين يحملون تماثيل إله الرعد وإلهات ثلاث أخريات(١): واحدة في مزارها وأخرى جالسة متوجة بالتاج ذي القرون ممسكة بحلقة في كل من يديها والثالثة جالسة على عرشها ويميزها رأس حربة وحلقة. وفي مكان آخر نرى الأسرى والغنائم(٢): حيث يتقدم ضباط الملك أزواجا وأيديهم معقودة علامة الاحترام طبقا لعادة سارية منذ أمد طويل كان قد أسننها السوميروأكاديون، وخلفهم قائد شاب يسوق الأسرى: وفي المقدمة قائد موثق بحبل يقوده محارب يمسك به من شعره بيده اليمنى ويدفعه. وهناك ثلاثة من الأسرى وأذرعهم مقيدة من خلف ومربوطين إلى بعضهم بواسطة حبال ويقودهم جندي مسلح بقوس ويمسك عصا كأنه يهم بضربهم. أما الغنائم فموزعة في الميدان من أوان وصحاف وقدور وأبواق وسبائك من المعدن وقطع من القماش.

ولم يكن شلمنصر الثاني بن "أشور نتسير أبلا" بأقل قسوة، فقد وطيء "أورارتو" "كثور بري" وحول مدنها إلى أكوام من الخرائب، كما كوم أهراما من الجماجم ووضع المهزومين على الخوازيق وأحرق القرى وأقتلع المزروعات وأجتث أشجار الفواكه في البساتين وأطلق نفسه على سجيتها في مساكن العدو فأغتصب الكنوز وانتهبها ولم يرحل حتى أضرم النيران في كل ما لم يستطع أخذه معه. وفي نقوش برونزية من "بلاوات" نرى الأسرى الذين سقطوا في سوجونيا –إحدى مدن أورارتو– يسيرون في صف عرايا وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم وأعناقهم مربوطة إلى أطواق خشبية. وبالقرب من مدينة أخرى من نفس الإقليم نجد المدافعين على الخازوق ونجد رءوس المهزومين مكومة وجند الأشوريين يعملون جاهدين في قطع الأشجار. ولكن ربما كان شمش أداد أقل قسوة، فإنه وإن أشعل النيران في المدن بعد أن نهبها إلا أننا لا نراه

---

(1) Ibid, pl. 65.
(2) Ibid, pl. 24.

يفخر بذبح الشعوب التي سقطت بين يديه بل كان يقطع بنفيهم إلى أشور وإنزالهم إلى مرتبة العبودية وتوزيعهم على جنوده.

أما نجلات فلاسر الثالث الذي أعتلى العرش عام ٧٤٥ق.م. فإنه يجب أن يشير إلى التدمير الكامل للمدن المهزومة حتى إنها أصبحت في مستوى الأرض المحيطة بها. وقد أمر كذلك بقطع الأشجار وبوضع زعماء الثوار على الخوازيق، ومع ذلك فإننا نراه قد استن خطة جديدة للإستعمار: إذ نفى سكان الأقاليم المهزومة إلى أقطار أخرى من الإمبراطورية وحاول بهذه الطريقة أن يخلق شعبًا واحدًا بمزج جميع الأجناس بعضها مع البعض الآخر وعين حكاما في المدن التي أخضعت حديثًا ولم يدمرها وأقر بها سكانًا جددًا تحت حكمهم.

وهكذا فعل سرجون، فقد أستولى في بداية حكمه على ساماريا عاصمة مملكة إسرائيل التي ظل يحاصرها الجيش الأشوري مدى ثلاث سنوات وقد طرد أغلب سكانها إلى حدود ميديا وحل محلهم سكان جدد استحضروا من شمال سوريا وقد دعمت جموعهم فيما بعد بالعيلاميين والعرب والبابليين. وكان يتصرف في كل حالة على حدة كسياسي حاذق ويستغل الموقف أروع استغلال إما بإبقاء أحد هؤلاء الأمراء المحليين للأقليم المهزوم مولى له فيه أو بتعيين أحد ضباطه حاكما ولكنه كان –إذا تبين له أن ليس من الممكن تثبيت حكمه بوسائل أخرى– لا يتردد في أن يبذر بذور الإرهاب ويدمر كل شيء فكان يجتث المحصولات ويقطع الأشجار ويحرق القرى. وقصة حملته الثامنة تقدم دليلا على الخرائب التي أحدثها في طريقه: ها هو ذا قد وصل إلى أرض أرماريللي[1] "غزوت سبع مدن محصنة مع ثلاثين قرية مجاورة لها عند سفح جبال أوباندبا خربتها وقوضتها جميعا وسويتها بالأرض، أما أخشاب سقوفها فقد أضرمت فيها النيران وحولتها إلى شعلة وفتحت المخازن التي كانت الحبوب أكواما بداخلها وأعطيت لجنودي الغلال التي كانت مخزونة فيها ليأكلوا وأشعلت النار في المحصول الذي كانت عليه حياة الناس واليابس من الأعشاب الذي كان مخصصا لطعام

(1) XX, t. III, p.43- 45.

الحيوانات... وخربت الإقليم فقطعت مزروعاته ومحوت غاباته وكومت جذوع الأشجار ثم أضرمت فيها النيران. "وبعد أن أستولى على قلعة يوبايبيس وقتل المحاربين أمام البوابة الكبيرة كالحملان"[١] وحين فكر في العودة إلى أشور اعتزم الإغارة على مدينة "موتساتسير" واستطاع الملك "أورزانا" أن يهرب، ولكن زوجته وبناته وأولاده وقعوا بين الأشوريين مع غنائم ضخمة.



(شكل ٤٥) موت تيومان ملك عيلام (نقلًا عن لايار: آثار نينوي– الجزء الأول)

وهناك نقش في قصر دور شاروكين[٢]، يبين معبد الإله هالديا والجند يحملون الغنائم منه، ومن بين الأشياء التي وصفتها قائمة الغازي[٣] دروع مزينة برأس كلب يكشر عن نابه وأحواض للسكائب (للأهراق) وتمثال بقرة ترضع صغيرها منحوتة من الحجر.

---

(1) Ibid, p47.
(2) XXXVII, t. III, p.148.
(3) XX t, III, p.50, 63.

أما سناخريب فلم يتردد في وضع القواد المهزومين فوق الخازوق وأن يحيل المدن المدحورة إلى رماد. وكان يدخل الفرح إلى نفسه أن يجعل دخان الحرائق يصعد إلى السماء كتضحية ترضي الآلهة. ولما تمت له هزيمة إتحاد "شوزوبو" مع العيلامين قطع أيدي الجند الذين سقطوا بين يديه حتى ينتزع من معاصمهم الأساور التي يلبسونها.

وقطع "أسارحدون" رأسي "عبدي ملكوتي" ملك صيدا وحليفه "ساند واري" ولكن لم يظهر فرحه كما فعل غيره من الملوك بوصف المذابح والنهب والحرائق في حولياته. ذلك لأنه كان ابن امرأة بابلية ويظهر أنه كان لهذا السبب أكثر إنسانية ورحمة في كل المناسبات.

أما ابنه أشور بانيبال فلم يكن هناك –على نقيض أبيه– أشد منه قسوة فكان يقطع رءوس المهزومين ويشق شفاههم ثم يرسلهم على صورتهم المشوهة هذه إلى أشور كي يرضوا فضول شعبه السقيم، ولقد أشرف في بابل على مذبحة بشعة هدفها "إرضاء قلوب الآلهة" وقد قطعت ألسنة بعض الأسرى ومزقت أوصال آخرين لتلقى طعاما للكلاب والذئاب والخنازير وجوارح الطير في السماء والأسماك في القنوات وقد أطلقت يد الجيش بعد الإستيلاء على سوسه مدى أكثر من شهر ينهب الإقليم المحيط بها. وقد وزعت كل الثروة التي جمعها ملوك عيلام بين المعابد والجنود. وقد أمر الحاكم بنهب قبور الملوك الأقدمين وحمل عظامهم حتى تحرم أرواحهم من الراحة إلى الأبد وكان ينظم عقب كل حملة دخول موكب النصر إلى العاصمة مصحوبا بالتراتيل والموسيقى. وفي نهاية الحملة الثامنة نرى "دوناتو" الجمبولي يظهر في الموكب وهو يحمل على رقبته رأس "تيرمان" ملك عيلام التي كان مقدرا لها أن تعرض على إحدى بوابات نينوى كبرهان على قوة أشور. وهي تظهر مرسومة مرة أخرى على أحد النقوش معلقة على شجرة في حديقة يستريح فيها الملك مع ملكته، وقد أقتيد "دونالو" نفسه إلى أربيلا وقطع لسانه وسلخ جلده وأحضر على هذه الصورة إلى نينوى عريان متجردا وأقتيد إلى مكان الذبح وقدم ذبيحة كـ"حمل".

٣- الأسرة

كان شأن الزواج بين الأحرار في أشور شأنه في بابل يقتصر في العادة على زوجة ولكن الأسرة فيه كانت تكون خلية أقل تماسكا. وكانت الفتاة تحت السلطة المطلقة لأبيها ولم تكن لتستطيع أن تتزوج دون موافقته حتى ولو كانت في خدمة شخص آخر رهنا لدين. وكان من الواجب على أخوتها عند موت أبيها أن يرروها وأن يحضروا لها بائنة فإن لم يفعلوا لفترة معينة فقدوا كل حق لهم عليها واستطاع الدائن أن يحررها ويتزوج منها. وكان حق الوالد يصل إلى حد تزويج الفتاة من رجل انتهك عرضها قسرا إن شاء الأب ذلك(١).

وكانت الخطبة تتضمن احتفالًا يصب فيه الخطيب عطورا على رأس الفتاة ويقدم هدايا من الحلى وأشياء أخرى ومواد غذائية. ومنذ هذه اللحظة تصبح الخطيبة مرتبطة ببيت حميها. وإذا مات الخطيب قبل الزواج أو اختفى فإنها لا تسترد حريتها بل تسلم إلى من يريدها من أخوته البالغين، أما إذا مات حموها ولم يكن لخطيبها أخوة فعليها أن تتزوج من أحد الأحفاد اللائقين للزواج ، فإن لم يوجد من بينهم واحد وصل إلى السن الشرعية –التي كانت عشر سنوات– فإن والدها يستطيع في هذه الحالة فقط أن يزوجها من أسرة أخرى بشرط إعادة جميع هدايا الخطبة ما عدا المواد الغذائية. وإذا حدث أن ماتت الخطيبة فليس من حق الخطيب أن يلزم بالزواج من إحدى أخواتها فإن لم يطلبها أو يعطى إحداهن فله أن يسترد لهدايا فيما عدا المواد الغذائية. ومن المستطاع أيضا فسخ الخطبة على أن يؤدي إلى نفس النتائج السابقة إن مات أحد أخوة الخطيب تاركا زوجة يجبره أبوه على الزواج منها(٢).

والعقد التالي المحرر كعقد بيع عبد يكشف عن أن الزواج بالشراء أحيانا كان عادة متبعة في الحكم السرجوني(٣):

---

(1) LXXIII lois 49, 56.
(2) Ibid 23, 24, 44, 32, 31.
(3) XCIV Nos 324, 307, 67, 137, 100, 232, 242, 246, CIX No 655.

ختم "نابورهتو أوتسور" بن "أهارتيش" الـ"حاسا" في أيدي "أردي عشتار" من قرية الغسالين. وختم "تبتاي" ابنه وختم "سليم أداد" ابنه أصحاب الحق على أختهم التي يسلمونها. "لليل هاتسينا" أخت "نابورهتو أوتسور" أشترتها السيدة "نحتشاواو" بثمن قدره ١٦ شاقلًا من الفضة لابنها "تسيها" لتصبح زوجته. وقد تسلمتها فهي زوجة لـ"تسيها" وقد دفع المبلغ بالكامل، وإن حدث مستقبلًا في أي وقت أن عارض أو طالب سواء كان "نابورهتو أوتسور" أو أولاده أو أحفاده أو قاربه الأبعدون أو أولادهم أو وصيه أو أي واحد من رجاله أو رفع قضية أو قدم تظلما ضد السيدة "نحتشاروا" أو أطفالها أو أحفادها فإن ذلك الرجل يدفع ١٠ مينا من الفضة. وإن باشر القضية فإنه لا يحكم له.

"ساهبيامو المراكبي وبل شوم أدين بن "أيلي أردان نيناني"، أشدى ننيل ابن أتى الغسال... الثلاثة "أتباع" المرأة، وأي إدعاء للخدمة أو الحجز أو الديون يكون الضامن كارميولي– بحضرة أهارتيش، نابنينو، أردى ناناي، بوتوم هيشي، هاشبابنوشي وبعل شار أوتسور...

الأول من أيلول في العام المسمى باسم "أشور ماتو توتين".

"بحضرة نور شماش، بوتو بايتي، نابو نادين أهي الكاتب"[1] وكانت المرأة المتزوجة تسكن أحيانا تحت سقف بيت أبيها وفي أحيان أخرى كانت تعيش في بيت زوجها. وكان الزوج في الحالة الأولى "يدفع لها "دوماكي" وهو حصة في النفقات العادية للمنزل. كما كان أحيانا يحتفظ لها بـ"نودونو" أو (صداق) وتصبح هي في هذه الحالة متضامنة معه في ديونه وإلتزاماته. وهو أخيرا قد يعطيها "ترهاتو" يصبح ملكًا خاصًا بها في حالة الطلاق. وحمو مثل هذه المرأة قد يضيف إلى ذلك "زوبوللو" وهي هدية من الرصاص والفضة والذهب والمأكولات. أما حين تذهب الزوجة لتعيش مع زوجها فإن بائنتها "شركو" وكل ما أحضرته من بيت أبيها وكل ما قدمه لها حموها كل ذلك كان مضمونا

---

(1) XCIV No 307.

أن يصبح من حق أولادها وليس لأخوة زوجها أي حق فيه[1].

ولم يكن يسمح للمرأة المتزوجة الحرة أن تخرج إلى الشوارع دون أن تغطى رأسها وكان ذلك منبعا على الأقل في فترة معينة في الألف الثانية. وكانت بناتها يضعن كذلك غطاء رأس طبقا للعادة المتبعة. وبهذه الوسيلة كان يمكن تمييزهن من عاهرات المعابد والمومسات والأماء ولم يكن يسمح للمحظية "أيسرتو" أن تضع غطاء الرأس فإن رغب زوجها في أن يرفعها إلى مرتبة الزوجة فإن كان عليه أن يحجبها أمام خمسة أو ستة شهود قائلًا "هذه هي زوجتي"[2].

وقبيل نهاية الألف الثانية لم يكن من حق المرأة المتزوجة أن تباشر أي عمل لا يديره زوجها أو أولادها أو أحد أخوة زوجها. كما أنه لم يكن يجوز لها أن تأخذ شيئا على سبيل الإعارة من شخص خارج عن دائرة الأسرة. وكان الرجل الذي يتعامل معها يعد مجرما حتى لو أقسم أنه لم يكن يدري أنها متزوجة: وكان عليه أن يدفع للزوج في الحالة الأولى ٢ مينا من الرصاص وفي الحالة الثانية كان المتهم يلقى في الماء دون قيد يقيده فإن نجا من الغرق كان الزوج يوقع عليه نفس العقوبة التي يفرضها على زوجته[3]. وكان للزوجة في العهد السرجوني شخصية مدنية أكثر اتساعا ومع ذلك، فإن ورود ذكرها في العقود أقل بكثير من زميلتها المرأة البابلية. وفي ٦٩٢ق.م. كانت "أمات سولا" زوجة "بعل دوري" تمتلك بالإشتراك مع رجلين بيتا غير مقسم في مدينة نينوى– وقد باعته دون تدخل من زوجها. وقد أشترت أم فتاة لتجعل منها زوجة لابنها كما باعت أخرى ابنتها للسيدة "أهي تللي" وقد أقرضت امرأة مالًا أو شعيرًا وأستردت أخرى حقلا كان مرهونا وكانت المرأة تستطيع أن تشتري أو تبيع العبيد وأن تظهر بين المتقاضين.

وكانت عقوبة الزوجة الزانية شديدة. ولم تكن زوجة الرجل الحر تعد مجرمة إن أغتصبها ذكر كرها في مكان عام. أما المعتدي عليها فكان يحكم عليه بالموت إن ثبتت

---

(1) KXXIII Lois 28, 33, 31, 32.
(2) Ibid, 41, 42.
(3) Ibid, 22. 23.

عليه الجريمة، أما إن خانت امرأة زوجها وزارت مسكن عشيقها فقد كان يحكم على كليهما بالإعدام. وإن كانت لها علاقات محرمة برجل في ماخور أو مكان عام فإن زوجها كان يوقع القصاص عليها ويلقى العشيق نفس العقوبة إن كان يعلم أن المرأة متزوجة ولكنه لم يكن يمسه شيء إن كان يعتقد أنها غير متزوجة. أما إن ضبط الإثنان في حالة تلبس، فإنه يصفح عن غضب الزوج إن هو قتلهما معا للتو. أما إن استدعاهما أمام القضاء فإنهما يقادان إلى القصر وعلى الزوج أن يثبت الجريمة وإن هو حكم على زوجته بالإعدام فإن الرجل كان يلقى نفس المصير. وإن قطع أنفها فإن شريكها يخصى ويشوه وجهه. وكان من حق الزوج أن يعفو عن الإثنين. وكانت مغازلة المرأة المتزوجة تعود عليها وحدها بالتكدير فإن انحطت إلى الزنا فإن الإثنين يلقيان نفس العقوبة(1).

وإذا ارتكبت جريمة الزنا في مسكن امرأة أخرى متزوجة فإن القانون ميز ما بين أمرين: الأمر الأول أن يكون ذلك برضى الزوجة والأمر الثاني أن يكون ذلك بالإكراه. وفي الحالة الأولى كان للزوج أن يوقع نفس العقوبة على الزوجة وشريكها وصاحبة البيت. وفي الحالة الثانية كان يحكم بالإعدام على الرجل وصاحبة البيت. أما الزوجة فلم تكن توقع عليها عقوبة ما إن كانت أخبرت الزوج بما حدث(2).

وعلاوة على ذلك يظهر أن المادة الآتية خاصة أيضا بالزنا(3) حيث تتناول حالة زوجة رجل حر تترك منزل الزوجية وأعتادت زيارة مسكن امرأة أخرى متزوجة فإذا كان رب البيت الذي تتردد عليه لا يعرف أنها متزوجة فإن صاحبة البيت التي آوت الزوجة تصلم أذناها بعد أن تستعاد الزوجة. أما زوج صاحبة البيت فقد يستطيع افتداءها إن دفع ثلاث وزنات و ٣٠ شاقلا من الرصاص. ويضاعف هذا التعويض ثلاث مرات إن كان يعرف أنها متزوجة. وإن عارض الزوجان أو أحدهما فإنه يلجأ إلى التعذيب بأن يلقيا في النهر. فإن عاد صاحب المسكن يدفع ثلاثة أمثال التعويض أما إذا كان العائد

---

(1) LXXII lois 12 a 15.
(2) Ibid, pl. 24.
(3) Ibid, pl. 25.

هو الزوج، فإنه يستطيع أن يوقع العقوبة على زوجته.

وإن قال رجل لآخر في هدوء أن زوجته ليست بعفيفة ثم لا يستطيع أن يثبت ذلك عن طريق الشهود فإنه يعرض نفسه لأن يقيد ويلقى به في دجلة. أما إن كان ذلك قد حدث أثناء مشاجرة وعلنا فإن ذلك يعد ظرفا مخففا إذ يعاقب القاذف بخمسين ضربة عصا ويؤدي عملا شاقا لمدة شهر في السخرة الملكية ويدفع وزنه رصاصا ويشوه تشويها واحدًا. وكانت نفس العقوبة من نصيب من يتهم آخر بعادات شاذة دون أن يستطيع أن يقدم الدليل على ذلك[١].

وكان الإجهاض جريمة يعاقب عليها في كل الحالات طبقا للقانون الأشوري. وكانت المرأة التي تتهم بأنها أجهضت نفسها يحكم عليها بأن توضع على الخازوق وإن ماتت قبل تنفيذ الحكم فيها تحرم من الدفن. وإن اتهم رجل بأنه ضرب ابنة رجل حر ضربا أفضى إلى إجهاضها، فإنه يدفع وزنتين من الرصاص ويضرب خمسين ضربة بالعصا ويؤدي عملًا شاقًا لمدة شهر في السخرة الملكية، وفي حالة زوجة الرجل الحر في حملها الأول يدفع المعتدي وزنتين من الرصاص. وإذا لم يكن لزوج المرأة المضروبة طفل آخر أو إن هي ماتت فإن المعتدي يقتل وفي كل الحالات عليه أن "يحل محل الكائن الحي" مهما كانت مدة الحمل، وفي حالة العاهر يضرب المعتدي ضربة بضربة وعليه كذلك أن "يحل محل الكائن الحي"[٢].

وإلى جانب الزوجة الشرعية كان القانون يسمح بمحظية أو أكثر يطلق عليها اسم "أيسرتو" وكانت تغطي رأسها حين تصحب سيدتها في الشارع. وفي كل الظروف الأخرى عليها أن تلبس مثل الخادم ما لم ترتفع إلى مرتبة الزوجة حين يغطي رأسها سيدها في حضرة خمسة أو ستة شهود. وليس لأبناء المحظية حق في تركة الأب إذا كان للزوجة المحجبة أطفال[٣].

---

(1) Ibid lois 17 a 19.
(2) Ibid lois 21, 52 a 54.
(3) Ibid lois 41 ot 42.

وكانت المرأة المتزوجة تسترد حريتها إن طلقها زوجها أو إن غاب أو اختفى لأكثر من خمس سنوات... وتقريبا –دائما–– إن مات.

ويظهر إن الطلاق لم يكن خاضعا لأي قيد قانوني بل لم يكن الزوج ملزما بإعطاء أي شيء للزوجة التي طلقها إذا كانت قد عاشت عنده. ويظهر أن المقتنيات التي كانت قد أتت بها إلى المنزل تظل في هذه الحالة تحت تصرف أبنائها، أما إذا كانت قد ظلت في بيت أبيها فإن الزوج يسترجع الـ"دوماكي" ولكنه يترك لها الـ"ترهاتو"[(١)].

وكان الغياب الذي يمتد أكثر من خمس سنوات سببا من أسباب إلغاء الزواج وخاصة حين لا يكون لدى المرأة إيراد خاص أو أولاد يستطيعون أن يكفوها حاجتها. وكانت تعطى لها "لوحة ترمل" وإبتداء من السنة السادسة تذهب لتعيش مع الزوج الذي تختاره فإن عاد الزوج الأول واستطاع أن يبرر غيابه بظروف قهرية فإنه يستطيع أن يستعيد حياته الزوجية بشرط أن يقدم بديلة عن زوجته للزوج الثاني[(٢)].

وكان الأمر كذلك بالنسبة لمن يرسله الملك لخدمته في الخارج فإن كانت زوجته لم تنتظر مدى خمس سنوات كاملة قبل أن تتزوج مرة أخرى فإن الزواج الثاني يعد لاغيا والأطفال الذين يولدون من مثل هذا الزواج يصبحون بحكم القانون أبناء وورثة الزوج الأول عند عودته إلى أشور[(٣)].

وحين يسقط رجل في أيدي العدو فإن على زوجته أن تنتظره عامين حتى ولو لم يكن لها ابن أو حمو يسد حاجاتها. أما من كانت من موظفات القصر فإنه يقدم لها الطعام مقابل خدمتها. أما إن كانت امرأة من الشعب فإن عليها أن تتقدم إلى المحكمة لتلتمس منها أن يخصص لها رؤساء المدينة كوخا على قطعة من الأرض تزرعها مدى عامين وتحدد حقوقها كتابة. وفي نهاية العامين تعطى "لوحة الترمل"، التي تسمح لها بعقد زيجة جديدة. فإن عاد الزوج المختفي إلى بلده فإنه يستعيد زوجته ولكن لا حق له في

---

(1) Ibid, lois 30, 39.
(2) Ibid, lois 30, 35.
(3) Ibid, lois 37.

الأطفال الذين أتوا نتيجة الزواج الثاني. أما بالنسبة لقطعة الأرض الممنوحة لزوجته لمساعدتها، فإن الرجل يدفع ثمنها بالشروط المنصوص عليها ويصبح مالكها وذلك في حالة عدم عودته للخدمة العاملة بجيش الملك وحين لا يرجع الزوج فإن العقار يرد إلى المدينة ولا يحق للزوج الثاني أن يحتفظ به.

ولم يكن موت الزوج ليعطي المرأة الحرية دائمًا ففي بعض الحالات كان عليها أن تتزوج من حميها أو أحد أخوة زوجها ممن كان قد عقد خطوبة ولكن لم يتزوج ، أو أحد أبناء زوجها الذي كان ثمرة زيجة أخرى. وكانت الأرملة تستطيع بعد موت زوجها أن تعيش مع أولادها فإن لم يكن زوجها قد ترك لها شيئا بموجب صك مكتوب فإنه كان عليهم إعالتها. وإن كانت زوجة لزيجة ثانية ولم يكن لها أطفال، فإن أبناءها من الزواج الأول هم الذين يعولونها ولكن إن كان لها أطفال ولم يرد أولاد زوجها من الزواج الأول التكفل بها فإنها تقوم بخدمة أبنائها مقابل طعامها[١].

وحين تتزوج الأرملة من زوج ثان فإن كل ما يأتي به يصبح ملكا لها أن أتى ليعيش في بيتها. أما إن كانت الأرملة هي التي تنتقل لبيت زوجها الثاني فإنها تفقد حقوقها على كل ما تملك مما أتت به إلى بيته لمصلحته وإن لم تحدد إلتزاماتها بمقتضى لوحة إذ ذاك فإنه لا يستطيع طردها بعد مرور عامين من الحياة الزوجية. أما أبناء الزوج الأول الذين يربون في بيت الزوج الثاني فإنهم يعتبرون من أسرة أبيهم ويحتفظ لهم بنصيبهم في تركته ما لم تكن لديهم لوحة تبن تفصلهم عن أسرتهم السابقة وتضمهم إلى ذرية زوج أمهم[٢].

وقد يفقد الرجل زوجته تطبيقا لقانون الأخذ بالثأر فإن كان مثلا قد اغتصب فتاة فإن والد مثل هذه الفتاة يستطيع أن يأخذ زوجة المغتصب ويجعلها تمارس الدعارة ولا يعيدها إلى زوجها[٣].

وكانت الأسرة –كما هي الحال في بابل– تحت ولاية وسلطة رئيس واحد هو الأب

(1) Ibid, lois 31, 34, 47.
(2) Ibid, lois 36, 35, 20.
(3)Ibid, lois 58.

أو أكبر الأبناء –في حالة عدم وجوده– وإذا كان الأطفال صغارًا ومات والدهم فإن الأم تعتبر وصية عليهم. ومع ذلك فإنه توجد اختلافات جوهرية: فإن قانون حمورابي في بابل في القرن العشرين قبل الميلاد يقوم دليلًا على وجود حقوق شخصية واسعة المدى، بينما نرى أن العادات المتبعة خلال الفترة السرجونية ترجع بنا إلى مرحلة اجتماعية أقل تقدما من ذلك مثلًا السلطة المطلقة المخولة لرئيس الأسرة لبيع أطفاله وربما أيضا لقتلهم.

وقد اشترى "ابالايا" في عام ٦٩٤ ابن "زونبو" بمبلغ ٢ مينا من الفضة بضمانة ضد الصرع. كما دفعت السيدة "أهي ناللي" في سنة ٦٨٧ نصف مينا للسيدة داليا ثمنا لابنتها "أنا أبي دالاتي"، وفي عام ٦٦٨ باع "مانوكي أربايلو" أخته "بيليكونو" إلى السيدة "زاربي" وأدرج في وثيقة البيع النص الخاص بالصرع والمعارضة وكذا النص الجزائي الخاص بالعقوبات ضد من يعارض في الصفقة باسم البائع والذي يقضي بدفع عشرة أمثال المبلغ المنصرف وأن يقدم عشر مينات من الفضة ومينا من الذهب للإله "أينورتا" وفي مختلف هذه العقود نجد أن رأس الأسرة يتصرف كـ"سيد للطفل المباع". ولا تختلف صيغة هذه العقود عن الصيغة المستعملة في كل عقود البيع الأخرى ولم يكن يذكر فيها سبب نقل الملكية ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحالة التي سلم فيها "أيشدي أشور" أخته "أهات أبيشا" إلى "زابدي" في السنة المسماه باسم "أشور دورو أوتسور" سدادا لدين[(1)].

وقد كان من نتائج تخويل حق بيع الطفل تقرير حق تسليمه كرهن وكان من حق الوالد أيضا أن يكرسه لخدمة أحد المعابد. وقد قدم "مانودق" سايس أسطبل الملك ابنه "نابوشارق نابشتي" إلى الإله "أينورتا" إله كلح "لحياة أشور بانيبال ملك أشور"[(2)]. وفي هذه الأحوال توضع صيغة الشرط الجزائي في شكل لعنات: يلتمس المانح من المعبود أن يضرب بذراعه التي لا ترحم كل من يحول الطفل عن خدمته وأن ينزله أداد إلى مرتبة

(1) XCIV No 201, 687, 208, 86.
(2) Ibid. No 641.

السؤال وأن يجر الآلهة الأخرون إلى الهلاك. وهناك مثال أجدر بالسرد هو الخاص بابن عاهر المعبد الذي كرسته أسرة أمه لخدمة نفس المعبود. ويظهر -كما هي الحال في بابل- أن النساء المتصلات بخدمة المعبد لم يكن في استطاعتهن أن تكون لهن ذرية شرعية. وفي الحالة التي نحن بصددها لا يعتبر الطفل ملكا لأمه "رايمتو" بل لعميه ولرجلين آخرين صلته بهما غير واضحة. وهؤلاء الأشخاص الأربعة "سادة الطفل المنذور لـ"أينورتا، معبود كلح" قد تولوا أمر تربيته وهم يقدمونه للإله "للخدمة والسخرة" ويلتمسون من الإله أن يصغي بعناية إلى صلوات كل من يحترم رغباتهم هذه وأن يرفض صلوات من يحاولون عرقلة تنفيذها.

ويستدعي التبني تحرير عقد يستطيع الطفل المتبنى بواسطته -كما هي الحال في بابل- أن يحصل في أسرته الجديدة على كل حقوق الابن الشرعي حتى ولو أنجب المتبنى أطفالا فيما بعد. ففي العام الذي سمي باسم "شانابوشو" نرى "سنقى عشتار" وزوجته "رايتو" يأخذان طفلا صغيرا هو "أشور تساباتسو أقبى" من نابونابيد "ليجعلا منه طفلا لهما، وقد نصا على أنه لو قدر ورزقا بعد ذلك حتى بسبعة أطفال شرعيين، فإن "أشور تساباتسو أقبى" يظل يعتبر ولدهم البكر[(1)]. ولم يكن الأمر أمر شراء صبي بل أمر نقله إلى والديه المتبنيين، ومن بين الشروط الجزائية المقرر توقيعها على نابونابيد أو أي فرد من أفراد أسرته يرجع في الصفقة -بالإضافة إلى تقديمات الآلهة- مينا من الذهب ومينا الفضة إلى الليل وحصانان أبيضان لـ"أشور" فلقد نص على أن الوريث الأكبر للطرف المطالب يحرق تكريما لاداد وهذا الأمر يحل محل التعويض بقدر عشرة الأمثال الذي يرد عادة في عقود البيع.

وكان من الممكن أن تقسم ثروة الأب عند وفاته ولكنها كانت أحيانا تظل على المشاع بين أبنائه. ولم يكن لأبناء المحظية الحق في شيء منها إن كان للزوجة ابن أو أكثر. وأغلب الظن أنه لم يكن من الممكن تبنيهم. أما إن كانوا هم وحدهم الذرية فإن الميراث كله يقسم فيما بينهم.

---

(1) XV t, VI col 198.

وقد يمنح الوالد أثناء حياته إلى واحد أو أكثر من أبنائه من يرغبون في تأسيس بيت خاص الميراث –سواء كله أو جانب منه– كمقدم، وعلى ذلك نجد في القرن السابع في العام الذي أطلق عليه اسم "أوباتي أنا أربابلو"... نجد "ثبتاي" يعطي ابنه "أداد أوبالليت" بعض العبيد والماشية والأرض ويقدر نصيبه في التركة بثمنها (١/٨)[1] وفي ظروف مشابهة نرى البابلي يفقد كل حق في أي نصيب من تركة والده.

وعند موت الرجل الذي تعيش امرأته في بيت أبيها يصبح الـ "دوماكي" ملكا للأبناء. فإذا لم يكن له أطفال ولم تقسم التركة بين أخوته، فإن الـ "دوماكي" تكون من نصيب هؤلاء دون أن يطلب إليهم أن يقسموا اليمين أو يمروا بتجوبة الماء: كان يكفي أن يثبتوا حقهم، أما إن لم يكن له أطفال وكان المتوفى قد حصل من قبل على نصيبه من تركة والده فإن الـ "دوماكي" يصبح ملكا للزوجة[2].

أما الممتلكات التي تأتي بها الزوجة التي تنتقل إلى بيت زوجها وكذلك كل ما أعطاه إياها حموها فإنه يئول إلى أبنائها، وليس في أية حال من الأحوال ما يسمح لأخوة زوجها أن يطالبوا بشيء منه[3].

---

(1) II 1898, p.202.
(2) LXXIII lois 26, 27.
(3) Ibid, loi 30.

الفصل الثاني

التشريع

لم يعثر في أشور على مجموعة من القوانين يمكن مقارنتها بقانون حمورابي من ناحية إتساع مدى أحكامه، ولقد كانت توجد –كما هي الحال في بابل– لوحات دونت على كل منها شريعة تتصل بموضوع معين ولقد عثر على وثيقة من هذه الوثائق سليمة تقريبا وذلك في خرائب أشور وقد كتبت في النصف الأخير من الألف الثانية وهي تتناول في حوالي ٥٠ مادة العقوبات التي توقع على بعض الأثمة وخاصة حالات ضرب أو هتك زوجة رجل حر. وهناك لوحة أخرى من نفس العصر ولكنها مكسورة لسوء الحظ تتعلق بالقانون الريفي. وهناك ثالثة من نفس العهد في حالة سيئة تحوي قرارت خاصة بالسرقة وتدخل بينها المعاملات التجارية غير الشريفة[1]. أما فيما يختص بالأعوام الأخيرة من عهد الملكية فإن مكتبة أشور بانيبال تقدم لنا عددا من الوثائق التي يعطينا بحثها فكرة عما كان التشريع إذ ذاك. فحوالي نهاية الآلم الثانية كان يصدر الأحكام قاض واحد يقيم في المحكمة على حين كان هناك عدد من القضاة يحققون عادة كل قضية في بابل. وكان لا يلجأ إلى القاضي في بعض الجرائم والجنح وكان –على الأقل– الرجل الذي وقع عليه الضرر مختصا أحيانا بتطبيق القانون بنفسه أو التخفيف من شدة أحكامه: فزوج الزانية له في كثير من الأحوال أن يعين بنفسه العقوبة المناسبة أو مراعاة الظروف المخففة.

وكان القانون الجنائي يتطلب عادة إثبات الذنب ويحدد العقوبات التي توقع على الجاني وهي الإعدام والتشويه والغرامة والجلد والعمل الإجباري في السخرة الملكية لفترة طويلة أو قصيرة. وكان اللص يعاقب بغرامة وخمسين ضربة من عصا وعدد معين من

(1) LXXIII.

أيام الشغل الإجباري في السخرة الملكية. وفي عهد السرجونيين سرق من يدعى "أهو لاماش" ثورا[١]، فحكم عليه بالسجن إلى أن يصبح قادرا على رد ما سرق. وكان العبد الذي يسرق عبيدا آخرين يسلم إلى مولاهم حتى يستطيع أن يخلص ذمته. وقد حكم في ٦٨٠ على "هاني" الذي أخذ ٣٠٠ نعجة من متعلقات ولي العهد[٢] وقتل الرعاة... حكم عليه بإعادة القطيع ودفع ٢٠٠ وزنة من البرونز عن كل رجل، وأخذ مع كل عبيده وكل ما يملكه كرهينة حتى يتم الإرجاع والرد.

وكان كل من يتقبل وديعة في الريف يعتبر لصا إن فقد منها شيء نتيجة إهماله. وكانت نفس المعاملة من نصيب التاجر إن هو غالى في تقدير ثمن البضائع التي يعرضها للبيع فإن كانت الصفقة تمت بالكتابة، فإن الكاتب نفسه كان يعاقب. وكانت المرأة المتزوجة التي تنتسب إلى طبقة الأحرار إذا دخلت معبدًا وثبت عليها أنها أخذت منه شيئًا فإنها تعاقب بعقوبات مشينة.

وكانت الزوجة التي تأخذ متاعًا خاصًا ببيت الزوجية وتنقله إلى الغير تعاقب عقوبة شديدة جدًا فإن كان الزوج ميتًا أو على وشك الموت فإنها تقتل هي وشريكها أما إن كان الزوج يتمتع بصحة جيدة فإنه يترك له اختيار العقوبة التي توقع عليها. وحين يتم البيع لمصلحة عبد أو أمة فإن الزوج قد يصلم آذان الزوجة والمشتري. وعلى أية حال فإنه كان يجب أن يعاملهما نفس المعاملة.

وإن سرقت امرأة متزوجة سرقة تقدر بأكثر من ٥ مينا من الرصاص من شخص آخر فإن زوجها قد يصل إلى إتفاق مع الضحية ويعيد له المسروقات ويصلم أذني زوجته. وإن فشل في الإتفاق مع من وقع عليه الضرر فإن هذا الأخير في هذه الحالة يمسك المرأة لجدع أنفها. وإذا سلمت امرأة في الريف وديعة خلسة فإن المشتري يعد سارقًا.

وكان القانون الأشوري يعاقب بقسوة الضرب والجرح وخاصة إذا كانت المعتدية أو

(1) XCIV No 1601.
(2) Ibid, No 161.

المعتدى عليها امرأة متزوجة فكانت تلك التي تضرب رجلا تعاقب بدفع ٣٠ مينا من الرصاص وتضرب ٢٠ ضربة بالعصا– وإن هي أصابت خصية رجل في معركة، فإن إحدى أصابعها تبتر، وإن أصيب الخصيتان أو أصاب الجراح الأخرى أثناء مباشرته لعلاج الخصية المصابة فإن المرأة تتحمل المسئولية كلها ويحكم عليها بقطع ثدييها. وكان المعتدي عرضه لفقد إحدى أصابعه إن هو أعتدى بالضرب على امرأة متزوجة وكان قانون العين بالعين والسن بالسن يطبق على القاتل ولكن ربما لم يكن ذلك في كل الأحوال، والمادة الخاصة بهذا الموضوع أصابها التلف لسوء الحظ، وإننا لنجد في زمن السرجونيين أن القاتل يستطيع تفادي عقوبة الإعدام بأن يمحو جريمة الدم بمنح ابن المقتول عبدا وأسرته "وإلا فإنه يضحى به على قبر القتيل" وحين وجد أن "سيليم أيلي" أرتكب جريمة القتل عدة مرات ختم الأحد عشر شخصا المستحقين للتعويض لوحة أمام الشهود قرروا فيها أن "تسيري هو سيد القتلى الذين ذبحهم "سيليم أيلي" وأنه يحل محل القتلى قبلهم زوجه وأخوه وابنه ومن يقوم غيرهم(١)".

وليست لدينا أحكام قضائية بل وثائق خاصة فقط تتصل بالقضايا. وإننا لنرى في إحداها مقترضا يمنح مهلة لإستحضار شهود يثبتون بشهادتهم أنه سدد الدين وإلا فإنه يكون عليه أن يدفع رأس المال والأرباح. ونجد في وثيقة أخرى أمة مسئولة عن موت خادمة ويضيع ضمانها إن تعذر عليها تعويض الضرر في وقت محدد(٢) وقد اختصم شخصان بسبب بيت ثم وصلا إلى إتفاق ولذا لم يعد هناك مجال للنزاع وهما لذلك يقرران هذا في عقد أمام الشهود كما يقدران تعويضا قدره ١٠ مينا من الفضة يدفعه أيهما إذا خاصم الآخر(٣). وقد أنزل "شماش نستير" زوجة وابنها إلى طبقة العبيد بسبب الديون ثم أستولى على أملاكهما: ٥٠ أيمر من الشعير وآلة ري وثور و١٢ مينا من الفضة. وعمل المدينون اتفاقا معه لإعطائه علاوة على ذلك ثلاثة من العبيد(٤).

---

(1) XCIV, Nos 321, 618.
(2) Ibid Nos 101, 166.
(3) CIX No 650.f.
(4) Ibid, No, 655.

الفصل الثالث

النظام الاقتصادي

١- الملكية العقارية

تنقسم الملكية العقارية في أشور –كما هي الحال في بابل– إلى حقول ومزارع وحدائق وبساتين وأراضي بناء. ولم تكن المزارع الكبيرة الحجم أحيانًا لتقوم (بتشديد وفتح الواو) بالمساحة بل بكمية الشعير اللازمة لبذرها. وكانت جودة التربة تقدر حسب ما تستلزمه هذه البذور ٨ أو ٩ أو ١٠ قا من الحبوب لكل وحدة مساحية. ولم تكن المزرعة تحوي أرضا صالحة للزراعة ومراعي فحسب بل حدائق ومباني كذلك. وكان عبيد الأرض يكونون جزءًا من الملكية العقارية وينتقلون معها من مالك إلى آخر أو كانوا يقدمون من وقت إلى آخر كرهون لضمان قرض.

وكان يملك المزرعة أحيانًا عدة أشخاص على المشاع. وقد أقرض ريبائي في عام ٩٨٧ق.م. ثلاثة أشخاص ٢٥ شاقلًا وتسلم مقابل ذلك حقلين وعينا بصفة رهن. وفي العام الذي أطلق عليه اسم "شارو نادين" أقترض "موتاقين أشور" و"أشور رش أشي" متضامنين ١٧ شاقلًا مقابل إعطاء المقرض حق استغلال قطعة من الأرض. وفي العام الذي أطلق عليه اسم "أوباقو أنا أربايلو" نجد شخصين آخرين يظهر أنه لم تكن تربطهما رابطة عائلة يملكان معا ضيعة مشتركة(١).

ويظهر أن مدة الإيجارة كانت سنتين. وكانت المناوبة الزراعية مرة كل سنتين فكانت الأرض تسمى في سنة "مريشو" (الزرع) وفي السنة التالية "كاراهو" (وكانت الأرض تستأجر لمدة "ثلاثة مريشو وثلاثة كاراهو" وكانت تقدر للرهن الفترة نفسها وهي ما يوازي ست سنوات متتالية): "وكان من الممكن أن يعطى حق الانتفاع بالحقل لمدة ثلاثة

(1) XCIV Nos 624, 88, 620.

مريشو وثلاثة كارابو أي ست سنوات" ففي سنة ٦٧٩ عملت لمدة ٨ سنوات وهي خاصة بمدة إيجارة أطول من ذلك وهذا بالنسبة لحقل مساحته ٦ أيمر لضمانه مينا من الفضة. ويمكن استعادته مقابل دفع المبلغ المقترض ولكن بعد انتهاء الـ"مريشو" لأن المريشو هي السنوات التي تنتج أفضل محصول مما يلحق بالدائن ضررًا إن هو فقد فائدة هذه السنوات ومع ذلك فاعتماد على هذا النص نفسه تدرك أن المزرعة لم تكن كلها تزرع بنفس الطريقة في وقت تنفيذ العقد فإن ثلثيها كان مريشو والثلث كارابو. وهذا الإجراء يختلف هنا عنه في بابل حيث كانت ترتب زراعة الأرض عادة على فترات مداها ثلاث سنوات[1].

وكانت الأموال الريفية تسمى أحيانًا باسم صاحبها الحالي (الفعلي) وأحيانًا أخرى باسم معين هو غالبًا "أم المكان الفلاني" في القرن السابع وربما كان ذلك يعنب أول منشأة في المكان المذكور مثل: أم الكودورو، أم قرية دوني، أم المزرعة الآرامية، أم الكلديين. وكانت الحدود في عقود البيع وفي كثير من الأحيان في عقود الرهن تبين بأسماء الجيران والطرق المتاخمة والأنهر أو القنوات. وكان البائع يطبع ختمه أو ظفره كما كانت تبين المباني المختلفة وعدد العبيد المختصمين بأعمال الأرض مع ذكر أسماء أهمهم. وكان الشاري يستطيع في مدة مائة يوم أن يقيم الدعوى إن أصيب أحد الخدم بالصرع[2] وكان القانون الريفي في النصف الأخير من الألف الثانية تنظمه مجموعة من القرارات الملكية عثر على بعضها في خرائب أشور.

ولم يكن تقسيم الأرض بين الورثة في أنصبة متساوية دائما. وإننا لنرى في حالات معينة أن الابن الأكبر كان له الحق في أن يستولي على الثلثين: ثلث منهما يختاره والآخر بالقرعة أما الجزء الذي كان من نصيب رجل قتل "كائنا حيا" فإنه من حق "صاحب هذا الكائن الحي" أن يطالب به إن كان الأخير يعتبر التعويض مناسبا ولا يصر على موت المجرم. ويظهر إن كلمة "كائن حي" في هذه المادة من القانون تعني أي

---

(1) XCIV Nos 70, 622, 623, 8384.
(2) Ibid 373, 322, 391, 443.

مخلوق بشري سواء ولد أم مازال في الرحم، لأن نفس العبارة واردة في النصوص الخاصة بمنع الإجهاض(١).

وكانت لمدينة أشور أملاك ريفية كانت تقرض لظروف معينة أو تنتقل ملكيتها إلى الأفراد. وكانت كشوف الملكية محل مراجعة من وقت لآخر.

وكان هناك موظف هو الـ"ناشي" يعلن النداء الآتي في المدينة ثلاث مرات في الشهر: كل من يرغب في تقديم مطالبة في مصلحة أو ضد حيازة فلان بن فلان لملكية العقار الفلاني مدعو للحضور في نفس اليوم مزودًا بلوحاته أمام هيئة احتكام مكونة من ممثل الملك يعاونه كاتب المدينة والـ"ناشي" نفسه وبعض الحكام وشيخ البلد وثلاثة من الأعيان. وحين كان ينادى على القضية كان كل فريق يدلي بحججه ويقدم لوحاته للفحص. وكان القرار الذي يسجل فورًا يعلن للمتقاضين أثناء الجلسة فإن لم يحضر أحد المدعين في إحدى الجلسات الثلاث الخاصة بقطعة معينة من الأرض فإن مستأجرها يفقد كل حقوقه ويعرضها منادي المدينة للمزاد(٢).

وكان توسيع إقطاعية على حساب مزارع مجاورة لها يعرض الفاعل لعقوبات صارمة: فكان يحكم عليه في حالة ثبوت تعديل الناحية الكبيرة من حدود أرضه بأن يرد ثلاثة أمثال الأرض المسروقة ويضرب مائة عصا ويؤدي عملًا شاقًا في السخرة الملكية مدى شهر. وغالبًا ما كانت تبتر أحدى أصابعه إلى جانب ذلك.

وكانت العقوبة مماثلة في حالة تعديل الحدود الصغيرة من الحقل وإن كان عدد الضربات يخفض إلى النصف كما يستعاض عن بتر الإصبع بغرامة وزنة من الرصاص. وكان حفر جدول في أرض الغير يعاقب عليه بثلاثين ضربة عصا وعشرين يومًا من السخرة الملكية وكان تسوير قطعة أرض يملكها جار وبدء البناء عليها يعاقب عليه بخمسين ضربة من العصا وشهر من السخرة الملكية ومصادرة الطوب ودفع ثلاثة أمثال قيمة الأرض. وإن زرع بستان على أرض الغير فإن الأمر يحتمل شيئين: فإن كان المالك

(1) LXXIII lois I, 11.
(2) Ibid loi VIX.

يعيش في مكان قريب فإنه يفترض فيه أنه أعطى موافقته على ذلك وفي هذه الحالة تسلم قطعة أرض مساوية بصفة تعويض. أما إن كان بعيدا فإن المفروض أن العمل تم ضد رغبته وله عند عودته أن يضع يده على البستان[1].

ولما كانت حقوق الري بالماء في كل البلاد وفي كل العصور سببا للمنازعات بين الجيران في الريف، يفترض القانون الأشوري وجوب اتفاق الجيران على طريقة استعمال ماء الري وماء المطر فإن تعذر الاتفاق فإنه ترك للزارع الأكثر نشاطا أن يتقدم للمحكمة لتقرر حقوقه وتثبتها في لوحة[2].

وكانت هناك ضرائب (رسوم) تختلف من ناحية النوع سواء عن طريق السخرة أو الخدمات العامة تثقل كاهل الأملاك الريفية.

فإذا أراد الملك أن يكافئ خادمًا مخلصًا للإمبراطورية عن حميته وأن يمنحه مزرعة فإنه كان يحدد الإعفاءات التي تتمتع بها مثل هذه الإقطاعية. ولقد منح "أداد نيراري" كلا من قانوني "أهولامو"، "مانوكي أبي" بعض الأراضي في قرية ماجا نوبا. وحدد العشور المستحقة للإله أشور والإلهة باو بمقدار ١٠ أيمر من الحبوب. وحين قرر سرجون أن يأخذ هذه القرية ويبني مدينة دورشاروكين في مكانها استبدل هذه الأملاك بغيرها مع "مانوكي أبي" الذي كان لا يزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين: وقد أعفاهم من ضريبة الشعير ومن الإجبار على تقديم العلف، بل إنه "مانوكي أبي" الذي كان لا يزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين، وقد سار إلى أبعد من ذلك فأعفاهم من التزاماتهم قبل الإله أشور، ولكي لا يلحق ضررا بالمعبود ولا يمس الأوقاف (المؤسسات) التي أقامها أسلافه فإننا نراه يمنحه حقلا ذا ١٥ أيمر بصفة تعويض.

وحين أراد أشور بانيبال أن يظهر تقديره لـ"بولتا" الطبيب الشجاع منحه لوحة إعفاء لحقوله وحدائقه: "لا تفرض عليها ضريبة شعير ولا استيلاء على العلف ولا يؤخذ أي حيوان كبيرًا كان أو صغيرًا. أما حقوله وحدائقه هذه فلا تخضع لأية ضريبة أو التزام أو

---

(1) Ibid lois VIII, IX, XII, XIII.
(2) Ibid, lot VI.

سخرة أو جمع رجال وهم معفون من كل حقوق عوائد الرصيف والمرور".

وتظهر هذه الالتزامات المختلفة في الوثائق الخاصة ولكن ليس من الممكن الوقوف على النظام الذي كان مقررا للضرائب بالضبط أو ظروف وطريقة تطبيقية. وفي العام الذي كان يسمى باسم "سنشار أوتسور" دفعت أملاك ابن "أبو أريبا" العشور من محصولات الحبوب وكان عليها أن تورد ١/٤ العلف (الكلأ) الذي تنتجه للفرسان الملكية. وفي كلمات مبهمة نجد ضيعة أردى عشتار، وأردى أشور خاضعة "لالتزام تقديم العلف وضريبة الشعير" وعلى العكس من ذلك نجد أن بستان "قورديني عشتار لامور" أعفى من ضريبة الشعير والضريبة المخصصة لمصالح القرية وذلك في ٦٨٢. وهذا النص الأخير يبين أن "ضريبة الشعير" يجب أن تفهم في معنى عام يتضمن كل الالتزامات العينية المستحقة حسب مختلف أنواع الزراعة.

وإننا لنجد في عقد يخصص فيه أحد الآباء ملكًا خاصًا لابنته يتضمن بيتا وبعض العبيد– نراه يصب لعنة الآلهة على من "يفرض جزية الملك" على هذه الممتلكات التي كانت تتمتع في أغلب الظن بإعفاء مقرر في وثيقة سابقة(١).

٢- الاتفاقيات

إن معظم الوثائق الأشورية التي تكشف عن الحياة الخاصة المعروفة حتى اليوم يرجع معظمها إلى محفوظات قصر أشور بانيبال وهي محفوظة في المتحف البريطاني ومعظمها يرجع إلى عصر السرجونيين وتتفاوت لمدى مائة عام وقد استخلصت منها معلومات عن الأسرة والرق ونظام الملكية والقرض بفائدة وحقوق الرهن وعمليات البيع والتبادل واستئجار الخدمات وقوانين العقوبات وذلك عندما بلغت الحضارة الأشورية القمة.

وتبدأ الاتفاقيات الخاصة عادة ببيان أختام الأشخاص الذين يتعاقدون. وهذه الأختام أما أسطوانات أو أختام مسطحة كان يطبعها على اللوحة صاحبها بنفسه فإن استحال ذلك فوكيل له يذكر اسمه وصفته نصا تلافيا لقيام أية صعوبة مستقبلا ولم يكن

(1) XCIV Nos; 652, 660, 800, 647, 623, 622, 370.

من المعتاد أن توضع أختام الشهود كما كان يحدث في اللوحات البابلية أو الكابادوكية في الألف الثالثة.

وحين لم يكن لدى المتعاقد أسطوانة أو ختم كان يضع إبهامه ويغرس ظفره في الطمي. ولم تكن التعهدات المتبادلة شائعة على ما يظهر وحتى في التبادل كان أحد الفريقين فقط يثبت خاتمه. وكان يعتبر البائع. على حين كان الآخر يلعب دور المشتري. وفي كثير من الأحيان أشير في اللوحة إلى هدية من الفضة أعطيت مقابل وضع الختم أو الظفر: من ذلك أننا نجد في عقد من ٧١٣ق.م. خاص ببيع عبيد سلموا مقابل ١٨٠ مينا من البرونز وقد أضيفت "أربعة مينا من البرونز مقابل الظفر[١]".

وكان نص الوثيقة يحرر في أسلوب غير شخصي يتبع بقائمة الشهود وتاريخ السنة المسماة باسم الشخص. ولم يكن الكاتب يكتب دائمًا باسمه فإن فعل فإننا نجده في نهاية قائمة الشهود مع العبارة التالية: "الكاتب الذي يمسك اللوحة" أو "الكاتب الذي يمسك الوثيقة[٢]".

٣- البيع

كان البيع في أشور دائمًا مقابل فضة أو رصاص أو برونز. وكان الثمن يدفع فورًا فإن لم يتسلم البائع الثمن الكلي للشيء فإنه يقدم مع ذلك إيصالًا ويأخذ مقابل الرصيد صكا يعترف فيه بالدين. وكان العقد يبدأ ببيان بصمة ختم البائع أو الظفر مع الإشارة إلى الشيء موضوع التعاقد. وكان هذا الشيء يوصف تفصيلا مع الثمن واسم المشتري وشهادة الحيازة. ويقرر الكاتب أن الدفع قد تم وأن الشيء المعروض للبيع قد اشترى وأخذ. وهكذا تنتهي العملية ولا يعود هناك مجال للمناقشة. وكانت تحدد العقوبات التي توقع على من يقيم أي نزاع بشأنه كما كان العقد ينتهي بقائمة الشهود والتاريخ.

---

(1) Ibid Nos 307, 318, 303, 400, 452, 248.
(2) Ibid Nos 412, 1141.

"ختم دايان كوربان" صاحب البيت المبيع. ثلاثة مخازن بحوش بما فيها باب في نينوى بجوار "ناهاراو، نابوا، كدوما، ديرا..." أشتراها من "دايان كوربان" مقابل ٣٠ شاقلا من الفضة وتسلمها، وأعطيت النقود بالكامل. واشتريت هذه البيوت وأخذت. وليس هناك رجوع في ذلك أو تقاضي أو مطالبة. ومن ينازع يدفع ١٠ مينا من الفضة.

ولم يكن العقد يشتمل على مساحة الأرض في حالة البيوت كما هي الحال في بابل. ومع ذلك فإنه كان يثبت في بعض الأحيان مقاييس الجوانب. وعلى ذلك فمن الصعب تقدير قيمة أرض البناء: فبعض البيوت كانت تباع بنصف مينا، على حين يبلغ ثمن البعض الآخر ١٢ مينا. وبفرض وجود هذه المعلومات كقاعدة فإنه كانت تقوم إلى جانب ذلك صعوبات أخرى لأن الكاتب كان يفرق بين أنواع متعددة من المنشآت: بيت أكوللي، بيت قطاطي، بيت ربيتو، أترو، بوتسي، قاقير، تابريو... مما لسنا نعرف حقيقتها (وربما كانت دكاكين ومخازن... وهكذا) ولم تكن قيمتها تحدد فقط على أساس المساحة المشغولة. كان يذكر وجود الآبار وصهاريج الماء والشرفات والأبواب. وكما هي الحال في بابل يظهر أن الأبواب لم تكن ملكا ثابتا بل يمكن أن تكون ملك المستأجر أو المالك على السواء. وكان البيع يتفق عليه بالفضة أحيانًا وأحيانًا أخرى بالبرونز. وهناك عقد ذكر فيه أن المبلغ الأصلي للبيع ٣٢ شاقلا من الفضة وذكر فيه أن "شاقلا من الفضة حدد مقابل الختم". أما العقوبات المنصوص عليها في العقد ليقع البائع تحت طائلتها هو أو أي واحد من أفراد أسرته يرفع قضية ضد المشتري أو ورثته فإنها كانت عادة عبارة عن تعويض يبلغ أحيانا عشرة أمثال قيمة البيت ومنحة تدفع إلى معبد عشتار في نينوى أو إلى أي معبود آخر في حالات نادرة وقد تصل هذه الهبة إلى ١٠ مينا من الفضة أو الذهب(١).

وكانت حدائق الفاكهة أو الخضر تباع كأرض البناء. وكانت صيغة العقد متماثلة: فلان الفلاني يشتري بستانا صغيرا به ٣٥ شجرة. وآخر يشتري زراعة ٦٠٠٠ مقابل ٢ مينا من الفضة. ولا يذكر في غالب الأحيان أي بيان عن مساحة الأرض وكانت

(1) Ibid Nos; 350, 354, 325, 330, 340, 357.

تكفي الإشارة إلى أنها في حالة جيدة أو أنها تسلم بحالتها. وفي العام المسمى باسم "تسالو شارو أقبى" نجد أن "كولكولانو" يشتري بستان فاكهة به عبدان ويدفع ٣ مينا من الفضة مقابل ذلك. ولابد أن الصفقة كانت مهمة فلقد كان هناك خمسة شهود من القرية التي كانت بها الممتلكات وعشرة من القرية المجاورة. ولم يتعهد البائع بأن يدفع عشرة أمثال المبلغ إن هو رجع عن كلمته فحسب بل يدفع كذلك وزنة من الفضة و٥ مينا من الذهب إلى معبد عشتار في أربيلا. ولقد ورد في العقد بيان عن المنشآت والعبيد وعيون الماء والنافورات في وصف قطعة الأرض المبيعة[١].

ولم تكن قيمة الأرض الزراعية تقدر حسب مساحتها بل بكمية الحبوب اللازمة لزرعها كما كانت الحال في نفس العصر في بابل. وقد عنى بالإشارة إلى علاقتها بالمقاييس الجارية وهي ١٠، ٩، ٨ قا. وكانت الصفقة تتضمن عبيد الأرض كما كانت تتضمن أحيانا الطيور. وكان يثبت وجود المباني والحدائق. وقد أشترى "شومو إيلايي" حقلا مساحته ٥٠ أيمر به ١٠٠٠٠ شجرة فواكه ومبان و٩ من العبيد في قرية "تي أي" مقابل ٦ مينا من الفضة. وكانت بعض الضياع متسعة جدا فقد أشترى "عشتار دوري" أحد ضباط الملكة الوالدة في حكم أشور بانيبال ضيعة لم يكن بها أقل من ٣١ عبدا وقد دفع ثمنا لها ١/٢ ٥٨ مينا. وقد أشترى أحد ضباط الملك كل قرية "موسينا" في ناحية "أرباد" ودفع ١/٢ ١٧ مينا ولكن لم يكن بها أكثر من ١٥٠٠ شجرة فاكهة وستة أشخاص. ومما هو جدير بالملاحظة في هذا العقد الشروط الجزائية الواردة فيه فقد نص على أن كل من ينازع في الصفقة باسم البائع يقدم حصانين أبيضين للإله أشور وأربعة من الجحوش إلى نرجال ووزنتين من الفضة ووزنه من الذهب إلى عشتار نينوى إلى جانب التعويض الواجب دفعه للمشتري وهو مقدر بعشرة أمثال قيمة العقار[٢].

وكان بيع العبد يتم بنفس الإجراءات المتبعة في بيع الأملاك العقارية ولكنه كان يتضمن مع ذلك فقرة مزدوجة لإمكان الفسخ مماثلة للفقرة الواردة في قانون حمورابي.

---

(1) Ibid Nos 446, 468.
(2) Ibid Nos; 621, 622, 473, 431, 422, 428, 471, 464, 429.

وكان الصرع عيبا يلغي البيع كما هي الحال في بابل. وكان على المشتري الأشوري أن يتبين وجوده خلال ١٠٠ يوم ليتسنى له إلغاء عقد الشراء على حين كان البابلي من عصر حمورابي يعطي شهرا فقط لهذا الغرض: أما بعد هذه الفترة فكان يفترض أن الإصابة بهذا المرض حديثة، أما فيما يختص بالمطالبة فإنه لم تكن لها حدود. وإننا لنجد الصيغة تبين على الأقل في شكل بالغ الغموض أن على البائع أن ينفذ المطالب الحقة "في كل الأيام وكل الأعوام" وفي عام ٧١٣ق.م. نجد أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أطفال انتقلت ملكيتهم مقابل ١٨٠ مينا من البرونز. وقد نص على أن من يبدأ إجراءات النزاع عليه أن يدفع ١٠ مينا من الفضة إلى "أينورتا" إله كلح كما يدفع وزنه من الرصاص إلى حاكم مدينته بخلاف التعويض المقدر بعشرة الأضعاف للمشتري. وكنا قد لفتنا النظر إلى إشارة في عقد سابق عن منحة عن الختم إلا إننا نجد في هذا العقد أن البائع ليس لديه ختم ولكنه تسلم مقابل بصمة أظفره ٤ مينا من الرصاص أي أكثر بقليل من ٢% من ثمن الشراء الفعلي. ولقد بيع نساج مهر في صناعة الأقمشة المتعددة الألوان بمبلغ ١ ٢/١ مينا لخدمة معبد "أينورتا" في كلح. وفي حالة قيام بعض المصاعب حول هذا الأمر فإن من ينازع في عقد البيع يدفع ١٠ مينا من الفضة وكمية معينة من الذهب للمعبد بخلاف التعويض المعتاد. وكان الرجل يساوي ٢٠، ٣٠، ٣٢ شاقلا من الفضة و٥٠ أو ١٠٠ مينا من البرونز ولكنه كان يساوي أحيانا ١ مينا و٧ شاقل من الفضة. وكان ثمن حمار (بتشديد وفتح الميم) يبلغ ١ ٢/١ مينا من الفضة وهو ما يعدل ثمن النساج، كما كان ثمن الأمة ٩ شواقل أو ٣٢ وقد يصل إلى ٢ مينا[(١)].

ولقد تبينا وجود عقوبات توقع على البائع أو أحد أفراد عائلته إن هو رجع عن الصفقة، وإننا نجد أن الإطالة في هذا الموضوع قد تكون ذات فائدة: إن العقد الذي يلزم البائع بمقتضاه إنما هو اتفاق علني لا يربطه بالشاري فحسب بل بالمعبود كذلك وكان يتضمن نوعا من القسم –ضمنيا على الأقل– مما يجعل نقض الاتفاق حنثا يعد

(1) Ibid Nos 248 254 642, 177, 180, 186, 196, 190, 915. CIX Nos 505, 506.

ذنبا وخطيئة، وقد عبر عن هذه الفكرة صراحة في عدد كبير من النصوص بفقرة "الآلهة هم أصحاب قضيته" التي خصصت حتى أصبحت "أشور هو صاحب قضيته" و "أشور وشماش هما صاحبا قضيته" ولعل هذا هو السبب في أن المخطئ أو المذنب كان عليه أن يتطلب رضاهم أما في شخصه أو في أطفاله أو في أملاكه. وكان الأمر كذلك بالنسبة للملك لأن الملك كان يتمتع بنفس امتيازات المعبود: "إن القسم بالملك هو في الواقع صاحب قضيته، وحين أشترى "أبلا" مزرعة وأربعة من العبيد في ٦٩٨ نرى أن كل من ينازعه أو ينازع أطفاله يجب أن يأكل قدرًا معينًا من أحشاء ثور من روثه ويشرب "دم الأرز"[١]. وليس هذا مثلا مفردا فإننا نجد نفس الصيغة في عقد بيع العبيد أو عقد بيع أرض. وهناك عقد آخر يضيف إلى ذلك التزام تناول قدر معين من نبات شوكي حتى يصبح اللسان مسحوبًا (مجلوطًا) ومثقوبًا. وكان الآلهة القساة يغالون في المطالب فيتطلبون أحيانا تقديم ضحايا بشرية. ولقد ذكر ذلك أبلا نفسه في عقد إذ ذكر أن الابنة الكبرى للمنازع ستحرق بـ٢٠ قا من خشب الأرز تمجيدا للآلهة "بعليت تسبري". وقد تطلب نفس الضمانة السيدة "مانوكي اللا" في عقد بيع ثلاثة من العبيد "سيحرق ابنه الأكبر أو ابنته الكبرى تمجيدا لبعليت تسيري مع أيمر من أفضل الطيوب" ولم يكن الإله أداد بأقل قسوة.. وكان التماس رضائه يستلزم حرق الابن الأكبر لورثة "نابونابيد" أو وريثه الشرعي ممن يرفع دعوى استرداد طفل تبناه "سنكي عشتار" وزوجته "رايمتو".

وكانت تقدمة الخيول البيضاء كذلك عقوبة توقع على المتنازع لمصلحة الآلهة. وكان عليه أن ينذر اثنين أو أربعة لأشور، وسن وعشتار وغالبا كان يضيف أربعة مهور (جحوش) إلى نرجال إله العالم السفلي (الجحيم). وهناك إشارة إلى قوس لاينورتا إله كلح في عقد بيع عبيد. وإننا لنجد فقرة تتردد كثيرا تلزم المنازع بدفع مبلغ معين من المال إلى خزانة الآلهة: أشور وعشتار في نينوى وأينورتا في كلح و"أبيل أدو" في "كانو"

---

(١) خلاصة (زيت) مستخرجة من خشب الأرز.

و"أداد" في "دور أيلبل" وسن في حران: مينا من الفضة ومينا من الذهب لا قليل في عقد تبن، و ١٠ مينا من الفضة ومثلها من الذهب لنفس الآلهة في ٦٧٩ و ٢٠ مينا من الفضة في بيع عبيد مقدرين بـ٢٢ مينا ووزنه من الفضة وعشر مينات من الذهب. وفي عقد آخر وزنة من الرصاص فقط. وهناك شخص آخر يعطي نفس المبلغ (وزنة من الرصاص) لمندوب الحكومة بخلاف ما يجب أن يدفعه إلى الآلهة بالإضافة إلى ذلك[١].

وكان هناك كذلك مجال للتعويض ضد الطرف الثاني مقدرا في أغلب الأحيان بعشرة أمثال قيمة الشيء المتنازع عليه. وفي حالة خاصة قدرت فيها قيمة أرض بـ٨٠ مينا من البرونز نرى أن التعويض قد قدر بمائة ضعف لهذا الثمن[٢]. وكان يعمل حساب لاحتمال قيام نزاع حول الشيء المبيع مستقبلًا وتقرير إمكان اعتبار الصفقة ملغاة ولكن هذا لا يكون بدون نفقات يتحملها من يرجع في الصفقة فيسمح له باستعادة بيته أو حقله أو حديقته أو عبده كأنما كان قد سلمها بصفة رهن ولكن على شريطة دفع تعويض للطرف الثاني وكذلك إلى المعبود أحيانا. وفي عام ٦٨٧ق.م. نجد امرأة قد اشتريت بوزنه من البرونز "لا قضايا ولا منازعات... إن من ينازع في المستقبل في أي وقت (ويقول): "إنني أعتق المرأة" عليه أن يدفع مينا من الفضة ويأخذ المرأة". وقد وضعت بعد ٦ سنوات شروط مماثلة وردت ٢ مينا لاستعادة امرأة قدرت بـ٩٠ شاقلا، ولكن –كقاعدة عامة– كان كل عقد بيع يعتبر نهائيا وكانت تنص الصيغة العادية جدًا على أنه إذا احتكم البائع أو أي عضو من أسرته إلى المحكمة فإنه لا يأخذ شيئًا. وإننا لنجد في صيغة أخرى أنه نص على أنه ليس للقاضي أن يستمع إلى التظلم كما نرى في صيغة ثالثة أن التظلم لن يعتبر قضية وأن المتظلم لا يجاب إلى طلبه[٣].

---

(1) Ibid Nos 315, 163, 161, 318, 476, 473, 474, 244, 436, 401, 474, 310, 215, 350, 471, 326, 263, 262, 310, 161, 282, 283, 247, 523, 498, 326, 417, 248, 554. CIX Nos 505, 506, 41.

(2) Ibid No 350.

(3) Ibid, 453, 218, 213.

٤- التبادل

لم يكن التبادل –كما هو الحال في بابل– نوعًا خاصًا من التعاقد بل كان يتم بموجب عقد مماثل لعقد البيع. وفي العام المسمى باسم "سن شار أوتسور" كان هناك ثلاثة أشخاص يمتلكون معا العبد "عشتار دورقالي" استبدلوه بأمة كان يملكها "كاكولانو". وكنا نتوقع أن نجد في بداية العقد ذكرًا لأختام الطرفين المتعاقدين، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، بل أثبت سادة "عشتار دورقالي" وحدهم أختامهم كما لو كانوا هم وحدهم الملتزمين.

"ختم نابو أهو أوتسور، ختم أهوني وهما ابنان لـ"نارجي"

ختم أهو لوري بن سيلي... جملة عددهم ثلاثة رجال.

يمتلكون رجلا سلم على سبيل التبادل مقابل امرأة".

ويستمر النص –كما هي الحال في عقد البيع– على الوجه التالي:

"عشتار دورقالي عبد هؤلاء الرجال قد اشتراه كاكولانو

الـ"راب كتسير" من هؤلاء الرجال بالتبادل مع أمته "توليها"

لقد اشتراه وتسلمه. ولا رجعة في ذلك ولا قضية أو مطالبة.

ومن يقوم مستقبلا ويرتكب عنفا سواء أكان نابو أهو أوتسور

أم أهوني أم أهونوري أم أولادهم أم أحفادهم أم أقرباؤهم

الأبعدون أم أبناء أقربائهم الأبعدين أم من يمت لهم بصلة

...أي من هؤلاء إن نازع مستقبلا أو أقام دعوى ضد كاكولانو

أو أطفاله أو أحفاده فإن "أشور وشماش وبعل ونابو، هم سادة قضيته: سيدفع ١٠ مينا من الفضة".

ويلي ذلك أسماء أحد عشر شاهدًا والتاريخ.

وهناك لوحة أخرى ليست أقل فائدة رغم تشويهها تشويها كبيرًا وهي تخص عبيدًا ثلاثة استبدلوا بحصان في حالة طيبة: "دفع المبلغ بالتمام" ولكن لم يكن هناك مجال لذكر مجال لذكر شيء عن فرق الثمن بين الشيئين المتبادلين ولم يكن هذا التعبير هنا سوى نص تقليدي بحث(١).

٥- القروض

من النادر إن كان القرض يمنح في أشور دون أن يجدد المقرض الضمانات الحقيقة والمباشرة وهي رهن ذو أهمية ينتفع به في الحال ويحتفظ به غالبا دون إجراءات أخرى إن لم ترد إليه أمواله. ذلك بينما كان المتبع في بابل بصفة عامة ألا يتخذ الدائن إجراءات إثبات حقوقه على الأشياء المرهونة إلا عند حلول تاريخ السداد. وفي أشور أيضا كانت القروض في أساسها هي الشعير. وفي الإقليم المحيط بنينوى كانت القروض بالفضة والبرونز وهي العملة السائدة، إلا أنها كانت أحيانا خاصة بالحبوب والزيت والماشية.

وقد وجدت القروض من غير فائدة لأجال قصيرة في القرن السابع. وفي عام ٦٩٣ق.م. تسلم "أربا" مبلغا قدره ١٧ مينا من "أنديبي" في التاسع من آب وتعهد "أن يعيد المال في تيشري على أساس رأس المال. وفي حالة عدم السداد تكون الفائدة الشهرية ٢ شاقل لكل مينا" أي ٤٠% في السنة وهذا السعر المرتفع جدًا ربما كان يعتبر كعقوبة على الدائن الذي لا يستطيع المحافظة على تعهده. وكانت الفائدة المعتادة في بابل ٢٠% ولكن من المستحيل أن نعرف السعر المعتاد في أشور لأن العقود نادرا ما تتناول الفائدة بالذكر. وإننا لنجد الفائدة في واحد منها مقدرة على أساس ٣٠% وفي آخر قدرت أرباح المبلغ الخاص بمعبد أربيلا بـ٢٥% وكانت الفائدة تقدر على أساس الشهر أو السنة. وفي سنة ٦٦٧ق.م. أقرض "نرجال شار أوتسور" ٥ مينا، وهذا المبلغ "يتزايد بمقدار ٥ شواقل من الفضة كل شهر" أي بفائدة ٢٠% وفي

(1) Ibid, Nos 318, 252.

٦٨٦ أقترض سوكا ٣ مينا من الفضة "تزيد ٦ شواقل شهريا" أي بفائدة ٤٠%.

أما إذا كان القرض بدون فوائد فإنه في حالة عدم سداد الدين في التاريخ المحدد للسداد فإنه يقدر على رأس المال من هذا التاريخ فائدة بسعر ٤٠% أو ١٠٠% أو أحيانا ١٤١%. وبالنسبة للفائدة المقدرة على أساس ٥٠% كان الإصلاح المعتاد هو "يزيد بمقدار نصف شواقله" وعلى أساس ٢٣% و ٢٥% يعبر عنها بنفس الاصطلاح "يزيد بمقدار ثلثه أو ربعه" وليس هناك من شك في أن سعر الفائدة المعتادة كان معروفا، وإننا لنجد في بعض الحالات إشارات مبهمة مثل "المال يزيد" إن لم يدفع رأس مال فإنه يدفع أكثر منه[١].

أما بالنسبة لسلف الحبوب فإن الفائدة كانت عادة ٥٠% ومرة ٣٠% ولقد كانت في بابل سابقا ٣٣% ثم أخذت تنحط إلى مستوى فائدة الفضة حتى بلغت ٢٠% "٥ أيمر من الشعير تخص ولي العهد، في يد تاقوني الثاني، توضع تحت تصرف "هاماثوثو" من قرية "هاندوات" يزيد الشعير بمقدار ٥٠ قا للأيمر".

وكان نفس السعر يستعمل بالنسبة للقروض بغير فائدة حين لا يتم السداد في التاريخ المتفق عليه[٢].

وقد أقرض "كتسير أشور" ١٠ شواقل من الفضة وهي الثمن المقدر لكمية معينة من العلف يجب أن يسلم فإن لم يسلم هذا الدريس طبقا للشروط المقررة فإنه تسري على المبلغ فائدة بواقع ١٠٠% وكذلك وضع "شوما إيلاني" في ٢١ آب ٦ أيمر من الزيت الطيب تحت تصرف "أشور بعل أوتسور" وكان يجب أن تستعاد في الشهر التالي وإلا احتسبت الفائدة –كما هي الحال في الأمر السابق– مساوية لرأس المال أي قدرت الفائدة بواقع ١٠٠% وفي هذين المثلين وأحدهما خاص ببيع تم الدفع فيه مقدمًا والآخر خاص بقرض بغير فائدة نجد أن الشرط الخاص بالفائدة هو في الوقت

(1) Ibid, Nos 78, 87, 27, 20, 271, 18, 258.
(2) Ibid, Nos 131, 120, 148.

نفسه شرط جزائي ولا يمكن الاعتماد عليه باعتباره السعر المعمول به بصفة عامة[١].

وحين يجد المدين نفسه في حالة لا تسمح له بإعادة الشيء المعار عينا أو ما يعادله، فإنه كان ينص عادة ما يفرض عليه دفعة. وفي شهر تبت ٦٨٣ق.م. وضع "مانوكي ننوا" ٢٥٠ قا من النبيذ تحت تصرف "أوتاما" على أن يردها في شهر أياروو إن لم يرده فإنه يلزم بأن يدفع الثمن على أساس سعر السوق في نينوى" وهكذا تصرف سيليم أشور في موقف مماثل في ٦٧٥. وفي ٦٧٤ أعطى "دانا" إلى "أيلي موكين أهي" و"أداد أبال أدين" حق استعمال هجينين وكان عليهما أن يرداهما في الأول من "مارششوان" أو يدفعا ٦ مينا من الفضة فإن لم يكونا في وضع يسمح لهما بذلك فإنهما يدفعان الفائدة. وفي ظروف أخرى كان ينص على دفع "قيمة المنازعة" أي عشرة أمثال قيمة الشيء الذي لم يرد.

وقد يتم اتفاق كذلك على مكان التسليم وفي حالة التأخير يحدد مكان آخر وقد أقرض نابودوري ٣٠ أيمر من الشعير إلى تبتاي سائق "عجلة ماجاننسي" بشرط إعادتها في مارششوان فإن قام بتسليمها بعد ذلك فعليه أن يحضرها إلى نينوى[٢].

٦- الرهون

كان الرهن الذي يطلبه الدائن عبارة عن ملك عقاري أو منقول، وغالبا ما كان عبارة عن مزرعة بعبيد الأرض الذين عليها. وكانت الصيغة المعتادة هي الواردة في العقد التالي:

"٢ مينا من الفضة على نظام قرقميش خاصة بـ"أداتي" زوجة الحاكم تحت تصرف... يا مساعد مفتش المدن. وقد أخذت بدلًا من الـ٢ مينا عقارًا مساحته ١٢ أيمر وهو حقل موجود بـ"مزارع" مدينة أشورو "كوردي أداد" وزوجته وثلاثة أبناء و"كاندلانو" وزوجته وعددهم جميعا سبعة أشخاص و١٢ أيمر أخذت بصفة رهن تحت

(1) Ibid, 151.
(2) Ibid, Nos 127, 122 a 124.

تصرف أداتي وبمجرد سداد المبلغ يرد إليه الحقل والمذكورون".

ثم يلي ذلك أسماء الشهود والتاريخ.

وفي هذه الحالة الخاصة، وفي حالات أخرى. كان يصبح للدائن حق الانتفاع بالحقل المرهون ويعتبر هذا نرى أن "مارشاي بعل أحي" يستلم ويأخذ في مقابل ١٢ شاقلا أرضا مساحتها ٢ أيمر و٢٠ قا بمكيال سعة ٩ قا (أي أنه يلزم ٩ قا من الشعير لزراعة وحدة مساحة) "وسيأخذ محصولها كل سنة، وحين يسدد المدين "سن كوتسوراني" المال فإنه يسترد حقله. وكان في مثل هذا النص مخاطرة من جانب المقرض. إذ لم يكن دائما موضع تنفيذ. فقد أقرض معبد أربيلا رجلين مبلغ ١٧ شاقلا من الفضة بفائدة ٢٥%، وكان على مدير المعبد أن يستغل قطعة من الأرض مقدمة كرهن وأن يجمع المحصول: فإن زادت الغلة عن الفائدة فإن المدينين يستمتعان بالفائض. أما إذا قلت عنها فعليهما أن يعوضا العجز. وحين يكون الرهن بيتا وكان المقرض يعيش فيه فإن الإيجار يمكن اعتباره معادلا لفائدة المال المقرض. أما إذا لم يكن يعيش فيه فإن المدين يكون ملزما بدفع الفائدة المتفق عليها. وكان العبد المسلم كرهن يؤدي خدماته للدائن وكانت قيمة هذه الخدمات تخصم من الفائدة وقد تعادلها. وهكذا نرى في ٦٦٨ق.م. قرضا قيمته ٣ مينا اتفق على أنه بدون فائدة مادام هناك عبدان قد وضعها تحت تصرف الدائن حتى تاريخ السداد.

أما عن التبعات من هرب أو موت فإنها تقع على كاهل المالك لا على الدائن. وقد ذكر ذلك صراحة "موشكينوبا" الذي أقرض ٣٠ شاقلا من الفضة إلى "نابونادين أهي" في العام المسمى باسم "نابوشار أهيشو". وهذا هو المتبع بعينه فيما يخص الضمانة ضد الصرع. وكان يمكن أن ينص على أن المال المقرض يصبح واجب السداد فورا في حالة اختفاء الرهن(١).

---

(1) Ibid, Nos 65, 67, 68.

٧- الكفالة

كان الأشوري يستطيع أن يفعل ما يفعله البابلي من ناحية رهن زوجته وأبنائه أو بناته. ولم يكن من حق الدائن أن يحلق أو يشوه هؤلاء الأشخاص وإلا فإنه يعاقب بشق أذنيه فكان لا يستطيع تزويج الفتاة الحرة الموضوعة تحت خدمته دون موافقة أبيها فإن كان الأخير ميتا، فإن على أخوتها واجب عتقها في مدة قصيرة وإلا فإنه يصبح من حق الدائن نفسه أن يحررها ويزوجها[١].

وكان من المحظور بيع الأشخاص أو الحيوانات المعطاة كرهون وكان جزاء ذلك عقابا شديدا[٢].

وكما هي الحال في بابل – ولكن ربما كان ذلك في نطاق أضيق– كان يمكن اختيار الكفالة في أشور. وقد فعل ذلك "كتسير أشور" لا في صفقة قرض ولكن بمناسبة سلفة مالية أعطاها لثلاثة أشخاص كان عليهم أن يوردوا له كمية من الدريس (العلف)، وقد أخذ أحدهم على عاتقه مسئولية تسليمها بالكامل. وتحمل التعويضات في حالة عدم مراعاة التنفيذ في الأجل المحدد. وفي ٦٨٠ق.م. طلب "دانا" كفالة لضمان إرجاع ٧٢ نعجة معارة لفترة تبدأ من شهر "سمانو" إلى شهر "آب" ومن الجائز أن يشترك في عقد القرض طرف ثالث يصبح المدين الحقيقي ويوقع العقد بخاتمه. وفي سنة ٦٧٠ وضعت ١٠ شواقل تحت تصرف "مينو أهتي أنا أيلي" لمدة عشرين يوما وقد استعارها ليقدم خدمة "بودربياتي" الذي لا يطمئن إليه "سيليم أشور" أن أعطى بودوبياتي المال إلى "مينو أهني أنا أيلي" ليسلمه سيليم أشور (هذا حسن) وإن لم يعط بودوبياتي المال فإن على مينو أهتي أنا أيلي نفسه أن يدفعه[٣]".

---

(1) LXXIII loi 45.
(2) Ibid lois B.C.D.
(3) XCIV, Nos, 151, 119, 99.

الكتاب الثالث

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الديانة

لم يكن الدين الأشوري يختلف عن البابلي في روحه فكانت العبادة من وحي التقاليد العتيقة لسيبار وأوروك وبابل. أما العقيدة فقد تناولها التعديل لتلاءم العبقرية الخاصة أجنس حربي. وعلى أية حال، فإن الدين لم يكن له أثر مطلق على هذه الحضارة الحربية. ويلاحظ ذلك بصفة خاصة في زخرفة القصور حيث كان يقوم تصميم كل شيء بقصد عرضه لا عن وحي شعور ديني بل تمجيدا للأمير الحاكم.

وقد منح الإله الأعظم أشور (العطوف) اسمه إلى أول عاصمة وإلى البلاد جميعا. وكان يعبده الكثيرون منذ القرن الخامس والعشرين وكان له المقام الأول بين الآلهة الممجدين في ناحية قيصرية في كبادوكيا. وقد وحد بانشار الذي كان طبقا لقصيدة الخليقة البابلية أسبق من أنو إله السماء. وكان ملكا للآلهة جميعا وخالقا لسماء أنو والأقاليم السفلية. وكان –مثل مردوك– في نظر البابليين خالق البشرية كذلك وقد صنعت نظرية خلق العالم تمجيدا له. وكإله حربي إخضاع الناس جميعا لنيره لأن مردوك "منحه منذ الأبد آلهة الأقاليم الأربعة لتمجده حتى لا يتهرب من ذلك أحد"(١) وكان يمثل مسلحا بقوس ممدود مستعد لرمي سهم في وسط قرص مجنح مستعار من الرمز الحيثي. وكانت زوجته عشتار الأشورية التي تسمى في معظم الأحيان بعليت (الملكة).

وتحتل عشتار بعد أشور أهم مكانة في مجمع الآلهة الأشورية على الأقل فيما يتصل بالحملات الحربية لأنها كانت هي كذلك محاربة. ويسميها أشور ريش أيشي "بطلة المعارك تلك التي لا تبقى على واحد من أعداء أشور" ويحكي أشور بانيبال أنها رئيت في الحلم بجعبين إحداهما على الكتف اليمنى والأخرى على الكتف اليسرى وهي تمسك

(1) XXII, II. 315.

بقوس في يدها وتستل سيفا حادا كما هي مصورة على الأختام الأسطوانية. وهناك ثلاث إلهات عبدت تحت هذا الاسم كانت لهن معابد في كلح ونينوى وأربيلا.

والآلهة سن، شماش، أداد، بعل مردوك، نابو، أينورتا، نرجال، نوسكو، هم الآلهة، الذين يتردد ذكرهم كثيرا في النصوص التاريخية وهو الذين يلتمسهم الملوك بطيبة خاطر مع أشور وعشتار.

وكانت المعابد الأشورية تبنى على نمط الهياكل السوميرواكادية. ولكن بها نفس الاختلافات التي لاحظناها في العمارة المدنية.

وفي أحواش هذه المعابد –كما هي الحال في بابل وبورسيبا– كان الأشوريون يبنون "زيجورات" أو برج مدرج وهو آخر مراحل التطور لما كان من قبل رمزا للإله. وقد عثر على أطلالها في دور شاروكين وأشور.

وكان الكهنوت يشمل نفس الترتيب والتقسيم إلى ثلاث طبقات من الكهنة تبعا للوظائف المقدسة التي كانوا يؤدونها هناك وهي الخاصة بمن يطهرون الناس والأشياء (الأدوات) عن طريق الطقوس السحرية والصلوات ثم أولئك الذين يقرءون رغبة الإله في كتاب الطبيعة ثم أولئك الذين يقومون بالدور الثانوي للمغنين والخدم. ويظهر أن الكاهنات كن أقل عددا منهن في أكاد إذ أن النصوص لا تذكرهن كثيرًا.

وكان للأمير –وهو ممثل الآلهة على الأرض– الذي اختاروه ليتولى الملك... كانت له مهمة ثلاثية يباشرها: أن يحفظ العدالة ويتمسك بالحق فيمنع ظلم القوى للضعيف وأن يخضع لأشور الشعوب التي لم تحترمه بعد ويعاقب أولئك الذين يحنثون بإيمانهم والإخلاص له وأخيرا أن يعمل ككاهن بنفسه وذلك سواء في عودته من الصيد أو في احتفالات العبادة الهامة وتحوي نقوش القصور مناظر يباشر الملك فيها سكب السوائل القربانية تمجيدا لعشتار على أجساد السباع المرشوقة بسهامه.



(شكل ٤٦)

لمثال الإله نابو حوالي عام ٨٠٠ق.م.

(المتحف البريطاني)

وكان الدور الذي يلعبه الكهنة الذين يستطلعون الغيب بالغ الأهمية فكانت لديهم في مكتباهم الطقوس البابلية وكانوا يضيفون إليها باستمرار نتائج ملاحظاهم وكان يلجأ إليهم عند كل حادث في الحياة العامة أو الخاصة. وفي المناسبات الخطيرة الشأن كانت الاستشارات تتزايد. وقد تبين لسرجون في لحظة الانطلاق ضد "مونسا تسير" أن نجوم نابر ومردوك تشير إلى بيت في السماء مما كان فألا يدعوه إلى حمل السلاح وكان سن

قد أشار في اليوم السابق إلى علامات مرضية تنبئ بالاستيلاء على السلطة كما خط شماش على الأحشاء نذرا يعتمد عليها تعني أنه سيسير إلى جانب الملك. وقد كان الآلهة يكشفون عن أنفسهم بأبسط الوسائل. فلقد استشار أشور بانيبال الإله نابو فأجابته نسمة عن الإله قائلة: "لا تخش شيئا فسأمنحك عمرا طويلا".

وكان المعبود يظهر رضاءه نحو البشر عن طريق الأحلام في معظم الأحيان. وكانت عشتار تسلك هذا السبيل لتدخل السكينة إلى نفس أشور بانيبال في أحرج اللحظات —ولقد كان الحلم في إحدى الليالي واضحا حتى إنه لم يكن يحتاج إلى كهنة يفسرونه. ولقد وصل الجيش الأشوري عند مطاردته للعيلاميين حتى ضفاف أيديد حيث خندق العدو وراءها وكان التيار سريعا وجارفا ولم تكن هناك مخاضة وخشى أشجع المحاربين أن يعبر النهر فظهرت عشتار أربيلا للجنود أثناء نومهم وشددت من عزائمهم بهذه الكلمات "سأتقدم أمام أشور بانيبال الملك الذي خلقته يدي" فعادت الثقة إلى نفوسهم وعبروا النهر في اليوم التالي دون حدوث حادث ما.

وكانت العبادة الإلهية —كما هي الحال في بابل– تتكون من أدعية وصلوات عامة أو خاصة ثم تقدمات وتضحيات. وكان العيد الرئيسي لكل معبود يشتمل على "أكيتو" أي "موكب" يحمل فيه تمثال المعبود حتى يصل إلى معبد يسمى أيضا "أكيتو" ويقع خارج المدينة. وقد كشف عن أكيتة أشور المسمى "أكيت تسيري" على مبعدة ٢٠٠ متر وراء سور المدينة.

وكان يحتفل بأكيتو عشتار نينوى في شهر تبت وبسميتها عشتار في أربيلا في شهر آب: وقد حضر أشور بانيبال الاحتفال بعيدها في عام ٦٥٥ ق.م. وكان يقود بنفسه في رحلة العودة العربة الموضوع عليها تمثال الآلهة ودخل المدينة دخول الظافرين وسط هتاف الجماهير وكان يسبقه بعض الأسرى المثقلين بالأغلال وهم دونانو، وساموجونو أمراء جامبولو كما عرضت رأس "تويمان" ملك عيلام على الشعب.

والنقوش الملكية مليئة بالدعوات فهناك تجلات فلاسر الأول يلتمس من أنو وأداد

أن يلتفتا إليه دائما "ألا فليرضيا عني عندما أرفع يدي ويسمعا دعواتي. ألا فليمنحا حكمي أمطارا غزيرة وأعواما من الثروة والرخاء. ألا فليعاوناني على الخروج من الحروب وطنين المعارك سالما آمنا. ألا فليخضعا تحت قدمي كل الأقاليم المعادية لي وكل الأقاليم والأمراء والملوك الذين يخاصمونني. ألا فليسبغا بركاتهما علي وعلى نسلي الكهنوتي. ألا فليثبتا كالجبال إلى الأبد كهنوتي أمام أشور وآلهتها".

ولم يبدأ سرجون الحرب ضد أورسا ملك أورارتو قبل أن يرفع يديه إلى أشور ملتمسا "أن يتم هزيمة (عدوه) في وسط المعركة: وأن يرد عليه سلاطة لسانه حتى يحل به العقاب".

والتمس أسارحدون أن إجابته إلى هذه الرغبة الآتية: "ألا فليراع الآلهة الذين يساعدونني أعمالي بفرح. ألا فلتبارك قلوبهم الثابتة ملكي. ألا فليخلد نسلي الكهنوتي حتى اليوم الأخير مثل أساس الأبساجيل "بابل. ألا فلترحب الجماهير بالملكية مثل نبات الحياة. ألا فلأرعهم وأربيهم على العدالة والحق".

وقد دعا نفس أسارحدون إلى القصر أشور وعشتار نينوى وكل آلهة أشور ليقدم لهم تضحيات وهدايا، كما أنه كذلك في يوم مناسب من شهر زي فال طيب دعا سرجون أشور ومعبودات أخرى وقدم لهم هدايا من الذهب والفضة "حتى أسعد نفوسهم".

وكانت التقدمات للآلهة متنوعة جدا وكان الملك عند عودته من كل حملة يضع جانبا من الغنائم لصيانة وترميم هياكلهم ولتنمية خزائنهم. وقد قدم تجلات فلاسر الأول آلهة البلاد التي فتحها إلى أداد. وكرس سناخريب مباني دينية تخليدا لذكرى انتصاره على بابل. وعند عودة أشور بانيبال من عيلام بعد نهب سوسة أرسل خيرة العبيد وأحسن الأشياء ويكرسون لهم العبيد بل –وكذلك– أطفالهم لخدمتهم.

وكان حلف اليمين يصحب أحيانا بتضحية. وكانت الضحية تقرن بمن يسأل الآلهة أن تشهد على صدق ما يقول. وكما كان الأمر في بابل لم يكن هناك فاصل بين الدين

والسحر. وحين عقد أشور نيراري اتفاقية مع "ماتي أيلو" أمير أرباد قدم كبشا مخصيا كذبيحة وقال المضحي: "هذا الرأس ليس رأس كبش مخصي. أنه رأس ماتي أيلو ورأس أطفاله ورأس عظماء قومه وشعب أرضه... هذه الخاصرة اليمنى ليست خاصرة الكبش. إنها خاصرة ماتي أيلو وخاصرة أطفاله وخاصرة عظماء قومه وخاصرة شعب أرضه، ثم تمنوا أن يكون مصير أيلو مصير هذا الكبش المخصي إن هو جنث بيمينه.

وكانت التضحية مصحوبة ببعض الطقوس السحرية تستخدم في مناسبات كثيرة في الحياة الخاصة. وعلى هذا كان "تطهير المرأة التي لم تكن تحظى بحب زوجها تتطلب إلى جانب الذبيحة رقية توجه إلى عشتار. وفي خلال الاحتفال كانت عقيصة ذات ١٤ عقدة من القلب والصوف "وقطعة من متن غزال" توضع فوق حجرها[١].

وكما كانت الحال في بابل كان الخوف من الآلهة أساس الدين. وقد كتب "أداد شوم أوتسور" في وصفة البداية السعيدة لحكم أشور بانيبال قائلا: "إن الآلهة على استعداد طيب والخوف من الإله عظيم والمعابد غنية" والملك نفسه يقول: "أنا في خشية في حضرة هياكل الآلهة العظام".

وكانت العقوبة جزاء نقض ناموس الواجبات الدينية بل إن الموت كان أحيانا عقاب المجرم. وقد عاقب أشور بانيبال من قصروا علنا في أداء هذا الواجب فقطع ألسنة جنود أكاد الذين تمردوا على أشور. ويقرر سناخريب "أنه بأمر إلهي أشور لم يكمل كودور ناهونتي ملك عيلام ثلاثة شهور بل مات فجأة بموت قبل الأوان".

وكانت التقوى الدينية من ناحية أخرى تكافأ بالعمر الطويل في هذا العالم. أما الحياة فيما وراء القبر فلم تمنح الأشوريين أكثر مما منحت البابليين أي نوع من الجزاء عن أعمال الخير أو الشر، مع أن العدالة كانت تتطلب جزاء مناسبا. ويؤكد تجلات فلاسر الأول مثل هذه المكافأة في حالة "أشور دان" أحد أسلافه "كان سلوكه وقربان التضحية مرضيا لكبار الآلهة وهو لهذا السبب قد وصل إلى شيخوخة وقور وتقادم".

---

(1) I.L. XVIII.

ويقدم "أشور نتسير أبلا" مذبحا "كي تطول حياة روحه وحتى تكون أيامه عديدة" ويقول أشور بانيبال للمعبودات التي رمم معابدها: "أمنحوني –أنا الذي أخشى معبوداتي العظيمة– حياة تمتد أياما طويلة وسرور القلب وليجعل السير في معبدك أقدامي مسنة".

الفصل الثاني

الفنون

١- البناء والتشييد

لا يكاد أحد ملوك أشور يعتلي العرش حتى تتملكه نزعة هجر قصر تملأ حوائط غرف الاحتفالات به نقوش وكتابات تشيد بشجاعة سلفه وتخلد ذكرى الأعمال العظيمة التي قام بها. وذلك رغبة منه في أن يقوم هو أيضا بتشييد أثرا تمجيدًا له تصور فيه وتوصف أهم أحداث عهده. وقد أنقذت عادة ترتيب هذه النقوش في أسفل الحائط جانبًا كبيرًا من التهشيم إذ أنه حين انهارت الحوائط سد الجزء العلوي منها الغرف والأبهاء، دون أن يحطم التصميم وترتيب العناصر المختلفة.

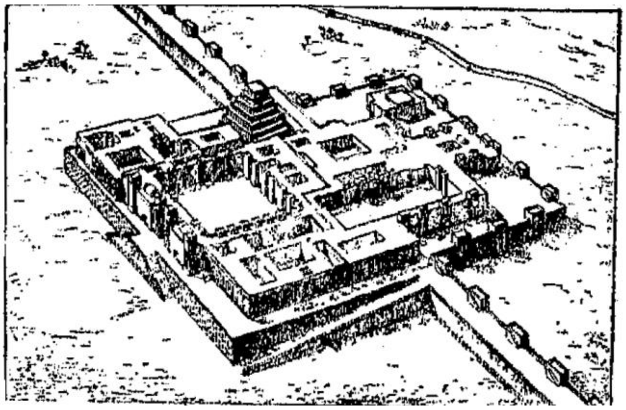
والقصور الأشورية كلها متشابهة إن لم يكن في تفصيلاتها فعلى الأقل في التخطيط العام لترتيبها. ولعل أشهر قصر نعرفه هو قصر دور شاروكين الذي بني في الأعوام الأخيرة من القرن الثامن. ولقد وصف بوتا وبلاس الكشف عنه وزيناه بلوحات معتنى بها تظهر فيها تباعا مراحل الحفر المتعددة. وقد خصص بيرو وشبييه وصفا رائعا له مصحوبا بنظر يختلف عما تخيله توماس. ولقد بنيت مدينة دور شاروكين والقصر في نفس الوقت ولكنهما لم يعمرا طويلا ولم يتناول المباني الرئيسية أي تعديل. وقد اختار سرجون مكانا لهما قرية "ماجونوبا" على "الخاسار" على مبعدة نحو ١٥ كيلو مترا إلى شمال شرق نينوى. وقد أحاط المدينة بسور تحصين مستطيل وبني سكنه فوق مسطح في مستوى الحوائط على جانبي الجدار الشمالي الشرقي حيث يوجد بروز تحيط به أبراج تشبه أبراج السور وبروزها إلى ناحية الريف. وهناك بروز آخر إلى داخل المدينة وتبلغ المساحة التي يشغلها هذا المسطح حوالي ١٠ هكتارات، وهي تتكون من مستطيلين يرتبطان عند جوانبهما الطويلة أما المستطيل الصغير من الخارج فمساحته ٣٥٥٥٠

مترا مربعا والآخر ٦٠٩١٦ وكان بالقصر أكثر من ٢٠٠ غرفة كشف منها بوتا عن ٤٠ وبلاس عن ١٨٦ وكانت تتجمع في ثلاثة أجنحة متميزة منها ما كان مخصصا كقاعات استقبال ومنها ما كان مشتركا من غرف السكني ومنها المعبد. وفي الجانب المواجه للمدينة كانت توجد واجهة فسيحة تتخللها ثلاث بوابات فخمة تحيط بها أبراج مربعة. وكان يحرس المدخل الأوسط الرئيسي ثلاثة أزواج من الثيران المجنحة صور كبيرة الحجم لجلجامش وهو يخنق أسدا كما أن ما حول العقد كان مزينا بطوب خزفي متعدد الألوان. أما المخلان الآخران فكان لكل منهما زوج من الثيران المجنحة كحراس. هذه البوابة تؤدي إلى المساكن الخاصة مرتبة حول جوانب ثلاثة من بهو مربع تقارب مساحته مساحة بهو اللوفر. ومن داخل هذا البهو يستطيع المرء أن يمر إلى جناحين آخرين هما المعبد وقاعات الاستقبال التي لم يكن يوجد اتصال داخلي مباشر بينهما. أما كيف كان يمكن الوصول إلى الشرفة التي ترتفع ١٤ مترا فوق مستوى السهل، فإن هذا سؤال لم تستطع أعمال الحفائر أن تسمح بالإجابة عليه حتى الآن، إذ أنه لم يعثر على أثر لسلم أو منحدر في اتجاه الريف أو المدينة. والمنظر المجدد الذي أعده توماس وشيبييه يصور مجرد افتراضات لما كان عليه القصر ولكن مهما يكن من أمر من حيث المكان الذي أقيم فيه هذا السلم أو المنحدر، فإنه مما لا شك فيه أنه كان هناك طريق للدخول للسماح للعربات والماشية السمينة بالوصول إلى مخازن التموين والتجهيز ولتسهيل دخول وخروج الحاشية الضخمة الملحقة بالقصر.

وكان يواجه الزائر بمجرد وصوله إلى البهو الكبير الخاص بالجناح المشترك حائط مرتفع به باب واحد يؤدي إلى قاعات الاستقبال. وإلى اليمين توجد غرف متعددة متجمعة حول أبهاء صغيرة تستخدم كمطابخ ومخابز وحظائر... الخ وفي هذا الحي عثر كذلك على المراحيض (دورات المياه) وإلى اليسار كانت مخازن المئونة والأدوات والطوب والمعادن ومختلف أنواع الغنائم مستقبلا بعضها عن بعض ولكل منها مسكن خاص للحارس. وفي وسط هذه المباني ممر يؤدي إلى المعبد ويتفرع ليمر بين حائطين عاليين إلى البرج المدرج والأجزاء الخلفية من المبنى. ويمتد أمام مجموعة قاعات الاستقبال

بهو كبير كانت مساحته حوالي ثلثي بهو الجناح المشترك. ومن المحتمل أنه كان يمكن الوصول إليه من الخارج من جهة الشمال الشرقي من جانب حائط السور. ولكن هذا الجزء من البناء مخرب تمام وليس هناك أثر باق للبوابات.

وكانت المباني المخصصة للاستقبال تشمل على حوالي ٦٠ غرفة موزعة حول أبهاء مختلفة ومقسمة إلى مجموعتين متميزتين تماما الواحدة عن الأخرى وتكون الأولى ما سماه بلاس بالقسم المنقوش وهو مجموعة قاعات الاحتفالات. أما الآخر فأقل زخرفة وكان حي الكاتب والديوان.

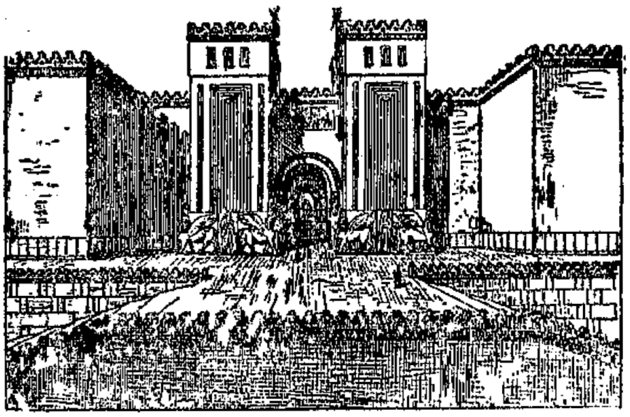


(شكل ٤٧) قصر دور شاروكين (منظر من أعلى) (نقلًا عن بيروه وشيبيه)

وقد وضع المدخل بحيث يحجب أية رؤية مباشرة من الخارج وكان المرء يدخل أولا إلى بهو صغير يخرج منه دهليز ضيق طوله ٤٥ مترا يؤدي إلى البهو الرئيسي وهو أضخم بقعة في القصر كله. وعند الدخول إلى هذا البهو ومساحته ٩٧٦ مترا مربعا كان الزائر يجد أمامه ثلاث بوابات جميلة مقببة واثنتين أخريين على كل جانب تؤدي إلى شرف الاستقبال الرئيسية السبع وكلها مزينة ببلاط منقوش وطوب زخرفي. وكان البهو نفسه مزينا بنفس الطراز وتحرس الأبواب الرئيسية ثيران مجنحة. وكان أسفل الأفاريز العالية مقسما بانتظام قسمين: فالجزء العلوي مغطى بكتابات طويلة تكرر في عدة قاعات بينما نجد في أحد الأجزاء أحداث الحكم تذكر في ترتيب تاريخي وهي

الحوليات إذ نجد في أخر الأعمال البارزة للخمس عشرة حملة الأولى تتجمع في ترتيب جغرافي وهي تكون "فخر" الملك وتقاويمه وفي الجزء السفلي نحتت ونقشت بارزة ملونة تروى بالصور ما تقصه لنا النصوص المكتوبة فوقها.

ولم تكن المواد المستعملة لتسمح للمعماري بأن يبني القاعات بالأحجام التي يريدها وقد جعلها كلها على نمط واحد بعلول ٣٢ مترًا عرض ٨ أمتار.



(شكل ٤٨) قصر سرجون– تفصيلات الواجهة من ناحية المدينة

أما مكاتب الدولة فكانت أضيق وخمسة أبهاء وقلما كانت جدرانها طبقة ملونة من الملاط أو مصورة إلى الشمال الغربي من بهو الدخول الأخص ثماني قاعات استقبال كبيرة.

وإلى الجنوب الغربي من البهو الكبير للحي المشترك يقوم المعبد وتشق طريقك إليه أما بالدخول إلى بهو عن طريق مدخل ينفتح مباشرة على المباني المشتركة ثم ينجلي في محاذاة الحائط الخلفي لقاعات الاستقبال أو عن طريق مدخل آخر على الواجهة المقابلة للمدينة بممر ينحني فجأة في زاوية قائمة. وكانت المباني مكونة من ثلاثة أجزاء متشابهة من ناحية التصميم ومنفصل بعضها عن بعض تماما وكانت زخرفتها بسيطة تقتصر عادة على ملاط أبيض مع أفريز سفلي عريض أسود. ومن بين ثلاثة الأبهاء التي تقوم حولها

المباني نجد واحدًا جديرًا بالملاحظة بالنسبة لفخامة زخرفته: فلقد كان مزينا بطوب خزفي يكون أفريزًا سفليًا عريضًا تقوم فوقه أنصاف أعمدة. وبالقرب من الأبواب ذات العقود توجد تماثيل وأشجار نخيل من البرونز المذهب وكان يخترق الأرضية من الطوب رباطان من البلاط المتقاطع المرتفع كانا يربطان الأركان ويؤديان إلى أربع غرف ثلاث منها كانت غرف احتفالات بمشكاة في الحائط الخلفي يسبقها مسطح يرتفع ٦٠ سنتيمترا فوق الأرضية.

وكان مسطح القصر يشمل إلى جانب ذلك مبنيين آخرين على الجانب الجنوبي الغربي فهناك أولا الـ"زيجوراث" بقيت منه أربعة طوابق تدل آثارها على أن لكل منها لونا خاصا ثم مبنى منعزل ومخرب كان مبنيا من كتل الحجر الجيري بنقوش من البازلت: لمناظر الصيد والحرب والجزية.

وكانت المشكلة القائمة أمام المعماري هي هذه: أن يجمع ثلاث مجاميع من المباني كان يجب أن يكون بينها وبين العالم الخارجي أقل ما يمكن من صلات ثم –بعد ذلك– أن يكون في كل منها مجاميع فرعية بنفس الظروف على أن تراعي حاجات العمل للحاشية الضخمة الملحقة بالقصر. ولقد استطاع حلها بطريقة تنطوي على الحذق وذلك عن طريق عمل أبهاء لا ترتبط إلا بواسطة ممرات ضرورية وتتجمع حول كل مجموعة منها الغرف العديدة اللازمة لخدمة معينة. وكان المحور هو البهو الكبير للحي المشترك الذي كان يتصل مباشرة بالخارج من ناحية وبالمجموعتين الأخريين من ناحية أخرى[1].

أما طراز زخرفة الحوائط والبوابات فقد فرض عليه عن طريق التقاليد منذ القرون الأخيرة للملكية. ومثال ذلك في قصر سرجون وقصر "أشور نتسير أبلا" في كلح الذي رممه بنفسه وزينه بنقوش يشيد فيها بأعماله وكذا في قصر "أشور أتيل إيلاني" خلف أشور بانيبال ذلك القصر الذي لم يتم العمل فيه والذي نرى حجراته وهي من حجم

(1) LXIV, t, II, p.121.

صغير مزينة بصور غير معتني بها.

والتقاليد التي نحن بصددها لم تأت من بابل بل أخذها الأشوريون عن الحيثيين الذين توجد في قصورهم المبنية في الألف الثانية زخارف منحوتة في أفاريز (أسفل الحوائط) التي نجدها عند الحيثيين أقل ارتفاعا. بل وأكثر من ذلك أن الملك نفسه – مثل ما فعل "تجلات فلاسر" من قبل– يشير في هذه النقوش إلى هذا التأثير ويقرر أنه هو كذلك أقام مبنى على الطراز الحيثي يسمى "هيلاني" بلغة العاموريين.

وكان قد جرى تساؤل لم كانت المباني الهامة تبنى من الطوب في بلاد ليس بها الجص نادرا ولم يكن الأمر أمر تقاليد فقط ما دام الحجر كان يستعمل إلى مدى لا نظير له في بابل حتى حين خضعت الأخيرة بدورها للتأثير الأشوري أليس من الممكن أن نقرر– كما أقترح بروه أن السبب في ذلك يرجع إلى أن الأعمال الثقيلة يمكن أن تؤدى بسرعة بواسطة أسرى الحرب حتى يستطيع المعماريون بذلك أن يجدوا أنفسهم في وضع يسمح لهم بإرضاء طلبات الملك التي لا تحتمل الأرجاء؟

وكانت المباني الرئيسية –كما هي الحال في بابل– تقوم فوق ربوة لم تكن ضرورية في أشور للوقاية ضد الفيضان ولكنها كانت تضفي على المبنى كله منظرًا رائعًا.

وكان اللبن يستعمل في الجدران قبل أن يتم تجفيفه حتى ترتبط طبقاته المتتالية بعضها ببعض دون استعمال المونة. أما بالنسبة للقباب فإن الطوب التام التجفيف كان يستعمل وكانت الفجوات تملأ بالطين.

ولقد أستعمل سرجون الأحجار ليسند شرفة قصره. وكانت الحوائط بارتفاع ١٤ مترًا تقوم على أساس من ١/٢ ٢ مترًا ويتوجها حاجز ارتفاعه ١/٢ ١ من الأمتار أما مقاس الكتل الطولية في القاعدة فكان ٢.٧٠ طولا× ٢ عرضا× ٢ سمكا من الأمتار وزنتها أكثر من ٢٠٠ طن أما أحجار الرباط فنصف ذلك في الطول بسمك قدره ٣ أمتار وكان السمك يتناقض كلما ارتفعنا نحو القمة بحيث تصبح أحجار الرباط والكتل الطولية أقل مترا منها عند القاعدة وكان الميل أو الانكسار من الداخل ليوازن ضغط

التراب بينما كانت الحائط من الخارج عمودية تماما. ولم يكن هناك ملاط لربط الكتل التي كانت تهذب إلا حيث تتصل بالعلوب الذي لم يتم تجفيفه: وهنا كانت تترك خشنة لتسهيل الالتئام.

ولم تكن الأحجار تستعمل في حوائط الأسوار للمدينة بنفس الطريقة، بل كانت عبارة عن أساس ارتفاعه ١.١٠ من الأمتار وكانت فيه أوجه الأحجار– وهي تبعد إحداهما عن الأخرى ٢٤ مترا تتكون من كتل مصقولة بعناية ولا بربطها بعضها ببعض الملاط (المونة). وكان الفراغ بينها يملأ بواسطة كتل غير منحوتة مستوية من أعلى كي توضع فوقها الطبقة الأولى من اللبن (الطوب المجفف في الشمس).

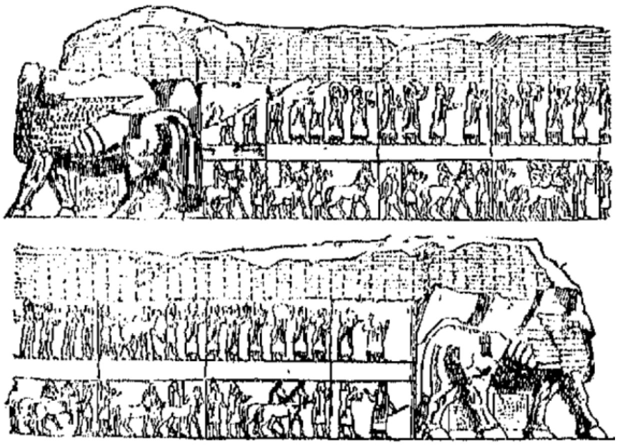
وحتى في القصر نفسه كان الحجر يستعمل تكسية لواجهات الحوائط وللأرضية ولتيجان الأعمدة. وإننا لنجد الإسفلت تحت البلاط وعند قاع المجاري. وفي الحالتين كان هدف المعماري أن يمنع رشح الماء. وكان البلاط ينحدر نحو مكان تجميع المصارف المقطوعة من الحجر حيث تفيض منها المياه في ماسورة من الفخار إلى بالوعات من الطوب ترتكز على قاعدة من الإسفلت.

ولم توجد قبوة واحدة في مكانها ولكن عثر في أنقاض وسط الغرف على قطع من كتل مقببة هي أحيانا كبيرة ومغطاة بملاط من الداخل. وبظهر أن قباب الغرف كانت تعلوها شرفات إن نحن اعتمدنا على كمية الأنقاض.

وكانت القبوة تستعمل كذلك للمجاري الرئيسية أما على شكل العقد المدبب المكون في كل ناحية من أربع قطع من الطوب على شكل المعين من أشكال مختلفة مربوطة على التوالي بين كل زوج من الصفوف بالطين أو الطوب. وأما من المدبب بالتبادل مع القبو شبه الدائري وكانت نفس عملية البناء بالعقد المدبب تستعمل في كلح جنبا إلى جنب مع قنوات ذات قطاع مستطيل مسقوفة ببلاط بسيط مستو.

هذا والقصور مخربة لدرجة لا تسمح بأن تجعلنا نعرف على وجه التحقيق طريقة إضاءة الغرف. وحتى حين نجد حائط الغرفة يصل بطريق الصدفة إلى ارتفاع ٧ أمتار

(وهو أمر نادر) فإننا لا نجد أثرا للشبابيك. وكانت فتحات الأبواب واسعة وهي لا تقل في خور ساباد عن مترين إتساعا وهي غالبا ثلاثة أمتار ويتراوح ارتفاعها بين أربعة وستة أمتار: ولكن هذا لم يكن كافيا لجعل الإضاءة كافية في القاعات. ومع ذلك، فإن المناظر القليلة للبيوت ليس بها أية فتحة بالجدران ما خلا بعض فتحات التهوية أحيانا قرب السقف.



(شكل (٤٩) الزخرفة في أسفل الحائط لممر في قصر دور شاروكين

(نقلًا عن بوتا– آثار نينوي)

(**Botta, Moumente de Nmive**)

وربما كانت تستعمل أنابيب فخارية قطرها قدم على وجه التقريب ما دام وجود مثل هذه الأشياء في أكوام الأطلال قد يدل على أنها سقطت مع القباب أو ربما كان هناك سراديب يترك تحت السقف كما هي الحال اليوم في بيوت كردستان.

وتدل النقوش البارزة على أن الأبواب كانت ذات عقود أو في القليل من الحالات مستطيلة وفي الحالة الأخيرة كان يستخدم عتب للباب من الخشب أو الحجارة أو المعدن. وقد قدم لنا قصر سرجون مثالا من الحجر الجيري بعتبة زخرفة على شكل تنانين مجنحة تزحف نحو أناه موضوع بينها.

وكان العتب السفلى يصنع عادة من الحجارة في القاعات الخاصة بالاحتفالات. وباللوفر نموذج رائع جيء به من نينوى[1] نحت على شكل سجادة تنتشر فوقها ورود ذات ست ورقات وتحدها من ثلاثة جوانب حافة من أزهار اللوتس والبراعم على التوالي، وهناك ركنان مجوفان لعارضتي الباب وفي الوسط فجوة مربعة للمتراس السفلى. وهناك ٣٩٦ عتبة سفلية أخرى صنعت لأشور بانيبال مشابهة من حيث الرسم للعتبة السابقة وفيما عدا ذلك– وخاصة ما بين الغرف ذات الأرضية الترابية كانت العتبات في أسفل الأبواب تصنع من الطوب. وكثير من الغرف لم تكن لها أبواب وكان يعلق على مدخلها ستار بسيط وحيث كان هناك باب كان من الطبيعي أن يصنع من مصراع واحد وأحيانا على كعب (جلبة) من البرونز تدور في أوقاب منحوتة في الحجارة في أغلب الأحيان كما هي الحال في المباني القديمة السوميرية ولكنها كانت في بعض الأحيان من الطوب أو البرونز.

وكانت البوابات الرئيسية للقصر تغطى بالمعادن الثمينة كما كانت التماثيل والنقوش الخارجية توضع عادة بالقرب من الأبواب والممرات.

وكانت تعترض الحوائط أحيانا بعض الأعمدة أو القنوات مثال ذلك في أحد أبواب معبد خور ساباد وكذا على الزيجورات حيث تكون الزخرفة الوحيدة. وكان يعلو الجدران غالبا شرفات مكون كل منها من فتحتين أو ثلاث الواحدة فوق الأخرى وكانت الزخرفة تتم باستعمال الطوب الخزفي أو الملاط أو ألواح الحجارة.

وكانت الأحجار المستعملة للأجزاء السفلى تحمي هذه الأجزاء من الجدران المبنية من اللبن. وكانت الألواح تطرق من الناحية الخلفية لتسهل الالتحام وكانت توضع جنبا إلى جنب وتربط ببعضها البعض أحيانا من أعلى بواسطة رباط معدني كما تمسك من أركانها بقطع من الحجارة الأخرى المنحوتة على شكل الكوع (الزاوية). وفي قاعات الاحتفالات كانت هذه الأجزاء السفلى مزخرفة بنقش يلتمع بالألوان. وكان قصر خور

(1) LXVIII, No.74.

ساباد وحده يحوي من الأفاريز المنحوتة على هذه الصورة ما يمتد إلى أكثر من ٢٠٠٠ متر. والنقوش عند البوابات أعلى والصور على حجم أكبر. وكمثل لذلك نستطيع أن نذكر الثيران المجنحة التي يستطيع القصر أن يفخر بوجود ٢٦ زوجا منها على الأقل.

أما سطوح الجدران كلها التي لم تكن تحميها مثل هذه الأجزاء السفلية من الحجارة فإنها كانت مغطاة بطبقة من الجير والجص لا يزيد سمكها عن ٤ ملليمترات عثر بها على آثار نقوش تصويرية.

وقد قدم لنا الطوب الخزفي وخاصة بالقرب من البوابات زخارف متعددة الألوان وكان يستخدم في الأفاريز السفلية كما في بهو المعبد أو شمبران العقد (حلية معمارية)، ويظهر أن ملوك البابلية الجديدة تعلموا من أشور استخدام هذا اللون من الزخارف الذي مر بتطور هائل عندئذ في قصور الأكمينيين.

وفي نينوى ودور شاروكين كانت المباني توجه في أركانها بالجهات الأصيلة كما في بابل. أما في كلح فإن الاتجاه يقابل أواسط الجدران.

ولقد انتقلت الطقوس المتعلقة بأساس المباني من شعب لآخر. فلقد دفنت تماثيل صغيرة لجان ذات أربع في الرمال تحت قصر أسار حدون في كلح. كما وضعت في نينوى لوحات من المرمر منقوشة على وجهيها وذلك خلف الأسدين اللذين كانا يزينان المدخل. وأما في دور شاروكين فقد كان هناك صندوق حجري يحوي اللوحات[1] من مختلف المواد. وكان الأهاون قد ألقوا عند مدخل المدينة بالاسطونات والمخاريط والتماثيل الصغيرة المختلفة في طبقة الرمال بين الثيران المجنحة. وكما هي الحال في بابل نرى أسطوانات كبيرة من الطين تثبت أحيانا في فجوات الحوائط لترد الأرواح الشريرة ولتستجلب بركات الآلهة.

وكان سمك جدران خور ساباد ٢٤ مترا. وكانت مصنوعة من اللبن الذي لم يتم تجفيفه على أساس من الحجارة. وفي بعض المواضع نراها لا تزال قائمة على ارتفاع ٢٣

(1) LXVIII p.122.

مترا فوق مستوى الأرض المحيطة بها. وهي تكون جسما متوازي السطوح (١٦٨٥× ١٧٦٠ مترا مربعا) به ١٦٧ برجًا مستطيلًا واجهة كل منها ١/٢ ١٣ مترًا تخرج بمسافة أربعة أمتار خارج الجدران. وطبقا لبعض النقوش فإن هذه الأبراج البالغ ارتفاعها ١/٢ ٣ مترا تنتهي بقبو مرفرف تتوجه فجوات. وكانت هناك بوابتان في ثلاثة جوانب الواحدة بسيطة والأخرى مزخرفة أما الجانب الرابع في الشمال الشرقي فكانت به بوابة بسيطة وشرفة القصر.

وكانت البوابات البسيطة تستخدم لدخول وخروج العربات ومن جهة الوادي (السهل) كان يوجد مكان أمامي يبرز خمسة وعشرين مترا ببرج منخفض عند كل ركن. وكان هناك بهو ضخم يمتد أمام برجي الحائط الذي كان سمكه هنا ٨٥ مترا. وكان هناك سردابان جانبيان توجد أمام كل منهما، في وسط كتلة البناء، فتحات الباب. وفي الحائط نفسه تجويف الباب. وكانت الأرضية تتكون من بلاط كبير من الحجر الجيري.

وكانت البوابات المزينة مخصصة للمشاة. وفي الاستحكامات الخارجية كان يوجد سلم به ٢٠ درجة من الطوب. وعند البوابة نفسها كان هناك ثوران مجنحان كأنما يسندان القبو المقنطر والمزخرف لشمبران العقد. وهناك في نينوى بوابة بناها سناخريب بها آثار العجلات على أحجار بلاط الأرضية وقد زينت بثيران مجنحة من ناحيتي المدينة والحقول على السواء.

وكانت شوارع دور شاروكين مثل شوارع بابل مستقيمة واتساعها ١٢ مترا. وكانت مرصوفة من حجارة غير منتظمة من حجم متوسط. وقد وضعت على الأرض بدون أساس سفلي. ولم تجر حفائر في المدينة ولكن بعض المجسات أدى إلى كشف غرف عليها بلاط وقطع من الفخار وبعض الأدوات المنزلية.

٢- النحت

ينبثق النحت الأشوري للألف الأولى مباشرة من الفن البابلي للفترة الكاسية، ومن الفن الحيثي للألف الثانية ولقد بلغ الكمال فيما يتصل بتمثيل الحيوانات بيد أنه لم يكن

يستهدف في معالجة الصور الإنسانية لبيان الأشكال التي تحت الملابس كما كان يفعل الفن السوميرو أكادي، بل كان على العكس يتركز على تفصيلات الزي والزينة. ولقد كان الفن في بابل فوق كل شيء فنا دينيا. أما في أشور فكان حربيا قبل كل شيء. وإن النقوش العديدة التي تملأ حوائط القصر تمثل في أغلبها مناظر الحرب والصيد وأقدم نحت عثر عليه في أشور وجد في خرائب مدينة أشور وهو عبارة عن تماثيل صغيرة من الحجر(١) أسلوبها الفني هو نفس الأسلوب في الفن السوميري في عصور ما قبل السرجونية، وهناك مذبح من القرن الثالث عشر حفر عليه الملك بين صورتين لجلجامش الأمر الذي يعيد للذكرى الطراز القديم.

وهناك نقشان يمثلان تجلات فلاسر الأول من طرازين مختلفين يظهران أن أصول الفن في القرن الثاني عشر لم تكن قد تحددت أو استقرت بعد. فأما الأول فهو من "سوبنات" ويمثل الفن الأشوري. وأما الثاني فهو على مسلة ويقارب الطراز الميزوبوتامي كما هي الحال بالنسبة للتمثال البرونزي الصغير لأشور دان الثاني (القرن العاشر).

وتزداد الآثار كثرة ابتداء من عهد "أشور نتسير أبلا الثاني" (٨٨٤– ٨٥٩) ولكن ليس هناك تمثال يبلغ من الجودة الفنية ما بلغته صناعة جوديا. فتمثال شلمنصر الثالث في أشور يدل على فن بسيط، وتمثال "أشور نتسير أبلا" في كلح الذي صمم بفكرة أن يرى من الأمام ويوضع بالقرب من الحائط يمزج ما بين الطرازين الميزوبوتامي والسوميري: والمظهر مظهر التجبر والصلف والزي لا انحناء فيه. وتماثيل "نابر" من عصر "أداد نيراري الثاني" (٨١٠– ٧٨٢) بها نفس العيب في نصفها الأسفل ولكن الرأس نحت بطريقة أفضل(٢). ومما هو جدير بالملاحظة بين التماثيل الصغيرة العفريت "بازوزو" بمتحف جيميه وكذا رءوس هذه الروح الشريرة(٣).

وقد تكاثرت النقوش البارزة في القصور الأشورية لتزيين ألواح الحص والمرمر

---

(١) شكل (٣٩) صفحة ٢٤٤.

(٢) شكل ٤٦ صفحة ٣٢١.

(3) LXVIII No 102 cl aliv.

الموضوعة في أسفل الحوائط تسجيلًا لمفاخر كل حكم. وقد استخدم البابليون النقش البارز غالبًا لتمجيد آلهتهم وأعطي الحيثيون المثال في استخدام أسفل الحوائط المنقوشة أما الآشوريون فقد جعلوا منها فنًا تاريخيًا وزخرفيًا في الوقت نفسه فعنوا خاصة بتفصيلات الزي والحركات والخواص وقد عولجت المناظر الطبيعية بدقة بطرائق بدائية غالبًا كما مثلت الحيوانات بمهارة فائقة. وكانت هذه المناظر تمثل الحرب وصيد الملك وأهم أعمال عصره وأحيانًا حياته الخاصة. ولقد كان عدد هذه النقوش والوقت القصير المحدد للانتهاء من صنعها مما لا يسمح بأن يتولاها الفنانون المشهورون إذ تعطي هذه النقوش أكثر من ٦٠٠٠ متر مربع في قصر دور شاروكين.

وفي عهد "آشور نتسير ابلا الثاني" كان النقش ضعيفًا. ولم يكن الرسم المنظور قد عرف بعد فطغت الكتابات على النحت نفسه وكانت تغطي عادة الجزء الأسفل من الأشخاص. وقد ظلت كذلك في عصر "اداد نيراري الثالث" ولكن سرجون خرج على هذه العادة وأمر بأن تحفر حوليته ومفاخره خارج الأشخاص أو الأشياء المصورة. ومع ذلك فإن الطريقة القديمة لم تهجر تمامًا فإننا نراها مثلا على لوحة "اسارخدون" في "سنجرلي".

وكان تكوين المناظر في القرن الثامن تحت حكم سرجون هو بعينه كما كان في عصر "آشور نتسير ابلا" ولكن يلاحظ وجود ميل قوي إلى عزل الصور عما وراءها وتكبير أحجامها وعدم تمثيل الأشياء الثانوية. وفي المناظر الحربية نجد أن المنظر العام قد مثل بدقة. أما في النقش الخاص بالصيد فإنه ليست هناك أقل محاولة لتبيان طبيعة الأرض. وفي خلال الحكم التالي حدث تطور فظهر طراز جديد ظل دون أن يعتوره تغيير تقريبًا حتى سقوط نينوي وكانت المناظر تسجل في صفوف تعلو بعضها. وكان من أثر ذلك أن ضاق المكان مما دفع إلى النقش على مقاس أصغر وازدادت المناظر الثانوية وحاول النحات التزام الدقة في تمثيل المنظر وبلغ التنفيذ درجة عالية من الكمال وعنى بالحفر والنقش عناية أكثر.

وقد اتفق الفنانون الآشوريون على بعض اصطلاحات: فالصورة الإنسانية مثلا

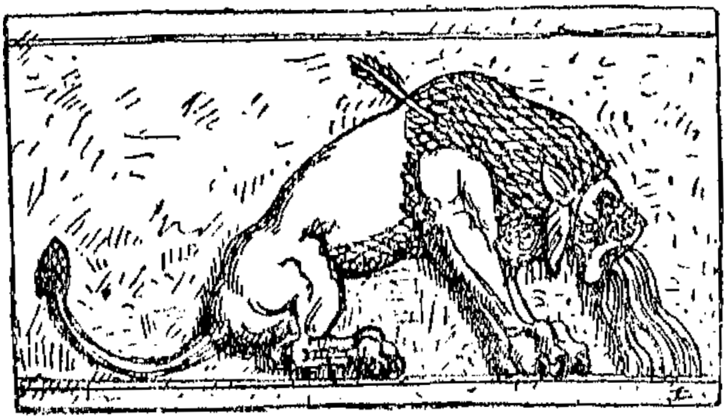
قلما تبين الملامح المميزة للجنس أو الشخصية ولا يمكن التعرف على الأعداء أو الحيثيين أو العيلاميين الذين يقدمون الخضوع ويأتون بالجزية أو يؤخذون أسرى إلا بواسطة زيه الذي يختلف عن زي الآشوريين الذين يمكن تمييز نوعين منهما: الأول ملتح وهو قاصر على تمييز الرجل البالغ أو الموظف والآخر بغير لحية وهو يمثل الشبان والخدم.

ولم يستطع الفنان تمثيل شخصياته ما لم يرها من ناحية جانبية تمامًا. فحين يدور آشور نتسير ابلا ليفوق سهما ضد أسد يحاول أن يعتلي العربة الملكية نرى الصورة العامة جيدة ولكن احترام عظمة الملك والبحث وراء التفصيلات جعلا الفنان يمثل الصدر من أمام بينما كان يجب أن يظهر من الخلف وأن يجعل الذراعين ظاهرتين، بينما لم يكن يجب أن يبين غير اليسرى، ولقد كان هذا الخطأ على كل حال ميراثًا تناقلوه عن الفن السوميرو أكادي الذي تظهر فيه حركات الشخصيات خاضعة للترتيب الهندسي للموضوع في المناظر المتماثلة. وتمثل الأقدام دائمًا منظورة من الجانب (بروفيل) أما العين فتظهر كأنما ترى من الأمام حتى لو كان منظر الرأس من الجانب.

أما في تمثيل الحيوانات وهو عمل بلغ فيه الآشوريون حد الكمال فإننا نجد الاصطلاح موجودًا وخاصة في القرن التاسع. فمثلا نرى في منظر للصيد خيول العربة الملكية الثلاثة ليس لها فيما بينها جميعا سوى ست سيقان وفي نحت آخر نرى للثيران قرنًا واحدًا. أما معارف الخيل فتعامل معاملة أهداب أجهزة (عدد) الخيل[1] والرسم هندسي جدًا وخير نتاج هذا العصر وهو الأسود يبين المبالغة في تمثيل الجهاز العضلي والنسبة البالغة التضخيم[2].

---

(1) XC VIII b. p1, 10.
(2) Ibid, pl.81.



(شكل ٥٠) أسد مطعون بسهم (قصر آشور بانيبال– المتحف البريطاني)

ويمثل صيد الأسود من عصر آشور بانيبال أحسن مجموعة في الفن الآشوري: فالقطعة التي تمثل الأسد والسهم يخترقه تعتبر قطعة فريدة[١] وليست اللبؤة الجريحة بأقل تعبيرًا[٢]. وقد أخذ منها نموذج معروض في **Pare Moncea** "بارك مونسو".

وقد استعمل الفن الآشوري كذلك عملية في النحت تتوسط بين النقش البارز والمجسم. ولقد لجأ إلى هذا الطراز في أسفل الحوائط في الأماكن الواجب أن تكون أكبر سمكًا لتعرضها أكثر من غيرها للتصادم. أي لوجودها عند مدخل القاعات والممرات. وفيها نرى أن مقدم العفاريت التي لها أجسام السباع والثيران ذات الأحجام الضخمة أحيانًا نراها منفصلة تبرز عن الحائط بروزًا شديدًا كما لو كانت تماثيل.

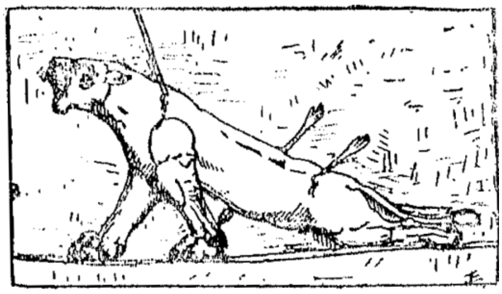
ويظهر أن الثور برأس الرجل الذي أصبح في آشور روحًا خيرة وحارسًا لبوابة دخول المدينة أو القصر... يظهر أنه –شأنه في ذلك شأن جاجامش وهو يخنق أسدًا يصحبه أحيانًا– أخذ مباشرة عن العقيدة السوميرو أكادية. ومن ناحية أخرى نجد أن الكائنات المركبة التي تتكون من جسم إنساني يرتبط بأعضاء أو رأس حيوان معينة يظهر

(١) شكل ٥٠.

(٢) شكل ٥١ ص٣٣٩.

أنها منقولة عن مصر عن طريق الحيثيين، لأن البابليين ظلوا يجهلون تقريبًا مثل هذه المخلوقات الخلاسية التي يندر جدًا ظهورها في آثارهم. ولقد كان الآشوريون يربطون أحيانًا الجسم الإنساني برأس الحيوان وأحيانًا يلحقون ذيل الحيوان ومخالبه بصدر إنساني كما مثل السوميريون أنكيدو. وقد اخترعوا كذلك طبقات من الجان تتميز عادة بزوج أو اثنين من الأجنحة تمثل سرعتها في إنفاذ أعمال الخير أو الشر. أما الجان الآخرون الذين يظهر فيهم التمثيل البشري كاملًا فإنها تميز من الآلهة حين لا تكون مجنحة وهي تلبس على رأسها التاج ذا القرون الذي يكون أحيانًا بيضي الشكل تعلوه سوسنة وأحيانًا أسطوانيًا تزينه قرون وريش.

وكان الآلهة والجان -شأنهم في ذلك شأن الناس- يلبسون قميصًا قصيرًا في العادة وملفعة طويلة لا تغطي الساقين تمامًا. وهناك استثناء واحد من ذلك فإن آشور نفسه يصور عادة في شكل نصفي مزودًا بقوس يخرج من قرص مجنح وهذا الرمز حيثي في أصله. وأحيانًا يختفي الشكل النصفي للإله ولا يبقى من الرمز سوى القرص المجنح كما هي الحال في أرض الفراعنة.



(شكل (٥١) لبؤة جريحة (قصر آشور بانيبال- المتحف البريطاني)

ويتميز الملك الآشوري بلباس رأسه وهو تاج في صورة مخروط ناقص تعلوه شوكة ويربطه شريط أو برطل تتدلى أطرافه على كتفيه



(شكل ٥٢) الملك والحاشية والجان (نقلا عن لايار– آثار نينوي)

Inynrd The Monumenta of Nineveh

وأحيانًا تصل حتى حزامه. ولقد كان في الأصل بسيطًا وقليل الارتفاع ثم أخذ ارتفاعه شيئًا فشيئًا. ومنذ عهد سرجون غطى بالتطريز. وكان للقميص الملكي حاشية وله أهداب. وكانت قدما الأمير تنتعلان نعلا لا يغطي سوى العقبين. وفي الأذنين حلقان كبيرة وعلى العنق عقود من التمائم وعلى المعاصم دمالج وفوق الساعد أساور وأحيانًا يكمل مظهره بخناجر وسيف.

وكانت الحاشية تلبس مثل الملك ولكن دون لباس رأس أو بعصابة فحسب. وأقمشة هذه الملابس أقل ثراء. أما الفخامة فتظهر في الحلي خاصة وكان البعض –مثل الجند– يلبسون قميصًا قصيرًا لا تغطيه دائمًا ملفعة.

وكان الأجانب يعرفون عادة من المميزات التي تكون في زيهم. أما الملوك الأسرى الذين خزم تجلات فلاسر الأول أنوفهم ووضع فيها الحلقات فيتميزون بلباس الرأس شأنهم في هذا شأن بعض القواد الذين هزمهم "آشور نتسير ابلا"[١] ويظهر أن كليهما يمت لنفس جنس الآشوريين ومع ذلك فإنهم حيثيون أن نحن اعتمدنا على مظهر لباس الرأس المخروطي والأحذية ذات المقدم المرتفع إلى أعلى. وبالمثل كانت الشعوب التي تدفع الجزية تتميز بأزيائها كما هو ممثل على المسلة السوداء لتلمنصر الثالث.

(1) XCVIII b. pl. 40, 41.

وكانت الحياة تدب في النقوش عن طريق الألوان ذات الظلال القائمة التي كانت تستعمل لتأكيد التفصيلات. وقد استعملت نفس الألوان في صناعة الطوب الخزفي وفي الصور المرسومة. أما لوحة الألوان فلم تعرف تنويعًا كثيرًا: فقد كان هناك الأسود والأبيض والأحمر والأزرق وفي النادر جدًا الأخضر. واللون المذكور أخيرًا لا نجده غير مرتين في خرائب دور شاروكين لأرضية صورة والأوراق شجرة. ولم يكن يعني اللون الحقيقي: فإننا نجد على النقوش الأفواه والشعر والحواجب للرجال سوداء اللون غالبًا. كما نجد أهداب الثياب وحمالات الكتف حمراء أو زرقاء. وكانت الأرضية في الطوب الخزفي زرقاء عادة وكانت الأشكال صفراء أو بيضاء. وهكذا نرى على شمبران عقد جنبا أصغر ممسكًا بـ"الستيل" وتفاح أرز بين حزمتين من الورد الأبيض. وعلى؟ في أسفل الحائط نجد أسدًا وثورًا وشجرة وقاربًا وطائرًا تبرز باللون الأصفر على أرضية زرقاء.

وقد حللت الألوان المعدنية المستعملة في الطوب الخزفي وثبت أن أزرق كلح هو أكسيد النحاس المختلط ببعض الرصاص وأن أزرق دور شاروكين عبارة عن مسحوق اللازورد المستورد من باكتريان. وأن الأحمر هو أكسيد الحديد المسمى حجر الدم وأن الأبيض هو أكسيد الصفيح. وأن الأصفر خليط من أثمد الرصاص والصفيح المعروف اليوم بـ"بأصفر نابولي".

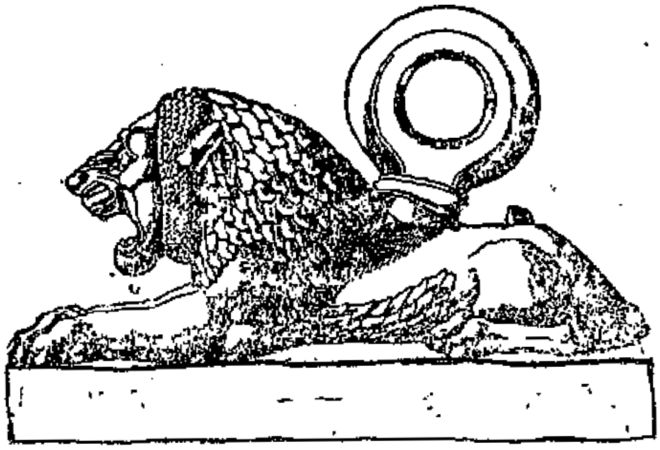
ولم يكن النحت في الحجر مخصصًا فقط لزخرفة القصور فقد كانت اللوحات تغطي بمناظر دينية وتستخدم كتمائم لتبعد الشياطين. وباللوفر قطعتان من هذه الآثار الهدف من صنعهما طرد غارات الـ"لابارتو"[١].

٣- الأشكال المعدنية

استخدم الأشوريون المعادن لتزيين القصور وصناعة التماثيل وأدوات الأثاث. ويرجع تمثال صغير نذري[٢] يمثل امرأة بيدين مضمومتين إلى

---

(1) LXVIII No 403, 105, 106, I, t, XVIII, No 4. 1921.
(2) XVI No 54 p.10.



(شكل ٥٣) أسد من البرونز قصر دور شاروكين (متحف اللوفر)

عهد السيادة السوميرية وهناك تمثال صغير[١] صب على جزأين كان مكرسًا لعشتار اربيلا من أجل حياة أحد ملوك "آشور دان" ويظهر أنه يمكن نسبته إلى ثاني ملك يحمل هذا الاسم حوالي نهاية القرن العاشر. وفي قطعة من القرن السابع نرى إلها واقفًا فوق حيوان خرافي[٢]وقميص المعبود مزخرف بوريدات منقوشة في مربعات صغيرة نقشًا غائرًا ولون شعر الحيوان مثل كذلك بخطوط محفورة. أما العيون المجوفة فلابد أن إنسانها كان من مادة أخرى طبقا للطراز الذي يمكن تتبعه في سومير وأكاد من أقدم العصور. وهناك من نفس العصر أسد رابض (شكل ٥٣) مدفون في الأرض وربما كان مقيدًا بسلسلة إلى الحائط عند إحدى بوابات قصر سرجون كحارس. وقد اكتشفت سباع برونزية أخرى في نمرود.

أما العفريت بازوزو الذي كان ينحت أحيانًا على الأحجار فكانت تصنع له كذلك تماثيل برونزية صغيرة[٣] وأننا لنجده يعامل كذلك طبقا للعملية التي تربط في النحت ما

---

(1) IXVIII No 138.
(2) Ibid, No 144.
(3) Tbid, No 146- 147.

بين استعمال النقش البارز والمجسم على لوحة برونزية في مجموعة Declereq[1] وعلى لوحة مشابهة في المتحف الإمبراطوري العثماني[2].

ولعل أهم النقوش البارزة المعدنية هي الواجهات البرونزية من القصر الذي بناه شلمنصر الثالث في امجور ايلليل (بلاوات) في القرن التاسع فلقد مثل هذا الملك أهم أحداث حكمه هناك في مجموعة من الأفاريز. وقد استعملت صفائح من النوع نفسه في قصور آشور ودور شاروكين وقد ثبت سرجون لوحات برونزية رقيقة من نفس النوع حول الأعمدة الخشبية التي تقلد جذوع النخل وغطاها بطبقة رقيقة من الذهب على الطراز المبين بنماذج ترجع إلى أقدم العصور السوميرية.

٤- الحفر على الأحجار

لم يصلنا من الأختام الأسطوانية الأشورية بمقدار ما وصلنا من البابلية. كما أن ترتيبها طبقا للعصور أصعب ويندر وجود تلك التي تقدم اسم شخص من الأسماء التاريخية التي يحتفظ بها التاريخ ولم يكن من عادة الشهود أن يثبتوا أختامهم على الوثائق وهكذا كان عدد الأختام المؤرخة قليلًا.



(شكل (٥٤) أسطوانة الملك "أريبا اداد" (متحف برلين- حفائر آشور)

نقلا عن **O. Weber** في كتابه **All orientalische Siegel bilder No 316A.**

---

(1) XLIX, t, II pl,34.
(2) II., t, XX, p.69.

ولعل أقدم الاسطوانات المؤرخة هي أختام الملك اريبا اداد (شكل ٥٤) وآشور أوباليت (شكل ٥٥) المعاصرين للملكين المصريين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع حوالي ١٤٠٠ق.م. وتثبت بصمات الأختام التي جمعت من اللوحات التي عثر عليها في خرائب آشور أنه في العصر الذي كانت الكتابة المسمارية واجبة الاستعمال في المراسلات الدبلوماسية في كل الشرق القديم كان الفم الآشوري قد نبذ الصيغة السومرية ليستوحي الفن الحيثي الذي ظهر تأثيره واضحًا فيما بعد بقليل في وثائق خاصة بإقليم كركوك[1]. وباللوفر أسطوانة من العقيق قدمها أحد ضباط "أداد نيراري" الثالث إلى واحد من رفاقه في السنوات الأخيرة من القرن التاسع وفي خيمة دعائمها حراب تمسك بكل منها صورة لـ"أنكيدو" نرى أشوريا يتعبد إلى معبود حربي وعلى الوجه الآخر صورة أخرى لأنكيدو يرفع ذراعيه كأنما يسند رمز الإله: وهو هنا الجزء الأعلى من شخص داخل دائرة مكونة من كرات صغيرة. ومنظر التعبد هذا يظهر مرة ثانية بدون الخيمة والأشخاص الثانوية على عدد من الأسطوانات مع معبودين في الغالب[2] ويظهر أن إيماءة المتعبد وهو يمد إحدى يديه أفقيًا يرفع الأخرى وراحتها إلى الخارج كان أمرًا خاصًا بآشور (شكل ٥٦) ذلك لأن البابلي من هذه الفترة حتى نهاية الإمبراطورية كان يرفع كلتا يديه ويقلب راحة اليد إلى ناحية وجهه.



(شكل ٥٥) أسطوانة الملك آشور أو باليت (متحف برلين– حفائر آشور)

(1) XLII, b. pl. 119.
(2) XLII. b, a,678.



(شكل ٥٦) أسطوانة آشورية (المكتبة الأهلية)



(شكل ٥٧) أسطوانة آشورية (متحف اللوفر)

وتكون الحيوانات الحقيقية أو الوهمية التي تحفر أحيانًا بالمحتات وأحيانًا أخرى بالمثقاب موضوعات بعض المناظر التي يكشف فيها الفن بصور الحيوانات عن كمال يعد كأحسن فنون النحت[1].

(1) XLI, b. No 307.



(شكل ٥٨) أسطوانة آشورية (متحف اللوفر)

ورغم أن حفار الأسطوانات كان يقصر فنه عادة في نطاق الدين إلا أن مجموعة النقوش البارزة قد أثرت عليه بعض التأثير. ففي خور ساباد نجد بعض المناظر للصيد الملكي أو الحروب[1].

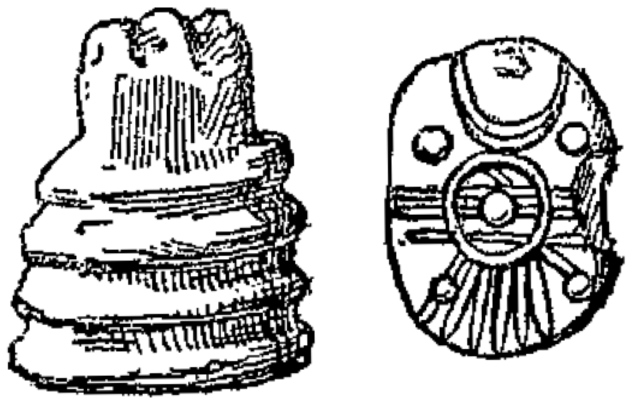
وفي المناظر المأخوذة عن الأساطير نجد أن مناظر الصراع شائعة: فالجان وهم تقريبًا دائمًا في صورة إنسانية وأحيانًا مجنحين... نجدهم يفوقون السهام ضد حيوانات حقيقية أو خرافية (شكل ٥٨) أو نراهم مسلحين ببلطة أو سلاح مقوس بحد محدب يشبه البالات اليونانية harpe وهم يتغلبون على حيوان ذي أربع أو نعامة (شكل ٥٩). وفي مكان آخر تصور هذه الجان بين حيوانين أو وحشين مركبين يقفان ويواجهان بعضهما البعض ويمسكانها عادة من الفخذ الأمامي. وهم يظهرون كذلك –كما في النقوش البارزة– في مجموعات من أزواج عادة. وفي إحدى اليدين الـ"ستيل" واليد الأخرى ممدودة نحو مخروط من الأرز على شجرة مقدسة يظللها قرص مجنح.

(1) XLII b.k 5, 7 cf, XL b. Nos 115 a 117.



(شكل ٥٩) أسطوانة آشورية (المكتبة الأهلية)

وقد عاد الختم المسطح الذي عرفه السوميريون من أقدم العصور ولكنهم نبذوه منذ عصر لوجالاندا وظل مستعملًا في آسيا الصغرى على "اللوحات الكابادوكية" في القرن الرابع والعشرين ثم بعد ذلك في الإمبراطورية الحيثية... عاد هذا الختم إلى الظهور في أشور في الألف الأولى (شكل ٦٠). وقد أوجب استعماله في بابل حتى استطاع في عهد السلوقيين أن يطرد الأختام الأسطوانية من الشرق كله وكان يصنع عادة على شكل مخروط ناقص بقاعدة اهليليجية واستدارة عند القمة. ولقد كان المجال على مثل هذه القاعدة أكثر تحديدا من سطح الأسطوانة. ورغم أنه كان يتسع لمنظر صراع إلا أن الفنان في نقش الأحجار كان يفضل أن يحفر عليها جنا خيرا أو رموزا إلهية.



(شكل ٦٠) ختم آشوري (متحف اللوفر)

٥- الزي والأثاث

إن النقش البارز في القصور هو المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن الزي الأشوري. ولقد رأينا كيف أن النحاتين جهدوا في التمييز بين الآلهة والجان والملك والحاشية والأجانب وذلك بواسطة تفصيلات ملابسهم.

وكان الزي في أيام السيادة السومرية ملفعة مستطيلة تلتف حول العجز كما هي الحال عند ضفاف الفرات. وفي الألف الأولى كانت تتكون من جزأين: قميص بغير أكمام قصير أحيانا وطويل أحيانا أخرى ثم ملفعة مستطيلة تلبس في أشكال مختلفة تبعا لمرتبة لابسها وتثبت بواسطة حزام أو خيوط مجدولة وحمالة. وكان للملفعة أهداب من جوانبها الأربعة وكانت تزين غالبا برسومات دينية أو أزهار أو حواش.

وكان يحمي الأقدام في الحرب حذاء يغطي الساق.وأما في الحياة المدنية فكانت النعال ذوات الكعوب تربط بأربطة جلدية تلتف حول الإصبع الكبير وتدور حول الأخمص مرتين أو ثلاثة مرات.

وكانت حلاقة الرأس والاحتفاظ باللحية أمرا مقررا منذ فجر التاريخ كما تشهد بذلك بعض الآثار التي عثر عليها في خرائب أشور. ولكن سرعان ما اختفت هذه العادة كما يثبت ذلك تمثال عتيق عثر عليه في نفس المكان. وفي القرن التاسع كان الشعر مجعدا ويسقط على الكتفين وكانت اللحية الطويلة يقص شعرها على شكل مربع ولم يكن يحلقها تماما سوى كبار الموظفين وصغار الجنود.

وكان التاج ذو القرون من مخصصات الآلهة. وكان الملك يرتدي غطاء الرأس على شكل قمع مخروطي يعلوه سن مدبب ويحيط به أكليل. وكان عامة الناس يسيرون عادة عراة الرءوس في الحياة العادية وكان شعرهم يربط أحيانا بعصابة.

وكان الرجال والنساء على السواء يتحلون بحلي من الذهب والفضة والنحاس المذهب وفي عصر سرجون كان الخرز على شكل الزيتون والخرز القنوي يصنع من رقائق الذهب بزخارف مضغوطة للعقود والخواتم والحلقان. وكان الخرز البلوري يزود في

الوسط بحلقات ذهبية. وكانت الأحجار الثمينة المستعملة في العقود تحاط بالذهب وأزهار اللازورد تحلى بذهب نقي في وسطها وكانت تلبس حول المعصم وفي أعلى الساعد أساور مفتوحة ثقيلة من البرونز مزينة عند طرفيها برءوس حيوانات وكانت تكمل الزينة أقراط ضخمة ورموز دينية تعلق حول الرقبة. أما عامة الشعب فكانوا يقنعون بعقود وأساور مكونة من براميل صغيرة وأسطوانات ولوحات وزيتونات وعجلات أو خرز منحوت من أحجار غالية أو مصنوع من عجائن صناعية تقلد الحجر.

وكان الأشوريون –كالبابليين– يستعملون يوميا زيوتا عطرية ودهونا ومراهم وربما مركبات لإزالة الشعر.

كان الأثاث في القصور فخمًا جدًا في الألف الأولى وأصبح بمرور القرون أكثر فخامة وزخرفة. وكان عرش سناخريب يرتكز على أربعة أرجل على شكل أقماع الأرز ويعتمد الذراعان في كل من الجانبين على ثلاثة صفوف متعاقبة بكل منها أربعة تماثيل لأشخاص الواحد منها فوق الآخر. أما المعقد والظهر فتغطيهما ملفعة من قماش نفيس.

وعرش "أشور نتسير أبلا" كانت به نقوش برونزية تمثل حيوانات مركبة ترتفع نحو شجرة مقدسة. وهناك متكأ من نفس العصر كان مزينا برءوس حيوانات من المعدن ومغطى بوسادة ذات أهداب. وكانت هناك مقاعده كثيرة في دور شاروكين مزينة بنفس الطريقة وكانت تصنع الكراسي والكراسي ذوات الأذرع والأسرة والموائد والمقاعد والبرونز والأحجار الكريمة.

وكانت الأواني المعدنية المزخرفة تستورد من فينيقيا كما تستورد المصنوعات العاجية من مصر. وقد سرى كذلك استعمال أواني الزجاج والحجارة ولكن استعمال الفخار كان سائدا. وقد عثر على أوان منقوشة منه في أعداد قليلة.

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١- الأدب التاريخي

استخدم الأشوريون الخط المسماري الذي اخترعه السوميريون واستعمله الأكاديون. ورغم أنهم بسطوا الحروف أكثر مما فعل البابليون إلا أن طريقة الكتابة لم ترتق رغم أنه كان يوجد بمكاتب الدولة المثل الذي ضربه الكتاب المصريون الذين تخلصوا من هيروغليفيتهم القديمة والكتاب الآراميون الذين كانوا يستعملون حروفًا هجائية. لذلك ظل فن الكاتب وعمله كما كان في بابل تقريبا في نفس العصر.

وتحوي الآداب الأشورية عددًا ضخمًا من النسخ أو المطابقات للنصوص البابلية وهناك نوعان من الأدب فقط يستوقفان النظر: هما الأدب التاريخي والمراسلات الكتابية.

وأهم النصوص التاريخية التي وضعت طبقا لترتيب الملوك الأشوريين تختلف اختلافًا بينًا من ناحية إنشائها عن الوثائق المماثلة في سومير وأكاد. فلقد كان الملك البابلي فوق كل شيء راعي شعبه وهو في النصوص يعني عناية خاصة يذكر ما قام به من أعمال ليقر النظام في دولته وليدفعها إلى التقدم والازدهار وليحميها من أعدائها حين تدعو الضرورة إلى ذلك. أما الملك الأشوري فقد كان على العكس من ذلك محاربًا وكان مثله الأعلى أن يوسع الأقاليم الخاضعة للإله أشور وأن يعتبر هو غازيًا. ولم تكن للنقوش المنتشرة في قاعات قصره أهداف سوى تمجيده شخصيا. وكانت النصوص التي تصحب النقوش تشيد بمجده وقلما كان يذكر شيء عن الكوارث التي تنتاب الحكم فإن ذكرت مثل هذه الأحداث فإنما كان ذلك على أساس أنها أمور لا قيمة لها حين لا يستطاع تحويلها إلى نجاح باهر.

وكانت صيغة الكتابات الملكية تخضع لنظام ثابت من عصر ممعن في لقدم. وحتى نهاية القرن الثامن قل أن أدخل عليها أي تعديل وكان يسر الكتاب أن ينسخوا الصيغ التي كانت تستعمل في العهود السابقة.

وفي حكم السرجونيين أخذت تصطبغ نصوص الروايات بصبغة شخصية ولعل هذا يتضح جليًا في نصوص أشور بانيبال.

ويمكن تمييز أربعة أنواع من الوثائق: "الحوليات" التي كانت تذكر فيها الحوادث في ترتيب تاريخي، و"تاريخ الحروب" الذي يسمح لنا أن نتابع تقدم الحملات، و"التقاويم" التي تجمع فيها الوقائع حسب الأقاليم التي حدثت فيها، وأخيرًا "التقارير" في صورة خطابات موجهة إلى الإله أشور عند العودة من كل حملة لإبلاغه النجاح الذي تم على العدو.

وكانت هذه الكتابات – ماعدا النوع الأخير– تحفر على جدران القصر أو على أسطوانات الأساس. وكانت تتكون عادة من ثلاثة أقسام رئيسية. أما القسم الأول فهو تقريظ للملك يقدم ملخصًا لأعماله وغالبًا سلسلة نسبه. وأما القسم الثاني فيقص أحداث الحكم من حروب ومنشآت. وأما القسم الثالث، فهو عبارة عن لعنات تصب على من يحطم هذه الكتابة وأحيانًا دعوات لمن يعاملها باحترام.

وهناك بداية أسطوانة تجلات فلاسر الأول:

"البدء: أشور السيد العظيم الذي يحكم مجموعة الآلهة الذي يمنح الصولج والتاج الذي يدعم الملكية، أيلليل ملك كل الـ"أنوناكي" أب الآلهة سيد الأقطار، سن العاقل سيد التاج الممجد في فخاره، شماش قاضي السماء والأرض الذي ينهي بالعدم محاولات العدو ويساعد العدالة، أداد القوى الذي يحطم الأقاليم المعادية والأراضي والبيوت، أينورتا البطل الذي يحطم الأشرار والمعادن ويشبع رغبة القلب، عشتار الأولى بين الآلهة سيدة الصراع التي تفض المعارك العنيفة –الآلهة العظام الذين يحكمون السماء والأرض والذين يعني هجومهم المعارك والهلاك والذين عظموا ملكية تجلات فلاسر الأمير

المحبوب المفضل في قلوبكم البطل الرائع الذي اختارته قلوبكم العطوفة. ذلك الذي توجتموه بالتاج العظيم. ذلك الذي عينتموه في وقار ملكًا على أرض أيلليل وأعطيتموه الحكم والمجد والقوة ورسمتم له إلى الأبد مصيره الملكي لتمام القوة ولذريته الكهنوتية مكانًا في "أي هارساج كوركورا"– تجلات فلاسر الملك القوي ملك (العالم) كله الذي لا منافس له. ملك الأقاليم الأربعة. ملك الأمراء جميعا. سيد السادة ملك الملوك القوي الكاهن الأعظم الذي أعطى له بأمر شماش صولجان باهر. ذلك الذي حكم الأمم رعايا أيلليل في جموعهم، الراعي الشرعي الذي مجد اسمه فوق أسماء كل الأمراء. القاضي العظيم الذي قاد أشور ذراعيه والذي أعلن اسمه إلى الأبد ليكون راعيا للأقاليم الأربعة، غازي الأقاليم البعيدة على حدود مملكته في الأقاليم العليا والسفلى، اليوم الساطع الذين يعشى بهاؤه الأقاليم الأربعة. الشعلة القوية التي تسقط على الأرض المعادية مثل العاصفة الراعدة... ذلك الذي بأمر أيلليل ليس له منافس والذي جندل وصرع أعداء أشور.

إن أشور والآلهة العظام الذين جعلوا ملكي عظيمًا قد منحوني القوة والنفوذ وأمروني أن أمد حدود أراضيهم. لقد وضعوا في يدي أسلحتهم القوية "إعصار المعارك".

الأراضي والجبال والمدن والأمراء أعداء أشور قد هزمتهم وأخضعت بلادهم. لقد حاربت بشجاعة ضد ستين ملكا وكسبت النصر عليهم في الصراع، لم يكن هناك ضدي ند في حرب أو منافس في معركة. لقد أضفت إلى بلاد أشور أراضي أخرى ولأهلها أهلين آخرين. لقد وسعت حدود بلادي وغزوت كلا بلادهم (أي الستين ملكا).

ويروي "أشور نتسير أبلا الثاني" في حولياته أحداث عام ٨٨٤ ق.م. على الصورة التالية: "في العام المسمى باسمي تبعا لكلمة أشور مولاي وأينورتا الذي يحب كهنوتي لم يحدث في عصر الملوك آبائي أن حاكما لأرض "سوهي" أتى إلى أشور، ولكن حدث أن "أيلو ابني" حاكم سوهي أتى مع أخوته وأبنائه ليحضروا فضة وذهبا كجزية في نينوى أمامي من أجل خلاص أنفسهم.

وفي نفس العام المسمى باسمي بينما كنت لا أزال في نينوى جاءتني الأنباء بأن الأشوريين وحاكمهم هولاء الذي كان شلمنصر ملك أشور الأمير الذي حكم قبلي قد أقرهم في مانزيديفا (أنني أقول أن هؤلاء الأشوريين) تمردوا بالعصيان وتقدموا نحو "دامداموسا" مدينتي الملكية بقصد الاستيلاء عليها.

وتبعا لكلمة أشور وعشتار وأداد الآلهة العظام الذين يعاونونني جمعت عرباتي وجيوشي وفي المكان الذي كانت به صور تجلات فلاسر وتوكولتي أينورتا ملك أشور... أبالي... عند منبع السوبنات... صنعت صورة لشخصي الملكي وأقمتها هناك. في ذلك الوقت تسلمت جزية من أرض "أتسالا" قطعانا وماشية ونبيذا وعبرت جبال "كاشياري" وتقدمت نحو "كينابو" قلعة "هولائي" وانقضضت على المدينة بجموع جيوشي في هجوم شديد كالعاصفة واستوليت عليها وقتلت بالسيف ٦٠٠ من محاربيهم وأسلمت للنار ٣٠٠٠ أسير ولم أترك من بينهم واحدا حيا ليكون رهينة. وأخذت حاكمهم "هولائي" حيا بيدي وجمعت من جثثهم أكواما وأسلمت للنار شبابهم وبناتهم وسلخت حاكمهم هولائي وعلقت جلده على سور "دامداموسا" ثم حطمت المدينة وخربتها وأشعلت فيها النار.

واستوليت على مدينة "ماريرو" في نفس الإقليم وقتلت بالسيف ٥ من محاربيها وأسلمت للنار ٢٠٠ أسير وذبحت ٣٢٢ جنديا من بلاد "نيربو" في معركة في الأرض الخلاء واستوليت على أسلابهم (جثثهم) وماشيتهم الكبيرة منها والصغيرة. أما شعب نيربو التي تقع عند سفح جبل أوهيرا فقد حاصرتهم في قلعتهم "تيلا" وخرجت من "كينابو" مقتربا نحو "تيلا" وكانت المدينة محصنة تحصينا قويا وتطوقها أسوار ثلاثة وكان لشعبها ثقة في حوائطها المنيعة وجيوشهم العديدة فلم يأتوا ليمسكوا قدمي. وعصفت بالمدينة في معركة ومذبحة واستوليت عليها وقتلت ٣٠٠٠ من محاربيها واستوليت على جثثهم (أسلابهم) وأملاكهم وقطعانهم وماشيتهم وأخذتها كغنيمة وأسلمت الكثيرين إلى النار وأخذت الكثيرين أحياء: قطعت أيدي البعض منهم وأصابعهم وجدعت أنوف آخرين بأشور كغنيمة الفضة والذهب والأموال والثروات من سومير وأكاد وكذا

وسلمت آذاهم ثم حرمت غيرهم من نعمة البصر وجعلت من الأحياء كومة ومن الرءوس كومة أخرى. وربطت رءوسهم إلى دعائم من الكرم حول المدينة أما فتيتهم وفتياتهم فقد ألقيت بهم إلى النار... لقد حطمت المدينة وخربتها ثم أشعلت فيها النار".

وليس هناك من منظر نهب أشهر من نهب سوسة بواسطة جيوش أشور بانيبال. وهاك الرواية الرسمية:

"لقد استوليت على سوسة العاصمة مقر آلهتهم ومكان عرافتهم. ودخلت بناء على أمر أشور وعشتار إلى مخابئ قصورهم ومكثت هناك في ابتهاج وفتحت خزائنهم المكدس فيها الذهب والفضة والأموال والثروات التي جمعها وكومها ملوك عيلام من أقدمهم حتى معاصري والتي لم يضع عدو قبلي يده عليها. لقد استخرجتها وعددتها غنيمة، وأخذت إلي من "كاردونياش" وكل ما كان قد أخذه ملوك عيلام الأقدمون في سبع[1] حملات وحملوه معهم إلى عيلام من "تساريرو" براق و"أشمارو" لامع وأحجار كريمة وأشياء ذات قيمة وحلى ملكية كان قد أعطاها ملوك أكاد الأقدمون و"شماش شوم أوكين" كحلفاء إلى عيلام والملابس القيمة والحلي الملكية والأسلحة الخاصة بالاحتفالات والحروب وحلى أيدي المحاربين وكل أثاث قصورهم التي كانوا يجلسون أو يضطجعون عليها والأواني التي كانوا يستعملونها للطعام والشراب والغسيل والتضميخ والعربات والمركبات والـ "تسومبي"[2] المزين بالـ"تساريرو" والـ"زاهالو" والخيل والبغال الكبيرة بأطقمها الذهبية والفضية أخذتها كغنيمة وحملتها إلى أشور. وقد حطمت زيجورات سوسة الذي كانت واجهته من اللازورد وكسرت قيمته المحلاة بالبرونز اللامع. أما شوشيناك إله عرافتهم الذي كان يسكن مكانًا خفيًا والذي لم يشهد عمله الإلهي أي واحد وكذا شومودو، لاجامارو، بارتكيرا، أمان كاسيبار، أردوران، سباك الذي كان ملوك عيلام يحترمون إلوهيته، راجيبا، سونجور سارا، كارسا، كيرساماس، شودانو،

(١) رقم ٧ هنا معناه عديدة.

(٢) نوع من العربات العيلامية.

أيباكسينا، بيلالا، يانينمري، نابيرتو، كندا كاربو، سيلاجارا، نابسا... كل هؤلاء الآلهة والإلهات بكل ما يملكون من ثمين وغال وثرواتهم وأثاثهم... وحتى –كهنتهم وال "بوهلالي"... حملتها جميعا إلى أشور كغنيمة كما حملت إلى أشور كذلك **٣٢** تمثالا من الذهب والفضة والبرونز والحجر الجيري لملوك مدن سوسة، ماداكتو، هوراري وتمثال "أوما نيجش" ابن "أمبادارا" وتمثال عشتار ناهونشي وتمثال هلوسي وتمثال تماريتو الثاني الذي أخضعته بناء على أمر أشور وعشتار. وقد حطمت ال"شيدو" وال"لاماسو"[١] حراس المعابد بقدر ما يوجد منها وألقيت الثيران المتوحشة زينة البوابات. وجعلت معابد عيلام تختفي تمامًا وذهب مع الريح كل إله وإلهة. وقد دخلت جيوشي الصاعقة إلى الأحراش المقدسة حيث لم يكن يسمح لغريب أن يدخلها أو يعبر حدودها وكشفوا عن سرها وأسلموها للنار. وفتحت توابيت ملوكهم الأقدمين والمحدثين الذين لم يعبدوا أشور والذين كان الملوك آبائي قد تركوهم في سلام وحطمتها وأخرجتها وأخذت عظامهم إلى أشور وأقررت القلق عفى أرواحهم (ال "أديمة") وحرمتهم من التقدمات الجنازية وسكب الماء.

ولمسيرة شهر وخمسة وعشرين يومًا اجتحت أقاليم عيلام ونثرت الملح وأشجار الشوك هناك وحملت معي كغنيمة إلى أشور أبناء الملوك وأخواتهم وأعضاء الأسرة المالكة في عيلام صغارًا وكبارًا والحكام ورؤساء هذه المدن ورؤساء حملة الأقواس والقادة وراكبي العربات والفرسان وحملة الأقواس وحملة الدروع والفنانين على كثرتهم والسكان ذكورًا وإناثًا كبارًا وصغارًا والخيل والبغال والحمير والقطعان والماشية أكثر من أسراب الجراد.

وحملت تراب سوسة. ومادا كتورهلتيماش ومدنهم الأخرى... التراب الذي كنت أريده حملته إلى أشور. وفي خلال شهر أخضعت عيلام بكل اتساعها وأسكت صوت الإنسان وخطى الماشية والقطعان وصرخة الفرح وتركت حقولها للحمير والغزلان وكل

---

(١) الجنيات الحارسة (المحافظة) وثيران وسباع مجنحة ذات رؤوس بشرية.

الحيوانات البرية". وسنستعير من نفس أسطوانة أشور بانيبال التي كتبت في ٦٣٩ق.م. النص الختامي: فبعد أن أشار إلى إصلاح القصر المسمى بيت ريدوني ينهي الملك قصته قائلًا:

"وفي الأيام القادمة بين الملوك الذين سيخلفونني فليرفع من يضع اسمه أشور وعشتار على عرش البلاد وسكانها...فليرفع ثانية من الخرائب هذا ال"بيت ريدوتي" إن شاخ وسقط إلى أنقاض. أما الكتابة التي فيها اسمي واسم أبي واسم أب أبي الجنس الملكي الوطيد.. ليقرأه وليضخمه بالزيت وليقدم التضحيات ويضعها بجانب النص الذي يحمل اسمه. ألا فلتمنحه الآلهة بقدر كثرتهم المذكورة في هذا النص.. لتمنحه كما تمنحني القوة والسلطان.

أما من يحطم الكتابة التي تحمل اسمي واسم أبي واسم أب أبي ولا يضعها بجانب الكتابة التي تحمل اسمه... ألا فلينتقم أشور وسن وشماش واداد وبعل ونابو وعشتار نينوى ملكة كدموري وعشتار أربيلا وأينورتا ونرجال ونوسكو لينتقموا منه جميعا لعدم ذكر اسمي".

٢- أدب الرسائل

ويتضمن أدب الرسائل في أشور كما في بابل الوثائق الرسمية والمراسلات الخاصة. وقد وجدت معظم اللوحات في مكتبة أشور بانيبال وهي قبعا لذلك تتصل بالشئون العامة. وبعضها مكتوب بالأشورية والبعض الآخر بالبابلية. وهي تسمح لنا بإعادة تكوين فصول معينة في التاريخ أهملتها الكتابات الملكية وتبين كيف كانت الحكومة المركزية تطلع أولا بأول على ما يجري من أحداث على الحدود وفي الدول المجاورة.

وكان سرجون في بابل في سنة من السنوات (سنة ٧١٣ على أكثر تقدير) وإننا لنرى ابنه سناخريب يرسل له التقارير الواردة من مختلف الموظفين عن سير الأمور في أورارتو، وتبدأ خطاباته بفقرات التحية "إلى المالك سيدي من سناخريب خادمك. السلام للملك مولاي. السلام سائد في أشور. السلام سائد في المعابد وسائد في كل

قلاع الملك. ليفرح قلب الملك تماما"[١] ثم يلي ذلك تقارير منسوخة دون تغيير في الأسلوب الذي استعمله مرسلوها فهناك تقرير من بلاد "الأوكيين" بأن ملك أوراتو هزم حين توجه إلى بلاد السيمبريين. ويشير "أشور رتسوا" من ناحيته إلى مذبحة ضخمة في جيوش هذا الأمير: فمات النبلاء وأسر القائد العام أما الملك نفسه ففي بلاد "وازارن (بتليس؟)". وأرسل وإلى "هالتسو" من يتحرى الأمر على الحدود: فأنبئ بانتصار السيميريين وبأن ثلاثة نبلاء أورارتيين مزقوا أربا مع جيوشهم واستطاع الملك أن يجد طريقة للهرب والعودة لمقاطعته. وحتى لحظة كتابة التقرير لم يكن معسكره قد تعرض للهجوم وأرسلت حاميات قلاع الحدود أنباء مماثلة وذهب ملك "موتساتسير" وأخوه مع ابنه لتحية ملك أورارتو كما أرسل ملك "هوبوشكيا" رسولا له: وينتهي الخطاب بالإشارة إلى إرسال لوحة مباشرة إلى الملك من "نابولي" رئيس خدم السيدة "أهات أبيشا". ويظهر أن هذه السيدة هي ابنة لسرجون تزوجت من ملك "تابال" المدعو "أمباريدي" الذي أقتيد أسيرًا هو وكل أسرته في عام ٧١٣ق.م.

وهناك مجموعة أخرى من التقارير بنفس الصورة[٢] تشير أولا إلى محاولة ملك أورارتو القبض على الولاة الأشوريين المجتمعين في "كوماي" ويشير المرسل إلى خطاب من "أشور رتسوا" يتضح منه أن ملك أرمينيا مع فرق صغيرة من جيوشه قد دخل إلى مدينة "واسي". أما "أشور رتسوا" من ناحيته فيكتب مباشرة بأنه أرسل حرسه إلى أرض الأوكيين الذين ثاروا ضد "أرزابيا".

وقد كشف عن تسعة تقارير من نص "أشور رتسوا" تتصل بسير الأمور في أورارتو وهو يخطر في أحدها بتحرك الجيوش[٣]: "في يد نيسان خرج ملك أورارتو من "ثوروشبيا" وذهب إلى "إليتسادا" وشق "كاكادانو" قائده العام طريقه إلى مدينة واسي كما تركزت جيوش أورارتو في إلتيسادا".

---

(1) LXXXII b, No 197 Cf. xx t, III, p.xv.
(2) LXXXII b, No 198.
(3) LXXXII b, No 492

وفي تقرير آخر[١] يؤيد خبر وجود الملك في واسي ويعلن بأن ٣٠٠٠ من الأورارتيين المشاه في طريقهم إلى "موتساتسير" تحت قيادة "ستيني" الذي أخذ معه جمالا وأنهم عبروا النهر ليلا". وبأن هناك مجموعة أخرى من الجيش تحت قيادة "شونا" تسير كذلك نحو "موتساتسير" عبر مقاطعة الأوكين. وليس من شك في أن هاتين الرسالتين لاحقتان للتقرير الثاني لسناخريب الذي يتضمن دخول ملك أورارتو إلى "واسي" وللتقرير الأول الذي يتحدث كله عن هزيمة السيميريين له وعلى ذلك فإن الأخير من تاريخ لاحق.

ولم تكن حركات الجيوش هذه التي يشير إليها الموظفون الملكيون مما يروق لملك أشور فكان يستاء ويخشى النتائج فيأمر عمدة القصر أن يطلب إلى ملك موتساتسير ألا يسمح للأمراء الذين يزورون مدينته بقصد التعبد أن يصطحبوا جنودهم معهم. وقد ورد الرد ينطوي على وقاحة تدل على أن مرسلها كان يعتقد أن في إمكانه مقاومة الجار القوي:

"لوحة أورزانا إلى عمدة القصر[٢] سلام عليك. بالإشارة إلى ما كتبت لي تقول:

(ملك أورارتو بجيوشه... أعو يزورك؟ أين هو؟) هاك إجابتي (إن والي "وأسي" ووالي مقاطعة الأوكيين أتوا وقاموا بالعبادة في المعبد وهم يقولون: "سيأتي الملك، وهو في "واسي". إن الولاة (الآخرين) متأخرون سيأتون" وقد قاموا بعبادتهم في موتساتسير. أما فيما يتصل بما كتبته لي فيما يختص "دون موافقة الملك ليس لأحدهم أن يأتي للعبادة مصحوبا بجيوشه فهل حين أتى ملك أشور منعته؟ إن ما فعله هو يفعله الآخر فكيف إذن أمنع هذا الآخر؟)".

وهناك فترة أخرى يزودنا فيها أدب الرسائل بمعلومات شائقة هي نهاية عهد "شماش شوم أوكين" ملك بابل وهي الفترة التي قامت فيها محاولة تمرد ضد النفوذ الأشوري والصراع مع عيلام.

---

(1) LXXXII b, 380.
(2) LXXXII b, No 400 cf. xx t, III, p.XII, XIII (traduction).

وإننا لنجد "نابو بعل شوماتي" الذي ربما كان ملك أرض البحر يكتب(١): "يتضح مما نمى إلي أن ملك عيلام خلع وثارت ضده بضع مدن قائلة: "لا نريد أن نلقي بأنفسنا بين يديك" وإنني أنقل ذلك إلى مولاي الملك كما علمت به. لقد سكنت في أرض البحر منذ أيام "نابيد مردوك". حين قبض "سن بالاتسو أقبي" على ٥٠٠ من قطاع الطرق واللاجئين الذين أتوا عند الجور ونامبين وقيدهم بالحديد وسلمهم إلى مولاهم ناتانو ملك الأوتيين وهم الذين كان ملك (أشور) قد أعطاه إياهم".

ولقد أصبح "نابو بعل شوماتي" حفيد "مروداخ بالادان" ملكا على أرض البحر عند موت عمه "نابيد مردوك". فلما ثار "شاماش شوم أوكين" أرسل له ملك أشور جيوشا لمهاجمته من الجنوب ولكن "نابو بعل شوماتي" الذي كان يريد كذلك أن يستعيد استقلاله حاول أن يضم إليه الجنود الأشوريين وقد نجح في ضمان ولاء عدد منهم ولما أدرك أن الكارثة لا يستطاع تجنبها هرب معهم إلى عيلام وفي ٦٥٠ق.م. أحل "أشور بانيبال" محله من يدعى "بعل أبني" ووجه النداء التالي إلى الأهلين: "أمر الملك إلى أهالي أرض البحر صغارا وكبارا... أي خدمي!(٢) السلام لكم. لتكن قلوبكم راضية. أنظروا كم يمتد تقديري إليكم. قبل خطيئة "نابو بعل شوماتي" أقمت عليكم عاهرات معبد منانو والآن أرسل لكم "بعل أبني" الدوباشو الخاص بي ليتقدمكم". وبقية النص مكسور إلى عدة قطع وفيه يطلب الملك إطاعة أوامره وإلا أضطر إلى إرسال الجيوش هذا ما أن "أندا بيجاش" كان قد استضاف "نابو بعل شوماتي" وأنصاره في عيلام فأرسل أشور بانيبال سفيرا يطلب إليه تسليمهم وكتب يقول "إن لم تسلم لي هؤلاء الرجال فإنني سآتي لأحطم مدنك وسآخذ أهل سوسة وماداكتو ووهايدالو وسأنزلك عن عرشك وأضع آخر في مكانك. وكما سحقت فيما مضى تويمان فإنني سأقضي عليك" وفي خلال المفاوضات استطاع قائد سوسي يدعى "أومانا لداش" أن يغتال أندا بيجاش وأن يستولي على العرش. وفي عام ٦٤٥ق.م. كتب إلى ملك أشور عن "نابو بعل شوماتي"

---

(1) LXXXII b, No. 839.
(2) Ibid, No 289.

قائلا: "لوحة أومانا لداش ملك عيلام إلى أشور بانيبال ملك أشور[١]: السلام لأخي لقد أخطأت ضدك منذ البداية شعوب أرض البحر فقد قدم "نابو بعل شوماتي" من هناك وأرسلت إلي تطلب: "أرسل نابو بعل شوماتي" أنني ذاهب للقبض على نابو بعل شوماتي وسأرسله لك بأيديهم أولئك الذين أثموا ضدنا فإن كانوا في مقاطعتي فسأرسلهم إليك بأيديهم بواسطة خدمي أما إن كانوا قد عبروا النهر فخذهم بنفسك". ولما رأى نابو بعل شوماتي أنه هالك لا محالة لم يرض بأن يستسلم حيًا بل أمر حامل سلاحه أن يقتله وقد سلم جسده إلى ملك أشور الذي أمر أن يقطع رأسه ومنع دفنه.

وبعد أن استقر "بعل أبني" كملك على أرض البحر بعد هرب "نابو بعل شوماتي" كتب تقريرا مطولا عن سير الأمور في عيلام[٢]: فقد أرسل ٥٠٠ جندي إلى "تسايدانو" أمرا إياهم أن يحصنوا أنفسهم في هذه المدينة وأن يغيروا على عيلام وأن يذبحوا أهلها وأن يعودوا بأسرى وتقدمت هذه الجيوش حتى "أيرزيدو" على مسافة قصيرة من سوسة وذبحوا الحاكم المدعو "أمالادين" وأخويه وثلاثة من أعمامه واثنين من أبناء أبناء أخوته ومائتين من النبلاء وأخذ ١٥٠ أسيرًا وسرعان ما تقدم سكان لاهور، وتوجو إلى "موشزيب مودوك" ابن أخ "بعل وأبني" وقائد الجيوش في "تسابدينو" وأقسموا بالولاء لملك أشور وعبثوا رماتهم ووضعوهم تحت تصرف الحاكم. وقد أعلن "بعل أبني" أنه سيرسل كل الغنائم إلى الملك وأنهى خطابه بأنباء عن بلاط عيلام: يقال أن "أومانيجاش" قد ثار ضد "أومانا لداش". وأن كلا من الجيشين يعسكر أمام الآخر على ضفتي الهدهد وإن "أيقيشا أبلو" الذي أوفد إلى القصر يعرف خططهم. فليسأل عنها". ولقد حظي موشزيب مردوك ابن أخ بعل بالرضا الملكي فأستدعى مرتين أو ثلاثا ليجتمع بالملك وقد كتب أشور بانيبال ذات مرة إلى عمه قائلا[٣]: "رسالة من الملك إلى بعل أبنى، إنني بخير. ليكن قلبك مطمئنًا، فيسمح لـ"موشزيب مردوك" الذي كتبت لي عنه له بالمثول في حضرتي في أقرب وقت وسأحدد الطريق الذي تسلكه

(1) XCV, p.350.
(2) LXXXII, b. No 280.
(3) Ibid, No 398.

قدماه".

وكان "كودور" حاكم أوروك الذي كان الملك قد أرسل له طبيبًا ليعالجه أثناء مرض خطير قد سافر ليمثل بين يدي الملك ويشكره ولكنه أستدعى إلى مقر عمله حيث كان قد وصل خطاب من الملك. ورغبة منه في عدم تأجيل التعبير عن عرفانه بالجميل كتب ما يلي:(١): "إلى ملك الأراضي مولاي. من خادمة كودور. ألا فلتكن أوروك وأيانا ملائمة لملك البلاد مولاي. إن "أيقيشا أبلو" الطبيب الذي أرسله الملك مولاي لمعالجتي قد أعاد إلي الحياة. ألا فلترض الآلهة العظام للسماء والأرض عن الملك مولاي وليثبتوا عرش الملك مولاي في وسط السموات إلى الأبد... لقد كنت ميتا وأعاد إلي مولاي الملك الحياة. إن أفضال الملك مولاي على عديدة. إنني أريد أن أذهب وأشهد الملك مولاي لقد قلت لنفسي: سأذهب وأرى وجه الملك مولاي ثم أعود وأحيا". ولكن حامل المفتاح دعاني للعودة إلى أوروك حين أرسل إلي يقول: "لقد أحضر رسول فوق العادة خطابًا مختومًا من القصر لك فيجب أن تعود معي إلى أوروك" لقد أرسل إلي هذا الأمر وأعادني إلى أوروك ألا فليعلم ذلك الملك مولاي".

وهناك خطاب يبين مدى عناية بعض ملوك أشور بالبحث عن النصوص القديمة وخاصة ما يتصل منها بالسحر وذلك بقصد زيادة ثروة مكتباتهم(٢).

ولقد كان للسحر قيمته الملحوظة في البلاط وبين العامة على السواء ولم يكن الملك ليقدم على القيام بأي مشروع هام دون استشارة الآلهة والحصول على فأل ملائم. وكانت أدنى الحوادث تستدعي قيام نبوءات تقوم على أساس المعلومات التي جمعت منذ أقدم عصور الحضارة السوميرو أكادية وهاك مثلا هو خطاب من المدعو "نابوا" المقيم في أشور– ولدينا منه عدد من التقارير الفلكية(٣) "إلى الملك مولاي من خادمه نابوا. فليكن الملك مولاي موضع عطف نابو ومردوك. في السابع من كسليمو

---

(1) Ibid, No. 274.

(٢) أنظر صفحة ٢٢٦.

(3) LXXXIII b. No 142.

دخل ثعلب إلى المدينة وسقط في بئر في الغابة المقدسة بأشور وقد أمسك به وقتل".

وحين أراد "أشور موكين باليا" أحد أخوة أشور بانيبال الصغار –وهو رجل معتل الصحة– أن يذهب في رحلة سأل الملك النصيحة فتلقى هذه الإجابة. "إلى الملك مولانا". من خادميك "بالاسي" و"نابواحي أريبا" السلام للملك مولانا. ليكن الملك مولانا موضع عطف نابو ومردوك. بالنسبة لـ "أشور موكين باليا" الذي كتب عنه لنا مولانا الملك... ليكن موضع رعاية أشور وبعل وسن وشماش وأداد... ألا ليره الملك مولانا في صحة جيدة. إن الفأل طيب للرحلة: الثاني مناسب والرابع مناسب جدًا".

ولقد كان "بالاسي" و"نابواحي أريبا" من بين أهم مراسلي الملك فيما يختص بالملاحظات الفلكية. وقد كان "أداد شوم أو تسور" كذلك فلكيا وكان يعطي استشارات فيما يتصل بالمرض والأيام المناسبة والخسوف... ولكن لم يهمل مصالح أسرته. وأراد أن ينهي خطابا طويلا مليئا بالمداهنة بالتوصية على واحد من أولاده[١] "إلى الملك مولاي من خادمه أداد شوم أو تسور. ليكن الملك مولاي موضع العطف الشديد من نابو ومردوك لقد رسم الآلهة اسم الملك مولاي لمملكة أشور. أما شماش وأداد اللذان لا تحيد نظرتها عن الملك مولاي فقد ثبتاه إمبراطورا على كل البلاد. حكم سعيد وأيام وطيدة وسنو عدالة وأمطار غزيرة وفيضانات وفيرة وأسعار مرتفعة. الآلهة يمجدونه والخوف من المعبود يزداد والمعابد مزدهرة والآلهة العظام للسماء والأرض يتهللون تحت حكم الملك مولاي الشيوخ يرقصون والشباب يغنون والنساء والعذارى تزوجن والأرامل تزوجن مرة ثانية. والمعاشرة الزوجية تتم والنساء يحملن ويلدن ذكورا وإناثا. أولئك الذين أثموا وينتظرون الموت أعطاهم مولاي الملك حياة جديدة. لقد أطلقت سراح أولئك الذين ظلوا في السجن سنوات عديدة لقد شفيت أولئك الذين ظلوا مرضى أياما طويلة أشبعت الجياع وسمن الضعاف. البساتين ملأى بالفاكهة ولم يبق سوى "أراد جولا" وسواي مجهدي الروح قلقي القلب. لقد أظهر الملك أخيرا حبه لنينوى وشعبها ورؤسائها عندما قال: ("أحضروا أبناءكم إلى هنا وليقفوا أمامي") إلا

(1) Ibid, No 2.

فليقف ابني "أرادجولا" معهم أمام الملك مولاي. حقا سنسعد مع الشعب كله ونرقص من الفرح. إنني أنظر بعيني مثبتة على مولاي. ولكن جميع الذين يترددون على القصر بغير استثناء لا يحبونني. ليس لي صديق من بينهم أستطيع أن أقدم له هدية يتقبلها ويهتم بقضيتي. ليشفق الملك مولاي على خدمه. إنني أتضرع ألا يكون بين هؤلاء الناس واحد ممن يغتابونني يرى نتيجة تدبيراتهم ضدي".

وهناك بعض الخطابات تشير إلى العلاج الطبي ومن العسير أن نتناول بالترجمة أغلبها لأنه رغم تعدد اللوحات الطبية المحفوظة في المتحف البريطاني فإننا نجهل غالبا المعنى الدقيق للاصطلاحات المستعملة لبيان الأمراض وعلاجها. وهناك "شماش ميتو أوبا لليت" أصغر أخوة أشور بانيبال يسأل الملك أن يرسل طبيبا يعالج امرأة من نساء القصر(١).

"إلى مولاي الملك من خادمه شماش ميتو أوبا لليت. السلام للملك مولاي: ليكن الملك مولاي موضع الرضي الكثير من نابو ومردوك أن "باو جميلات" خادمة الملك مولاي بإرسال طبيب ليراها".

وتبين الكتب الطبية طرائق علاج الأمراض المختلفة التي تنتاب كافة أجزاء الجسم: وهي جذور وزيوت ومساحيق وهي تتضمن غالبا بالإضافة إلى ذلك رقي تطرد تأثير الأرواح الشريرة التي هي سبب الأمراض والاضطرابات. ولقد عالج "أراد ناناي" رجلا كان يهم الملك أسارحدون أمره شخصيا وقد قدم له تقريرا عن حالة المريض الذي يقاسي ألما من جراء مرض في العينين أو ربما كان مرض الحمرة "إن حالة الرجل المسكين الذي بعينيه مرض طيبة. لقد عملت له مكمدات على الوجه كله. وفي الليلة الماضية حللت الرباط الذي يربط المكمدات ثم رفعتها وكان هناك صديد على المكمدات على شكل بقعة كبيرة بحجم طرف إصبعي الصغيرة. إن كان أحد من آلهتك قد تولى الأمر بنفسه فإنه وضع الأمور في نصابها لأن كل شيء على ما يرام. ليفرح قلب مولاي

---

(1) LXXX b. No 341.

الملك. إنه سيشفى في مدى سبعة أو ثمانية أيام". ولقد كان نفس "أراد ناناي" هذا يعالج الأمير الصغير "أشور موكين باليا" الذي كان –كما رأينا– معتل الصحة جدا. ولقد كتب يوما إلى الملك أبيه أنه لا داعي لأن يقلق[١] وفي مرة أخرى يعطي نصائح للملك نفسه[٢] وحين شكا الأخير من طبيعة المرض لم تشخص أجاب الطبيب[٣]: "لقد قلت لمولاي الملك من قبل ("أن الفرحة غير قابلة للشفاء ولا أستطيع وصف علاج لهذه الحالة"). ومع ذلك فقد ختمت الآن خطابا أرسله. ألا فليقرأ في حضرة مولاي الملك. سأقدم وصفة للملك مولاي: فإن وافق الملك مولاي ليدع ساحرا يباشر عليه عمله. ليستخدم الملك غسولا وسيختفي الألم حالا. ليستعمل الملك غسول الزيت(؟) مرتين أو ثلاث مرات".

وكان بدء الشهر يتوقف على ظهور الهلال في السماء. وكان فلكيو أشور يرقبون السماء منذ التاسع والعشرين ويقدمون تقريرهم فورا إن كان الوقت قد جاء للانتقال إلى الشهر التالي. وهناك نموذجًا أصليًا لتقاريرهم[٤]: "لقد قمنا بالملاحظات في التاسع والعشرين ولم نشهد القمر. ليكن الملك مولاي حائزا لرضا نابو ومردوك. من نابوا من أشور".

وتثبت مجموعات الرسائل وتبرز ماهية تأثير بعض النساء في المجتمع الأشوري. فقد كانت "زاكوتو" زوجة "سناخريب" تلعب دورا هاما في البلاط وفي الدولة. وعند موت ابنها "أسار حدون" وقفت في صف "أشور بانيبال". وقد أعتبرها "نابيد مردوك" ملك أرض البحر وولى أشور وصية على العرش حين كان ابنها يحارب في الغرب. فكان يوجه إليها التقارير "إلى أم الملك مولاي من خادمها نابيد مردوك. السلام لأم الملك مولاي. ليمنح أشور وشماش ومردوك الصحة للملك مولاي وليدخلوا السرور في قلب أم الملك مولاي. جاء رسول من عيلام ليخطرني أن "القنطرة قد رفعت من مكانها"

---

(1) Ibid No 109.
(2) Ibid, No 110.
(3) Ibid, No 391.
(4) LXXXII b, No 825.

وحالما علمت بذلك أرسلت إلى أم الملك مولاي لتصلح القنطرة وتقوى المتاريس (المسامير)" وهناك خطاب آخر من المدعو "إبليا" يأتيها بأنباء عن ابنها[١]. "إلى أم الملك مولاتي من خادمها إبليا، ليكن بعل ونابو راضيين عن أم الملك مولاتي. إنني أتضرع كل يوم إلى نابو، ناناي من أجل حياة وصحة وطول عمر مولاي ملك كل البلاد ولأم الملك مولاتي. لتفرح أم الملك مولاتي، لقد أتت رسالة تحمل أنباء طيبة من بعل ونابو من ملك البلاد مولاي".

ولقد كتب الملك إلى أمه مستعملا المقدمة المعتادة المستخدمة في كل خطاباته[٢]: "رسالة من الملك إلى أم الملك. أنا بخير. السلام لأم الملك. فيما يختص بخادمة "أموشي" التي أرسلتها إلى فإنني سأعطي الأوامر فورا طبقا لما أخبرتني به أم الملك أن ما ذكرته حسن جدا. لم سترحل "حاموناي"؟

٣- العلوم

استخدم الأشوريون الموازين المقاييس البابلية ولكنهم أدخلوا عليها بعض التعديلات: وكانت وحدة الأحجام لا تزال الـ"قأ" أو "سيلا" ولكن لم تعد مضاعفاتها الـ"جور" ذو ٣٠٠ أو ١٨٠ قا بل الـ"أمرو" أو حمل الحمار ذو الـ١٠٠ قا (٨٤.٢ لترا) وكان هذا المقياس يستخدم كذلك مقياس أرض مثل جور بابل منذ الاحتلال الكاسي فكانت قطعة الأرض تقدر طبقا لكمية الحبوب اللازمة لبذر وحدة المساحة.

ولقد استعمل السوميريون القدماء النحاس كنقود قبل استخدام الفضة واستعمله الأشوريون كذلك حتى في فترة السرجونيين، ولكنهم استخدموا الرصاص قبل ذلك بكثير جدا: وإننا لنرى في الشروط الجزائية الواردة في القوانين الأشورية من الألف الثانية أن الرصاص كان هو المعدن السائد الاستعمال. وكانت الفضة تستعمل كذلك في الصفقات وهي تظهر في شكل سبائك أو حلقات أو صفائح يبين وزنها ونوعها بواسطة بصمات. وقد استعمل الذهب كذلك في عصر السرجونيين وإن كان أكثر ندرة.

---

(1) Ibid, No 303.
(2) Ibid, No 324.

وكانت السنة الأشورية تتكون من ١٢ أو ١٣ شهرا قمريا كما هي الحال في بابل. ويظهر أنه لم تكن هناك قواعد علمية تعين النظام الذي تحدد به السنة العادية والسنة الكبيسة. ومنذ أقدم العصور حتى نهاية الإمبراطورية كانت تحمل كل سنة اسم شخصية هامة تسمى "لمو" وهذه العادة التي شهدناها في الوثائق الكبادوكية للقرن الرابع والعشرين تعاود الظهور في اللوحات التي ترجع للألف الثانية والتي كشف عنها في أشور. وفي عصر السرجونيين كان الملك هو "لمو" أول سنة كاملة لحكمه. وكان دوره للتمتع بهذا الامتياز يأتي مرة أخرى بعد ثلاثين سنة. وكان اللقب من بعده من نصيب الوزير الأكبر ثم ال"ترتان" ثم كبار الموظفين الآخرين.

كان للطب الآشوري نفس الأساس والطرائق المتبعة في بابل. ويظهر أن علم الفلك لم يتقدم. وقد فاقوا أهل بابل في أنهم لم يكونوا يدرسون النجوم إلا لمعرفة الفأل بالنسبة لأحداث الحياة العامة أو الأمور الشخصية. أما من حيث الجغرافيا فإن الأشوريين لم يهتموا إلا بتسجيل أسماء المقاطعات والمسافات بين نقطتين والأراضي التي يمر بها المسافر من مكان إلى آخر وذلك بقصد استخدامها في الحملات الحربية وقوافل التجار أو المساعدة الكتاب المنوط بهم كتابة الحوليات الملكية. وغالبا ما كانت الوثائق الجغرافية نسخا من اللوحات البابلية.

ويظهر أن الأشوريين لم يحاولوا أن يحرزوا تقدمًا يستحق الذكر في العلوم من أية ناحية أو لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا. ولكننا ندين لهم بأنهم احتفظوا لنا في محفوظاتهم ومكتباتهم بعدد كبير من النصوص البابلية الأصل، لاسيما وأن بعضها لا يعرف من مصادر أخرى والبعض الآخر يقدم لنا منوعات أو تعليقات أو إضافات تجعلها عظيمة القيمة بالنسبة لنا.

خاتمة

لسنا نعرف من أين قدم الساميون الذين استقروا في سهل الفرات الأدبي ومع ذلك فإنه من الأهمية القصوى أن نستطيع أن نحدد إن كان موطنهم السابق هو بلاد العرب –وفقا لنظرية ظلت سائدة فترة طويلة– أو هو إقليم العاموريين في سوريا وفلسطين طبقا لنظرية أحدث[١] وهذه المسألة لها أهمية كبرى بصفة خاصة لتقدير مدى تأثير الحضارة البابلية على مختلف الشعوب التي احتلت آسيا الصغرى والشاطئ السوري للبحر الأبيض المتوسط.

ولئن ثبتت النظرية القائلة بأن الساميين الأول الذين استقروا بين السوميريين كانوا فرعا انبثق من مجموعة الساميين الغربيين ولئن أمكن بصفة نهائية إثبات الأصل العاموري لأقدم ملوك كيش وأوروك. وإذا لاحظنا أن أساس القصص التي لدينا عن هؤلاء الملوك حوادث تمت في سوريا في عصر سابق لأقدم الوقائع التي لدينا عنها وثائق معاصرة... إذا كان الأمر كذلك، فإن نظرية القائلين بالمجموعة البابلية تنهار تماما. ومن ثم فإن حضارة إسرائيل لا تعتبر كلها انعكاسا لحضارة بابل. وإذن فإن التقاليد التي خلدها سفر التكوين لم تكن قد وردت من كلديا بل على العكس يكون الساميون هم الذين أتوا بها إلى السوميريين في المرحلة الأخيرة من هجرتهم نحو الشرق. وإن هؤلاء قد ساروا عليها. وعلى أية حال فنظرا لأن السوميرو أكاديين قد تقدموا في ثقافتهم في سرعة تفوق سرعة الساميين الذين ظلوا في عامور. فإنهم لهذا قد أثروا تأثيرا عميقا في ذلك الإقليم الذي كانوا مضطرين للحضور إليه لاستجلاب الأحجار والأخشاب. فمارسوا التجارة على نطاق واسع.

وإنه ليلاحظ أن هذا التأثير لا يزال واضحًا في القرن الخامس عشر في عهد

---

(1) XXIX t, VI, t, V.3.

خطابات العمارنة. ولقد زاد الأشوريون من هذا التأثير بواسطة طريقتهم في الغزو وتأسيس مستعمرات في الأقاليم التي يلحقونها بإمبراطوريتهم.

وقد خطا النيوبابليون الخطوة الأخيرة في هذا السبيل وبصفة خاصة بالنسبة لليهود الذين صبغوهم بصبغتهم الواضحة خلال سني النفي.

ولقد وافق جمهرة من المستشرقين على الرأي القائل بالتأثير المتبادل بين المدنيتين المصرية والبابلية في عصور ممعنة في القدم. ومع ذلك فهناك اختلاف بين وجهات النظر في تحديد حالات معينة ولكنه يسهل تحديد هذه التأثيرات إن نحن وافقنا على النظرية القائلة بأن الأكاديين من أصل عاموري وأن مواضع الربط بين المجموعتين هي فلان الواقعة على الشاطئ السوري فهناك عند بدء الفترة التاريخية كانت مصر قد أسست مستعمرات تجارية غنية استخدمت كقواعد لاستغلال غابات لبنان في عهد الأسرة الثالثة التي تعاصر لوجال راجيسي في أوروك.

أما في الإقليم الكابادوكي فإنه كان في أول الأمر مستعمرة تجار أعطى لمن يعبدون أشور في الألف الثالثة ثم فيما بعد الحيثيون الذين نشروا الثقافة البابلية وقد استخدم كلاهما الكتابة المسمارية وكانا يستوحيان الفن السوميري الأكادي ولكنهما خلقا نماذج أخرى مغايرة نجدها أيضًا على ضفاف دجلة ومهدا لنمو وتقدم الفن الأشوري الكلاسيكي.

ولقد أثرت الحضارة الأشورية بصفة خاصة على شعوب الجبال في الوديان العليا لدجلة والفرات– على "موتساتسير" "وأورارتو" مثلا في أيام سرجون. ومن جهة أخرى لقد أبرزت البعثة الموفدة إلى فارس مدى النشاط الذي بذلته كل من سومير وأكاذ في عيلام: ولقد فرض ملوك أجاده وملوك أور لغتهم كما فرضوا كتابتهم على العيلاميين دون أن يتسببوا على أية حال في اختفاء اللغة الإنزانية أو يمنعوا بقاء الكتابة المحلية. ولقد صمد فن عيلام كذلك للتأثيرات الأجنبية إلى حد ما: وتبين المجموعة الضخمة للأسطوانات والبصمات التي عثر عليها في سوسة فيما يختص بالنقش على الأحجار

مجموعات من الرسوم التي لا نجد لها مثيلا في وادي الفرات. ويمكن تتبع التأثير البابلي مرة أخرى في نقوش "مالامير" حوالي ١٠٠٠ق.م. بل وفيما بعد في الكتابة والفن والعمارة في عصر الفرس الأكمينيين.

ولقد أثرت بابل على العالم اليوناني وخاصة بعد أن اختفت تلك المدينة كقوة سياسية وقد كان هذا التأثير عميقا أحيانا وضعيفا أحيانًا أخرى من طريق الشاطئ السوري وآسيا الصغرى في عهود مختلفة. ولقد وصل هذا الأثر إلى قبرص قبل عصر حمورابي. وربما إلى كريت كذلك. ولكن الإغريق الحقيقيين لم يعرفوا هذا الأثر إلا عند اضمحلاله في عهد سيادة الفرس بل خاصة تحت سيادة السلوقيين وعندئذ نشر الكهنة الكلدانيون ورثة التراث القديم لسومير وأكاد وهم الذين لم يحسوا كلالا في نقل اللوحات الخاصة بالطقوس... نشروا علومهم في كافة بلاد حوض البحر المتوسط ولعل أشهرهم كان يدعى بيروس.

من هذه التأثيرات على هذه الشعوب المتباينة يبقى شيء لا يزال حيا حتى اليوم وهناك مثلين واضحين هما: التقويم الإسرائيلي الحالي وهو مشتق مباشرة من التقويم البابلي وكذا تقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة وتقسيم اليوم إلى ٢٤ ساعة وهما لا يتفقان مع مبادئ الطريقة المترية ويمكن إرجاعهما إلى السوميريين.

ومنذ أقل من قرن من الزمان قامت حفائر منظمة أو خلسة استطاعت أن تكشف عن آلاف الوثائق. ولا زالت هناك مئات من التلال التي لم يتم كشفها يردمها تراب بلاد ما بين النهرين وتحوي الإجابة عن العديد من الأسئلة التي لم تحل بعد.

ولقد استطاعت مصلحة الآثار في مصر والمنظمات المشابهة لها في سوريا وفلسطين الوصول إلى نتائج مرضية جدا في أقاليمها الخاصة بها وأن تثبط من همم الحفارين الذين يقومون بالحفر خلسة والذين يجعلون الأشياء التي يستخرجونها من بطن الأرض تفقد الكثير من قيمتها، وإنه لمن الواجب أن يتابع الكشف في خرائب ميزوبوتاميا على نفس الطريقة على أن يراعي في أعمال الكشف الظروف المحلية.

ولقد اقتصرت أعمال الحفر في خورساباد تقريبا على خرائب قصر سرجون وعلى بوابات المدينة، أما في المدينة نفسها فلم تعمل سوى مجسات. ولكن المدينة ترجع فقط إلى القرن السابع ومن المحتمل أنها لا تقدم وثائق ذات قيمة أثرية يمكن مقارنتها بما ينتظر أن يستخرج من مواقع أخرى. أما القصور في نينوى فمعروفة ولكن المدينة لم يتم حفرها حتى مستوى الأرض البكر. أما أشور فقد أماطت اللثام عن سر أصولها البعيدة وعن التأثير السوميري على سكانها في النصف الأول من الألف الثالثة. وفي أماكن أخرى من أشور شرع في بعض أعمال الحفر أما في منطقة كركوك حيث ظهر تأثير الفن الحيثي حوالي القرن الخامس عشر أو في أربيلا حيث شيد معبد من أشهر المعابد أو في أماكن أخرى متعددة تبشر بنتائج طيبة فلم تقم بحوث علمية منتظمة.

ولم تستطع البعثة الألمانية في بابل أن تنفذ إلى الطبقات العميقة من موقع بابل وقد عاقها عن العمل وجود المياه التي تصل اليوم في الفصول العادية إلى مستوى أعلى من مستوى المدينة حوالي نهاية الألف الثانية. وفي "نفر" لا تزال جامعة بنسلفانيا الأمريكية تباشر عملياتها المهمة المنتجة التي ستظل سنوات عديدة قبل إتمام الكشف عن هذه العاصمة الدينية القديمة لسفير أما العمل الذي قام به Colonel Cros Ernest de Sarzec في تللو فهو عمل هام بالنسبة لتاريخ وآثار الألف الثالثة ولكن ظل دون إتمام لأن المكتشف الأول مات أثناء العمل وسقط الثاني مستشهدًا في ساحة المجد ولا يزال الأمر متروكًا لفرنسي يتناول معولهما ويتابع الكشف عن مدينة جوديا... فكم من مدينة أخرى ندرك أهميتها البالغة لا تزال خرائبها تنتظر من يكشف عنها! هناك "واركا" مثلا وهي تقع في مكان أوروك القديمة التي كانت مركزًا للثقافة العلمية في العصر السلوكي حيث استطاع الحفارون الذين يحفرون خلسة يستخرجوا عددًا من اللوحات. لقد كانت هذه مدينة جلجامش ذلك الملك القديم الذي يسبق الفترة التاريخية. ولابد أن الطبقات السفلى للتل تحوي بقايا أسوار التحصين القديمة التي تتناولها القصص المتوارثة. وربما نجد هناك عناصر تكون صفحة جديدة في التاريخ... لا التاريخ المحلي فحسب –رغم أن في هذا وحده ما يكفي من حيث أهميته– بل كذلك في تاريخ العلاقات بين

السوميريين وشعوب شمال سوريا التي خلدت ملحمة هذا البطل ذكرها.

وكم من خرائب لا تظهر أهميتها لأول وهلة قد يسفر كشفها عن نتائج مثمرة ولعل مثل **Tape Moussian** في سوسيانا حين تحمل **M. J. E. Gautier** شخصيًا كل نفقات أبحاثه دليل على ذلك. أن متابعة العمل في خرائب سوسة ليس أمرًا غير متصل بموضوعنا لأنه وجدت فيها عناصر للمقارنة تفيد في إعادة إحياء التاريخ البابلي كما وجدت أحيانًا بعض الوثائق التي لها صلة بموضوعنا وقد سبق أن كشف "دي مورجان" هناك عن قانون حمورابي ولوحة "نارام سن" وأسلابًا أخرى من بابل المهزومة جنبا إلى جنب مع وثائق تشير إلى احتلال ملوك أور الفعلي لأرض عيلام. وقد كشف هناك عن الجبانة الأركية التي ترجع أهميتها إلى مجموعتين للأواني الملونة التي وجدت فيها. ويكشف فيها اليوم **M. de Maequeneme** عن جبانة أخرى ترجع أقدم آثارها إلى عصر ملوك أور بينما أحدثها ليست أقدم بكثير من الاحتلال الأكيميني.

وهناك أقاليم أخرى قد تنهض دليلًا على نمو وتوسع المدينة البابلية أو الآشورية فنحن نعرف مثلا موقع "هاري" تلك المدينة الواقعة على الفرات الأوسط التي بسطت نفوذها على سومير وأكاد حوالي عصر أول ملك في لجش –أورنينا– والتي خرج منها بعد عدة قرون "ايشي ايرا" مؤسس أسرة ايسين. ونحن نعرف كذلك موقع "ترقا" عاصمة دولة "هانا" التي ازدهرت حوالي ٢٠٠٠ق.م... أن حفائر منظمة في أطلال هاتين المدينتين لكفيلة بأن تكشف عن نتائج خطيرة.

ولو أن الحكومات اليوم في الظروف الحالية أقل قدرة على منح الإعانات المالية الكبيرة اللازمة لمتابعة الحفائر الأثرية وهي العمل الحقيقي للتاريخ الشرق فإنه من واجب الأفراد أن يتولوا هذا الأمر وأن يشتركوا في تلك الجمعيات العظيمة في كل دولة ممن تعد هذا العمل موضع فخار.. وذلك بالاتفاق مع المعاهد العلمية أن تزود الحفارين بالوسائل المادية اللازمة للكشف عن وثائق هذه المدنيات القديمة التي هي التراث المشترك للجنس البشري.

المراجع

BIBLIOGRAPHIE

I. Périodiques

Revue d'Assyriologie et d'Archeoiogie orientale	i
Recueil de travaux relatifs a le philologie et a lar - théologie égyptiennes	ii
Babyloniaca	iii
Journal asiatique	iv
Syria	v
Revue archéologique	vi
Revue biblique	vii
Revue de I'histoire des religions	viii
Rirista degli studi orientali	ix
Proceedings of the Society of Biblical Archaeology	x
Journal of the Royel Asiatic Society	xi
American Journal of Semitic languages and Litera ture	xii
Journal of the American Oriental Society	xiii
Joumel of the Society of Oriental Research	xiiii
Zeitschrift für Assyriologie	
Orientalische Lifereaturzeitung	vx
Mitteilungen der Oeutschcn Orient-Gesellschaft Berlin	xvi
Mitteilungen der Vorderasisstischen Gescllscliaft	xvii

H. OUVRAGES COLLECTIFS

Délégation en Perse, Mémoires publiés sous la direc- tion de M. J. de Morgan.	xviii
Mission de Chaldêe Inventaire des tablettes de Tello conservées au Musée impérial ottoman	xix
Musée du Louvre, Département des antiquités orientales	xx
Babylonian Inscriptions in the collection of James B,	xxi

III. OUVEKGES PAETICCLIEKS

mique d'Umma.	
- La déesse nue bebylonienne, 1904.	Xi
- La civilisation essyrohabylonienne, 1922	Xi
Caston Cos, Léon Heu ey et Fa. Thura-Dangin, .Nouvelles fouilles 'de Tello, 1910.	Xii
Edouard Cuq, Le mariage à Babylone d'apres les lois de Hammurabi, 1905.	Xiii
Edouard Cuq. Notes d'êpigraphie et de papyrology juridiques, 1908-1909.	Xliii
Edourd Cuq, La Propriété foncière en Caldéê, 1906	Xiiv
Etude sur les contrats del' epoque de la Ire dynas- te babylonienne 1910.	Xiv
Edouard cuq. Les nouveaux fragments du code de Hammurabi Sur le pret à interet et lés gociet, 1918.	Xivi
Edouard cuq, Le cautionnement en chaldee, 1918.	Xivii
Les pierres de tomage babyloniennes du Britisb Museum, 1920.	Xiviii
De Clereq et Joachim Menant, Collection de Clerq, Catalogne méthodique et raisonne, 1888.	xiix
Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux du Musée Ouimet, 1906.	Xi
Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux de la Bibliothèque nationale, 1910.	Xii
Louis Delaporte et Fr. Thureau-Dangin. Catalogue, des cylindres orientaux du musée du Louvre, 1920-1922.	Xiii
Paul Dhorme, Choix de textes religieux assyro-baby-Ioniens, 1907.	Xiiii
- La religion assyro-bahylonienne, 1910	Xiiv
Marcel Dieulafoy. L'acropole de Suse, 1893	Xiv
J. E, Gautier, Archives d'une famille de Dilbat	Xivi
Leon Heuszey, Les origines orientale de l'art	Xivii
- Musée du Louvre catalogue des antiquités chaldéennes, 1902	Xiviii
Charles Fosey, Manuol d'assyrfologie, 1904	Xlix
-La magie- assyrienne, 1909	I
- Textes assyriens et babyloniens relatifs à la	Ii

divination, 1905.
Henri De Genouillac, Tablettes sumériennes archa- Iii
iques, 1909
-La trouvaille de drehem, 1911 IIii
M. J. Lagrange, Etudes sur les religions semitiques, 2 Iiv
edit, 1905.
Stephen Langdon. Le poeme sumérien du Paradis, du Iv
déluge et de la chute de I'homme.
Léon Legrain, Le temps des rois d'ur, 1912. Ivi
- Catalogue as cylindres orientaux de la collection Ivii
Louis cugnin, 1911.
François Martin ؛Lettres néo-babyloniennes Iviii
- Textes Religieux Assyriens et babyloniens, 1990. Iix
Gaston Maspero-Historie Ancienne des Peuples del' Ix
orient classique, 1895.
Gaston Maspero-Histoire Ancienne des Peuples del' Ixi
orient 8. Edit 1909.
Jaochira Menant-Les Écritures cuneiformes, 1864. Ixii
- catalogues des cylindres orientaux du ca- binet oyal Ixxiii
des Médailles de La Haye, 1878.
Jules Oppert, Expédition scientifiques en Mésopo- Ixiv
tamie 1869.
Victor Place, Ninive et l'ass yrie, 1867. Ixv
G. Perrot et ch. chipiez. Histoire de Tart dans l'an- Ixvi
tique, t. ii, 1884.
L. Pillet Le palais de Darius l'à Suse, 1914. Ixvii
J. Plessis, Etudes sur les textes concernant Ishtar- Ixvii
astarté, 1921.
Edmond Pottier, Musée du Louvre. Les antiquités Ixviii
assyriennes, 1917.
Max Ringelmann, Essei sur l'histoire du génie rural, t. Ixix
ii, 1907.
Ernest de Saraec et Léon Heuzey, découvertes en Ixx
chaldee, 1884.
Vincent Scheil, Une saison de fouilles à sippar Ixxi
- La loi de HaIxxivmmurabi, 1904 (cf. xvm, t. IV.) Ixxii
- Recueil de lois assyriennes, 1921. Ixxiii
V. Scheil et M. dieulafoy, Esagl ou le temple de Ixxiv

BeUrduk a babylone, 1913.

Francois Thureau dangin, Recneil de Tablettes Chaldeennes Ixxv

- Les Inscriptions de Sumer et d'akkad, 1905. Ixxvi

Francois Thureaudangin, chronologie des djmasties de sinner et 1918. Ixxvii

Francois Thurea-dangin, Rituels eecadiens, 1921. Ixxvii

Charles Virolleaud, L'astrologie chaldeenne, 1908 et suiv.

Edgar James Benks, Bismya or the Lost City of Adab 1912. Ixxviii

G. A. Barton, Haverford Library Collection of Cunei-from Tablets. 910. Ixxx

E. A Wallis Budge, Assyrian Sculptures in the Biritish Museum Reign of Ashur-Nasir-pal, 1914. Ixxxi

E. A. Wallis budge et L. w. King, Annals of the kings of assyria, 1902. Ixxxii

Harper, assyrian and babylonian Letters. Ixxxii

H. V. Hilprecht, Exploration inblble Lands during the 19th century, 1907. Ixxxiii

Mary In da Hussey, Sumerian Tablets in the Har- vard Semitic Museum, 1912. Ixxxiv

Morris Jashirow, aspects of Religious Belief and Practice in Babylonia and assyria, 1911. Ixxxv

Leonard w, King, a history of Sumer and abkad 1010. Ixxxvi

- A History of Babylon, 1915. Ixxxviii

- Studies in Eastern History, 1904 Ixxxviii

The Letters and Inscriptions of Hummu- rabi, 1898. Ixxxix

- Babylonian Boundary Stones and. Memorial Tablets in the British Museum, 1912 Xe

- Bronze Reliefs from gates of Shalmaneser Ring of Assyria. Xci

Leonard W. King' The seven tablets of Creation, 1902. Xcii

- Babylonian magic and Sorcery, 1896. Xciii

C. H. W. Johns, Assyrian deeds and document, 1898 Xciv

Babylonien and Assyrian Laws, Contracts Tablets, 1904. Xcv

- Stephen Langdon, Tablets from the Archives of Xcvi

drehem,
- Sumerian and¡ Babylonian Psalms, 1909 Xcvii
- Babylonian Liturgies, Xcvxiii
Layard, The monumerifs of Nineveh, 1853. Xcviii
Archibald Paterson, Assyrian Sculptures Xcix
- Assyrian Sculptures, Palace of Sinacherib Xox
Theophilus G. Pinches' The amherst Tablets, 1908 Ci
Thompson, The Devil؛؛ and Evil Sprits of Babylonia Cii
cii William Hayes Ward, Cylinders and other oriental Seals in the Library of J. Pierpont morgan, 1909. Ciii
William hays Ward, The Seal cylinders of Western. Asia, 1910. Civ
E, G. Ulauber, Politisch-religiose Texte aus der Sargonidenzeit, 1913. Cv
J, Kohler et P. R. Peiser, Aus dent babylonischen Rechtsleben 1890. Cvi
J. Kohler to F. E. Peiser Bammurabis Gesetz, 1904 Cvii
- Urkunden aus der Zeit der dritten babylo¬ nischen dynestie, 1905, Cviii

A. T. Olmstead history of assyrie, 1923, Cviii
J. Kohler et F. E. Peiser, Babylonische Vertage des Berliner museums, 1920. Cviii
J. Kohler ot A. Ungnadj Assyrische Rechtsurkun¬ den. Cix
- hundert ausgewahlte Rechtsurkunden. aus der Spatzeit des babylonischen Schrift¬tums von Xerxes bis mithridates II (485-93 v. ehr.) Cx
Koldeway, das neuerscheinende Babylon, 1913. Sxb
F. X. Kugler, die babylonische Mondrechnung 1900, Cxi
- Sternkunde und Sterndienst in Babel, 1907 et suiv. Cxii
Edouard Meyer, Geschichte der altertums Cxiii
J. N. Strassmaier, Babylonische Texte Cxiv
K. L. Tallquist. die assyrische Beschworungsserie maqlu, 1894. Cxv
M. V. Nikolski, documents economiques de l'ancin-ne époque de chaldée (en russe), cxvi

الفهرس